

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط

حكمة التسيير في الدولة الزيانية

في المجالين السياسي والاقتصادي

من خلال أنموذجي يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني

إشراف:

أ.د مبخوت بودواية

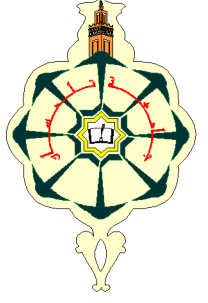
إعداد الطالب الباحث :

حسين تواتي

لجنة المناقشة

د.مكيوي محمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	مشرفا ومقررا
د.ة فطيمة مطهري	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة تلمسان	عضوه
د. رشيد يماني	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضوا
أ.د بوداود عبيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	عضوا
د. بوشريط أحمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة معسكر	عضوا

السنة الجامعية : 1438 - 1439 هـ / 2017 - 2018 م

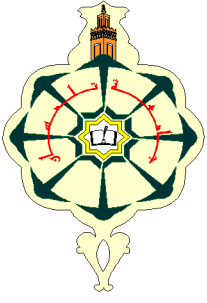


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية



قسم التاريخ

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط

حكمة التسيير في الدولة الزيانية

في المجالين السياسي والاقتصادي

من خلال أنموذجي يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني

إعداد الطالب الباحث :

حسين تواتي

إشراف:

أ.د مبخوت بودواية

لجنة المناقشة

د.مكيوي محمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	مشرفا ومقررا
د.ة فطيمة مطهري	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة تلمسان	عضوه
د. رشيد يماني	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضوا
أ.د بوداود عبيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	عضوا
د. بوشريط أحمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة معسكر	عضوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

أشكر الله العليّ القدير الذي وفّقني إلى إنجاز هذا العمل راجيا منه سبحانه وتعالى أن يجعله نافعا في الدنيا والآخرة.

كما أتوجه بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور مبخوت بودواية الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، وكان لي عوناً ومرجعاً، ولم يخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة.

والشكر مني موصول إلى كل من ساعدني ووقف إلى جانبي من قريب أو بعيد، وعلى رأسهم السادة أساتذة قسم التاريخ بجامعة تلمسان، وعمال المكتبات الوطنية، ومختلف المكتبات بالمملكة المغربية على التسهيلات التي قدموها لنا.

كما لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى اللجنة الموقرة التي ستشرفني بمناقشة هذه الأطروحة.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى روح والدي الطاهرة رحمه الله تعالى.

إلى الوالدة الكريمة بختة أطال الله عمرها.

إلى التي تحملت معي مشقة هذا البحث وكانت لي نعم العون والسند زوجتي ورفيقة دربي
الدكتورة هوارية بكاي.

إلى أبنائي وقرّة عيني محمد سيف الإسلام و محمد أكرم وإسراء.

إلى الإخوة والأخوات، وأبنائهم وأحفادهم.

إلى عائلة بكاي وعلى رأسهم الوالدين الكريمين محمد علاوة وخيرة، الإخوة والأخوات
وأبنائهم.

إلى من أدين لهم بكل نجاحاتي أساتذتي الأفاضل عبر مختلف الأطوار التعليمية.

حَقِّقْ حَقِّقْ

احتل المغرب الأوسط على عهد دولة بني عبد الواد الزيانية مركزا مرموقا بفضل هذه الدولة التي استطاعت أن تجد لنفسها مكانة هامة بين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة.

حيث أصبحت تلمسان حاضرة الدولة من أهم حواضر العالم الإسلامي، بفضل ما وصلت إليه من ازدهار علمي وتطور حضاري، وثناء عمراني، وانتعاش اقتصادي. واستطاعت بذلك الانتقال من طور البداوة إلى طور الحضارة، بل واستطاعت النهوض بالمغرب الأوسط ككل خاصة حينما تغلبت على فترات الضعف والهيمنة التي تعرضت إليها من جارتها الحفصية شرقا، والمرينية غربا.

وكان ذلك بفضل استفادتها من الإرث الحضاري للدول التي تعاقبت على حكمها، خاصة الأدارسة والمرابطين والموحدين. إضافة إلى رافدي الأندلس والمشرق الإسلامي التي استفادت منهما بفضل الرحلة العلمية المتبادلة معهما.

كما كان لحكامها من بني عبد الواد الدور الكبير في توطيد العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع الدول المجاورة من مسلمة ومسيحية، ومع دول المشرق الإسلامي وإفريقيا ما وراء الصحراء.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب علمية بحتة، دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع منها ضرورة البحث في مواضيع متخصصة جدا، والتي منها موضوع حكمة التسيير التي كانت تدار بها دولة بني عبد الواد الزيانية داخليا، وتلك التي كانت تتعامل بها خارجيا مع مختلف الدول التي كانت لها علاقات معها خاصة في المجالين السياسي والاقتصادي. إضافة إلى حتمية ولوج الجزئيات من التاريخ الحضاري للمغرب الأوسط، والذي ما يزال مجالا خصبا للدراسة والبحث.

هذا دون إنكار وجود أسباب ذاتية وراء هذا الاختيار، ومن بينها رغبتني في مواصلة البحث في مجال طرق وآليات تسيير الدولة الزيانية والذي كنت قد بدأت في مذكرة الماجستير والتي كان موضوعها: « الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية - الكتابة أنموذج - (633 -

791 هـ / 1236 - 1389 م) « ، ورغبتي في نفص الغبار عن جزء هام من تاريخ بلاد الجزائر ، و الذي يعد تاريخ الدولة الزيانية جزءا هاما منه على اعتبار هذه الدولة - في نظري - كانت بمثابة الإرهاصات الأولى لتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة. ومن هذا المنطلق وإذ أننا ندرس تاريخ المغرب الأوسط على عهد الدولة الزيانية فإننا ندرس تاريخ الجزائر ، هذا إضافة إلى رغبتني في المساهمة في إثراء هذا الجانب الذي يعاني من نقص في الدراسات.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يسلط الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ الحضاري لبلاد المغرب الأوسط على عهد الدولة الزيانية ، والمتمثل في حكمة التسيير في الدولة الزيانية في المجالين السياسي والاقتصادي من خلال أتمودجي يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني ، وذلك من خلال التطرق بالدراسة والتحليل إلى الآليات والكيفيات والطرائق التي اعتمدها واتبعتها هذين الحاكمين في تسيير شؤون الدولة في هذين المجالين وما تعلق بهما من العلاقات السياسية والتجارية على المستويين الداخلي والخارجي ، وكذا اسهاماتهما في التمكين لدولة بني عبد الواد الزيانية ، على امتداد الإطار الزماني لهذه الدراسة والذي يشمل فترة حكمهما (633 - 681 هـ / 1235 - 1282 م) بالنسبة للسلطان يغمراسن بن زيان و (760 - 791 هـ / 1359 - 1389 م) بالنسبة للسلطان أبي حمو موسى الثاني.

وذلك أن الحكامة متعلقة في مفهومها العام بمجال التسيير ، فهي تعبير عن ممارسة السلطة السياسية وإدارتها لشؤون المجتمع وموارده المادية والمالية والبشرية ، وهي أيضا أداة يمكن بواسطتها ضبط التوجهات الكبرى للدولة التي تمس الجوانب الاقتصادية ، والنظم السياسية والاجتماعية والثقافية لها ، والتي تسير التطورات والتحويلات الحاصلة في محيطها على المستويين الداخلي والخارجي ، فتكون بذلك وسيلة فاعلة وفعالة في بناء دولة قوية سياسيا واقتصاديا وإداريا. كما ورد تعريف الحكامة الرشيدة في القاموس المحيط على أنها التدبير العقلاني للمجال الجغرافي بشكل يراعي الحاجات الحقيقية للسكان. والحكامة في دراستنا هذه مشتقة من الحكمة والتي هي صفة يتم من خلالها التمييز بين المقبول وغير المقبول ، والمقترنة

بحكم عادل على بصيرة، والمعبرة عن المعرفة التي يكتسبها الفرد من خلال تجاربه وخبراته التي مر بها. لذلك فالحكيم من هذا المنظور هو الذي يتميز عن أقرانه في تصرفاته، وتعاملاته وأفكاره، وقدرته على التفاؤل بالحياة وحل المشاكل التي تواجهه، والهدوء في اتخاذ القرارات الصعبة والمصيرية، كما يتميز بالقدرة اللازمة على رؤية الصورة الكبيرة للأمور، وبالتالي القدرة على تفسير ما يدور حوله بشكل أكثر واقعية. وهذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال دراستنا هاته والموسومة بـ: «**حكمة التسيير في دولة بني عبد الواد الزيرية في المجالين السياسي والاقتصادي من خلال أنموذجي يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني.**»

اشكالية الموضوع:

تتمحور اشكالية الموضوع حول حكمة التسيير في الدولة الزيرية في المجالين السياسي والاقتصادي من خلال أنموذجي يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني، والتي تقوم على التساؤل التالي: ما مدى حكمة التسيير لدى السلطان يغمراسن بن زيان والسلطان أبي حمو موسى الثاني في المجالين السياسي والاقتصادي؟ و تدرج تحتها مجموعة من التساؤلات، منها:

- كيف تمكن السلطان يغمراسن بن زيان من التمكين للدولة العبد الوادية؟
- كيف تمكن السلطان أبي حمو موسى الثاني من استرجاع ملك أسلافه، وإعادة دولتهم؟
- ما مدى دور حكمة التسيير لدى هذين السلطانين في استمرارية دولة بني عبد الواد الزيرية؟
- ما هي الآليات والطرائق التي اعتمدها هذان السلطانان في تسيير هذه الدولة على الصعيدين الداخلي والخارجية في المجالين السياسي والاقتصادي؟

خطة البحث:

للإجابة على هذه التساؤلات وغيرها، وحل هذه الإشكالية وضعنا خطة تتألف من مدخل تطرقنا من خلاله إلى انتقال بني عبد الواد من نظام القبيلة إلى الكيان السياسي، أي دولة

متكاملة الأركان لها مجالها الجغرافي المعلوم، ونظمها الخاصة بها، ومواردها البشرية والمالية، وغيرها من مقومات الدولة كالجيش، والعملة، والعمالات، والولاية.

ثم قسمنا دراستنا بعد ذلك إلى بابين خصصنا الأول منهما إلى الجانب السياسي وعنوانه بـ: **حكمة التسيير في المجال السياسي**، وأدرجنا ضمنه ثلاثة فصول خصصنا أولها لأجهزة الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية من خلال ثلاثة مباحث هي الحاكم، وولي العهد، والوظائف السلطانية. وخصصنا الفصل الثاني لحكمة التسيير لدى يغمراسن بن زيان في المجال السياسي، وذلك من خلال ثلاث مباحث هي حكمة يغمراسن بن زيان في التمكين للدولة العبد الوادية، وحكمة يغمراسن بن زيان في سياسة الرعية، وحكمة يغمراسن بن زيان من خلال العلاقات الخارجية. أما الفصل الثالث من هذا الباب فتطرقنا فيه إلى حكمة التسيير لدى السلطان أبو حمو موسى الثاني في المجال السياسي من خلال ثلاث مباحث هي جهود أبو حمو موسى الثاني في احياء دولة أسلافه، وحكمة أبو حمو موسى الثاني في التمكين لدولته، وحكمة أبو حمو موسى الثاني من خلال العلاقات الخارجية.

أما الباب الثاني فخصصناه لحكمة التسيير في المجال الاقتصادي، وقد ضمنناه هو الآخر ثلاث فصول تطرقنا في أولها إلى مقومات الاقتصاد في دولة بني عبد الواد الزيانية من خلال ثلاث مباحث خصصنا كل واحد منها لنشاط من الأنشطة الاقتصادية وهي الزراعة والصناعة، والتجارة. أما الفصل الثاني فتناولنا من خلاله حكمة يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني في التسيير المالي ضمن ثلاث مباحث أيضا هي جهود كل من يغمراسن وأبي حمو موسى الثاني للنهوض باقتصاد دولتيهما، وإرادات الدولة الزيانية على عهدي يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني، وحكمة يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني في ترشيد النفقات. وأما الفصل الثالث فتطرقنا فيه إلى حكمة التسيير في مجال التجارة الخارجية من خلال ثلاث مباحث كان الأول منها عوامل ازدهار التجارة الخارجية لدولة بني عبد الواد الزيانية، والثاني حكمة يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني في مجال التجارة الخارجية، والثالث المبادلات التجارية لدولة بني عبد الواد الزيانية.

لنختم دراستنا **بخاتمة** هي عبارة عن استنتاجات توصلنا إليها من خلال مختلف مراحل البحث، فكانت حلا للاشكالية من خلال الاجابة عن التساؤلات المطروحة فيها، وغيرها مما سيتوجب الإشارة إليه.

كما ذيلنا درستنا بمجموعة من **الملاحق** كان الهدف من اثراء الموضوع وتوثيقه أكثر، مع مراعاة ترتيبها حسب ورودها أثناء مراحل هذا البحث.

المنهج المتبع:

إن إنجاز مثل هذه الدراسات يحتاج إلى **المنهج التاريخي الوصفي** ثم **التحليلي الاستنتاجي** الذي يقوم على جمع المادة التاريخية التي تخدم الموضوع، وإخضاعها إلى الفحص والنقد والتحليل، ومقارنتها بعضها ببعض من أجل توضيح الرؤى وتدقيق النتائج، محاولين الابتعاد قدر الإمكان عن التعميم وسرد الأحداث، والتعظيم والتمجيد.

فحاولنا قدر الإمكان استنباط أهم المعلومات التي تفيد الموضوع والمتفرقة في ثنايا المصادر، وخاصة ما تعلق منها بالجانب الاقتصادي، والذي لم تشر إليه تلك المصادر صراحة، وذلك من خلال تحليلها واستقرائها.

عرض لأهم المصادر والمراجع:

من بين أهم المصادر التي اعتمدنا عليها لانجاز هذه الدراسة:

- 1- كتاب **بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد: لأبي زكريا يحيى بن خلدون** (743 هـ / 1333 م - 780 هـ / 1378 م) ألفه بأمر من السلطان أبي حمو موسى الثاني، حيث يقول في ذلك "... ثم رأيت أن امتثال أمره - أي تأليف الكتاب - العزيز علي فرض وأن طاعته من طاعة الله، فانتدبت لإملاء هذا الكتاب راكبا فيه لرضاه الأخطار...".
- وذلك من خلال اعتماد الجزء الأول الذي نشره أفراد بل من طبع ببيير فونطانا الشرقية بالجزائر سنة 1321 هـ/1903 م، والنسخة التي حققها الدكتور عبد الحميد حاجيات بالجزائر، وهو من منشورات المكتبة الوطنية سنة 1400 هـ / 1980 م. والجزء الثاني الذي

نشره أيضا ألفرد بل ،ومن نفس المطبعة وفي نفس السنة ،والنسخة التي حققها الدكتور بوزياني الدراجي بالجزائر ،وهي من نشر دار المل للدراسات والنشر والتوزيع ،سنة 2007.

وقد بدأت الحياة السياسية ليحيى بن خلدون سنة 757هـ / 1356م في خدمة بني حفص أولا ثم انتقل إلى خدمة بني زيان فاتخذه أبو حمو موسى الثاني كاتباً للرسائل في ديوانه، ثم التحق بخدمة بني مرين ثم عاد إلى خدمة أبي حمو ،حيث استمر إلى أن قتل في شهر رمضان سنة 780هـ.

وتكمن أهمية مؤلفه " بغية الرواد " في غزارة مادته التاريخية المتعلقة بتاريخ دولة بني زيان من نشأتها إلى عصر المؤلف ،و قد استوعب هذا الكتاب التاريخ السياسي و العسكري والثقافي والاجتماعي للدولة الزيانية ،و يتناول بشكل خاص فترة حكم أبي حمو موسى الثاني حيث تحدث بإسهاب عن إنجازاته العسكرية والعلمية ،واحيائه للأعياد الدينية ،وهذا ما يتضح من خلال العنوان الموجود في المتن: " بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد وما حازه مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد " .

وقد حوّل منصبه الهام ككاتب سر أبي حمو موسى الثاني إلى الاطلاع على وثائق رسمية، بل ذكر بعضها كاملة في مصنفه، وقد حاول ابن خلدون الجمع بين الحياة السياسية والثقافية للدولة الزيانية، حيث عرض الكثير من القصائد لشعراء البلاط الذين عاصروه والذين سبقوه .

2- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون (732 هـ / 1332 م - 808 هـ / 1406 م) نشر دار الكتاب اللبناني ،بيروت 1969 ،وطبعة دار ابن حزم ،ببيروت ،سنة 2001 ،الطبعة الأولى ،وهي من أربعة مجلدات ،ويعد هذا الكتاب من أمهات المصادر التاريخية التي تناولت التاريخ السياسي والعسكري والاجتماعي والحضاري والاقتصادي ،للدول والمجتمعات والقبائل ،منذ بدء الخليقة إلى عصر المؤلف ،من بينها تاريخ المغرب الإسلامي بما فيها دويلات بني عبد الواد، وبني مرين ،وبني حفص وما كان قائما بينهم من علاقات، وقد

اعتمدت بشكل خاص على جزئه السادس والسابع لما فيهما من مادة تاريخية متعلقة بموضوع البحث .

3- كتاب المقدمة: لنفس المؤلف، نشر دار الفكر، بيروت، 2004، والتي سجل فيها دقيق ملاحظاته، وخلاصة استنتاجاته العلمية حول العمران البشري، وأحوال المجتمعات الإنسانية، وقد استفدت منها فيما تعلق بنظم الحكم وشارات الملك والسلطان، وألقاب الحكام، وتاريخ الوظائف السلطانية، وأهميتها.

4- كتاب زهر البستان في دولة بني زيان، الجزء الثاني لمؤلف مجهول عاش خلال القرن الثامن للهجرة، الرابع عشر ميلادي، ويبدو من خلاله سرده للأحداث أنه عمل في البلاط الزياني، وذلك من خلال وصفه لما حدث فيه بدقة، وهو من تحقيق الدكتور بوزياني الدراجي، ونشر مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، بالجزائر سنة 2013.

ويناول هذا الجزء من الكتاب -الذي فقد الجزء الأول والثالث منه- فترة هامة من تاريخ الدولة الزيانية على عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني، وهي الفترة الممتدة ما بين سنتي 760-765 هـ، وقد أفادنا كثيرا في الجانب المخصص لهذا السلطان من دراستنا. وهذا لكتاب -كما أشار محققه من نسخ الحبيب بن يخلف بن جلول بن العيد الفرادي سنة 1235 هـ- لصالح مسلم بن عبد القادر الخوجة.

5- كتاب تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان لصاحبه أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني الذي ولد بتلمسان سنة 830 هـ ونشأ بها.

قام بتحقيق هذا المقتطف محمود بوعياذ سنة 1985، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، و قد مؤلفه قسمه إلى خمسة أقسام خصص القسم الأول لحياة المؤلف والتعريف بنسبه وذكر بيان شرفه وآثاره. وهو يشتمل على سبعة أبواب، خصص باب منها لعرض تاريخ بني زيان، وهذا الباب هو الذي له علاقة بموضوعنا، حيث جاء هذا القسم على

شكل تاريخ مختصر لأهم المراحل التي مرت بها الدولة الزيانية، وذلك منذ تأسيسها على يد يغمراسن بني زيان سنة 633 هـ / 1236 م حتى سنة 868 هـ / 1464 م.

وألف التنسي هذا الكتاب تقرباً وتودداً للسلطان الزياني محمد المتوكل، وعربون محبة وولاء، شكرًا له باعتباره ولي نعمته.

ولعل ما يميز هذا الكتاب هو أنه المصدر العربي الوحيد لتاريخ دولة بني زيان في فترة تزيد عن سبعين سنة، أي مع نهاية أخبار القسم الثاني من "زهر البستان" وذلك سنة 764 هـ / 1363 م، وتاريخ انتهاء يحيى بن خلدون من تدوين "بغية الرواد" سنة 777 هـ / 1376 م، وانتهاء عبد الرحمن بن خلدون، من تأليف كتاب "العبر" سنة 796 هـ / 1393 م، إلى أن يختم التنسي أخباره سنة 868 هـ / 1464 م.

6- كتاب **واسطة السلوك في سياسة الملوك** الذي ألفه السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني، نشره دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1982، وقدم له كل من عبد الرحمن عون و محمد الزاهي، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المؤلفات الزيانية في علم السياسة، وهو عبارة عن الطريقة المثلى لتسيير شؤون الدولة الزيانية وضعها هذا السلطان لابنه وولي عهده أبي تاشفين في شكل نصائح.

ويعد كتاب واسطة السلوك نظرية هامة في علم السياسة، حيث جلبت اهتمام الباحثين المعاصرين في العلوم السياسية و الفكر السياسي، وأصبحت محورا للدراسات لدى العديد من هؤلاء الباحثين.

وقد جعل أبو حمو موسى كتابه هذا في أربعة أبواب، كل باب يضم عدة فصول

، إضافة إلى مقدمة وخاتمة وتناول فيه مايلي:

بين في المقدمة أن الهدف من تأليف هذا الكتاب هو توضيح قواعد تسيير شؤون

الحكم لولي عهده ابنه أبي تاشفين.

وجاء الباب الأول عبارة عن توضيح للصفات التي ينبغي على الحاكم مراعاتها للنجاح في الدنيا والنجاح في الآخرة، ومنها العدل، ورجاحة العقل، والتقوى والأمانة، والعناية بالمقربين من جيش و أمراء وحاشية .

وفي الباب الثاني بين لولي عهده دعائم الملك وأركانها والتي جعلها في: إعمال العقل، وحسن التدبير والسياسة، و إقامة العدل والحكم به، وجمع واعداد الجيوش وتجهيزها. أما الباب الثالث فوضح فيه الصفات التي يجب أن يتحلى بها السلطان لأنه لا يستقيم الملك إلا بها وهي الشجاعة، والحلم، والكرم، والعفو .

وفي الباب الرابع والأخير نصح ولي عهده بالفطنة و الذكاء، و التأي في استصدار الأحكام، و حسن الاستماع، و استعمال الفراسة، و امتحان من يفد اليه للوصول إلى ما يضمنه، خاصة منهم السفراء.

وفي الخاتمة نجد السلطان ابي حمو موسى الثاني يوصي ابنه و عهده بالتحلي بمكارم الأخلاق، و اتباع الحق بالابتعاد عن الباطل، و أن لا ينسى اليوم الآخر. كما نجده يحثه على مساعدة المسلمين في الأندلس في جهادهم ضد النصارى.

7- كتاب **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت 821 هـ / 1418 م) ،نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، و هو عبارة عن موسوعة كبيرة شملت أخبار الممالك الإسلامية مشرقا ومغربا، فضلا عما احتواه من معلومات هامة حول نظم الحكم، مثل الخطط و الوظائف السلطانية، وألقاب الحكام وفي الدول الإسلامية، هذا فضلا عما تناوله من مواضيع حول الإنشاء وصناعته .

8- كتاب **فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب** لأبي بكر محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب العافقي المرسي، الذي عمل كاتباً للسلطان الزياني يغمراسن بن زيان، ثم لخليفته ابنه السلطان ابي السعيد عثمان. قام بدراسة و تحقيق أحمد عزاوي، ونشره بمطبعة ربا نيت، الرباط، 2008.

وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الرسائل التي حررها ابن خطاب جمعت في عهد الأمير النصري محمد الفقيه، بأمر من وزيره أبي عبد الله بن أبي القاسم الرندي. وتم جمع هذه الرسائل وترتيبها في عشرة أبواب:

- الباب الأول في البيعات .
- الباب الثاني في البشائر والفتوحات ،والاستصراخ والاستمداد ،والإصراخ والإنجاد والظواهر .
- الباب الثالث في المجاملة و المواصلة ،و المهادات و التعريفات .
- الباب الرابع في العنايةات وما يتعلق بها من الأجوبة عنها ،والمراجعات والتوسل ،والاستعطاف والتخدم .
- الباب الخامس في الإخوانيات .
- الباب السادس في التهاني .
- الباب السابع في التعازي .
- الباب الثامن في الصدقات .
- الباب التاسع في الألغاز .
- الباب العاشر في معارضة أبي الفرح الجوزي .

أما الكتاب المحقق و الذي بين أيدينا فقسمه المحقق إلى قسمين خصص القسم الأول منهما للأحداث الواردة في فصل الخطاب والتي تتعلق بالأوضاع في الأندلس ،وتلمسان ،وإفريقية. وخصص القسم الثاني لنصوص الرسائل التي حررها ابن خطاب والمتعلقة هي الأخرى بالأندلس ،و تلمسان ،و إفريقية .

إضافة إلى كتب الرحالة والجغرافيين وخاصة والتي أفادتنا كثيرا في التعريف بالمدن والأماكن ،وأهم تضاريسها ، وأنواع المحاصيل السائدة بها ،وطبيعة أهلها وأهم نشاطاتهم المهنية. منها:

1- كتاب وصف افريقيا للحسن الوزان المعروف بليون الافريقي والذي كان توفي بعد سنة 957 هـ، واعتمدنا الجزء القاني من هذا الكتاب والذي يصف فيه مملكة تلمسان ،ومملكة

بجاية، وممالك السودان الغربي. وهذا الكتاب من ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ونشر دار الغرب الاسلامي بيروت، لبنان، سنة 1983، الطبعة الثانية.

2- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لمؤلفه الشريف الادريسي أبو عبد الله محمد بن محمد المتوفى سنة 570 هـ/1164 م، تحقيق مجموعة من الأساتذة، ونشر مكتبة الثقافة الدينية ببور سعيد، الجمهورية المصرية.

وقد ألف الادريسي هذا الكتاب في الجغرافيا لملك صقلية رجار الثاني كما ذكر في مقدمته. ورغم أن فترة تأليف هذا الكتاب متقدمة نسبيا - 549 هـ/1145 م - عن الفترة موضوع الدراسة لكنه أفادنا كثيرا في معرفة أوضاع بلاد المغرب الوسط وما جاورها من البلاد الأخرى اقتصاديا وطبيعا، وأهم مدنها موانئها، وغيرها من المعلومات التي أستفدنا منها في الجانب الاقتصادي من هذه الدراسة.

3- كتاب صورة الأرض لابن حوقل أبي القاسم محمد النصيبي البغدادي، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان سنة 1992. وهو عبارة عن إعادة لما ورد في كتاب المسالك لأبي اسحاق للاصطخري، وأخذ منه ياقوت الحموي الكثير مما أورده في كتابه معجم البلدان.

أفادنا هذا الكتاب كذلك في التعرف على طبيعة المغرب الأوسط، أهم مواردها، ومكان تواجدها، وغيرها من المعلومات التي لم نجدها في غيره من كتب الرحالة والجغرافيين.

هذا إضافة إلى كتب أخرى كتاب الاستبصار لمؤلف مجهول، ورحلة ابن بطوطة، ورحلة العبدري، والتعريف بعبد الرحمن بن خلدون ورحلته شرقا وغرابا وغيرها.

أما المراجع فأذكر منها:

1- كتاب نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، لصاحبه بوزياني الدراجي، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993. تناول فيه مؤلفه النظم السياسية والادارية، والاقتصادية والمالية، والقضائية، والعسكرية، إضافة إلى الرسوم والبلاط الزياني. وقد أفادني هذا الكتاب كثيرا، خاصة ما تعلق منه بالنظام السياسي للدولة الزيانية الذي خصص له الفصل الثاني من الكتاب.

2- كتاب أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره لصاحبه عبد الحميد حاجيات ،نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1982 ،وهو كتاب يهتم بالجوانب الفكرية والأدبية التي ميزت عصر السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني .

3- كتاب تلمسان في العهد الزياني لصاحبه عبد العزيز فيلاي ،من جزأين ،نشر موفم للنشر والتوزيع، الجزائر ،2002 ،تناول فيه المؤلف الأوضاع السياسية والاجتماعية ،والاقتصادية ،والثقافية ،والدينية ،وغيرها في تلمسان منذ تأسيس الدولة الزيانية إلى سقوطها.

4- كتاب التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان لمؤلفه عبدلي لخضر ،نشر ديوان المطبوعات الجامعية ،وهران 2007 ،وتناول فيه صاحبة التاريخ السياسي والعسكري للدولة الزيانية من التأسيس إلى السقوط ،وقد أفادني كثيرا خاصة في انجاز الباب الأول من هذا البحث.

أما المراجع الأجنبية فأذكر منها:

Marçais (G) Le Makhzen des Bénis Abd-El-Wad ,Rois de Tlemcen ,Bulletin trimestriel de la société de géographie et d'Archéologie d'Oran ,T61 (Mars – Juin 1940) ,63^{ème} Année .

Dhina (A) ,les états de l'occident musulman au 13, 14, et 15^{ème} siècles ,O.P.V .Alger ,1984.

Marçais (G) et (W) ,Les monuments arabes de Tlemcen ,vol 1 librairie Thorin ,Paris 1903.

هذا إضافة إلى المصادر والمراجع ،والدراسات الأكاديمية ،والمقالات المتخصصة والتي

أوردناها في قائمة البليوغرافيا.

صعوبات البحث.

اعترضتنا خلال انجازنا لهذه الدراسة مجموعة من الصعوبات منها قلة المصادر والمراجع

التي تناولت الموضوع بالبحث والدراسة سواء في المغرب الإسلامي عامة ،أو المغرب الأوسط بصفة خاصة ،فرغم كثرة الدراسات والأبحاث التي تناولت الجانب السياسي لدولة بني عبد

الواد الزيانية، إلا أننا لم نجد ضمنها ما يشفي الغليل فيما تعلق بحكامه التسيير في المجالين السياسي والاقتصادي، وما وجدناه كان مشتتاً في ثنايا المادة التي تمكنا من الحصول عليها والمتعلقة بهذه الدراسة، والتي رغم أنها لا تعطي الصورة الواضحة والكافية عن ما رُمناه للوصول إلى الهدف المنشود بشكل كامل، إلا أننا حاولنا بذل أقصى الجهود من أجل جمع المادة العلمية اللازمة وتحليلها وترتيبها واستقرائها وفق النسق الذي يخدم الموضوع ويعالجه من مختلف جوانبه.

حسين تواتي

تلمسان في 24 نوفمبر 2017م

مدخل: بنو عبد الواد من نظام القبيلة إلى الكيان السياسي.

- 1- نسب بني عبد الواد.
- 2- مواطن بني عبد الواد.
- 3- قيام دولة بني عبد الواد.
- 4- مراحل تطور دولة بني عبد الواد الزيانية.

بعد أن دب الضعف في أوصال دولة الموحدين (524_668 هـ/1129-1295م)¹ بداية من القرن السابع الهجري (7هـ)، الثالث عشر ميلادي (13م)²، لم تسطع هذه الدولة السيطرة على كامل رقعتها الجغرافية الممتدة من برقة شرقاً إلى بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) غرباً، ومن البحر المتوسط والأندلس شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً³. فاستقل بنو حفص بالمغرب الأدنى سنة 625هـ/1227م متخذين من تونس عاصمة لملكهم⁴، واستقل بنو

¹ - تأسست دولة الموحدين سنة 524هـ/1129م بدأت في شكل دعوة دينية وفكرة روحية على يد المهدي بن تومرت، وتطورت إلى كيان سياسي على يد خليفته عبد المؤمن بن علي الذي بسط نفوذه على كامل المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس، وتعرف كذلك بالدولة المؤمنية نسبة له.

عن دولة الموحدين ينظر: أبو بكر بن علي الصنهاجي (البيدق)، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974؛ ابن السماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق عبد القادر بويابة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تح محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت الطنجي ومحمد زنير وعبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985؛ ابن الحمان الكياسي، نظم القطان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح محمد علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

² - من عوامل الضعف والتفكك التي أصابت دولة الموحدين نذكر هزيمتهم في معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م، وثورّة بني غانية، والحروب المتكررة مع بني مرين، وضعف نفوذهم وتقلصه في أقطار المغرب الإسلامي البعيدة عن مركز الخلافة بمراكش. ينظر في ذلك: عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2002، ص 13، 14؛ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2006/2005، ص 12.

³ - تعتبر دولة الموحدين الدولة الوحيدة التي استطاعت توحيد بلاد المغرب (ملحق 1) تحت حكم أبنائه من البربر تحت سلطة مركزية واحدة. ينظر: عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 13؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 12.

⁴ - الحفصيون فرع من الموحدين من قبيلة هنتاتة البربرية، ينسبون إلى أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي من أصحاب المهدي بن تومرت العشرة. ينظر: ابن عذري، المرجع السابق، ج3، ص 231 وما بعدها؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 14، مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 18؛ هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2014/2013، ص 22.

الأحمر بالأندلس سنة 629هـ/1231م متخذين غرناطة عاصمة لهم¹، وتمكن بنو مرين من السيطرة على المغرب الأقصى بعدما قضوا نهائياً على دولة الموحدين سنة 668هـ/1295م، واتخذوا من فاس عاصمة لدولتهم².

وكان بنو عبد الواد قد استقلوا بحكم المغرب الأوسط دون الموحدين سنة 633هـ/1236م، متخذين من تلمسان قاعدة الملكهم، مؤسسين دولة هي أكبر الدول التي حكمت المغرب الأوسط وأطولها عمراً، وأحفلها أحداثاً وأعمالاً³.

فمن هم بنو عبد الواد؟ وما هي مواطنهم؟ وكيف تمكنوا من بسط نفوذهم على المغرب الأوسط والاستئثار بحكمه دون الموحدين؟

1- نسب بني عبد الواد:

سمي بنو عبد الواد بهذا الاسم نسبة إلى عابد الوادي، صفة أطلقت على جد لهم كان يتعبد بواد رهبانية، وهو من ولد شجيح بن واسين⁴. أما نسبهم فيعود إلى قبيلة

¹ - تسمى كذلك بالدولة النصرانية نسبة إلى يوسف بن نصر بن الأحمر، حكمت الأندلس إلى غاية سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م. ينظر: لسان الدين بن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص 17 وما بعدها؛ فافة بكوش، أبو عبد الله محمد المقرئ (ت 759هـ) ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2012/2011 ص 13.

² - تنسب الدولة المرينية إلى بني مرين أقوى قبائل بني واسين، وأكثرهم عدداً. وهم من الطبقة الثانية من قبيلة زناتة البربرية. عن دولتهم ينظر: ابن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972، والأونيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972،؛ اسماعيل ابن الأحمر، روضة النسر في تاريخ بني مرين، تح عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991.

³ - عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج2، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ص 146؛ التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 45، حسين تواتي، الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية - الكتابة أمودجا -، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2014/2013، ص 24.

⁴ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مج1، مطبعة بيبور فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903، ص 95؛ مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تح بوزياني الدراجي، ج2، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، هـ3، ص 13، ويذكر أن عابد الوادي من ولد سجيح وليس شجيح كما عند يحيى بن

زناتة¹ البربرية²، من الطبقة الثانية، من ذرية شجيج أو سجيح بن واسين بن يصلتين بن مسرى بن زاكيا بن ورسيج³ بن مادغيس الأبتري بن بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان⁴.

وتضم هذه الطبقة عدة بطون من بينها بني مرين الأكثر عددا ولأقوى سلطة، وبني عبد الواد يلوهم في القوة والنفوذ، يليهم بني توجين⁵.

وينقسم بني عبد الواد إلى ستة بطون هي بنو ياكيتين، وبنو وللو، وبنو ورسطف، ومصوحة، وبنو تومرت، وبنو القاسم⁶ الذين ينسل منهم بنو زيان سلاطين دولة بني عبد الواد

=خلدون؛ عبد الرحمن بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص125؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص14، حسين تواتي، المرجع السابق، ص25.

¹ - زناتة من القبائل البربرية التي كان لها تأثير كبير في تاريخ بلاد المغرب، وهي من أهم وأكبر القبائل البربرية، يعود نسبها إلى جانا أو شاننا بن يحيى بن صولات بن ورمك بن ضري بن رحيك أو زحيك بن مادغيس الأبتري بن قيس عيلان، وقيل بن زحيك بن مادغيس بن بر بن بربر بن كنعان بن حام. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج4، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1014، ص ص 2689-2694؛ ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1962، ص 495؛ محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 15-21؛ خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان، دراسة تاريخية وحضارية، ط1، الألفية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص ص 47-50.

² - البربر من شعوب البحر الأبيض المتوسط، لهم صلات بالجنس السامي والحامي، وهم ذوو بشرة بيضاء، استوطنوا بلاد المغرب منذ عصور قديمة، أطلقت عليهم تسمية البربر من طرف اليونانيين والرومان، الذين أطلقوا هذه التسمية على كل الشعوب الخارجة عن حضارتهم.

والبربر قسمان، البرانس من ولد برانس بن سمجر بن أمزج، والبتر من ولد بر بن قيس عيلان، وإلى هؤلاء تنتهي قبيلة زناتة التي يعود إليها بني عبد الواد. ينظر: بوزيان الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 23؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 25.

³ - هكذا عند يحيى بن خلدون، بغية الرواد، مج 1، ص 95، بينما يذكر عبد الرحمن بن خلدون أنهم من ولد بادين بن زحيك، بن واسين بن ورشيك، بن جانا. العبر، مج 4، ص 2745، 2746.

⁴ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، مج 1، ص 95.

⁵ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 4، ص 2736.

⁶ - نفس المصدر، ص 2746.

الزيرية¹. فهم من ولد زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكسن² بن طاع الله بن علي بن يمل بن برجي بن القاسم³.

وإذا اتفقت المصادر في بطون بني عبد الواد فإنها اختلفت في نسب القاسم الذي يرفع بعضهم نسبه إلى آل البيت من ذرية الحسن بن علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، من نسل سليمان⁴ بن عبد الله أخ ادريس الأول مؤسس دولة الأدارسة بفاس⁵.

¹ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، مج 1، ص 95.

² - هكذا عند التنسي. ينظر: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياض آغا، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 109، بينما يذكره يحيى بن خلدون باسم زجدان بن يندوكسن، ويذكره عبد الرحمن بن خلدون باسم زكدان بن يندوكسن. ينظر: بغية الرواد، مج 1، ص 102؛ العبر، مج 4، ص 2747.

³ - التنسي، المصدر السابق، ص 109.

⁴ - هو سليمان بن عبد الله الكامل، تملك تلمسان وتملكت ذريته المغرب الأوسط خلال القرن 3 هـ/9 م، وتوزعوا على إمارات تلمسان، تاهرت، تنس وأرشكول. ينظر في ذلك: أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، مقتطف من كتاب المسالك والممالك، تحقيق البارون دي أسلان، مكتبة أمريكا والشرق، باريس 1969، ص 77؛ محمد علي الدين الحسيني النجفي، كتاب بحر الأنساب، المسمى المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف، مصر (د ت)، ص 25؛ محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ دولة الأدارسة، مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 65-68؛ حسن تواتي، المرجع السابق، ص 25.

ويذكر التنسي في تاريخ بني زيان ص 110 أن هناك اختلاف في نسب القاسم جد بني زيان، هل هو من ذرية سليمان أم أنه من ذرية إدريس الأكبر، لكنه يؤكد أنه من ولد عبد الله الكامل أي أن نسبه يعود إلى الحسن بن علي كرم الله وجهه.

⁵ - فاس مدينة عظيمة الشأن أسسها إدريس الأول بن عبد الله الكامل سنة 172 هـ/789 م على الضفة اليمنى لواد أسيف، وهي تعرف بـ "قاس البالي" أو فاس القديمة بعد تأسيس فاس الجديدة على يد إدريس الثاني ابن إدريس الأول بن عبد الله عشرين سنة من تأسيس فاس القديمة، وكان ذلك على الضفة اليسرى للنهر، والتي سماها فاس العليا. وفد استوطن الأندلسيون فاس القديمة وسميت باسمهم، واستوطن القروانيون فاس الجديدة وسميت باسمهم. للمزيد عن مدينة فاس بقسميها، وعن سكانها وعاداتهم وتقاليدهم، والعمارة بها، وعن علمائها وغيره ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقية، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 1، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص ص 218-292؛ عبد العزيز سالم السيد، تاريخ المغرب الكبير، ج 2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص ص 487-529.

حيث يذكر يحيى بن خلدون أن بني عبد الواد فخذان أحدهما بني عبد الواد وبهذا الاسم عرف الجميع تغليبا، وهم خمسة بطون، بنو ياكيتين، وبنو وائلو، وبنو ورسطف، ومصوحة، وبنو تومرت¹، وهو يتفق في هذا مع عبد الرحمن بن خلدون، غير أنه يختلف معه في بني القاسم الذين جعلهم الفخذ الثاني من بني عبد الواد، ويدعي أنهم من ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مع ذكر الاختلاف في اتصال القاسم بإدريس، ومنها القول بأنه القاسم بن إدريس، والقول بأنه ابن محمد بن إدريس، والقول بأنه ابن القاسم بن إدريس، والقول بأنه ابن محمد بن عبد الله بن إدريس وهذا النسب الأخير هو الأرجح لديه². ويذكر أن القاسم هذا قد انضاف إلى قبيل بني عبد الواد وتزوج منهم، ونسل بينهم ذرية كثيرة تفرعت إلى ستة بطون هم بنو مطهر، وبنو دلول، وبنو وعزان، وبنو معطي، وبنو حجي، وبنو طاع الله الذين ينسل منهم سلاطين بني زيان³. هذا نفس ما ذهب إليه صاحب نظم الدر الذي يضيف لبني عبد الواد فخذًا ثالثًا هم بني زردال أخ عابد الواد، وبذلك يكون عدد بطون بني عبد الواد إثني عشرة قبيلة، ستة في ولد القاسم، وخمسة في ولد عابد الواد، وواحدة في ولد زردال، وغلب اسم عبد الواد على الجميع⁴.

وعلى منوال صاحب البغية وصاحب نظم الدر سار ابن الخطيب حيث أرجع نسب بني زيان إلى البت العلوي، ومن ذلك قوله مخاطبا السلطان أبي حمو موسى الثاني:

والمنتمي العلوي عطبك لم تكن *** ترى دخيلا نبيه دسيسا
بيت البتول ومنبت الشرف الذي *** تحمي الملائك روحه المغروسا⁵

= وعن دولة الأدارسة التي أسسها إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بعد أن نجح من معركة فخ التي وقعت بين العلويين والعباسيين سنة 169هـ/786م، وأسس إدريس دولته سنة 172هـ/789م. ينظر: عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 466-486.

¹ - بغية الرواد، مج 1، ص 95؛ العبر، مج 4، ص 2746.

² - بغية الرواد، مج 1، ص 101.

³ - نفس المصدر، ص 102.

⁴ - تاريخ بني زيان، ص 109.

⁵ - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 1، هـ 11، ص 30.

أما عبد الرحمن بن خلدون فيشكك في هذا النسب حيث يقول: « ويزعم بنو القاسم هؤلاء أنهم من ولد القاسم بن إدريس، وربما قالوا أنه ابن محمد بن إدريس أو ابن محمد بن عبد الله، أو ابن محمد بن القاسم، وكلهم من أعقاب إدريس. مزعما لا مستند له إلا اتفاق بني القاسم هؤلاء عليه، مع أن البادية بعداء عن معرفة مثل هذه الأنساب، والله أعلم بصحة ذلك.» ويستدل في ذلك برد يغمزلسن بن زيان حينما أخبر بهذا النسب: « إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله. وأما الدنيا فنلناها بسيوفنا.»¹

2- مواطن بني عبد الواد:

استوطن بني عبد الواد في بداية أمرهم منطقة الأوراس، وكانوا ينتجعون إقليم زاب قسنطينة². وتذكر الروايات أنهم شاركوا في جيش عقبة بن نافع الفهري في حملته الثانية على بلاد المغرب سنة 62 هـ/682 م³، والتي شملت أراضيهم بالأوراس وإقليم الزاب، وأنهم أبلوا معه البلاء الحسن في فتوحاته⁴. ولعل هذا دليل على أن بني عبد الواد قد اعتنقوا الإسلام مبكرا.

¹ - العبر، مج4، ص 2747، ونحن نرى أن يغمزاسن بن زيان برده هذا أراد أن يثبت أن دولته لم تقم على أساس النسب الشريف ولا على أساس فكرة دينية، وإنما على أساس قوة قبيل بني عبد الواد، وذلك أنه في رده لم ينفي هذا النسب كما لم يثبتته.

² - الزاب كلمة أمازيغية تعني الواحة، وهو منطقة واسعة تمتد جنوب جبال الأوراس وتشمل منطقة بسكرة الحالية، والزاب حاليا مقسم إلى قسمين هما الزاب الشرقي وقاعدته سيدي عقبة، وزاب غربي قاعدته طولقة. ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، تح بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، هـ 1، ص 63؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 138-141.

³ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، مج1، ص 96؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 7؛ عبد الرحمن بالأعرج، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2008/2007، ص 6؛ إبراهيم بلحسن، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7 إلى القرن 9 هـ/13-15 م، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2005/2004، ص 11.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2737؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 7.

وبعد الزحف الهلالي¹ على بلاد المغرب وقضائهم على صنهاجة بالقيروان حاول الحماديون صدهم عن المغرب الأوسط بمساعدة بني يعلى ملوك تلمسان من مغراوة² الذين جمعوا أحلافهم من بني واسين وهم بنو عبد الواد، وبنو مرين، وبنو راشد، وبنو توجين تحت قيادة أبي سعيد من زعماء بني يفرن³.

لكن هذا الجمع انهزم أمام قوة الهلاليين، فاضطر بنو واسين - بنو عبد الواد، وبنو مرين، وبنو راشد، وبنو توجين - إلى الانسحاب نحو جنوب المغرب الأوسط، والاستقرار في المنطقة الممتدة من جبل راشد حتى ملوية وفاق⁴

¹ - بنو هلال قبائل عربية أصلها من مضر نزلوا على عهد العباسيين بجبل زغوان قرب الطائف، كانوا يعيشون على الإغارة، وعلى العهد الفاطمي أنزلهم العزيز بالله صعيد مصر فعاثوا فيه فسادا، وللتخلص من شرورهم أشار الوزير أبو محمد حسن على المستنصر بالله الفاطمي بدفعهم إلى غزو بلاد المغرب وبذلك يتخلص منهم ويعاقب الصنهاجيين الذين تخلوا عن المذهب الشيعي. ينظر في ذلك: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 3، ص 2323 وما بعدها؛ أبو العباس المقرئ، اتعاظ الخنفا بأخبار الفاطميين الخلفاء، تح جمال الدين الشيبان، مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1967، ص 224 وما بعدها؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج 2، ص 666 وما بعدها.

² - قبائل مغراوة كانت من أوسع بطون الطبقة الأولى من قبيلة زناتة، يعود نسبهم إلى مغراو بن يصلتين بن مسرى بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا. تمتد مواطنهم ما بين تلمسان غربا وشلف شرقا، يعيشون عيشة البداوة، كانت على عهد الدولة الزيانية قليلة العدد والعدد، ورغم ذلك ظلت تناصبهم العداة. تأسست من هذه القبيلة عدة دول منها إمارة بني حزر أو حزر بنو بسجلماسة، وإمارة بني يعلى بتلمسان، وإمارة آل زيري بن عطية بفاس. ينظر في ذلك: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 4، ص 2707-2728؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 128؛ أبو راس العسكري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط بدار الكتب التونسية، تونس، تحت رقم 262، ورقة 33؛ حسين تواتي، المرجع السابق، هـ 5، ص 26.

³ - هم بنو يفرن بن يصلتين بن مسرى بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا، من الطبقة الأولى من قبيلة زناتة كان منهم بإفريقية وجبل أوراس، والمغرب الأوسط خاصة في المنطقة ما بين تلمسان وجبل بني راشد، وهم الذين اختطوا مدينة تلمسان. كانت علاقتهم بدولة بني عبد الواد تخضع لقوة هذه الأخيرة وضعفها. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 4، ص 2707-2697؛ أبو راس العسكري، المرجع السابق، ورقة 48.

⁴ - فقيق أو فيكيك أو فيجيج عبارة عن ثلاث قصور وسط الصحراء جنوب غرب تلمسان، وذكرها محققا كتاب وصف إفريقيا أنها عبارة عن سبع قصور. وصف إفريقيا، ج 1، ص 132 وهـ 38، ص 133. وهي اليوم تابعة للمملكة المغربية على الحدود مع ولاية بشار.

إلى سجلماسة¹، بعدما استجاروا بملوكها من بني يلومي وبني وامانو² الذين اقتسموا المنطقة بينهم.³

وعلى عهد المرابطين انضم بنو عبد الواد إلى جيش يوسف بن تاشفين⁴ الذي خاض معركة الزلاقة - وهذا دليل آخر على ذود بني

¹ - سجلماسة إقليم جنوب المغرب الأقصى أسسها بنو مدرار أواسط القرن الثاني للهجرة، كانت مركزا تجاريا هاما في الطريق التجاري نحو بلاد السودان الغربي. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص 120-128.

وكان بنو مرين يرتادون هذه المناطق إضافة إلى مديونة وبني مصاب بمواشيهم بحثا عن المراتع ومصادر الماء. لخضر عبدلي، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 2007، ص 37؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 15؛ عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2008/2007، ص 7.

² - قبيلتان من توابع الطبقة الأولى من قبيلة زناتة، حيث كانت قبيلة بني وامانو تستوطن شرق وادي مينا بمنداس وما يليها من أسافل وادي شلف، وكلنت قبيلة بني يلومي تستوطن غربه والبطحاء وسيق وسيرات وجبل هوارة وبني راشد. العبر، مج4، ص ص 2733-2735؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 32؛ هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2008/2007، ص 8.

³ - محمد مكوي، الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 201/2000، ص 47؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 27.

⁴ - يعد يوسف بن تاشفين المؤسس الفعلي لدولة المرابطين (499-541هـ/1057-1146م)، والتي بدأت على أساس فكرة دينية إصلاحية تزعمها الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي بمنطقة السوس الأقصى التي قدم إليها رفقة يحيى بن إبراهيم الجدالي. وهو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني الصنهاجي، وأمه فاطمة بنت سيرين بن يحيى بن وجاج، ولد حوالي سنة 400 هـ وتوفي حوالي سنة 500 هـ. عنه وعن دولة المرابطين ينظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1979، ص 2 وما بعدها؛ ابن أبي الزرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999، ص 150 وما بعدها؛ ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 7 وما بعدها؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 4، ص 2464 وما بعدها؛ القاضي عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح أحمد بكير محمود، مج2، مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ص 781؛ السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص 6 وما بعدها؛ عباس نصر الدين سيعدون، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 12 وما بعدها.

عبد الواد عن الإسلام والدفاع عنه¹ - ، وبعد استيلاء الموحدين على المغرب الأوسط أعلن بنو عبد الواد الطاعة والولاء لهم ، وأصبحوا من أخلص قبائل زناتة لهم وانصياعاً لأوامرهم . ومكافأة لهم على هذا الولاء والإخلاص أقطعهم الموحدون عامة بلاد بني يلومي وبني وامانو² من ضواحي المغرب الأوسط وهي المنطقة الممتدة ما بين البطحاء شرقاً وملوية غرباً.³

ويذكر يحيى بن خلدون أن عبد المؤمن بن علي⁴ خليفة الموحدين استنجد بكبير بني عبد الواد أبي محمد بن عبد الحق لرد أموال وغنائم أعتصبها منه بني مرين ، فلبى نداءه واسترجع له غنائمه وأمواله ، ونظير ذلك أقطع عبد المؤمن بن علي تلك الربوع لبني عبد الواد.⁵

¹ - معركة الزلاقة من المعرك الحاسمة في التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ المغرب الإسلامي والأندلس على وجه الخصوص ، دارت رحاها بين المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين ونصارى الأندلس تحت قيادة ألفونسو أو ألفونش ، وكان مسرح أحداثها سهل الزلاقة بالأندلس سنة 479 هـ/1086 م . ينظر في ذلك: عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006 ، ص 99 ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص 24-38 ، وفي النسخة التي حققها عبد القادر بوباية ، وينسبها إلى ابن السماك العاملي ، ص 113-122 ؛ لسان الدين ابن الخطيب ، أعمال الأعلام في من بويق قبل الاحتلام وما يجز ذلك من شجون الكلام ، تح أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1964 ، ص 242 .

² - من بني وامانو من سكن قصور توات (أدرار حالياً) وهم قبائل بني يالديس ، وكان بني وامانو متحالفين مع بني يلومي ، وكانوا تارة يخضعون لسلطة بني عبد الواد وأخرى لسلطة بني توجين . عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج 4 ، ص 2733-2735 ؛ عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 32 .

³ - ابن الأعرج زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ ، ج 3 ، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم ، 170 ، ورقة 30 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج 4 ، ص 2747 ؛ هوارية بكاي ، العلاقات الزيانية المرينية ، ص 9 ؛ خالد بلعربي ، المرجع السابق ، ص 62 .

⁴ - هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأمير أبي موسى بن عبد الله بن يحيى بن ورزايع بن صظفور بن ينور بن مطماط بن خزرج أو هودج بن قيس بن علان بن مضر . أصله من تاجرا قرب هنين ، حكم من 524 هـ/1130 م إلى 558 هـ/1163 م . ينظر في ذلك: ابن السماك العاملي ، المصدر السابق ، ص 215 ؛ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 148 ، الزركشي محمد بن إبراهيم اللؤلؤي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1966 ، ص 13 .

⁵ - كانت رئاسة بني عبد الواد على عهد عبد المؤمن بن علي لعبد الحق بن منغفاد عند عبد الرحمن بن خلدون ، ومعاد عند يحيى بن خلدون . ينظر: العبر ، مج 4 ، ص 2747 ؛ بغية الرواد ، مج 1 ، ص 101 ؛ هوارية بكاي ، العلاقات الزيانية المرينية ، ص 9 ؛ عبد الرحمن بالأعرج ، المرجع السابق ، ص 7 .

وبذلك ضمن بنو عبد الواد لأنفسهم الاستقرار في المنطقة التلية من المغرب الأوسط بعدما اتخذهم الموحدون أولياء وأنصاراً.¹

3- قيام دولة بني عبد الواد:

ظل بنو عبد الواد على ولائهم للموحدين، حتى أساء أبو السعيد عثمان² أخ الخليفة المأمون الموحد وواليه على تلمسان معاملتهم، حيث قام بوشاية من عامله الحسن بن حيون الكومي باعتقال جماعة من مشايخ ووجهاء بني عبد الواد لما رآه من سيطرتهم على المغرب الأوسط³. فتشفع فيهم شيخ اللمتونيين ضمن حامية تلمسان إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي لدى أبي السعيد عثمان الذي رد شفاعته، فما كان منه إلا أن قام باعتقال أبي السعيد وقتل عامله ابن حيون، وأطلق صراح ميشخة بني عبد الواد، ونخلع طاعة الموحدين، ودعا لإحياء دعوة المرابطين، وكان ذلك سنة 624 هـ.⁴

بعد قضائه على حكم الموحدين بتلمسان وسعيه لإحياء دولة المرابطين أدرك إبراهيم بن علان أن هذا الأمر لن يتم له إلا بالقضاء على بني عبد الواد، فعزم على ذلك بأن أعد وليمة دعا لها مشيخة بني عبد الواد بغرض الفتك بهم. لكن كبير بني عبد الواد جابر بن يوسف تظن للمكيدة، وواعد ابن علان باللقاء خارج المدينة، أين قام بنو عبد الواد باعتقاله ومن معه.⁵

¹ - بغية الرواد، مج1، ص 104.

² - هو أبو السعيد عثمان أخ الخليفة المأمون الموحد، استعمله هذا الأخير على تلمسان فأساء السيرة في أهلها لأنه كان مهزوزاً ضعيف الشخصية، سيء التدبير. وقد استأثر بالأمر دونه عامله الحسن بن حيون الكومي الذي أغراه باعتقال مشايخ من بني عبد الواد. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2747، 2748.

³ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2748؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، مج1، ص 106؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 112.

⁴ - لمتونة من الطبقة الثانية من صنهاجة ويدعون بالملتمين ومنهم تأسست دولة المرابطين. أما حامية تلمسان من اللمتونيين والتي كان شيخها إبراهيم بن علان فكان عبد المؤمن بن علي قد أثبتهم في الديوان وجعلهم ضمن حامية تلمسان. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 4، ص 2463 وص 2748؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، مج1، ص 106؛ لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 39؛ هوارية بكاي، العلاقات الزانية المرينية، ص 10.

⁵ - هكذا في العبر، مج4، ص 2748. بينما يتفق التنسي مع يحيى بن خلدون في أن مشيخة بني عبد الواد لما دنوا من المدينة أبلغوا بما عزم عليه ابن علان فوقفوا خارجها ينظرون في أمره، ولما بلغه نبأ قدومهم خرج إليهم مسرعاً، فألقوا

ودخل جابر بن يوسف مدينة تلمسان وأعلن البيعة للمأمون، وكشف لأهل المدينة عن مكر بن علان بهم، فجددوا له البيعة للمأمون.¹

بعد استقرار الأوضاع بتلمسان بعث جابر بن يوسف إلى الخليفة الموحد المأمون بالطاعة والولاء، فشكر له المأمون ذلك وعهد له بولاية تلمسان وما يليها من بلاد المغرب الأوسط، فأعلنت له القبائل² البيعة وقدمت له فروض الطاعة والولاء، إلا أهل ندرومة³، فنهض إليهم وحاصروهم داخل أسوارها. خلال هذا الحصار سقط جابر بن يوسف قتيلا بسهم رماه به من خلف الأسوار يوسف الغفاري التلمساني. وكان ذلك سنة 629 هـ/1232 م.⁴

=القبض عليه رفقة ثمانية من أصحابه. بغية الرواد، مج1، ص106؛ تاريخ بني زيان، ص113. ونرى أن الرواية الثانية هي الأقرب للصحة لأنه ما كان لجابر بن يوسف أن يعلم بمكيدة ابن علان لولا خيرا وصله عنها، فمن جهة ما كان له أن يشك في ابن علان الذي ثار على الموحدين من أجل مشيخة بني عبد الواد، ومن جهة أخرى، لو كان يشك في أمره لما لبى الدعوة.

¹ - كان دخول جابر بن يوسف إلى مدينة تلمسان سنة 627 هـ/1229 م. بغية الرواد، مج1، ص107.

² - من بين هذه القبائل بني راشد، وهم بني عمومة بني عبد الواد كانوا يستوطنون الصحراء بجبل راشد المعروف باسم أبيهم، وكانوا من أشد القبائل ولاء لبني عبد الواد حتى أصبحوا من جملتهم. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص2813، 2814.

³ - تقع ندرومة إلى الشمال الغربي من تلمسان، تبعد عنها بحوالي 60 كم، وتبعد عن البحر الأبيض المتوسط بحوالي 18 كم، وهي مدينة بديعة الجمال، لطيفة نقية الهواء على حد تعبير أحمد توفيق المدني. ذكر الوزان أن الرومان من أسسها وأن اسمها مشتق من " ندروما " أي مماثلة لروما، لكن محققا كتاب وصف إفريقيا يفندان هذا القول، ويؤكدان أنه لم يتم العثور على أي أثر روماني بندرومة، وأن الاسم الذي تحمله هو اسم قبيلة كومية القديمة القاطنة في الناحية. ينظر: وصف إفريقيا، ج2، ص13، 14، وص14 هـ 15؛ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص242؛ نصر الدين بن داود، قراءة في الإشعاع العلمي لمدينة ندرومة (من ق 5 هـ/11 م إلى ق 9 هـ/15 م)، مجلة القرطاس، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، العدد 1، سبتمبر 2012، ص179-195.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص2748؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، مج1، ص108؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص113؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمور موسى الثاني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص12؛ هوارية بكاي، العلاقات الزبانية المرينية، ص11؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص29.

تولى أمر بني عبد الواد بعد جابر بن يوسف ابنه الحسن الذي تنازل عنه لعمه عثمان بن يوسف بعد ستة أشهر.¹

كان عثمان بن يوسف مستبداً كثير التعسف والجور، الأمر الذي دفع بأهل تلمسان إلى الثورة ضده وعزله سنة 631 هـ/1234 م²، وتعيين ابن عمه أبا العزة زيدان أو زكران بن زيان بن ثابت³ مكانه، والذي بايعته جميع القبائل إلا بني مطهر⁴ الذين نهض إليهم ليردهم إلى طاعته، وجمعت بينهم معارك عديدة سقط في أحداها سنة 633 هـ/1236 م.⁵

تولى أمر بني عبد الواد بعد مصرع أبي العزة أخاه يغمراسن بن زيان الذي تمكن من إخضاع القبائل الخارجة عن طاعة بني عبد الواد خاصة بني مطهر وبني راشد، ودانت له جميع البلاد⁶، واتخذ أئمة الملك وشعاره من جند وتولية أعمال، ولم يبق الخليفة الموحدية بمراكش إلا الدعاء على المنابر، وذكر خلفائهم على العملة.⁷

فكان بذلك يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة العبد الوادية وأول ملوكها، فنقل بذلك قبيلته من نظام القبيلة إلى الكيان السياسي - كان ذلك سنة 633 هـ/1236 م - الذي تمثل

¹ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2748؛ التنسي، تاريخ، بني زيان، ص 112.

² - يذكر يحيى بن خلدون أن عثمان بن يوسف تملك أمر بني عبد الواد أوائل سنة 630 هـ، وكان فظاً غليظاً سيئ الملك للناس، فأخرجوه من تلمسان في شهر رجب سنة 631 هـ بعدما حكم حوالي سنة ونصف السنة. بغية الرواد، مج1، ص 107، 108؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2748؛ التنسي، تاريخ، بني زيان، ص 112.

³ - يذكره كل من يحيى بن خلدون بأبي العزة زيدان، بينما يذكر عبد الرحمن بن خلدون بأنه زكران بن زيان بن ثابت الملقب بأبي عزة. ينظر: بغية الرواد، مج1، ص 108؛ تاريخ بني زيان، ص 113؛ العبر، مج1، ص 2748.

⁴ - بنو مطهر أبناء عمومة بني عبد الواد من نسل مطهر بن بمل بن يزكن بن القاسم بن عبد الواد. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2747؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، مج1، ص 108.

⁵ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2748؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 16، حسن تواتي، المرجع السابق، ص 29.

⁶ - يقول عبد الرحمن بن خلدون في ذلك: "وقام بالأمر من بعده - يقصد أبي العزة زيدان - أخوه يغمراسن بن زيان، فوقع التسليم والرضى به من سائر القبائل، ودان له بالطاعة جميع الأمصار، وكتب له الخليفة الرشيد بالعهد على عمله، وكان ذلك سلماً إلى الملك الذي أورثه بنيه سائر الأيام." العبر، مج4، ص 2748.

⁷ - نفس المصدر، ص 2752.

في دولة بني عبد الواد الزيانية والتي حكمت المغرب الأوسط لأزيد من ثلاثة قرون (633 هـ - 1236 م - 962 هـ/1554 م) عرقت خلالها مجموعة من التطورات كادت تذهب برسمها في الكثير من الأحيان ، كما عرفت خلالها حدودها حالة من المد والجزر ، فكانت تتوسع وتتقلص حسب قوة الدولة وضعفها.

4- مراحل تطور دولة بني عبد الواد الزيانية.

حكمت دولة بني عبد الواد الزيانية المغرب الأوسط الذي تمتد جغرافيته من وادي ملوية وجبال تازا¹ غربا إلى بجاية² شرقا ، ومن بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) شمالا إلى الصحراء الكبرى التي تفصله عن السودان الغربي جنوبا.³

¹ - تازا مدينة كبيرة تبعد عن فاس بحوالي 50 ميلا (إلى الشرق) ، وتبعد عن البحر المتوسط بنحو 7 أميال ، بها أكثر من خمسة آلاف كانون. عنها ينظر: الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 354 ، 355 . وتجدد الإشارة إلى أن محققا الكتاب ذكرا أن مدينة تازا تبعد عن مدينة فاس بحوالي 80 ميلا ، وعن البحر المتوسط بحوالي 75 ميلا . ينظر: نفس المصدر هـ 155 ص 354.

² - مدينة بجاية مدينة قديمة أسسها الفينيقيون ، من أسمائها صلداي ، والناصرية . وبجاية نسبة لقبيلة بربرية تسكن حولها (تقع إلى الشرق من مدينة الجزائر). عن مدينة بجاية ينظر: الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 51، 50 ؛ ابن الحاج النميري ، فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، دراسة وتحقيق محمد شقرون ، ط1 ، الرباط ، 1990 ، ص 268 ؛ أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 196، 197 ؛ رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977 ، ص 54 .

³ - تكاد تجمع مختلف المصادر والمراجع على امتداد المغرب الأوسط على هذه الرقعة الجغرافية. ينظر في ذلك: مؤلف مجهول ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة الجامعة ، الاسكندرية ، مصر ، 1958 ، ص 176 وما بعدها ؛ التنسي ، تاريخ دولة الأدارسة ، ص 65 و في تاريخ بني زيان ، ص 118، 119 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج3 ، ص 2397، 2398 ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق خليل عمران ، المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 ، ص 256 ؛ أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج5 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1922 ، ص 149 ؛ ابن الأعرج ، المصدر السابق ، ورقة 37 ؛ أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1962 ، ص 54 ؛ عبد الحميد حاجيات ، الجزائر في التاريخ ، ج3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص

وإذا كانت حدود المغرب الأوسط قارة فإن حدود الدولة الزيانية كانت تتمدد وتتقلص حسب الحالة السياسية التي تكون عليها، فتتقلص في حالة الضعف، وتتمدد في حالة القوة، وفي الكثير من الأحيان لم تكن تتجاوز حدود مدينة تلمسان، خاصة خلال فترات الغزو المريني للمغرب الأوسط.¹

=296؛ خالد بلعري، المرجع السابق، ص 40-43؛ عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 46، 47؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 17، 18؛ هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية، ص 20-22؛ محمد بن معمر، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجريين، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2002/2001، ص 12.

¹ - يرجع عدم استقرار الحدود السياسية لدولة بني عبد الواد الزيانية لوقوعها بين فكي رحي، الدولة المرينية غربا، والدولة الحفصية شرقا، وكلاهما كانت له أطماع في ضم المغرب الأوسط، بل السيطرة على كافة المغرب الإسلامي على اعتبار أن كل واحدة منهما كانت ترى أن لها حق وراثية دولة الموحدين، المرينيين باعتبارهم ورثة العاصمة مراكش، والحفصيين باعتبارهم أقرباء الموحدين ووارثي مذهبهم. فأحيانا امتدت حدود الدولة العبد الوادية من تاويرت غربا إلى قسنطينة شرقا، وفي الكثير من الأحيان كانت هذه الحدود لا تتجاوز مدينة تلمسان. ينظر في ذلك: التنسي، تاريخ بني زيان، ص 143؛ عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص 147؛ عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 46، صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ط1، حصور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 10؛ عبد العزيز فيلاحي، المرجع السابق، ج1، ص 16؛ Dhina (A), Le Royaume Abdelouadid à l'époque d'Abou ; 17. Hammou Moussa 1^{er}, O.P.U, Alger ,(s.d), p

أما المراحل¹ التي مرت بها دولة بني عبد الواد الزيانية فهي:

أ/ مرحلة النشأة وتوطيد الملك (633هـ/1236م-737هـ/1363م).

تمتد هذه المرحلة من تأسيس الدولة العبد الوادية على يد يغمراسن بن زيان سنة 633 هـ / 1236 م إلى نهاية عهد أبي تاشفين الأول² سنة 737 هـ / 1363 م بمقتله على يد السلطان المريني أبي

¹ - يجمع أغلب المؤرخين والباحثين على أن الدولة الزيانية مرت بأربع مراحل - كما سنبينه - ومن هؤلاء الأستاذ بوزياني الدراجي في كتابه نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، والأستاذ لخضر عبدلي في كتابه التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، وكذا أغلب الدراسات الأكاديمية التي سبق ذكرها، بينما ذكر المؤرخ يحيى بوعزيز أن الدولة الزيانية عرفت ستة مراحل وأدوار هي: 1- قيام الدولة علي يد يغمراسن بن زيان، 2- الاستقلال عن الحفصيين والتعرض للعدوان المريني، 3- إحياء الدولة على يد أبي الحسن وأبي ثابت، 4- إحياء الدولة على يد أبي حمو موسى الثاني، 5- بداية مرحلة الضعف التي ستمهد لزوال الدولة، 6- التدخل الإسباني في شؤون الدولة. ينظر: ماضي تلمسان وأمجادها الحضارية ضمن كتاب مآثر تلمسان ماضيا وحاضرا، نخبة من الأساتذة والباحثين، جمع وتعليق محمد بوزواوي، الثقافة للنشر والتوزيع، 2011، ص ص 17-22. وهو هنا قام بتقسيم الدور الأول إلى مرحلتين، وتقسيم الدور الأخير إلى مرحلتين، وذهب الباحث عبد الجليل قريان في كتابه التعليم بتلمسان في عهد بني زيان، ص ص 49-66 إلى نفس التقسيم، غير أنه جمع الدورين الأول والثاني في مرحلة واحدة أي أنه قسم مراحل تطور الدولة الزيانية إلى خمسة مراحل وأدوار. ونحن نتفق مع باقي المؤرخين والباحثين، ونختلف مع المؤرخ يحيى بوعزيز والباحث عبد الجليل قريان لأن - في نظرنا - الدورين الأول والثاني يدخلان ضمن مرحلة واحدة هي مرحلة بناء الدولة وتوطيد الملك، والدورين الآخرين تجمعهما مرحلة الضعف والانحلال ومن ثم السقوط كنتيجة حتمية لذلك.

² - هو عبد الرحمن أبو تاشفين الأول ابن أبي حمو موسى الأول ابن عثمان ابن يغمراسن بن زيان خامس سلاطين دولة بني عبد الواد الزيانية حكم من 718 هـ/1318 م إلى 737 هـ/1336 م، قتل مدافعا عن قصره بتلمسان رفقة أولاده وموظفيه أثناء اقتحام قوات أبي الحسن المريني لمدينة تلمسان بعد حصار لها دام أكثر من ثلاثين شهرا. ودفن بباب وهب قرب ضريح أبي يعقوب التفريسي. ينظر: العبر، مج4، ص ص 2773-2789؛ البغية، ج1، ص 219؛ ابن مرزوق الخطيب المجموع، مخطوط (ميكرو فيلم)، تحت رقم 20، الخزنة العامة بالرباط، ورقة 34؛ لسان الدين ابن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، تحقيق عدنان درويش، منشورات دار الثقافة، دمشق، سوريا، 1990، ص 73؛ برونشفيك، تاريخ إفريقية، في العهد الحفصي إلى القرن 15 م، ج1، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 180؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 49.

Marçais (G) et (W), Les monuments arabes de Tlemcen, vol 1, librairie thorin, Paris, 1903, p p 192-201.

الحسن¹. وقد دامت هذه الفترة زهاء القرن من الزمن حكم نصفها تقريبا السلطان يغمراسن بن زيان - حوالي ثمانية وأربعين (48) سنة - ، تميزت هذه المرحلة بتوالي الحملات الحفصية والمرينية على المغرب الأوسط ، وكثيرا ما تعرضت تلمسان خلالها للحصار من الطرفين خاصة من قبل المرينيين.²

لكن رغم ذلك واصل سلاطين بني زيان الذين تداولوا على الحكم خلال هذه المرحلة التشييد والبناء للنهوض بدولتهم وحاضرتها تلمسان ، خاصة على عهد السلطان أبي حمو موسى الأول³ الذي هذب مراسيم الدولة ، واهتم بالعلم والعلماء ، وابتنى أول مدرسة بالمغرب الأوسط

¹ - تولى أبو الحسن المريني حكم دولة بني مرين سنة 791 هـ/ 1331 م ، واستمرت ولايته إلى سنة 749 هـ / 1348 م . ينظر: هوارية بكاي ، العلاقات السياسية المرينية ، ص 209.

² - عن الحملات الحفصية والمرينية على تلمسان خلال هذه المرحلة ينظر: يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج 1 ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1980 ، ص 205 و ص 209-211 ؛ ابن الأعرج ، المصدر السابق ، ج 3 ، ورقة 37 و 40 ؛ الزركشتي ، المصدر السابق ، ص 29 ؛ التنسي ، تاريخ بني زيان ، ص 118 و ص 130-132 ؛ ابن أبي الزرع الفاسي ، الأنيب المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، 1972 ، ص 370-374 ؛ ابن مرزوق الخطيب ، المجموع ، ورقة 15 ؛ أبو عبد الله محمد بن الأزرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، ج 1 ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، (د.ت) ، ص 376 ؛ أحمد بن محمد المقري ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، ج 5 ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1963 ، ص 265 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج 4 ، ص 2745-2779 ؛ روبرت برونشفيك المرجع السابق ، ص 60 ؛ عطاء الله ذهينة ، الحصار الطويل ضمن كتاب الجزائر في التاريخ ، ج 3 ، ص 367-379 ؛ Barges (L.J.J.L) , Tlemcen ancienne capitale de royaume de ce nom sa ؛ topographie son histoire , Paris , 1859 , p 34.

³ - هو السلطان أبي حمو موسى الأول ابن عثمان بن يغمراسن تولى السلطة بعد وفاة أخيه أبي زيان سنة 707 هـ / 1307 م ، واستمر حكمه إلى سنة 718 هـ/ 1318 م ، مات مقتولا خديعة مكرًا من تدبير ابنه أبي تاشفين الأول قال عنه عبد الرحمن بن خلدون: « سمعت عريف بن يحيى أمير سويد من زغبة وشيخ المجالس الملوكية لزنانة يقول ، ويعنيه -أي أبي حمو موسى الأول- : موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزنانة ، وإنما كانوا رؤساء بادية حتى قام فيهم موسى بن عثمان ، فحد حدودها وهذب مراسيمها ، ولقن عنه ذلك أقتاله وأنظاره منهم ، فقبلوا مذهبه واقتدوا بتعليمه . ينظر: العبر ، مج 4 ، ص 2769 ، 2768 ؛ يحيى بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 18 ، حسين تواتي ، المرجع السابق ، ص 48.

وهي مدرسة ابني الإمام¹، وعلى عهد السلطان أبي تاشفين الأول الذي أرسى قواعد الملك، وبنى القصور وخذل آثارا لم تكن من قبله، خاصة المدرسة التاشفينية التي تعد تحفة لا نظير لها وهي أكبر وأجمل مدرسة شيدت بالمغرب الإسلامي.²

¹ - استقدم السلطان ابو حمو موسى الأول العالمين الأخوين أبي زيد عبد الرحمن (ت 749 هـ/1348 م) وأبي موسى عيسى (ت 757 هـ/1356 م) من برشك قرب تنس وابتنى لهما مدرسة ومسجدا حمل اسمهما. عن ابني الإمام = والمسجد والمدرسة، ينظر: ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، نشر محمد بن أبي شنب، تقدم عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص ص 123-127؛ ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2008، ص 202، 203؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج6، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ت)، ص 133؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 71 و ص 82؛ هوارية بكاي، العلاقات السياسية والثقافية، ص 45 و ص 48، L'Architecture, Marçais (G), musulman d'occident (Tunisie, Algérie, Maroc), métier graphique, Paris, 1954, p 115, 116; Marçais (G) et (W), op.cit, p 186; Marçais (G), remarques sur les medersas funéraires en berbérie, imprimeries de l'institut Français d'archéologie, 1937, p 263.

² - بنيت هذه المدرسة في الجهة المقابلة للجامع الأعظم، وهي حسب زائريها أكبر وأجمل مدرسة شيدت بالمغرب الإسلامي، و نموذجاً فريداً للزخارف التي احتوتها قصور تلمسان في ذلك العهد، وتحفة فنية رائعة. احتفل السلطان أبو تاشفين بتدشينها احتفالا كبيرا، حضرته مشيخة تلمسان من علماء وفقهاء وأدباء، وأهمهم الفقيه أبو موسى عمران المشدالي الزواوي أعرف أهل زمانه بمذهب الإمام مالك.

و تصدر للتدريس بها الفقيه العلامة أبو موسى عمران المشدالي، والعالم أبو العباس أحمد بن عمران البجائي، إضافة إلى عدد كبير من علماء المغرب الإسلامي ومن بينهم بعض المرازقة والعقابنة والتنسي وأحمد بن زكري.

ظلت هذه المدرسة قائمة شامخة تراول وظيفتها حوالي خمسة قرون من الزمن، إلى أن قام الاحتلال الفرنسي بدمها، بحجة توسيع شبكة الطرق في المدينة، لتبنى مكانها دار البلدية و بجانبها ساحة عمومية وكان ذلك سنة 1875م، نقلت بعض قطعها الأثرية إلى المتحف البلدي بتلمسان، ومتحف كولوني بباريس. ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان، ص 141، 142؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 130؛ المقرئ، المصدر السابق، ج8، ص ص 154-157؛ محمود بوعياد، جوانيب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15 م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 82؛ محمد عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 128؛ محمد مكوي، المؤسسات التعليمية في العهد الزياني (القرن 8 هـ/14 م) مجلة =الفكر الجزائري، العدد 4، ديسمبر 2009، ص 97؛ هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية، ص ص 160-162؛

ب/ مرحلة الانقطاع المؤقت (737هـ/1337م-760هـ/1358م).

تبدأ هذه المرحلة باحتلال أبي الحسن المريني لتلمسان وقضائه على السلطان أبي تاشفين الأول سنة 737 هـ/1337 م، وتنتهي باسترجاع أبي حمو موسى الثاني لعرش أسلافه وبعث دولتهم من جديد سنة 760 هـ/1358 م.¹

تميزت هذه المرحلة بتقويض السلطان المريني أبي الحسن لأركان الدولة العبد الوادية، واستماتته لقبيل بني عبد الواد بأن أقامهم على مراتبهم واستعملهم في توسيع نفوذه.² كما تميزت بمحاولة الأميرين أبي سعيد وأبي ثابت ابني عبد الرحمن بن يغمراسن إحياء دولة أجدادهم سنة 749 هـ/1348 م، مستغلين انشغال السلطان أبي الحسن المريني بحملته على تونس. حيث تمكنوا من استرجاع العديد من مدن المغرب الأوسط³، وأصبحت المساجد تدعوا لهما، وضرب السلطان أبو سعيد السكة باسمه.⁴

= Marçais (G) ,op.cit ,p 265 ; Marçais (G) et (W) ,op.cit ,p 21.

¹ - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 47؛ عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 54؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 50.

² - ضم السلطان أبو الحسن المريني جنود الدولة الزيانية وكبار قادة جيشها إلى جيشه، واستعملهم في توسيع نفوذ دولته حتى أصبح المغرب الأوسط والأقصى تحت نفوذه. ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 235، 234؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 149.

³ - استغل الأميران أبي ثابت وأبي سعيد ثورة الأعراب بالقيروان على السلطان أبي الحسن المريني، وتوجهوا في جيش من بني عبد الواد - بعدما أشيع مقتل السلطان المريني - نحو تلمسان التي كانت تحت حكم عثمان بن جرار العبد الوادي، ولما وصلا المدينة فتح لهما السكان أبوابها، واعتليا عرشها، وأعادا بذلك رسوم دولة أسلافهما ولو لمدة قصيرة. عن هذه الأحداث ينظر: ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 495؛ ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 171، يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 236، 237؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 4؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 50.

⁴ - بعد استرجاعهما لعرش أسلافهما تقاسم الأميران السلطة حيث عادت الخطبة والسكة وكرسي العرش لأبي سعيد، وعادت قيادة الجيش لأبي ثابت، والتزم كل منهما بصلاحياته. التنسي، تاريخ بني زيان، ص 152؛ ابن مرزوق، المجموع، ورقة 47.

لكن هذه المحاولة لم تدم أكثر من أربع سنوات وشهر واحد بعدما استطاع السلطان المريني أبي عنان فارس¹ ابن أبي الحسن السيطرة على تلمسان والمغرب الأوسط بعد انتصاره على السلطانين أبي ثابت وأبي سعيد في معركة سهل أنجاد² بالقرب من وجدة³ سنة 753 هـ / 1352 م⁴. وينقطع بذلك خبر الدولة العبد الوادية إلى أن تمكن السلطان أبي حمو موسى الثاني من إعادة بعث دولة أسلافه من جديد باسترجاعه لتلمسان سنة 760 هـ / 1358 م.

ج/ مرحلة الانبعاث والعظمة (760 هـ / 1358 م - 791 هـ / 1389 م).

تقتصر هذه المرحلة على فترة حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني مجدد رسوم الدولة العبد الوادية⁵، وتبدأ من توليه الحكم سنة 760 هـ / 1358 م وتنتهي بوفاته سنة 791 هـ / 1389 م.

¹ - هو أبو عنان فارس بن أبي الحسن المريني تولى عرش الدولة المرينية بعد والده، حيث كان نائباً له على تلمسان، ولما أشيع نبأ مقتله غادرها إلى فاس لاعتلاء عرشه باعتباره ولي عهد أبيه. عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 48.

² - سهل أنجاد أو صحراء أنجاد أو أنكاد سهل قفر وعري يابس لا ماء فيه ولا شجر، يمتد طويلاً على مسافة 80 ميلاً تقريباً، وعرضاً على مسافة 50 ميلاً تقريباً، يقع إلى الغرب من مدينة وجدة. الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 11.

³ - يعرف الوزان مدينة وجدة فيقول: " وجدة مدينة قديمة بناها الأفاقة في سهل فسيح جدا، على بعد 80 ميلاً جنوب البحر المتوسط، وعلى نفس البعد تقريباً من تلمسان. " بينما يذكر محققاً الكتاب أن مؤسس مدينة وجدة هو زيري بن عطية المغراوي سنة 384 هـ / 994 م ونقل عاصمته من فاس إليها، وذلك نقلاً عن الاستقصا، ج1، ص 195. وصف إفريقيا ص 12، 13، وهـ 12 ص 12.

⁴ - عندما بلغ السلطانان العبد الواديان نبأ تحرك أبي عنان عسكرياً بسهل أنجاد أين دارت بين الطرفين معركة حامية الوطيس سنة 753 هـ / 1352 م كان النصر فيها حليف أبي عنان، وقتل خلالها السلطان أبا سعيد، وتمكن السلطان أبا ثابت من النجاة. وحاول التصدي للمرينيين لكنه انكسر عند وادي شلف. يحيى بن خلدون، البغية، ص 245، 246؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 154، 155؛ حسين تواتي، ص 51.

⁵ - كان أبو حمو موسى الثاني ضمن جيش أبي ثابت الذي انهزم أمام المرينيين قرب شلف، وتمكن من النجاة إلى مدينة الجزائر رفقة عدد قليل من أسرته والأمناء من بينهم أبي زيان محمد بن السعيد، والوزير يحيى بن داوود. وقد لجأ إلى تونس بعد زوال سلطان بني عبد الواد. ينظر: يحيى بن خلدون، البغية، ج1، ص 246، 247؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 154، 155؛ لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د.ت)، ص 301؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 51؛ عبد العزيز لعرج، المساجد الزيانية بتلمسان

استطاع السلطان أبي حمو موسى الثاني خلال هذه المرحلة النهوض بالدولة الزيانية في جميع جوانبها حتى بلغت أسمى درجات التطور والرقى، وأصبحت من مصاف الدول الكبرى آنذاك، وأصبح لها صدى واسع النطاق، ومن مآثره مسجد سيدي إبراهيم المصمودي والمدرسة اليعقوبية.¹

د/ مرحلة الانحلال والانهيار (791هـ/1389م-962هـ/1554م).

بدأ هذه المرحلة بمقتل السلطان أبي حمو موسى الثاني سنة 791هـ/1389م على يد ابنه وولي عهده أبي تاشفين الثاني²، وتنتهي بإلحاق تلمسان بإيالة الجزائر العثمانية على عهد السلطان الحسن بن عبد الله الثاني سنة 1554م.

تميزت هذه المرحلة بالتبعية للمرينيين تارة، وللحفصيين تارة أخرى نتيجة التنافس والتناحر على السلطة، فكان من السلاطين من حكم أربعين يوماً فقط، ومنهم من لم يتعد حكمه الشهرين مثل ابن خولة، والسعيد، وعبد الواحد أبناء السلطان أبي حمو الثاني، وأبي عبد الله ابن

= "عمارتها وخصائصها"، حوليات جامعة الجزائر، العدد 6، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991/1992، ص 107، 108.

¹ - عن مآثر السلطان أبي حمو موسى الثاني ينظر: عبد الحميد الحاجيات، الحياة الفكرية بالجزائر على عهد بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، مرجع سابق، 438، وأيضا كتاب أبو حمو موسى الثاني، ص 159؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 71 و 84، 85؛ هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية، ص 4؛ حسن تواتي، المرجع السابق، ص 51-53؛ عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 110؛ رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، العدد 26، جويلية/أوت، السنة الرابعة 1975م، ص 176؛ بابا خويا الحاج المهدي، الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني وجهوده الأصولية والفقهية، ديبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس، المملكة المغربية، 1992/1993، ص 42 وما بعدها.

² - بعد أن أوغر بعض أعداء أبيه صدره استنجد أبو تاشفين الثاني بالسلطان أحمد المريني (789/796هـ - 1387/1394م) فبعث معه قوة عسكرية تحت قيادة زيان بن عمر الوطاسي التي انضمت إلى أنصاره، وتوجه الجميع إلى تلمسان التي غادرها السلطان أبي حمو موسى الثاني نحو جبل بني ورنيد، وبعد اقتتال عنيف سقط أبو حمو بفرسه على الأرض، ففعل أحد أنصار أبي تاشفين بقتله. عن الصراع بين أبي حمو الثاني وابنه أبي تاشفين ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2805-2808؛ إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص 58؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 145-154.

الحمراء . كما تميزت هذه المرحلة بالغزو الإسباني لسواحل المغرب الأوسط ، ودخول العثمانيين الأتراك للمنطقة.¹

¹ - عن هذه المرحلة وانعكاساتها على المغرب الأوسط ، وخاصة مرحلة الغزو الإسباني ، وظهور العثمانيين الأتراك بالمنطقة ينظر: مارمول كرينال ، إفريقيا ، ج 2 ، ترجمة محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، 1989 ؛ ابن عسكر ، دوحه الناشر محاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، طبعة حجرية ، فاس ، 1309 هـ ؛ أحمد ابن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق المهدي بوعبدلي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1973 ؛ مؤلف مجهول ، غزوات عروج وخير الدين ، نشر نور الدين عبد القادر ، الجزائر ، 1934 ؛ جون . ب. وولف ، الجزائر وأوروبا ، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ؛ عمار بن خروف ، العلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين الجزائر والمغرب في القرن 10 هـ / 16 م ، ج 1 ، دار الأمل للنشر والطباعة والتوزيع ، الجزائر ، 2008 ؛ صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830 م) ، دار هومة للنشر ، الجزائر ، 2005 ؛ أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا ، ط 3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

Eli de la primodaie , documents uni dites sur l'histoire de l'occupation Espagnol en Afrique de nord (1506-1774) , Alger , 1875 ; De Haedo (F.D) , histoire des rois d'Alger , traduit et annotée par (H.D) De Grammont , R.A , n° 24 , 1880 ; De Grammont (H.D) , quel est le lieu de la mort d'Aroudj Barbarousse , R.A , n° 22 , 1878 ; Graulle (A) , la mort et le tombeau de Bab Aroudj , Paris , 1913 ; Barys (L) , complément de l'histoire des beni zeyan , Paris , 1887 .

الباب الأول: حكمة التسيير في المجال السياسي .
الفصل الأول: أجمزة الحكو في دولة بني عبد الواد
الزيانية.

الفصل الثاني: حكمة التسيير لدى السلطان يغمراسن بن
زيان في المجال السياسي.

الفصل الثالث: حكمة التسيير لدى أبي حمو موسى
الثاني في المجال السياسي.

الفصل الأول: أجهزة الحكم في دولة بني عبد الواد
الزيانية.

المبحث الأول: الحاكم.

المبحث الثاني: ولي العهد.

المبحث الثالث: الوظائف السلطانية.

نقصد بأجهزة الحكم مجموع الخطط والوظائف التي تساعد العاهل على تسيير شؤون الدولة، واتخاذ القرار ومنها ولي العهد، والوزارة، والحجابه، والكتابة، والتي تشكل في مجموعها النظام السياسي¹ للدولة.²

والدولة الزيانية كغيرها من الدول الإسلامية كانت لها نظمها وخططها التي تُسيّر بها شؤونها. وقد استفاد الزيانيون كثيرا من الارث الحضاري للدول التي تعاقبت على حكم المغرب الإسلامي، خاصة الدولة الموحدية التي كانوا عمالا لها على المغرب الأوسط.³ فقد أدرك يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة أهمية وجود هذه التنظيمات للتمكين لدولته الناشئة، وضمن استمراريتها، فكان أول ما قام به أن اتخذ لنفسه شارة الملك والسلطان، واتخذ الوزراء، والكتاب، وشكل الجيش ونظمه.⁴ وعلى نهجه سار خلفاؤه، وسعوا جاهدين إلى تطوير خطط وتنظيمات وأجهزة تسيير دولتهم.

فما هي طبيعة الحكم في دولة بني عبد الواد؟ وما هي مراحل تطور نظم الحكم في دولتهم؟

وما هي أهم الوظائف والخطط التي اعتمدها لتسيير دولتهم؟

¹ - يُقصد بالنظام السياسي مجموعة المؤسسات التي تمتلك آليات التقرير السياسي، أو هو نظام يشمل مجموع الخطط والمبادئ، والقوانين، والتقاليد التي تحيط بالعاهل، وهي ولاية العهد، والوزارة، والحجابه، والكتابة. ينظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 50؛ الحسن صعب، علم السياسة، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1976، ص 85؛ Burdeau (G), Méthode de la science politique, Dalloz, Paris, 1959, p 435.

والعاهل وجمعه عواهل فهو الملك الأعظم الذي يحكم شعبا مختلفة كالخليفة والإمبراطور. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج13، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت)، ص 510؛ الفيروز آبادي ومحمد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج4، ط2، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1952، ص 23.

² - الدولة هي اقليم له حدود سياسية معلومة، تعيش فيه مجموعة من الأفراد بصفة دائمة، وتخضع لسلطة حاكمة تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال السياسي. أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ط2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1973-1972، ص 304.

³ - يذكر بوزياني الدراجي أن نظم حكم دولة بني عبد الواد تعود في أصولها البعيدة إلى النظم الإسلامية في الدولتين الأموية والعباسية، وقد تأثرت في أصولها القرية بنظم الدول التي ظهرت بالمغرب الإسلامي والأندلس خاصة نظم دولة الموحدين بمراكش، وتونس (الحفصيين). ينظر: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، هـ 2 ص 50، 51.

⁴ - يقول عبد الرحمن بن خلدون في ذلك: "... واتخذ الآلة - يقصد يغمراسن بن زيان - ورتب الجنود والمسالح، واستلحق العساكر من الروم والغز راحمة وناشبة، وفرض العطاء واتخذ الوزراء والكتاب، وبعث في الجهات العمال، ولبس شارة الملك والسلطان...". ينظر: العبر، مج4، ص 2752.

كان الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية طوال مدة حكمها ملكيا وراثيا في آل يغمراسن بن زيان.¹ وقد عرف النظام السياسي لهذه الدولة ثلاث مراحل² تطور خلالها من مرحلة البداوة إلى مرحلة الرقي والعظمة. حيث تميزت المرحلة الأولى التي تمتد من تأسيس الدولة العبد الوادية سنة 633 هـ/1236 م إلى نهاية عهد السلطان أبي زيان محمد بن عثمان سنة 707 هـ/1307 م بمعاملة السلطان للرعية بعقلية شيخ القبيلة، بعيدا عن مظاهر الترف والأبهة والسلطان. وتتميزت المرحلة الثانية التي تمتد من سنة 707 هـ/1307 م إلى سنة 753 هـ/1352 م بترتيب السلطان أبي حمو موسى الأول³ لمراسيم الملك وتهذيب قواعده، والتأدب بآداب السلطان، وعلى نهجه سار خليفته ابنه أبو تاشفين الأول وأبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن. وخلال المرحلة الثالثة التي تمتد طوال فترة حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني (760 هـ/1358 م-791 هـ/1389 م) ارتقت نظم الحكم في الدولة الزيانية⁴ إلى مصاف

¹ - بعد وفاة يغمراسن بن زيان تولى أمر دولة بني عبد الواد ابنه أبو السعيد عثمان، والذي ظلت في عقبه حتى وفاة حفيده أبي تاشفين الأول أين انتقلت شؤون الدولة الزيانية إلى بيت أخيه أبي زكريا يحيى، ظلت فيه حتى سقوطها. ينظر: حسين تواتي، المرجع السابق، هـ- 1 ص 57. ويذكر المهدي البوعبدلي أن الدولة الزيانية تولى حكمها خمسة وعشرون ملكا ينقسمون إلى طبقتين، الطبقة الأولى وتشمل خمسة سلاطين أولهم يغمراسن بن زيان وآخرهم أبو تاشفين الأول والطبقة الثانية وتشمل عشرين ملكا، أولهم أبو حمو موسى الثاني، وآخرهم مولاي الحسن. ينظر: محمد بوزواوي، المرجع السابق، ص 37-45. (الملحق رقم 2).

² - عن مراحل تطور بالتفصيل ينظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 51-54 .

³ - قال عنه عبد الرحمن بن خلدون: «... سمعت عريف بن يحيى أمير سويد من زغبة وشيخ المجالس الملوكية لزنانة يقول، ويعنيه أي أبي حمو موسى الأول- : موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزنانة، وإنما كانوا رؤساء بادية حتى قام فيهم موسى بن عثمان، فحد حدودها وهذب مراسمها، ولقن عنه ذلك أفتاله وأنظاره منهم، فتقبلوا مذهبه واقتدوا بتعليمه. ينظر: العبر، مج 4، ص 2768، 2769؛ يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 18؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 48.

⁴ - يعتبر السلطان أبو حمو موسى الثاني أول من أطلق تسمية الدولة الزيانية على دولة بني عبد الواد، كما يعتبر أول سلطان من بني يغمراسن نادى بالنسب العلوي الشريف. ينظر: يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 186؛ ابن الأعرج، المصدر السابق، ج 3، ورقة 3؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 44؛ أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية، 1968، ص 198.

الدول الكبرى ، حيث اتخذ السلطان أبو حمو الثاني مظاهر الأبهة والتعالي ، وتلقب بألقاب الخلافة.¹

المبحث الأول: الحاكم.

ظل الحاكم في دولة بني عبد الواد الزيانية كما أسلفنا ملكيا وراثيا في آل يغمراسن بن زيان ، سواء حين كان في بيت أبي السعيد عثمان خليفة أبيه يغمراسن ، أو حين انتقل إلى بيت أخيه أبي زكريا يحيى . وقد جمع حكام هذه الدولة بين السلطتين الدينية والدينيوية² ، حيث كان الواحد منهم مطلق السلطات ، ومرد ذلك أنهم أسسوا دولتهم بالاعتماد على قوتهم ، وعصبيتهم ممثلة في قبيل بني عبد الواد ، وذلك ما نستشفه من رد مؤسس دولتهم يغمراسن بن زيان حين ما أبلغ بنسب قبيله لآل البيت: " أما الدنيا والملك فنلناها بسيوفنا لا بهذا النسب ، وأما نفعه

¹ - يعتبر أبو حمو موسى الثاني أول من تلقب بلقب الخليفة من سلاطين دولة بني عبد الواد هذا إذا استثنينا ما أضافه صاحب البغية ، وصاحب نظم الدر من ألقاب الخلافة لسلاطين بني عبد الواد دون استثناء والذين لم يتطوعوا لمرتبة الخلافة ولم يتلقبوا بألقابها . ينظر: أبو حمو موسى الثاني ، واسطة السلوك في سياسة الملوك ، تقدم عبد الرحمن عون ومحمد الزاهي ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ، 1982 ، ص 24 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1951 ، 102 .

² - هذا استثنينا فترة حكم يغمراسن بن زيان وأبي السعيد عثمان والتي كانت مساجد الدولة الزيانية تدعوا على عهدها للموحدين في البداية ، ثم للحفصيين ، حيث اكتفى السلطانان بالسلطة الدينيوية أو الزمنية مع احكام سيطرتكما على المواطن التابعة لهما ، ودليل ذلك ما ذكره بوزياني الدراجي من نهوض يغمراسن بن زيان لتأديب بني توجين ومغراوة وملكيش وإلزامهم بدفع الضرائب والجبايات لدولته ، وكانوا حينئذ تحت حماية الحفصيين ، وأن يغمراسن بن زيان قال بخصوص الدعوة للموحدين ثم الحفصيين على المنابر: " تلك أعوادهم يذكرون عليها من شأؤوا " وكأنه يقصد بقوله هذا: تركنا لهم أمور الخلافة ، ولكنا نسير شؤون دولتنا كما نريد . ينظر: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ص 42-44 . وعن بيعة يغمراسن بن زيان وولاء أبي السعيد عثمان للحفصيين ينظر: أبو بكر ابن خطاب المرسي الغافقي ، فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم د/3787 ، ص 10 و ص 97 ؛ حسين تواتي ، المرجع السابق ، ص 97 ، 98 . ينظر أيضا: الملحق رقم (3) والملحق رقم (4) . وكذلك إذا استثنينا فترة حكم ما بعد أبو حمو موسى الثاني ، والتي كانت فيها تبعية الدولة الزيانية للمرينيين تارة ، وللحفصيين تارة أخرى . ينظر: يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 20 ، 21 .

في الآخرة فمرده إلى الله. ¹ وقد ظل سلاطين الدولة العبد الوادية يستمدون سلطتهم من عصبية القبيلية وفق نظرية القوة والغلبة، سواء من قبيل بني عبد الواد أو القبائل المناصرة لهم، أو تلك التي أخضعوها بالقوة حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (737 هـ/1337 م)، وبداية عهد أبي حمو موسى الثاني (760 هـ/1358 م)، الذي أضاف العامل الديني كمصدر يستمد منه سلطته لما له من تأثير على الرعية، ومن قوة تمكنه من جمع الناس تحت سلطانه، وذلك بإدعائه النسب النبوي الشريف، وإطلاق اسم الدولة "الزيانية" على دولة أسلافه نسبة لزيان والد يغمراسن. ²

وقد تلقب سلاطين بني عبد الواد بألقاب الملك والخلافة، وأخذوا لأنفسهم البيعة، وتكنوا بالكنى، واتخذوا شارات الملك والسلطان منذ أول عهد دولتهم.

1- ألقاب حكام بني عبد الواد.

تلقب حكام بني عبد الواد بعدة ألقاب، ويعتبر لقب السلطان ³ أكثر الألقاب التي تلقبوا بها وأفضلها لديهم، وحتى أبو حمو موسى الثاني الذي جنح للقب الخليفة لم يستغني عن لقب

¹ - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص 147. ويذكر ابن خلدون في نفس الصفحة: "... وهم -يقصد بني عبد الواد- غير محتاجين لذلك، فإن مناهم للملك والعزة إنما كان بعصبيتهم، ولم يكن بإدعاء علوية ولا عباسية ولا شيء من الأنساب..." .

² - يذكر عبد الرحمن بن خلدون أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها وذلك لأن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية. ينظر: المقدمة، 172؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 58 .

³ - بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 64؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 59. أما كلمة السلطان فن السلاطة والتي تعني القهر ...، والسليط عند عامة العرب الزيت، و عند أهل اليمن دهن السمسم ... والسلطان يعني الحجة والبرهان، والسلطان إنما سمي سلطاناً لأنه حجة الله في أرضه ... والسلطان اشتق من السليط، والسليط ما يضاء به، ومن هنا قيل للزيت سليط ... ولذلك قيل للأمراء سلاطين لأنهم الذين تقام بهم الحجة والحقوق . ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص 192-193 .

السلطان.¹ وكان هذا اللقب حكرا على الحاكم لا ينازعه فيه أحد من الأسرة الحاكمة، وذلك عكس لقب الأمير² الذي كان يطلق على الحاكم، وعلى أبنائه وإخوته.³ ويعد لقب أمير المسلمين⁴ ثاني أشهر لقب اختص به حكام بني عبد الواد أنفسهم منذ تأسيس دولتهم، ومن الشواهد التي تدل على ذلك اللوح التذكاري الذي وجد على الزاوية اليعقوبية التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده، والقطع النقدية التي عثر عليها والمتعلقة بأبي حمو موسى الأول، وابنه أبي تاشفين الأول، والسلطان أبي عبد الله محمد الخامس، والسلطان أبي العباس العاقل⁵، والتي تدل في الآن نفسه على تلقيب حكام بني عبد الواد باللقاب أخرى كعبد الله والمتوكل على الله، والمتوكل على رب العالمين، والمعتصم بالله.

¹ - يعتبر لقب السلطان أكثر الألقاب تداولاً بين حكام المغرب والأندلس، رغم أنهم تخلوا باللقاب أخرى، وهذا ما يمكن للباحث استنتاجه من خلال دراسته لأغلب المصادر والمراجع التي أرخت لدول المنطقة كالعبر مثلاً.
² - بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 54، 53؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 59. والأمير ذو أمر أي الأمر. والأمير تعني الملك لنهاذ أمره، وجمعه أمراء. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج 5، ص 86-88.
³ - كان لقب الأمير يطلق على حكام بني الواد إلى جانب ألقاب أخرى كالسلطان، وأمير المسلمين، فقد أطلق عبد الرحمن بن خلدون على يغمراسن بن زيان لقب الأمير تارة، و لقب السلطان تارة أخرى، وكذلك الأمر بالنسبة لعثمان بن يغمراسن الذي لم يلقبه بالسلطان إلا عندما يتحدث عن أواخر عهده و، و لعل ذلك لكون الدولة الزيانية في هذه الفترة كانت تدعو للحفصيين، و لم تقطع الدعوة لها إلا أواخر عهد عثمان بن يغمراسن. العبر، ج 7، ص 188-197 وص 387.

⁴ - يعتبر يوسف بن تاشفين أول من تلقب بأمير المسلمين سنة 466 هـ / 1073 م وهذا ما جاء في القرار الذي أصدره إلى الأشياخ والأعيان والعامّة والخاصة بعد حمد الله والصلاة على رسول الله: " ... إن كتبناه اليكم من حضرتنا العلية في مراكش حرسها الله، في منتصف محرم سنة ستة وستون و أربعمائة، و إنه لما من الله بالفتح الجسيم ... رأينا أن نخص لأنفسنا بهذا الاسم على سائر أمراء القبائل و هو أمير المسلمين، وناصر الدين، فمن خاطب الحضرة العلية السامية، فليخاطبها بهذا الاسم انشاء الله ... "، وقد تلقب بهذا اللقب تمييزاً له عن أمير المؤمنين، الخليفة العباسي. ينظر: ابن السماك، الحلل المشوية، ص 80-81؛ إبراهيم حركات، النظام السياسي و الحربي في عهد المرابطين، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، (د.ت)، ص 49-50.

⁵ - كتب على عملة السلطان أبي حمو الأول: " عن أمر عبد الله موسى أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين أيده الله ونصره. "، بينما كتب على عملة أبي تاشفين عبد الرحمن: " عن أمر عبد الله المتوكل على الله عبد الرحمن أمير المسلمين أيده الله ونصره "، و تب على عملة أبي عبد الله محمد الخامس: " المتوكل على الله أمير المسلمين ابن مولانا أبي زيان محمد أيده الله "، و كتب على عملة أبي العباس العاقل: " عن أمر عبد الله المعتصم بالله أمير المسلمين أبي العباس أحمد ". ينظر:

أما لقب الخليفة¹ فلم يتلقب به من حكام بني عبد الواد إلا أبو حمو موسى الثاني كما أسلفنا، وهذا ما يؤكد عبد الرحمن بن خلدون حين حديثه عن أبي حمو موسى الثاني عند دخوله تلمسان مسترجعا عرش أسلافه: «... ودخل السلطان أبو حمو إلى تلمسان يوم الأربعاء لثمان خلون من ربيع الأول سنة ستين، واحتل منها بقصر ملكه، واقتعد أريكته وبويع بيعة الخلافة...»² وكذلك الرسالة التي أوردتها في مؤلفه "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا" والتي بعث بها إليه السلطان أبي حمو الثاني، والتي جاء فيها: « الحمد لله على ما أنعم والشكر لله على ما وهب، ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون حفظه الله، على أنك تصل إلى مقامنا الكريم، لمل اختصاصناك به من الرتبة المنيعه، والمتزلة الرفيعة وهو قلم خلافتنا، والانتظام في سلك أوليائنا، أعلمناكم بذلك ... عبد الله المتوكل على الله موسى بن يوسف وخار له.»³ هذا إضافة إلى لقب أمير المؤمنين الذي تلقب به دون غيره من حكام بني عبد الواد، ولقبه به كتابه ومؤرخوه⁴ رغم أنه كان منتشرا كثيرا بين حكام المغرب الإسلامي والأندلس، كدولة عبد الرحمن الداخل،⁵ والدولة الموحدية،⁶ والدولة الحفصية،⁷ والدولة المرينية.⁸

¹ - الخلافة تعني السلطان الأعظم، وجمعها خلفاء، و يقال خلفه خلافة، أي كان خليفته و بقي بعده. ينظر: القاموس المحيط، ج3، ص 142. و ظهر نظام الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أول من تلقب بلقب الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه، و استمر هذا النظام قائما حتى أواخر الدولة العباسية، ثم تلقب به الكثير من حكام الدول الإسلامية، كحكام الدولة الحفصية - باستثناء مؤسس دولتهم أبي زكريا -، وبعض حكام الدولة المرينية كيعقوب بن عبد الحق، وأبي عنان فارس، وأبي الحسن. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 595؛ ابن الأحمر، روضة النسرين، ص ص 12-33.

² - العبر، مج4، ص 2788.

³ - عن نص الرسالة كاملا ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون 1951، ص 102؛ العبر، مج4، ص 3039.

⁴ - خاصة يحيى بن خلدون وصاحب زهر البستان.

⁵ - المقدمة، ص 242.

⁶ - نفس المصدر، ص 243.

⁷ - نفس المصدر، الصفحة نفسها.

⁸ - ابن الأحمر، روضة النسرين، ص ص 12-33؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 487.

يضاف إلى هذه الألقاب لقب دادة الذي أطلقه عبد الرحمن بن خلدون على يغمراسن بن زيان وولي عهده أبا سعيد عثمان حين تحدث عن وصية الأول للثاني بتجنب ملاقاته بني مرين، حيث قال: «... أوصى دادة يغمراسن دادة عثمان... وقال له: " يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية، وعلى حضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم...»¹. ولقب شيخ الذي أطلقه ابن الأحمر على حكام بني عبد الواد.²

2 - شارات الملك والسلطان .

الشارات هي - كما أسلفنا - ما يختص به السلطان، ويتميز بانتحاله، عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته، وهي الآلة والسكة و الخاتم والطرارز، والفساطيط والسياج، ومقصورة الصلاة والدعاء في الخطبة. وكغيرهم من حكام الدول الإسلامية اتخذ حكام بني عبد الواد شارات تميزوا بها دون سواهم، كما أولوا عنايتهم لبعض الشارات دون الأخرى. وهذه الشارات هي:

2-1- الآلة .

يعرف عبد الرحمن بن خلدون الآلة فيقول: " فمن شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الألوية و الرايات، و قرع الطبول، والنفخ في الأبواق والقرون... وذلك لأن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك، فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب، ويستमित في ذلك الوجه الذي هو فيه... " ³.
وقد اتخذ رسول الله صلى عليه و سلم الرايات، و لم يستعمل الأبواق و الطبول أبدا، وتبعه الخلفاء الراشدين في ذلك، بينما انتشر استعمال الرايات و الأبواق على عهد الدولتين

¹ - العبر، ج7، ص 189-190، لفظة دادا كناية عن غاية التعظيم باللسان الزناتي، ولا زالت هذه اللفة متداولة كثيرا في منطقة سبدو، وشخصيا في عائلتنا نطلق لقب دادة على العمدة، أو الخالة الكبرى، أو زوجة الخال الأكبر تعظيما وتشرفا لهن.

² - وذلك تمكنا عليهم وانتقاصا من قيمتهم .

³ - كما أن السر في ذلك هو ارهاب العدو في الحرب، فان الأصوات الهائلة لها تأثير في النفوس بالروعة . ينظر: المقدمة، ص 271.

العباسية و الفاطمية ، و سمحوا لولاقتهم و عمالهم باتخاذها في مواكبهم لكن بأعداد أقل ، و ألوان تختلف على ما هي عليه في مواكب الخلفاء.¹

أما بالمغرب الاسلامي والأندلس فقد سار المرابطون على نهج العباسيين والفاطميين ، فاتخذوا رايات من الحرير متعددة الألوان ، موشاة بالذهب ، وسمحوا لولاقتهم باستعمالها ، ولما تولى الموحدون أمر بلاد المغرب قصروا الآلة من الطبول والبنود على السلطان ، وحظروها على من سواه من عماله ، وجعلوا لها موكبا خاصا يتبع السلطان يسمى "الساقية"² ، وكذلك فعل بنو حفص ، وبنو الأحمر ، وبنو عبد الواد ، وبنو مرين .³

ويرجع استعمال الآلة في دولة بني عبد الواد إلى تاريخ تأسيس الدولة على يد يغمراسن بن زيان.⁴ ولم تنقطع منها حتى سقوطها.⁵ و قد وضع لنا أبو حمو موسى الثاني كيف يتم توزيع الآلة في وصيته لابنه أبي تاشفين ، وكذلك أهميتها حين قال : "... فليكن أغزازك وأعلاجك بين يديك ، وركاب خيلك بإزائهم يتقدمون عليك . وكذلك النصرارى والوصفان ، يركبون خلفك مع أهل دخلتك الفرسان ، ولتقدم على كل جماعة من هؤلاء قائدا ، متحفظا ناجدا . وكذلك الأغزاز و الأعلاج ، يجرون في التقدم على هذا المنهاج . والأغزاز تنقسم إلى أربعة أقسام: وصفان ، و أعلاج ، وأتراك ، ومنضافون . تقدم على كل جماعة قائدا يقتادون به . ويكون لهم علم يمتازون بسببه . يا بني ، ويستحب للملك أن يتخذ رجالا أنجادا كفاءة أطوادا ، يكونون مشائين بين يديك إذا ركبت ، منصرفين حيثما سرت ، يكون لهم ترتيب في اللباس ، يمتازون بذلك عن سائر الناس ، يتزينون الأقبية الحسان ، المختلفات الألوان ، وبأيديهم الحراب

¹ - عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص 272 .

² - نفس المصدر ، الصفحة نفسها .

³ - اقتصر آلة بني حفص ، و بني الأحمر ، على سبع رايات تتركها بالعدد سبعة ، بينما تجاوز عددها العشرة و ربما العشرين عند المرينيين ، و بني عبد الواد ، وقد بلغت أيام أبي الحسن المريني الذي أدركه عبد الرحمن ابن خلدون مائة من الطبول ، ومائة من البنود منسوجة من الحرير وملونة بالذهب ، بين كبير وصغير . ينظر: المقدمة ، ص 272 ، 273 .

⁴ - ذكر عبد الرحمن بن خلدون أن يغمراسن بن زيان اتخذ الآلة و رتب الجنود و المصالح ، ينظر: العبر ، ج 7 ، ص 162 .

⁵ - هذا ما يمكن استنتاجه مما تعرض له صاحب البغية حول الموضوع ، و لو أنه جاءت عابرة مثل ما ذكره حول ارسال أبي حمو الثاني مددا لولده بالطبل و البند . و قوله: " و ركب المولى أبي تاشفين فقرعت طبله ... " . و قوله: " ... و في ذلك اليوم رتب جيوشه ، و قرع طبله ، و نشر بنوده ... " . ينظر: بغية الرواد ، ج 2 ، ص 193 وما بعدها .

،عليها صغار الرايات ،من أنواع الحرير المختلفات. لأنهم مما يزيدون في بهاء الملك وجماله، وضخامته وكماله ،وهم مما يتزين بهم الملوك والأمراء، والأشراف والكبراء .¹

2 - 2 - السرير (العرش)².

السرير هو كرسي العرش الذي يجلس عليه السلطان ليكون مرتفعا عن أهل مجلسه ليميز عنهم ،وهو معروف قبل الاسلام ،وأول من استعمله في الاسلام معاوية بن أبي سفيان،³ بعدما استأذن الناس فيه ،و اتبعه الناس في ذلك حتى صارت من مظاهر الأبهة .⁴

وقد استعمل سلاطين الدولة العبد الوادية الكرسي للجلوس على العرش، والذي يبدو أنه كان واسعا وثيرا منذ تأسيس دولتهم رغم ما ميزها من مسحة البداوة في هذه المرحلة،⁵ تدل على الأبهة والترف خاصة على عهد أبي حمو موسى الثاني ،فقد وصف لنا يحيى بن خلدون ذلك حين تحدث عن يغمراسن بن زيان: " و هو أول من خلط زي البداوة بأبهة الملك ،وأشعر القبيل لباس الشريعة ،فأعلى المنار ،ومهد الخلافة ،وأوثر الأريكة ... " ⁶، وحين تحدث عن أبي

¹ - أبو حمو موسى الزيري، واسطة السلوك، ص 104-105 .

² - يسميه عبد الرحمن بن خلدون بالسرير والمنبر والتخت والكرسي، وهو عبارة أعواد منصوبة أو أرائك منصدة لجلوس السلطان . ينظر: المقدمة، ص 273 . ولم يرد ذكر العرش كمكان لجلوس السلطان في جل المصادر التي أرخت للدولة العبد الوادية، خاصة التي بين أيدينا.

³ - هو معاوية بن صخر (أبو سفيان) بن حرب، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ولد سنة 20 قبل الهجرة بمكة، و كان اسلامه يوم الفتح . أول خلفاء بني أمية، تولى الخلافة بعد أن تنازل له عنها الحسن بن علي رضي الله عنهما سنة 41 هـ . ينظر: هيثم جمعة هلال، الدولة الأموية، ط1، دار العزة و الكرامة للكتاب، وهران، 2011، ص 69، 70.

⁴ - كان حكام المسلمين قبل معاوية يجلسون بين عامة الناس، فقد كان عمرو بن العاص بمصر يجلس في قصره على الأرض مع العرب، ويأتيه المقوقص ومعه سرير من ذهب ليجلس عليه، وهو أمامه. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 273.

⁵ - قال عبد الرحمن بن خلدون عن يغمراسن بن زيان: " ... وكان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد هذا الحي - يقصد بني عبد الواد - بأسا، و أعظمهم في النفوس مهابة و جلالة، اتخذ الآلة، و لبس شارة الملك والسلطان، واقعد الكرسي ... " . العبر، ج7، ص 162.

⁶ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 111.

حمو موسى الثاني: " ... فاقتعد أريكة الملك ، و امتطى سرير الخلافة ... " ، وفي قوله عن أبي حمو دائما: " ... والخليفة أيده الله صدر مجلسها ممتطيا سريره ... " ¹ .
أما ما يدل على سعة كرسي العرش فهو ما وصى به أبو حمو موسى الثاني ولده وولي عهده أبي تاشفين حين قال: " ... يا بني ولتكن في هيئة جلوسك متربعا ² ، ولتكن حسن السميت ، كثير الصمت ، ولا تكثر التحرك ولا التقلب يمينا ولا شمالا ... " ³ .

2-3 - السكة .

السكة هي الختم على الدينار و الدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ، و يضرب بها على الدينار أو الدرهم ، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة ⁴ . وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ⁵ . و تعتبر وثيقة رسمية ، من أهم مصادر التاريخ لما تكشفه لنا من حقائق تاريخية ⁶ .

وسكت النقود في جميع نواحي العالم الاسلامي شرقه وغربه ، وهي تختلف من منطقة إلى أخرى في الحجم و الوزن و الشكل ⁷ ، وكانت دار السكة من أهم مؤسسات الدولة التي كان لها تأثير هام في حياة المجتمعات الاسلامية ⁸ .

¹ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص 37.

² - التربع في الجلوس هو أن تجعل قدمك اليمنى تحت فخذك اليسرى ، و قدمك اليسرى تحت فخذك اليمنى ، مع اعتدال الظهر ، و هذه الوضعية في الجلوس لا تتم إلا إذا كان مكان الجلوس واسعا.

³ - أبو حمو موسى الزياني واسطة السلوك، ص 42.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 274.

⁵ - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 274؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 277؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 107.

⁶ - و تعتبر العملة من الوثائق الرسمية التي لا يمكن الطعن فيها بسهولة. ينظر: صالح بن قرية، المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 13.

⁷ - ضربت السكة في جميع الحواضر الاسلامية بالشام و العراق و بلاد فارس ، و بلاد المغرب و الأندلس. مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 277-278.

⁸ - صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 27؛ Dhina (A), les états de l'occident musulman au ;

13, 14, et 15^{ème} siècles ,O.P.V .Alger ,1984 ,p 205-206.

والدولة العبد الوادية كغيرها من الدول الاسلامية كانت لها عملة خاصة بها¹ ضرب

عليها اسم سلاطينها²، وشعاراتهم³. رغم أن العملة الموحدية بقيت متداولة بين الناس آنذاك.⁴

2-4- الخاتم .

الخاتم من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية،⁵ اتخذها السلاطين لختم رسائلهم والصكوك الصادرة عنهم، فيكون علامة تميز هذه الصكوك والرسائل عن غيرها.⁶ وأول من اتخذ الخاتم في الاسلام هو رسول الله صلى الله عليه وسلم⁷، وفي بلاد المغرب أعتبر الخاتم في الأصبع أحد العلامات المميزة للسلطان و الشارات الخاصة به، لذلك تفننوا في صنعه من الذهب وترصيعه بالفصوص الياقوت والفيروز، والزمرد، يلبسه السلطان

¹ - ما يدل على وجود خطة السكة في الدولة الزيرية ما ذكره يحيى بن خلدون في قوله " ... و الدينار للسلطان أبي سعيد " وذلك لما اقتسم هذا السلطان مع أخيه أبي ثابت تسيير شؤون دولة أسلافهما، بغية الرواد، ج 1، ص 151. وكذلك يعتبر فهرس (لافرا) - la voix - الذي صنف فيه النقود الاسلامية الأندلسية و المغربية، و يبلغ عدد القطع النقدية

العبد الوادية التي صنفها 32 ديناراً ذهبياً، ينظر: catalogue des monnaies ,pp 460-465.

² - ومنها عملة السلطان أبي حمو الأول التي كتب عليها: " عن أمر عبد الله موسى أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين أيده الله و نصره. " ، و عملة أبي تاشفين عبد الرحمن الأول التي كتب عليها: " عن أمر عبد الله المتوكل على الله عبد الرحمن أمير المسلمين أيده الله و نصره " ، و عملة أبي عبد الله محمد الخامس التي كتب عليها: " المتوكل على الله أمير المسلمين ابن مولانا أبي زيان محمد أيده الله " ، و عملة أبي العباس العاقل التي كتب عليها: " عن أمر عبد الله المعتصم بالله أمير المسلمين أبي العباس أحمد " . ينظر: La voix ,op.cit ,p 460-465 ؛مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 279-283 ؛بوزياني الدراجي، ص 228-236 .

³ - مثل الشعار الذي ضربه السلطان أبي زيان محمد الأول على سكتته " ما أقرب فرج الله " تيمناً بما فرج الله عليهم به بمقتل السلطان المريني أبو يعقوب يوسف، و فك الحصار عن تلمسان و الذي دام أزيد من ثمان سنين .ينظر: لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 112 .

⁴ - كانت النقود المغربية - في فترة ما بعد الموحدين - سواء العبد الوادية، أو الحفصية والنصرية، غاية في الجودة، و في منتهى الجمال، ينظر: Dhina (A),op.cit ,p 205-206 ؛صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 7.

⁵ - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 277.

⁶ - و في هذه الحالة الختم يعني علامة في آخر الصحيفة، ومنه ديوان الختم أو العلامة و هو مجموع الكتاب القائمين على انفاذ كتب السلطان والختم عليها. ينظر : المقدمة، ص 278.

⁷ - وذلك عندما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى قيصر، قيل له إن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون محتوماً، فاتخذ خاتماً من فضة و نقش فيه " محمد رسول الله " ،وقال: " لا ينقش أحد مثله " ،هكذا جاء في الصحيحين. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 277، و أيضاً: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 105.

شارة¹، مكانته كمكانة البردة والقضيب في الدولة العباسية، والمظلة في الدولة العبيدية (الفاطمية)².

يضاف إلى هذه الشارات الطراز وهو من الأبهة الملك ،عبارة عن ثياب ملوكية يختص بها السلطان دون غيره ،مطرزة باسمه أو علامات تختص به.³ والفساطيط ،وهي بيوت من الشعر أو القطن أو الكتان اتخذها السلاطين مأوى لهم في تنقلاتهم وأسفارهم ،وهي من شارات الملك وترفه ،و أجهته .⁴

هذا فضلا عن مقصورة الصلاة ،والتي هي البيت أو الحيز من المسجد الذي يشيد حوله سياج لحماية السلطان أثناء الصلاة من أي اعتداء ،وهي من شارات الملك الاسلامي ، لم تعرف عند غير دول الاسلام⁵. و الدعاء على المنابر و هو عادة وشارة سلطانية استعملت في الاسلام منذ العهود الأولى⁶، أما في الدولة العبد الوادية فكان الدعاء في بداية أمرهم للموحدين ،ثم للحفصيين ثم أصبح الدعاء على المنابر باسم سلاطين بني عبد الواد ،ثم لمن تغلب عليهم أو ساعدتهم على الاستيلاء على الحكم من بني مرين أو بني حفص.⁷

¹ - رغم أن ابن خلدون أشار إلى استعمال سلاطين المغرب الاسلامي للخاتم - المقدمة ،ص 279 - غير أنه لم يحدد الدول ولا السلاطين الذين استعملوه ،و من يقصد هل الموحدين ؟ أم المرينيين ؟ أم الحفصيين ؟ أم بني عبد الواد ؟ لكن الظاهر أن الخاتم أستعمل من طرف حكام هذه الدول ،وذلك لأنهم كانوا حريصين على الاقتداء برسول الله (ص) ،ويعتبر سبقهم من الخلفاء الراشدين ،والأمويين ،والعباسيين ،كما أنهم كانوا يتنافسون على الظهور بأحسن مظهر من مظاهر الترف ،و أبهة الملك والسلطان.

² - عبد الرحمن بن خلدون ،المقدمة ،ص 279 ؛بوزياني الدراجي ،المرجع السابق ،ص 105.

³ - كانت ثياب السلاطين المصنوعة من الحرير أو الديداج أو الإبريسم تطرز بخيط الذهب ،أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب . ينظر: المقدمة ،ص 279.

⁴ - استعملت القساطيط منذ عهد بني أمية ،كانو يصنعونها من الكتان في مختلف الأشكال ،ويختلفون فيها بأبلغ مذاهب الاحتفال و الزينة . المقدمة ،ص 281 ؛بوزياني الدراجي ،المرجع السابق ،ص 107-108.

⁵ - أول من استعمل المقصورة معاوية بن أبي سفيان بعد ما طعنه الرجل الخارجي للاحتماء من أي اعتداء آخر ،وقيل أول من استعملها مروان بن الحكم بعد ما طعنه اليماني ،ثم صارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة . المقدمة ،ص 282.

⁶ - يعتبر عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما أول من دعا للخليفة على المنبر حين دعا لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما كان واليا له على البصرة . المقدمة ،ص 282.

⁷ - محمود بوعيد ،جوانب من الحياة ،ص 24.

المبحث الثاني: ولي العهد.

ولاية العهد هي أن يعين الحاكم من يتولى أمور الرعية بعد مماته كما كان هو يتولاها ، وأول ولاية عهد في الاسلام هي عهد أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)⁽¹⁾ والعهد كتاب يكتبه الحاكم أو من يكتب له ويختمه بخاتمه ، وخواتم أهل بيته ، ويدفعه إلى ولي العهد أو من يتولى أمره فيحفظه إلى حين الحاجة إليه . وقد يحفظه - الحاكم - في مكان أمين كخزائنه الخاصة أو المسجد أو الكعبة كما فعل هارون الرشيد الذي حفظ كتاب ولاية العهد في الكعبة.⁽²⁾ ويدعى لولي العهد على المنابر بعد الدعاء للخليفة فيقال: " اللهم بلغه الأمل في ولده (ويسمونه) ولي عهده في المسلمين "⁽³⁾ وقد تكون ولاية العهد لواحد ، وقد تكون لأكثر من واحد ، كما قد تكون للولد أو الوالد أو غيرهما⁽⁴⁾.

أما ولاية العهد في الدولة العبد الوادية ، وإذا عرف أنه كان لسلاطينها ولاية عهد من أبنائهم ، فإنه تجهل الكيفية التي يتم بها العهد ، أبكتاب يكتب ويختم أم بقول شفاهي ؟ باستثناء ما ذكره يحيى بن خلدون عن عهد أبي حمو موسى الثاني لابنه أبي تاشفين حين قال: " ... و في منسلخ شعبان المكرم (سنة ست و سبعين و سبعمائة) صدر أمره المكرم (يقصد أبي حمو الثاني) باستنابة ولده المولى الأعلى أبي تاشفين أعزه الله ، و قصر النظر في الملك عليه ، و أطلق يده على السيف والقلم ، والخراج ، والحكم ، وكتب بذلك صك كريم ... " .⁽⁵⁾

⁽¹⁾ عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص 223 . وقد عالج موضوع ولاية العهد من جانب شرعي حيث قال: " ... وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على حوازه وانعقاده اذ وقع بعهد أبي بكر لعمر بمحضر من الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم طاعة عمر ... ولم ينكره أحد منهم. فدل ذلك على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته " .

⁽²⁾ كتب عهد الولاية على رقعة أخذ فيها خط العلماء و الأعيان و جعل فيها ولي عهد الأمين ثم المأمون من بعده ، ثم القاسم . و أمر بوضع الكتاب في الكعبة المشرفة ليعمل به ، و أن لا يغيره أحد . ينظر: أبو حمو موسى ، واسطة السلوك ، ص 90 ، 91 .

⁽³⁾ جورج زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، مجلد 1 ، دار الحياة ، بيروت ، 1967 ، ص 128 .

⁽⁴⁾ كما فعل هارون الرشيد مع أبناؤه (الأمين ، المأمون ، و القاسم) ، وكما فعل السلطان أبي زيان بن عثمان العبد الوادي الذي عهد إلى أخيه أبي حمو . ينظر: المقدمة ، ص 223-224 ؛ واسطة السلوك ، ص 90 ، 91 ؛ جورج زيدان ، المرجع السابق ، ص 1 ، ص 128 ؛ بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 111 .

⁽⁵⁾ بغية الرواد ، ج 2 ، ص 313-314 .

وفي مقام آخر بين لنا أن السلطان أبي حمو موسى الثاني أخذ البيعة لابنه أبي تاشفين على ولاية العهد ،حين يقول: " ... وأخذ الناس بالبيعة له ،وأبلغه من رضاه مأمنه وأمله ،فهو ولي عهده ،والخليفة - بعد طول العمر إن شاء الله - من بعده ... " (1).

وكانت ولاية العهد تعقد للابن الأكبر باستثناء أبي زيان بن عثمان الذي عهد إلى أخيه أبي حمو الأول .وحتى يغمراسن بن زيان لم يعهد لابنه عثمان بالولاية إلا بعد وفاة ابنه الأكبر يحيى الذي كان ولي عهده . (2)

أما سلطات ولي العهد فتمثلت قي مشاركة السلطان في تسيير شؤون الدولة ،جاء في البغية: " ... ففي الثاني من جمادى المذكورة (جمادى الأولى 774 هـ) دخل الحضرة العلية مولانا أبو تاشفين ... ولما خبر مولانا الخليفة - يقصد أبي حمو موسى الثاني - أيده الله خبره ،وأنس بره ،وابتلى في الحادثات صبره ،وشاهد امتثاله فنيه وأمره ،رفع في العليين قدره ،وأناز بسماء الملك بدره ... فألقى إليه مقاليد علانيته وخفائه ،ثم أشركه في السيف والفلم ،والطبل والعلم ،و العقد والحل ،والترحال والحل ،والمواكب والقصور ... " (3).

ويقول في موقع آخر: " ... فامتنع المولى أبو تاشفين أنجح الله مقاصده قبوله ذلك برورا بمولاه ،واستنكافا عن التقدم بين يديه ،أو تفويت خل أو عقد عليه ،فأحضره نصره الله بين يديه ،وعاتبه في ذلك ،وألقى إليه مقاليد الخلافة ،فغض حياء من نظره ،وأخذت الهيبة بمجامع قلبه ،فما نبس بنت شفة ،وانصرف ... وأزمع الإنتباز إلى بعض الزوايا ،أو الأفحاص إلى جانب من البادية تخلصا من ذلك ،فرفع عنه الحرج ،وأقاله مما ندبه إليه ... " (4).

(1) بغية الرواد ،ج2 ،ص ص 270-274.

(2) يقول التنسي في ذلك: " و كان جده - يقصد جد أبي حمو موسى الثاني - الأمير أبو زكريا يحيى بن يغمراسن ولي عهد أبيه و لكنه مات في حياته ... ". تاريخ بني زيان ،ص 160 ،و حول الموضوع ينظر أيضا: يحيى بن خلدون ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 13 ،14.

(3) بغية الرواد ،ج2 ،ص ص 270-274 ،و يؤكد قولنا هذا ،ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون: " ... وكان أبو تاشفين ولي عهده (يقصد أبي حمو موسى الثاني) قد رفعه على الباقيين (يقصد بقية أبنائه) و أشركه في أمره ،وأوجب له الحق على وزراء دولته ،فكان لذلك رديفه في ملكه ،و مظهر سلطانه ". العبر ،ج7 ،ص 291 .

(4) بغية الرواد ،ج2 ،ص 313 ،314 ،وهذا يدل على أن ما كلف به أبو حمو موسى الثاني ابنه أبي تاشفين الأول كانت مسؤولية وآها إياه و ليست ولاية للعهد ،لأنه رفع عنه هذه المسؤولية حين أدرك أنه راغب عنها.

إضافة إلى تولي قيادة المدن،⁽¹⁾ فقد كان أبو تاشفين عبد الرحمن ولي عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني واليا لوالده على مدينة الجزائر، ثم على مدينة وهران.⁽²⁾ كما كان الأمير أبو زكريا يحيى بن يغمراسن ولي عهد أبيه واليا له على سجلماسة مدة سبع سنوات.⁽³⁾

كما نستنتج من قول يحيى بن خلدون: " ... وبعث - يقصد أبي حمو موسى الثاني - الشيخ عثمان بن مسلم الزردالي يشد ساعد والده ... وأرسل إليه معه بالطبل والبند ... ". ومن قوله: "... وركب المولى أبي تاشفين فقرعت طبوله ... "،⁽⁴⁾ أن ولي العهد كانت توكل له مهمة قيادة الجيوش وإن لم يكن غالبا ففي بعض أحيان، كما أن الطبول في الغالب لم تكن تفرع إلا عند تحرك الجيوش . لأن قرع الطبول، والنفخ في الأبواق والقرون، يجعل النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك، فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب، ويستमित في ذلك الوجه الذي هو فيه، كما أن السر في قرع الطبول هو ارهاب العدو في الحرب، فإن الأصوات الهائلة لها تأثير في النفوس بالروعة.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ يسميها عبد الرحمن بن خلدون العمالات. العبر، ج7، ص 182 وما بعدها، بينما يسميها يحيى بن خلدون الكور بغية الرواد، ج2، ص 160 وما بعدها. والعمالة من أعمال المركز ونحوه أي ما يكون تحت حكمه ويضاف إليه، يقال: قرية فلان من مركز كذا، والكورة البقعة التي تجتمع فيها قرى و محال، وجمعها كور. ينظر: القاموس المحيط، ج 2، ص 628، و ص 804 .

⁽²⁾ بغية الرواد، ج2، ص 136؛ العبر، ج7، ص 284، و ص 293.

⁽³⁾ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 160.

⁽⁴⁾ بغية الرواد، ج2، ص 193، و ص 285.

⁽⁵⁾ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 271.

المبحث الثالث: الوظائف السلطانية.

لما كان السلطان ضعيف في نفسه ، و يحمل أمرا ثقيلا يتمثل في سياسة الرعية ، ووجب عليه الاستعانة بأبناء جنسه لتسيير شؤون دوليته ، و النظر في أمور رعيته . و لما كانت مهام السلطان لا تعدوا أربعة - كما ذكر عبد الرحمن بن خلدون - هي:

- حماية الرعية و التي تتطلب النظر في الجند و السلاح ، و الحروب و سائر أمور الحماية ، و هذه يتولاها الوزير .

- مخاطبة من بعد عنه في المكان أو في الزمان ، و تنفيذ الأوامر فيمن هو محبوب عنه ، و هذه يتولاها الكاتب.

- جباية المال و انفاقه ، و ضبطه من جميع وجوهه ، و أن يكون تحت مضيته ، و هذه يتولاها صاحب المال و الجباية .⁽¹⁾

- مدافعة الناس ذوي الحاجات عنه أن يزدحموا عليه فيشغلوه عن فهمه ، و هذه يتولاها الحاجب.⁽²⁾

لما كان الأمر كذلك و جب على السلطان الاستعانة بهؤلاء لأنهم بمثابة الحكومة التي تعين السلطان على تسيير شؤون دولته ، و النظر في أمور رعيته.⁽³⁾

و هذه الوظائف أطلق عليها عبد الرحمن بن خلدون اسم الوظائف السلطانية هي:

1 - الوزير .

يعرف عبد الرحمن بن خلدون الوزارة بأنها أم الخطط السلطانية و الرتب المملوكية ، لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة ، وهي مأخوذة إما من المؤازرة وهي المعاونة ، أو من الوزر وهو الثقل ، كأنه يحمل مع مفاعله أوزاره و أثقاله ، و راجع إلى المعاونة المطلقة .⁽⁴⁾

⁽¹⁾ يسمى صاحب هذه الوظيفة في المشرق بالوزير ، و في المغرب يطلقون عليه اسم صاحب الأشغال . ينظر: بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 114 .

⁽²⁾ المقدمة ، ص ص 248-250 .

⁽³⁾ بوزياني الدراجي المرجع السابق ، ص 114 .

⁽⁴⁾ المقدمة ، ص 249-250 ، و ما يدل سمو هذه الخطة قول أبي حمو موسى الثاني و ينصح لولده و ولي عهده: " ... لأن الملك يسوس من دونه من رعيته ، و إن الوزير يسوس من فوقه وهو الملك ، و من دونه وهم الرعية . ينظر: واسطة السلوك ، ص 61 .

وأول وزير بمفهومه الإصطلاحي،⁽¹⁾ في الدولة الإسلامية هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال⁽²⁾ الذي استوزره الخليفة العباسي، أبو العباس السفاح.⁽³⁾ و أول وزير عرفه المغرب الإسلامي ظهر في دولة الأدارسة على عهد اديس الأصغر⁽⁴⁾، وهو عمير بن مصعب الأزدي.⁽⁵⁾ وفي الدولة العبد الوادية كان الوزير صاحب أسمى مرتبة في جهاز الحكم بعد السلطان، هذا في حالة ما إذا لم تعطى لولي العهد مهمات و سلطات واسعة في الدولة.⁽⁶⁾

1 - 1 مهام الوزير في دولة بني عبد الواد .

كانت الوزير في الدولة العبد الوادية - ما لم يقدم عليه ولي العهد - بمثابة نائب للسلطان في شؤون الحكم والحرب، مكلف بتسيير ادارة الدولة، ومراقبة السلطان عند خروجه للحرب⁽⁷⁾، وذلك منذ تأسيس الدولة إلى نهاية عهد أبي السعيد عثمان الثاني.⁽⁸⁾

(1) الوزير لغة من حمل الوزر و هو الثقل أي المعونة و المشورة، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: " و اجعل لي وزيراً من أهلي ﴿29﴾ هارون أخي ﴿30﴾ اشدد به أزري ﴿31﴾ و أشركه في أمري ﴿32﴾ " سورة طه. والوزير اصطلاحاً هو المعين على الأمور والشريك في التدبير، والظهير على السياسة، والمفرع عند النازلة. ينظر: ابن مرزوق، المسند، ص 359-360.

(2) جورج زيدان، المرجع السابق، ج 1، ص 152، وكان أبو سلمة الخلال ممن أعانوا أبو العباس السفاح في دعوته. ينظر: واسطة السلوك، ص 89. وكانت مهام الوزير على هذا العهد تتمثل في الإشراف على الشؤون المالية من حسابات، ودخل وخراج ونفقات. ينظر: أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 34، 35.

(3) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أول خلفاء بني العباس. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 408.

(4) هو ادريس بن ادريس (الأكبر)، بن عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط، بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما. مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 93-100.

(5) ابن أبي الزرع، روض القرطاس، ص 12، ويسميه عبد الرحمن بن خلدون (مصعب بن عيسى الأزدي المسمى بالملحوم)، العبر، ج 4، ص 26.

(6) هذا ما نستبينه من قول عبد الرحمن بن خلدون: "... و كان أبو تاشفين ولي عهده (يقصد أبي حمو موسى الثاني) قد رفعه على الباقيين (يقصد بقية أبنائه) و أشركه في أمره، و أوجب له الحق على وزراء دولته، فكان لذلك رديفه في ملكه، ومظهر سلطانه ". العبر، ج 7، ص 291.

(7) يدعم هذا الرأي مقتل وزير السلطان يغمراسن بن زيان عمروش بن مكن حول أسوار مدينة وهران بحجر منجنيق عام 336 هـ / 1238 م. ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 1، ص 111.

(8) بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 115.

أما في عهد أبي حمو موسى الثاني فأوكلت للوزير مهمة قيادة الجيش.⁽¹⁾ إضافة إلى مهمات يومية أخرى حددها السلطان أبي حمو في قوله: " ... و أول من يدخل عليك كاتبك و وزيرك ، إذ بهما صلاحك و تدبيرك . و ذلك أهم ما تبتدئ به من أمرك ، لتلقي إلى الكاتب ما أردت من شرك . و يعرض عليك الكتب الواردة من أقطارك و أمصارك ، و ذلك بمحضر وزيرك المخصوص برأيك و تدبيرك ، ليجمع معك على الرأي و التدبير ، و الجليل من أخبارك و الحقيق ، فإن الوزير إذا كان على ما وصفناه ، بالصفة التي ذكرناه ، فلا ينبغي أن تخفي عنه شيء من أمرك ، بل تشاركه في حلولك و مرك ، و قللك و كثرك . "⁽²⁾

1 - 2 - شروط اختيار الوزراء .

حسب ما جاء عن وزراء الدولة العبد الوادية في العبر و بغية الرواد ، فإن أول ما نخلص إليه في هذا المجال هو أن تعيين الوزراء في بداية أمر الدولة كان يتم على أساس القربى إذ نجد وزراء يغمراسن بن زيان من آل مكن و هم من عمومة بني عبد الواد،⁽³⁾ و نجد أن خلفه أبو السعيد عثمان سار على هذا النهج حيث عين غانم بن محمد الراشدي من قبيلة بني راشد من أقرباء بني عبد الواد و عصبيتهم عند تأسيس دولتهم ، و هو الوزير الذي أبقاه السلطان أبي زيان محمد في منصبه ، ثم عين يحيى بن موسى الجمي ، و هو من بني حمي و هم من بني القاسم بن عبد الواد.⁽⁴⁾ لكن الوضع تغير مع تولي أبو حمو موسى الأول عرش بني عبد الواد ، حيث أصبح اختيار الوزراء يتم على أساس الكفاءة ، و قد طبق أبو حمو الأول هذا المبدأ عمليا حين عين وزراءه من آل الملاح المعروفين بالكفاءة الإدارية و المالية ، التجربة و الخبرة في المجال الاقتصادي ، إضافة إلى تحليهم بالأمانة و الصدق و السيرة الحسنة .⁽⁵⁾

⁽¹⁾ و يدل على هذا قول أبو حمو موسى الثاني لولده وهو ينصحه: " ... وأما كونه شجاعا عند نزول المهمات - ويقصد الوزير - ، فلأنه يجزي عنك في الحركات ، ولا يلجئك في الحروب إلى الملاقاة إلا في الأمور العظيمة ، والخطوب الجسيمة ، التي لا بد فيها من حضور السلطان بجميع الأبطال و الشجعان " . واسطة السلوك ، ص 61 .

⁽²⁾ نفس المصدر ، ص 106 .

⁽³⁾ يحيى بن خلدون ، ج 1 ، ص 111 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، ج 7 ، ص 182 .

⁽⁴⁾ يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج 1 ، ص 118 و ص 122 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 311 .

⁽⁵⁾ قدمت عائلة عائلة الملاح من قرطبة بالأندلس ، حيث كانوا يعملون في السكة قدموا إلى تلمسان مع جالية قرطبة ، عينوا في المناصب المالية لبعض السجاي التي يتحلون بها ، كما كانت لهم يد في الفلاحة . ينظر: العبر ، ج 7 ، ص 217 .

و مع تولي أبي تاشفين الأول عرش بني عبد الواد اختل الوضع - ربما للظروف غير العادية التي تولى فيها السلطة - (1)، فقد تولى منصب الوزارة أناس لم يكن في الحسبان ارتقائهم لهذا المنصب بعدما أصبح وزيره هلال القطلاني الذي كان عبدا رقيقا في ديوان والده. (2) كما استوزر داوود بن علي بن مكن، (3) و بعد تولي السلطان أبي السعيد عثمان عاد للتقليد الذي كان متبعاً على عهد جده يغمراسن بن زيان، أي اعتماد القرابة في تعيين الوزير، بعدما عين يحيى بن داوود بن علي بن مكن. (4)

وبعد إعادة إحياء أبي حمو موسى الثاني لدولة أسلافه، واعتلاء عرشها، تغيرت نظمها كلية، وأصبح تولي أي وظيفة في الدولة يخضع لشروط محددة أوردتها على شكل نصائح لأبنيه وولي عهده أبو تاشفين عبد الرحمن، وجمعها في كتاب سماه "واسطة السلوك في سياسة الملوك" (5)

و من بينها شروط تعيين الوزراء و التي حصرها في ثمانية خصال هي: (6)

- أن يكون من خيار قومه، وكبير قومه.

- أن يكون وافر العقل، واضح الفضل، محافظاً على السر.

(1) نال الحكم بعد أن قتل والده أبو حمو موسى الثاني بدعم من المرينيين .

(2) هلال القطلاني من سبي النصارى أهدها السلطان ابن الأحمر إلى عثمان بن يغمراسن، الذي أهدها بدوره إلى ابنه أبي حمو الذي خص به ولده أبا تاشفين . وهلال هذا هو الذي زين لأبي تاشفين قتل والده و الاستيلاء على الحكم من بعده ، و قد كان له نفوذ كبير في العرش الزياني لدرجة أنه عين مكانه في المنصب الوزير كاتبه محمد بن حونتة أو حواتة حين نوى الذهاب للحج . ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 235-236 .

(3) داوود بن علي بن مكن كبير مشايخ بني عبد الواد، و صاحب الشورى فيهم آنذ، و هو من أحفاد يحيى بن مكن وزير يغمراسن في بداية العهد . ذكره عبد الرحمن بن خلدون، و لم يذكره أحوه يحيى صاحب البغية . ينظر: العبر، ج7، ص 226.

(4) يحيى بن داوود بن علي بن مكن من عائلة مكن السابقة الذكر، والده داوود بن علي وزير السلطان أبي تاشفين كما سبق، و هو من أقارب السلطان . ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 253، 254؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 150 .

(5) يقول التنسي في ذلك: " صنف رضي الله عنه - يقصد أبي حمو الثاني - كتابا أدبيا مملوكيا لولده أبي تاشفين ولي عهده سماه " نظم السلوك في سياسة الملوك " . أتى فيه بالعجب العجاب و ضمنه من رائق نظمه ما أزرى بالسحر الحلال. " ينظر: تاريخ بني زيان، ص 161 . و قد طبع هذا الكتاب سنة 1862-1863م بتونس في 175 صفحة من الحجم المتوسط، و ترجم إلى الاسبانية سنة 1899م، ثم نشر مرة أخرى سنة 1982 بتونس من طرف الأستاذين عبد الرحمن عون ومحمد الزاهي اللذان قدما له وعلقا عليه، وهي النسخة التي بين أيدينا.

(6) - عن هذه الشروط والأوصاف، و لماذا يجب أن تتوفر في الوزير ينظر: واسطة السلوك، ص 60، 61.

- أن يكون حاضر الذهن ،سريع الفهم ،فطن .
 - أن يكون محبا لسلطانه ،ناصحا في خدمته .
 - أن يكون راجح العقل و الرأي .
 - أن يكون شجاعا عند نزول المهمات .
 - أن يكون كثير المال و الثروة ،بعيدا عن الطمع و الرشوة .
 - أن يكون حسن السيرة ،فصيح اللسان .
- أما وزراء أبي حمو موسى الثاني فأربعة¹ وهم:

- 1- أبو عمران موسى بن علي بن برغوث أول وزرائه أسر في حملة لبني مريم على مدينة وهران ،واقعيد إلى المغرب الأقصى ،أرسله بنو مريم مع أبي زيان ابن عم أبي حمو لإشعال نار الفتنة والحرب في ربوع الدولة الزيانية .لكنه ندم وطلب الصفح من أبي حمو الذي صفح عنه و أعاده إلى منصبه ،ثم نفاه إلى الأندلس بعد أن خانته مرة أخرى بعد سقوط تلمسان في يد بني مريم.²
- 2- أبو محمد عبد الله بن مسلم الزردالي كان شجاعا ،شديد البأس والاقدام اسند له أبو حمو الوزارة ،و منحه نفوذا واسعا في دولته .³
- 3- أبو موسى عمران بن موسى بن فارس (عند يحيى بن خلدون ،و ابن يوسف عند أخيه عبد الرحمن) بن حريز اللؤلئي كان من قادة جيش أبي حمو الثاني ثم أسند له الوزارة سنة 765 هـ / 1363 م ،ثم نفاه إلى الأندلس بعد أن سنخط عليه .⁴
- 4- وادفل وعند يحيى بن خلدون واتفل⁵ بن عبو بن حماد كان واليا لأبي حمو موسى الثاني على مدينة المدية قبل أن يستوزره .

¹ - جميع هؤلاء الوزراء تولوا قيادة جيوش أبي حمو موسى الثاني ،حتى بدا و كأنهم لا يتقنون غير مهمة الحرب ،و ذلك راجع - ربما - لكثرة الحروب والفتن التي تميزت بها ولاية السلطان أبي حمو موسى الثاني. ينظر: بوزيان الدراجي ،المرجع السابق ،ص 121 .

² - للمزيد عن هذا الوزير ينظر: العبر ،ج 7 ،ص 272 ؛بغية الرواد ،ج 2 ،ص 184 و ما بعدها.

³ - ينتمي هذا الوزير إلى قبيلة بني زردال اخوة بني عبد الواد .عنه ينظر: العبر ،ج 7 ،ص 258-260.

⁴ - العبر ،ج 7 ،ص 272 ؛بغية ،ج 2 ،ص 147.

⁵ - بغية الرواد ،ج 2 ،ص 161 ؛العبر ،ج 7 ،ص 272.

2- الحاجب.

الحجابه وظيفة سلطانية مهمتها حجب السلطان عن الناس أن يزدحموا عليه ، فيشغلوه عن النظر في مهماتهم أو يدفع النظر في الملك كله ويعول على كفايته في ذلك واضطلاعه.¹ كانت الحجابه في الدولتين الأموية والعباسية من مهام الوزير يتصرف فيها بما يراه ، وكذلك كانت عند الفاطميين ، بينما كانت في دولة بني أمية رفيعة الشأن ، فصاحبها يحجب السلطان عن العامة والخاصة ، فهو واسطة بين السلطان و وزرائه². أما ببلاد المغرب الإسلامي فلم تظهر رتبة الحاجب إلا بعد زوال الدولة الموحدية ، حيث أطلقت تسمية الحاجب على صاحب الأشغال في دولة بني حفص.³ أما دولة بني مرين فلا أثر لاسم الحاجب عندهم ، وإنما من يحجب السلطان عن العامة فيسمى بالمزوار.⁴

أما في دولة بني عبد الواد فقد أعطيت للحاجب مكانة هامة خاصة في مرحلتها الأولى ، و يتضح ذلك من خلال الشخصيات التي أسندت لها هذه الوظيفة ، والتي هي شخصيات ذات مكانة علمية وفقهية تستحق التقدير والإعجاب.⁵

وقد كانت للحاجب أهمية تفوق مرتبة الوزير - خاصة في عهد يغمراسن بن زيان - فقد كان الحاجب مقربا للسلطان ناصحا له ، كما أن السلطان يغمراسن بن زيان أرسل حاجبه الفقيه عبدون بن محمد الحباك⁶ ليفاوض السلطان السعيد الموحدى حين زحفه على تلمسان.

¹ - عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص 249.

² - عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص 253 ، 254 ، والذي يذكر أن رتبة الحاجب كانت لها مكانة رفيعة في دولة الأمويين بالأندلس لدرجة أن من استبد بالحكم منهم تلقب بالحاجب لشرفها ، و لما جاء ملوك الطوائف من بعدهم لم يتركوا لقبها ، و كانوا يعدونه شرفا لهم.

³ - نفس المصدر ، ص 254 ، و الذي لقبه عبد الرحمن بن خلدون بالقهرمان الذي أستحدث بعد اتساع رقعة هذه الدولة و زيادة عدد المرتزقة بها ، و ارتقت رتبة الخلافة عندهم حتى أصبح الحاجب واسطة بين الناس و أصحاب المراتب كلها ، وأصبحت أرفع شأنا بعدما أضيفت للحاجب خطة السيف و الحرب ، و الرأي و المشورة ، و ظلت على ذلك الحال حتى عهد السلطان أبي العباس الذي ألغى هذه الخطة و باشر أموره بنفسه.

⁴ - هكذا عند عبد الرحمن بن خلدون في المقدمة ، ص 255 ، بينما يذكر ابن الأحمر قي روضة السنين ، ص 13 وما بعدها أن عددا من سلاطين بني مرين اتخذوا حجبا لهم.

⁵ - بوزياني الدراحي ، المرجع السابق ، ص 131.

⁶ - " هو الفقيه القاضي الرئيس أبو محمد عبدون بن محمد الحباك خطيب و حاجب لأمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن ، وخطبه ملوك الموحدين بذلك ، و كان ذا رأي سديد و سياسة ، و له في البلد خلف من نمط التجار أختيار " يحيى بن خلدون ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 62 ، من خلال هذا التعريف يبدو أن هذا الفقيه قد ولي القضاء ، لكن صاحب البغية

وتمثلت مهام الحاجب في الدولة العبد الوادية قي التصدي لجميع المشاكل والهموم التي تعترض السلطان كالاتصال بالرعية ،ومقابلة الناس ،وتقديم الذين يستحقون مقابلة السلطان ،كما كانت تسند للحاجب أحيانا مهمة السفارات والمفاوضات مع حكام الدول الأخرى، كما قد يلجأ السلطان إلى الحاجب في حل بعض المشكلات الفقهية وغيرها ،خاصة وأن يغمراسن بن زيان وبنيه قد أسندوا خطة الحجابة إلى بعض العلماء والفقهاء.¹ أما عبد الرحمن بن خلدون فيحصر مهمة الحاجب في هذه الدولة بالخدام الخاص للسلطان في داره ،وقد يضيفون له الحسابات و السجلات كما كان في بني حفص .²

أما في عهد أبي حمو موسى الثاني فقد تغير لقب الحاجب إلى لقب المزوار³ ،و يتضح هذا من قول هذا السلطان: " ... اعلم يا بني أنه ينبغي أن يكون أول داخل عليك مزوارك

= لم يحدد لنا هنا مكان توليته هذا المنصب و لا زمانه. و يذكر جورج مارسى (G) Marçais أنه قد يكون من أصل أندلسي لأن اسمه ينتهي بالواو والنون على عادة أهل الأندلس. ينظر: Le Makzen des Benis Abd-El-Wad ,Rois de Tlemcen ,Bulletin trimestriel de la société de géographie et d'Archéologie d'Oran ,T61 (Mars – Juin 1940) ,63^{ème} Année ,p 76.

¹ - و منهم: أبو عبد الله محمد بن عامر الوهاصي من قبيلة ولهاصة التي تستقر على الساحل شمال غرب تلمسان الذي تولى حجابة السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن ،و كان من مقريه ،و الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعود حاجب السلطان أبي زيان محمد ،و الذي كان صاحب أشغال السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن ،و هي الوظيفة التي أعاده إليها أبو حمو موسى الأول ،الذي كان حجابه من آل الملاح و هم: محمد بن ميمون بن الملاح ،و ابنه محمد الأشقر ،و ابن هذا الأخير ابراهيم ،ثم علي بن عبد الله بن محمد بن ميمون بن الملاح .ينظر: يحيى بن خلدون ،المصدر السابق ،ج1 ،ص 118 ، 76؛ Marçais (G) Le Makzen des Benis Abd-El-Wad , p 76؛ المرجع السابق ،ص 136.

² - المقدمة ،ص 255 ،وهذا يتنافى مع ما جاء عند أخيه يحيى في بغية الرواد ،ج2 ،ص 111 عن المهام التي كان يتولاها حاجب يغمراسن بن زيان عبدون بن محمد الحياك .لذلك - قلنا - هذا ما جعل عبد الرحمن بن خلدون يعتقد أن عبدون هذا كان وزيراً ليغمراسن بن زيان ،وما يؤكد هذا الطرح هو أن أغلب من تولى الحجابة في صدر دولة بني عبد الواد كانوا وزراء لسلاطينه ،وهم من ذكرنا بالإضافة إلى وزراء السلطان أبي تاشفين الأول وهم: هلال القطلاني ،وموسى بن علي الكردي ،و داوود بن علي بن مكن . ينظر أيضا: بوزياني الدراجي ،المرجع السابق ،ص 136 ، 137.

³ - يذكر الأستاذ عطاء الله دهينة أن هذه التسمية - المزوار - قد انفردت بها دول المغرب و الأندلس و ربما ظهرت لأول مرة في عهد الخليفة المرحدي عبد المؤمن بن علي ،حيث كان صاحبها بمثابة صاحب الحسبة في قبيلته . ينظر:

الموصوف ،وعونك المعروف ،ليعرفك من ببابك ...¹ ،أما مهامه فتمثلت في التصرف في شؤون السلطان وقصره ،وتنفيذ العقوبات ،والحفاظ على أمن السلطان وأمن قصره .² أما شروط تولية الحاجب فهي الخبرة والكفاءة في الشؤون المالية والإدارية ،والعلم والتفقه في الدين،³ ويضيف إليها أبو حمو موسى الثاني الحزم والشدة ،والكفاية والنجدة وامثال الأوامر واليقظة ،وحسن التصرف والتدبير ،ومحبة السلطان .⁴

3 - صاحب الأشغال .⁵

تعتبر هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك ،يعرفها عبد الرحمن بن خلدون بأنها: " القيام على أعمال الجبايات ،وحفظ حقوق الدولة في الدخل و الخرج ... وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك بل هي ثلاثة أركانه ،لأن الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه ،فاحتاج صاحب الملك إلى الأعوان في أمر السيف وأمر القلم وأمر المال ،فينفرد صاحبها بجزء من رئاسة الملك ... " .⁶

وأول من وضع ديوان الأشغال والجبايات - وكان يسمى ديوان الخراج والجبايات - في الاسلام، عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسبب مال كثير جاء به أبو هريرة رضي الله عنه ،فتعبوا في قسمته ،فسعوا إلى إحصاء الأموال وضبط العطاء والحقوق ،فأشار خالد بن الوليد رضي الله عنه بالديوان ،وقال: " رأيت ملوك الشام يدونون " ،فقبل منه عمر . وقيل بل أشار عليه الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان ،فقبل له: " ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم ؟

¹ - وما يدعم هذه الفكرة قول أبي حمو الثاني: " اعلم يا بني أنه ينبغي لك أن تتدبر في وزرائك و جلسائك و كتابك وفقهائك و قضائك و أعوانك و عمالك و أجنادك ... " فهو هنا اشار إلى جميع الوظائف و لم يذكر وظيفة الحاجب ،وذكر المزوار بالأعوان (مزوارك الموصوف ،و عونك المعروف) . ينظر: واسطة السلوك ،ص 60 و ص 106 .

² - جاء في واسطة السلوك (ص 87) : " يا بني ،و أما أعوانك فلتتخير لنفسك عوناً تجعله مقدماً على أعوانك - ولعله يقصد بالتقدم هنا أنه يكون في الدخول عليه - ،و متصرفاً في أمور سلطانتك ،يصرف شرطه بين يديه ... مبادراً لامتنال الأوامر ... و يكون ذلك من حسن تصرفه في قضاء إربك ،و يجب عليه أن يكون مرتقياً لبابك ،شديد المحبة في جنابك . " ³ - حيث نجد أغلب حجاب الدولة العبد الوادية كانوا فقهاء مشهود لهم بالخبرة والكفاءة في الشؤون المالية والادارية . ينظر: الهامش 1 من الصفحة السابقة .

⁴ - واسطة السلوك ،ص 87 .

⁵ - يطلق على صاحبها أيضا صاحب الأعمال ،ويطلق عليه عبد الرحمن بن خلدون لقب القهرمان . ينظر: المقدمة ،ص ص 259-256 .

⁶ - المصدر السابق ،ص 256 و ص 258 .

فإن تخلف أخل بمكانه، وإنما يضبط ذلك الكتاب، فأثبت لهم ديوانا . وسأل عمر عن اسم الديوان فعبر له .¹

وتتمثل مهام صاحب الأشغال قي الاشراف على أمر الجبايات والإنفاق وهو رئيس الجبايات والأعطيات، كما يسهر على تسجيل حسابات الدولة من مداخيل ومصاريف في السجلات المالية، و المحافظة عليها.²

أما مهامه - أي صاحب الأشغال - في دولة بني عبد الواد فكانت تتمثل في حفظ أموال الجبايات، وتسجيل مداخيل الدولة ومصاريفها، ومحاسبة العمال، وتدبر مصاريف القصر، وتسجيل ممتلكات السلطان .³ ويضيف عبد الباسط ابن خليل مهمة أخرى لصاحب الأشغال في دولة بني عبد الواد حين يصفه بمدبر مملكة تلمسان .⁴

أما شروط تولية صاحب الأشغال فهي الخبرة والتخصص في مجال الحساب، والدراية به، وحسن السيرة، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، هذا فضلا عن الكفاية والعلم والتفقه في الدين، ويدل على هذا اعتماد سلاطين بني عبد الواد منذ قيام دولتهم على عهد يغمراسن بن زيان سنة 633 هـ / 1236 م إلى نهاية عهد أبي تاشفين الأول سنة 737 هـ / 1337 م تداول على منصب صاحب الأشغال نفس الأشخاص وهم: عبد الرحمن بن محمد بن الملاح، وأبو المكارم منديل بن محمد بن المعلم، وأبو عبد الله محمد بن سعود .⁵

¹ - المقدمة، ص 257 .

² - بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 164 .

³ - وهي المهام التي حددها السلطان أبي حمو موسى الثاني في كتاب واسطة السلوك، ص 107، حين قال: " ... وبعد دخول وزيرك و كاتبك، وقضائك ما أردته من مآربك، يدخل صاحب أشغالك، الموكل بحفظ جبايات أموالك . يعرفك بما تحمل و تصير من مالك، و بحاسبات عمالك، و بجميع أشغالك المختصة بدارك، في إيرادك و إصدارك، مثل أصناف الحلي و أنواع الثياب، و غير ذلك من الأثاث و الأسباب . و ليتلقى أيضا ما تأمره به، جاريا على غرضك في تقبله، مما يستأنف قي يومه من الأشغال، و ما يليق به من الأمال ... " كما يتضح لنا من خلال هذا النص أن صاحب الأشغال في دولة بني عبد الواد كان المسؤول المباشر على عمال الجهات في الجبايات والعطايا، و أنه كان مرؤوسا مباشرة من السلطان.

⁴ - وكان عبد الباسط بن خليل هذا قد زار تلمسان في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري . ينظر: محمود بوعباد، جوانب من الحياة، ص 28.

⁵ - فقد تولى عبد الرحمن بن محمد بن الملاح منصب صاحب الأشغال للسلطان يغمراسن بن زيان و هو المعروف وعائلته آل الملاح بالأمانة و الأخلاق الحسنة، و الخبرة و الدراية، بينما تولى هذا المنصب على عهد السلطان أبي السعيد عثمان الفقيهان العالمان أبو المكارم منديل بن محمد بن المعلم، و أبو عبد الله محمد بن سعود، و هما من أسند إليهما السلطان أبي

ويذكر عبد الرحمن بن خلدون أن شيخه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي¹ شغل منصب قهرمان - أي صاحب الأشغال - في الدولة الزيانية، وذلك حين ذكر رسالة يغمراسن - السابقة الذكر - لولده وولي عهده أبي سعيد عثمان².

=زيان محمد أشغاله، كما أبقاهما السلطان أبي حمو موسى الأول في نقس المنصب، ونقس ما قام به السلطان أبي تاشفين الأول. و مكان سلاطين بني عبد الواد ليقوا على هؤلاء لولا حرقهم و علمهم و أمانتهم و اخلاصهم و كفايتهم، خاصة و أهم ليسوا من قرابة بني عبد الواد.

¹ - هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني المعروف بالآبلي نسبة إلى آبله من جوف الأندلس ولد سنة 681 هـ و توفي سنة 757 بفاس. أعلم أهل زمانه بفنون المعقول، حتى أصبح يعرق بعالم الدنيا، و نعت " بأعلم خلق الله في فنون المعقول "، أخذ عن أبي الحسن التنسي و أبي موسى ابن الامام، و عن ابن البناء المراكشي، وعن شيخ التعليم خلوف المغيلي اليهودي . استخدمه يوسف بن يعقوب المريني فكره ذلك و فر إلى المشرق أين أخذ عن ابن دقيق العيد و ابن الرفعة = و الصفي الهندي و التريزي، و غيرهم من فرسان المعقول، من تلامذته الشريف التلمساني، وابن الصباغ المكناسي، والسلطان أبي عنان فارس، و عبد الرحمن و أخيه يحيى ابن خلدون، و المقرئ، وابن الخطيب، وابن مرزوق الجد، و غيرهم . للمزيد حول هذه الشخصية ينظر: أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الدياج، ط1، كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989، ص 411، و أيضا لنفس المؤلف: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدياج، تحقيق علي عمر، ج2، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ص ص 53-57؛ العبر، ج7، ص ص 465-467؛ التعريف بابن خلدون، ص 33؛ بغية الرواد، ج1، ص 120؛ البستان، ص 214؛ الاحاطة، ج2، ص 202؛ فتح الطيب، ج5، ص 244؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 169؛ محمد بن عمرو الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1973، ص 113.

² - عينه السلطان أبي السعيد عثمان على خطة الأشغال - قهرمانا - فكره ذلك، الأمر الذي دفعه إلى الارتحال نحو المشرق أواخر المائة السابعة، هكذا عند مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 167، أيضا عند: لخضر عبدلي، الحياة الثقافية للمغرب الأوسط، في عهد بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2004-2005، ص 290 . بينما يذكر صاحب كفاية المحتاج أنه فر إلى المشرق بعد أنه كره استخدام السلطان المريني يوسف بن يعقوب اياه . و بعملية حسابية بسيطة، إذا كان الآبلي قد ولد سنة تولي السلطان أبي سعيد عثمان سنة 681 هـ، و حصار يوسف بن يعقوب الطويل لتلمسان بدأ سنة 698 هـ، أي أن الآبلي كان عمره لا يتجاوز السبعة عشر سنة، وهي سن لا تسمح توليته خطة هامة كخطة الأشغال، و إذا أخذنا بقول الأستاذ مبخوت بودواية، نفس المرجع و الصفحة، و أيضا: الأستاذة هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 120، واللذان ذكرا أن الآبلي عاد إلى تلمسان واستقر بها بعض الوقت، ولما علم السلطان أبي حمو موسى الأول بذلك وبتقدمه في الحساب عرض عليه ضبط جباية أمواله، و ولاه قيادة بني راشد، و إذا علمنا أن ولاية أبو حمو الأول كانت سنة 707 هـ، أي بعد أن انفك الحصار بسنة واحدة، وهو سبب وجيه لعودة الآبلي إلى بلاده، كما أن فترة الحصار 698 هـ / 706 هـ كافية لأخذ العلم بالمشرق، على اعتبار أن الآبلي غادر تلمسان نحو المشرق و سنه بين الثامنة عشر و العشرون سنة (أي بن 699 هـ و 701 هـ)، وهي السن التي قد تسمح له بتولي الوظائف الإدارية . لذلك - و في نظرنا - فإن الآبلي استخدم من طرف يوسف بن يعقوب وليس من طرف السلطان أبي السعيد عثمان، لكن كانت توليته في تلمسان، و لعل هذا ما جعل المؤرخين يعتقدون أنه عمل قهرمانا في البلاط الزياني . وعليه نأخذ برواية كفاية المحتاج التي تقول أن أستخدم من طرف يوسف بن يعقوب المريني.

ويجمل أبو حمو موسى الثاني الشروط التي يجب أن تتوفر في من يتولى منصب صاحب الأشغال في قوله: " يا بني ، و أما صاحب أشغالك ، و ضابط أعمالك ، فلتتخير من وجوه بلدك الأختيار ، و كفاة الحساب و النظر ، و يكون ذا ثقة و أمانة ، و عفة و صيانة ، و صلاح و ديانة ، و حزم و كفاية ، و ضبط و دراية ، عدلا في أحواله ، صادقاً في أقواله ، عارفاً بأنواع الخوارج و الجبايات ، ضابطاً للزمام و الحسابات ، و يكون ذا مال و يسار ، و أثاث و عقار . فإذا كان على ما وصفناه من أفعاله ، كان محافظاً على بيته و ديانته و ماله ، و يكون محباً في سلطانه ، آخذاً بالنصح في جميع شأنك ، لأن مالك و مجاييك تحت نظره ، و على يده التصرف فيها في ورده و صدره " .¹

وتولى منصب صاحب الأشغال على عهد أبي حمو موسى الثاني:

- العلامة الفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد القيسي الشهير بالمشوش ، قال عنه يحيى بن خلدون: " أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد من علية الفقهاء ، أهل الدين والورع ، اختاره مولانا أمير المسلمين أيده الله ، لكتب العلامة ، و الاحاطة به ، ثم للشهادة على صندوق المال ، توسماً فيه للثقة و الدين ، بارك الله فيه " .²

- العلامة الفقيه أبا عبد الله محمد بن علي العصامي .

- محمد بن قضيب الرصاص ، الذي أسر من قبل قراصنة البحر المسيحيين ، وافتداه أبي حمو بالمال .³

- أبو زكريا يحيى بن محمد عبد الحليم .⁴

من خلال النص السابق حول العلامة الفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد القيسي الشهير بالمشوش يبدو أن تغييراً ما طرأ على مهام صاحب الأشغال على عهد أبي حمو موسى الثاني عيّن أضيفت له خطة **العلامة** ، و هي من المراتب السامية التي لا تسند إلا لأهل الثقة ، حيث يتولاها أقرب الناس للسلطان .⁵

¹ - واسطة السلوك ، ص 85 .

² - بغية الرواد ، ج 2 ، ص 59 .

³ - نفس المصدر ، ج 2 ، ص 193 .

⁴ - نفسه ، ج 1 ، ص 31 .

⁵ - بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 168 . و يقول عبد الرحمن بن خلدون عن العلامة: " وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقاً ، و يكتب في آخرها اسمه ، و يختم عليها بخاتم السلطان ، و هو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو شارته ، يغمس في طين أحمر مذاب بالماء ، و يسمى طين الختم ، و يطبع به على طرفي السجل عند طيه و إصافه ، ثم صارت السجلات تصدر باسم السلطان ، و يضع الكاتب فيه علامته أولاً أو آخراً حسب الاختيار في محلها و في لفظها . ثم تنزل

والعلامة رمز بواسطة عبارة يتخذها السلطان لإضفاء طابع الرسمية على مكاتباته منعاً للتزوير والتلفيق . وتوضع على الكتاب علامة أو علامتين تسمى الأولى بالعلامة الكبرى وتوضع في أول الكتاب ، والثانية تسمى الصغرى وتوضع آخر الكتاب .¹

وكانت علامة بني عبد الواد - حسب ما ذكر عطاء الله دهينة - عبارتين الأولى هي " صح في التاريخ " والثانية " وكتب في التاريخ " . بينما ذكر بارجيس (Barges) أن علامة بني عبد الواد كانت عبارة " الحمد لله و الشكر لله " .²

4 - الكاتب .

الكتابة لغة من كتب ، وكتبه بمعنى خطه ، والكتاب اسم لما كتب مجموعاً لأنه يجمع الحروف ، ومنه الكتيبة لأنها تجمع الجيش .³

والكتابة وسيلة لنقل وتبادل الأفكار والمعارف بين البشر ، والاهتداء إليها خلال العهد السومري كان من أبرز اكتشافات العالم القديم ، لذلك قدستها الشعوب القديمة وأضفت عليها صفة الألوهية ،⁴ وابتراع الكتابة دخل الإنسان مرحلة التاريخ ، فكانت بذلك الحد الفاصل بين

=هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدولة أو استبداد وزير عليه ، فتصير علامة هذا الكتاب ملغاة الحكم بعلامة الرئيس عليه ، يستدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة ، و الحكم لعلامة ذلك الرئيس ، كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة ، و صار أمرها إلى التفويض ثم الاستبداد نصار حكم العلامة للكاتب ملغى و صورتها ثابتة . ينظر: المقدمة ، ص 259 ، 260 .

¹ - كانت علامة بني حفص الكبرى " الحمد لله و الشكر لله " ، تكتب في أول الخطاب (الكتاب) بحروف كبيرة بين البسمة و التصلية ، و هي علامة معدلة عن علامة الخلفاء الموحدين و هي " الحمد لله وحده " ، أما العلامة الصغرى و التي تكتب آخر الخطاب فكانت " توكلت على الله و هو حسبي " ، و قد بدأ الحفصيون في استعمالها منذ عهد السلطان أبي العباس (772 هـ / 1370 م) . أما علامة بني مرين فقد أورد عنها عطاء الله دهينة عبارة تقول " وكتب في التاريخ " . ينظر : Les Etats de l'Occident Musulman , p 364 , et Dhina (A) , Barges (L.J.J.L) , Etats de l'Occident Musulman , p 176 .

² - Les Etats de l'Occident Musulman , p 177 et Tlemcen ancienne capitale , p 364 .

³ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج 2 ، تقديم الشيخ العلايلي ، طبعة دراسات العرب ، بيروت ، (د.ت) ، ص 118 ؛ أبو بكر بن محمد الصولي ، أدب الكتاب ، شرح وتعليق أحمد حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1994 ، ص 114 ؛ شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 7 ، طبعة القاهرة ، (د.ت) ، ص 1 .

⁴ - محمد صغير غانم ، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1979 ، ص 18-32 ؛ دافيد دير نجر ، متحف الأبجديات ، ترجمة عبد المنعم الصاوي ، مجلة اليونسكو ، عدد 60 ، السنة 1962 ، ص 8 ؛ 219 n° , Sumer science et vie , comment est née l'écriture , Glassner (J) , juin 2002 , Paris , p p 22-28 , et: Bordas , Encyclopédie histoire universelle , le

مرحلة ما قبل التاريخ، والمراحل التاريخية¹ فكانت بذلك ثورة حضارية منحت المجتمعات البشرية الهوية والقومية².

وعلى هذا الأساس جاءت القومية العربية، وعرف العرب كقوم يميزهم لسانهم وخطهم العربيين عن باقي الأقاليم قبل الإسلام، حيث انتشرت ألفاظ تدل على ذلك كالقلم والكتابة والعلم والدراسة³. لذلك نزل القرآن فيهم بلسان عربي، وأما وصفهم بالأميين فذلك لأنهم لم يكونوا من أهل الكتاب⁴.

أما اصطلاحاً فنعني بها في بحثنا هذا الكتابة كخط أو وظيفة سلطانية، والتي يسميها عبد الرحمن ابن خلدون صناعة الكتابة، كما أورد رسالة لعبد الحميد الكاتب⁵ يخاطب فيها الكتاب ويسميهم أهل صناعة الكتابة⁶.

Contenan (G), la civilisation Phénicienne, édition Payot, Paris, 1949, p 21. et: =monde antique, t4, édition G.L, Paris, 1968, p 32.

¹ - حيث أن الإنسان دخل مرحلة التاريخ مع بداية التدوين، الذي لا يكون إلا بوجود الكتابة. محمد رجب فضل الله، عملية الكتابة الوظيفية و تطبيقها و تعليمها و تقويمها، ط1، مطبعة عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص 1.

² - لقد ارتقت الكتابة بعد اختراعها بالإنسان إلى مستويات عالية من التفكير و التواصل، و اختزلت مجازات التعبير الثقافي في المجتمعات البشرية. دافيد ديرنجر، المرجع السابق، ص 6.

³ - عبد الرحمن رزقي، النظم الإسلامية في الأندلس (316-422 هـ/ 929-1031م) - الكتابة نموذجاً -، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة تلمسان، 2010-2011، ص 31.

⁴ - قال القرطبي في قوله تعالى: " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته و يزيكهم و يعلمهم الكتاب والحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " الآية 2 من سورة الجمعة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: " الأميون هم العرب كلهم، من كتب منهم و من لم يكتب، لأنهم لم يكونوا أهل الكتاب " و ليست الأمية هنا بمعنى الجهل بالقراءة و الكتابة. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج18، القاهرة، 1949، ص 91؛ محمد الحضري، ج1، محاضرات في تاريخ الأمة الإسلامية، بيروت، 2001، ص 48.

⁵ - هو عبد الحميد بن يحيى المتوفى سنة 132 هـ - أصله من الأنبار بالعراق أشهر كتاب العصر الأموي عمل بديوان الرسائل على عهد هشام بن عبد الملك، و في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية تقلد رئاسة ديوان الرسائل الذي بقي فيه حتى مقتله على يد العباسيين. ينظر: أبو إسحاق إبراهيم الإصطخري، المسالك و الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي المصرية، القاهرة، 1961، ص 88؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج1، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، ص 307.

⁶ - تعني صناعة المعاني والألفاظ التي تكسب صاحبها عقلا، و ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات التي تفيد في كمال العقل، و مزيد من الفطنة. ينظر: ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النجار، بغداد، 1977، ص 333؛ حسن عبد الواحد، صناعة الكتابة عند ضياء الدين ابن الأثير، ط1، مكتبة القاهرة، 1999، ص 43. ويسمي اليونانيون صناعة الكتابة بالعلم الخيط. ينظر: محمد مسعود حيران، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب (المضامين و الخصائص و الأسلوب)، ج2، ط1، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، 2004، ص 404.

وأول من استكتب في الإسلام هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث كان يرأس الملوك والأمراء و زعماء القبائل يدعوهم إلى الدخول في الإسلام ، ولم يخصص - صلى الله عليه وسلم كتابا معينين ، حيث كتب له حوالي ثلاثون كتابا ، وعلى فمجه سار أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وفي عهد عمر بن الخطاب نشأت خطة الكتابة بنشوء ديوان الانشاء.¹ ومنه ظهر منصب كاتب الانشاء الذي يعمل على تأليف الكلام وتعريف المعاني من المكاتبات والولايات ، والمناشير والاقطاعات وغيرها² ، ويسمى كاتب الانشاء في الدولة العبد الوادية صاحب القلم الأعلى .³

وكانت لخطة الكتابة مكانة رفيعة سواء في الدولة العبد الوادية أو في الدول المعاصرة لها ، أو تلك التي سبقتها ، فقد جعلها القلقشندي بعد مرتبة الخلافة لأن بها تستقيم أمور السياسة والحكم⁴ ، وقال فيها الصيرفي: " الكتابة الجليلة قدرا ، السامية ذكرا ، الرفيعة شأنًا ، العليا مكانا ، التي هي كتابة حضرة الملوك المشتملة على الإنشاء إلى ملوك الدول " ⁵ ، كما تدل على هذه الرفعة ، رسالة السلطان أبي حمو موسى الثاني إلى عبد الرحمن بن خلدون عندما طلبه ليجعله كاتبًا له ، والتي جاء فيها: " الحمد لله على ما أنعم و الشكر لله على ما وهب ، ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون حفظه الله ، على أنك تصل إلى مقامنا الكريم ، لما

¹ - القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 1 ، ص 91-92 ؛ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشباري ، الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، و عبد الحفيظ شلي ، ط 2 ، القاهرة ، 1980 ، ص 12 . أما الديوان فيعود أصل تسميته إلى أن كسرى نظر يوما إلى كتاب ديوانه و هم يحسبون على أنفسهم كأهم يحدثون فقال: "ديوانه" أي مجانين بلغة الفرس فسمي موضعهم بذلك ، و حذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا ف قيل اسم للشياطين بالفارسية ، سمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الأمور و وقوفهم على الجلي و الخفي منها . المقدمة ، ص 256 .

² - القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 1 ، ص 51-54 . و يتضح لنا من خلال هذا التعريف أن كتابة الانشاء وظيفة سلطانية لأن عليه يدور مدار السلطان . ينظر: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، 1971 ، ص 142 .

³ - قال الحافظ التنسي : " ولما اشتهر اعتناؤه بالعلم وأهله - يقصد يغمراسن بن زيان - ، وفد عليه من الأندلس ، خاتمة أهل الأدب ، الميرز في عصره على سائر الكتاب ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب ، فأحسن نزله ومثواه ، وقربه من بساط العز وأدناه ، و جعله صاحب القلم الأعلى . ينظر: تاريخ بني زيان ، ص 127 ، وقد ذكر يحيى بن خلدون أن أبو بكر بن خطاب كان من جملة كتاب الانشاء ليغمراسن . بغية الرواد ، ج 1 ، ص 111 .

⁴ - القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 1 ، ص 37 . لكن عبد الرحمن بن خلدون يذكر أن خطة الكتابة لم تأخذ مكانتها الرفيعة إلا عندما فسد اللسان العربي وصار صناعة اختص بمن يحسنه . المقدمة ، ص 259 .

⁵ - محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر الفاطمي ، الكتابة و الكتاب ، منشأ المعارف ، الاسكندرية ، 1995 ، ص 380 .

اختصصناكم به من الرتبة المنيعه ، والمترلة الرفيعة وهو قلم خلافتنا ، والانتظام في سلك أوليائنا ، أعلمناكم بذلك ... عبد الله المتوكل على الله موسى بن يوسف و خار له.¹

ويعرف الأستاذ عبد الحميد جيدة خطة الكتابة بأنها كتابة رسمية وظيفية تلي حاجات مؤسسات الدولة ، وهي كتابة تقريرية إعلامية قائمة على المباشرة وقطعية الدلالة .² ويعرفها الأستاذ علي بن محمد بأنها كل انشاء ذي طابع رسمي يصدر عن احدى مصالح الدولة المركزية بهدف تبليغ المعلومات ، أو ضبط علاقات الحكم من داخل البلاد أو خارجها .³ أما الباحث محمد الطاهر توات فيرى أن الرسائل السلطانية شقان ، الأول موضوعي تنظيمي إداري يعتني بالشؤون الخاصة لدولة ما ، والثاني أدبي خالص يستوجب استخدام القواعد الفنية وما يتعين من أساليب البلاغة والبيان لانتقاء فصيح الألفاظ بما يوافق مقتضى الحال .⁴ بينما يرى الأستاذ أحمد الشائب أنها ما يصدر عن الدواوين الخاصة بشؤون الدولة ومصالحها ، تيسيرا للعمل وتثبيتا للنظام العام ، لذلك تتميز بالدقة وسهولة التعبير ، والتقيد بالمصطلحات الفنية والحكومية.⁵

إذا ، و من خلال هذه التعريفات نخلص إلى نتيجة مفادها أن الكتابة كخطة أو وظيفة سلطانية هي كل كتابة رسمية صادرة عن الحكام من خلفاء وسلاطين وغيرهم . يمكن استخلاص أهمية خطة الكتابة من خلال النصوص والوثائق التي تناولت هذه الخطة بالدراسة والبحث ، ومن بينها ما جاء في رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب ،⁶ وجاء فيها : " ... أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم . فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين - صلوات الله عليهم أجمعين - ، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا وإن كانوا في الحقيقة سواء ، وصرفهم في صنوف الصناعات ، وضروب

¹ - التعريف بابن خلدون ، ص 102 ؛ العبر ، مج 4 ، ص 3039 .

² - عبد الحميد جيدة ، صناعة الكتابة عن العرب ، ط 1 ، دار العلوم العربية ، بيروت ، 1998 ، ص 111 و ما بعدها .

³ - علي بن محمد ، النشر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري مضامينه و أشكاله ، ج 1 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 ، ص 213 .

⁴ - محمد الطاهر توات ، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرن السابع و الثامن (الهجريين) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 ، ص 165 .

⁵ - ينظر : محمد مسعود حبران ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 103 .

⁶ - قال القلقشندي عن هذه الرسالة : " ... أصل هذه الآداب التي ترجع إليه ، و ينبوعها الذي انفجرت منه ، رسالة عبد الحميد بن يحيى الكاتب التي كتبها إلى الكتاب يوصيهم فيها ... " ينظر : صبح الأعشى ، ج 1 ، ص 85 .

المحاولات ، إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم ، فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات ، أهل الأدب والمروءات ، والعلم والرزانة . بكم ينتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها . وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلادهم . لا يستغني الملك عنكم ، ولا يوجد كاف إلا منكم . فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون ، وأبصارهم التي بها يبصرون ، وألسنتهم التي بها ينطقون ، وأيديهم التي بها يبطشون ... " ¹

إذا من خلال هذه الرسالة يتبين لنا أنه لا يمكن لأي خليفة أو سلطان الاستغناء عن خطة الكتابة ، وأن الخلافة لا تستقيم أمورها ولا تنتظم محاسنها إلا بوجود هذه الخطة ، وأنه بفضل خطة الكتابة ، وبفضل نصائح الكاتب يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمر بلادهم ، وأن السلطان لا يكون صالحا إلا بصلاح الكتاب فهم سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، فإن فسد الكاتب فسد السلطان وجار ، وإن صلح الكاتب صلح السلطان وعدل .

ونظرا لأهمية مكانة الخطة الكتابة يصنف مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي الكتاب في خانة أرباب الفضائل.² ويصف أبو حمو موسى الثاني الكاتب بأنه عنوان المملكة الذي تتضح به الأمور ، وأنه من الكاتب يعرف عقل السلطان ، وتعرف معرفته وفضله ، لأن الكاتب عنوان المملكة ، وبه تتبين الأمور المشتبكة ، ومن كتاب الملك يستدل على عقله ، و يعترف بمعرفته وفضله.³

أما من خلال مراسلات السلطان ، ومكاتباته فيمكننا أن نستجلي أوضاع الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وعلاقتها الخارجية مع مختلف الدول ، من ذلك - على سبيل المثال - دور أسرى النصارى في النهوض بالمجتمع التلمساني ، وحاجة السلطان الزياني إليهم ، و ذلك من خلال الرسالة التي رد بها الوزير هلال القطلاني على رسالة ملك أرغونة "

¹ - للإطلاع على نص الرسالة ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص ص 261-263 ؛ عبد الحميد أبو المكارم الأندلسي ، الكتابة و الكتاب ، طبعة حجرية ، فاس ، 1924 ، ص 4 .

² - حيث قال: " ... و بعد هذه إشارات يسيرة و عبارات قصيرة ، وضعتها للمكاتبات ، و هذبتها بالمراسلات التي يحتاج إليها أصحاب أرباب الفضائل ، خصوصا من كان ابتلي بكثرة الرسائل ، أو خدم الملوك و الحكام ، لاسيما أرباب الأقاليم...". ينظر: مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي ، بديع الإنشاء و الصفات في المكاتبات و المراسلات ، مخطوط بالمكتب الوطنية ، الجزائر ، تحت رقم 1901 ، ورقة 1 .

³ - واسطة السلوك ، ص 85 .

جاكما الثاني " التي طالب فيها بتحرير الأسرى المسيحيين الموجودين بسجون تلمسان¹ باسم السلطان أبي تاشفين الأول، والتي جاء فيها: "... وأما ما أشرتم إليه من تسريح من عندنا من الأسرى، فذلك لا يمكن أن يكون ... لأن ما عمر بلادنا إلا الأسرى، وأكثرهم صناع متفنون في أنواع جميع الصناعات، ولو طلبتم ما يستغني عنه الحال في تسريح خمسة أو ستة ليسعنا مطلبكم وقضينا اربكم، وأما تسريح الجميع فصعب لأن ذلك يخلي المواضع، ويعطل ما يحتاج إليه من أنواع الصنائع، فإن أردتم أن تكون الصداقة بيننا وبينكم، فيما عدا الأسرى ويكون حالنا وحالكم ... " ².

كما يمكننا من خلال الرسائل السلطانية أن نتبين أن الدولة الزيانية على عهد السلطان يغمراسن بن زيان، ثم من بعده ابنه السلطان أبي عثمان سعيد، كان ولاءها للحفصيين، وكانوا يدعون لهم، من ذلك رسالة يغمراسن بن زيان التي أعلن فيها البيعة للسلطان أبي عبد الله الواثق الحفصي، والتي جاء فيها "... ولما ورد على يغمراسن بن زيان بتلمسان - حرسها الله - خبر هذه البيعة الذي صار يوم وصوله للأيام سيذا، ... لى مناديتها حين قال "يا"، وبادر إلى الخول فيها بدار من يعتقد الدخول فيها للخيرات منميا، وفي الدنيا والآخرة منجيا، ودعا إليها من قبله من الأبناء والقراة وبني عبد الواد، والوزراء والأعيان والفقهاء، والصدور والصلحاء فأجابوا إلى ذلك وأصفقوا عليه فيمن أصفق، ورأوه أوفق لهم في معاشهم ومعادهم وأرفق، فبايعوه جميعا - فسح الله مدى سعده، وأمده في بإسعاده في عله وعقده - على ما بويح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه المتقون، والإمام المهدي المعلوم وخلفاؤه الراشدون ... " ³

ومن ذلك أيضا، مكنتنا خطة الكتابة من أن الأندلسيين قد توافدوا على حواضر المغرب الإسلامي، ومن بينها تلمسان فرارا من الاضطهاد النصراني، وأن السلطان الزياني قد رحب بهم

¹ - و كان الأسرى المسيحيين في سجون تلمسان لهذا العهد يعدون بالآلاف حتى أصبحوا من عداد العبيد . ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 216؛ Dhina (A), le Royaume ,p 226-227.

² - أحمد عبد القادر القرشي، الحياة الأدبية في تلمسان في القرن الثامن الهجري (14 م)، كلية الآداب، جامعة الأردن، عمان، 1988، ص ص 148-165؛ Dhina (A), le Royaume ,p 227.

³ - تنظر الرسالة كاملة اضافة إلى رسالتي تأكيد، و تجديد ولاء يغمراسن لأبي اسحاق الحفصي، و اقرار يغمراسن بواجب خدمة السلطان الحفصي، وكذلك رسالة ولاء السلطان أبي سعيد عثمان لأبي اسحاق الحفصي، و رسالة بيعته للأمير الحفصي أبي محمد عبد العزيز بولاية العهد، وكذلك رسالة بيعته للسلطان أبي حفص بعد استرجاع عرشه من ابن عمارة الداعي في كتاب: ابو بكر ابن خطاب الأندلسي، فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب، دراسة و تحقيق أحمد عزاوي، ط1، ربا نيت، الرباط، 2008، ص ص 130-150.

في حضرته، واهتم بأمرهم، وهذا ما يؤكد الظهير السلطاني الذي أصدره السلطان يغمراسن بن زيان للعناية بهم، ومما جاء فيه: " ... هذا ظهير عناية مديد الظلال، وكرامة رحيبة المجال، وحماية لا يخشى على عقدها المبرم وعهدها المحكم من الانحلال و الاختلال أمر به يغمراسن بن زيان أيد الله أمره و أبد عصره لجميع أهل الأندلس المستوطنين بحضرة تلمسان - حرسها الله - أحلهم من رعية الجميل أكنافا ... و أضفى عليهم من جنن حمايته ما يدفع عنهم طوارق الاضطهاد و الاهتضام ... ".¹

إذا ومن خلال ما سبق نخلص إل أن لخطبة الكتابة أهمية كبرى كوظيفة سلطانية لا يمكن للحاكم الاستغناء عنها بحال، وهي تأتي بعد مرتبة الخلافة لأن بها تستقيم أمور السياسة والحكم.² خاصة عندما تستقر أوضاع الدولة، ويصبح صاحبها لا هم له إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام.³ وفي هذه الحالة تأخذ خطة الكتابة أهميتها من مكانة صاحبها المكلف بها، فهو حينئذ أوسع جاها، وأعلى رتبة، وأعظم نعمة وثروة، وأقرب من السلطان مجلسا، وأكثر إليه ترددا وفي خلواته نجيا، لأنه آله التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه، والنظر في أعطافه، وتثقيف أطرافه، والمباهاة بأحواله.⁴

كما تكمن أهميتها في كونها وثائق تاريخية تقدم للباحث ما يحتاجه من مادة علمية في دراسته لأحوال البلاد و العباد - خلال فترة ما - فتكون حينها السند والدليل والبرهان على

¹ - ابن خطاب الأندلسي، المصدر السابق، ص 159.

² - القلقشندي، صبح الأعشى، ج 1، ص 37.

³ - يقول عبد الرحمن بن خلدون في هذا: " اعلم أن السيف و القلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره، إلا أن الحاجة في أول الدولة إلى السيف ما دام أهلها في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم، لأن القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطاني، و السيف شريك في المعونة، وكذلك الأمر في آخر الدولة حين تضعف عصبيتها ... وأما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهد أمره، و لم يبقى همه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية و الضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام، والقلم هو المعين له في ذلك، فتعظم الحاجة إلى تصريفه." المقدمة، ص 270.

⁴ - و قد استدلل عبد الرحمن بن خلدون على ذلك بما كتب به أبو مسلم الخرساني للمنصور عين أمره بالقدوم إليه: " أما بعد مما حفظناه من وصايا الفرس، أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء ". المقدمة، ص 270 .

ما توصل إليه من نتائج في أبحاثه، وينطبق هذا على الرسائل السلطانية¹ والرسائل الإخوانية على حد سواء.²

أما شروط اختيار الكتاب فمنها العلمية، الخلقية، الخلقية. فأما الشروط العلمية فهي زيادة العلم وعارضة البلاغة³، فإن الكاتب معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك، ومقاصد أحكامهم.⁴ ويحدد عبد الحميد الكاتب في رسالته لكتاب السلاطين هذه الشروط في قوله: " ... ان الكاتب يحتاج لأن يكون عالما بما يأتي من النوازل، يضع الأمور مواضعها، و الطوارق في أماكنها، قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه، وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكفي به، يعرف بغريزة عقله و حسن أدبه و فضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده و عاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعد لكل أمر عدته و عتاده، و يهيء لكل وجه هيئته و عادته، فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب، و تفقهوا في الدين، و ابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل و الفرائض، ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم، ثم أجدوا الخط فإنه حلية كتبكم، و ارووا الأشعار و اعرفوا غريبها و معانيها، و أيام العرب و العجم و أحاديثها و سيرها،⁵

¹ - من ذلك كتاب الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب الذي جمع فيه الرسائل السلطانية لبلاطي بني نصر بالأندلس، و بني زيان بالمغرب الأوسط، و التي اشتملت على العديد من الأحداث التاريخية الهامة سياسية و اجتماعية و غيرها.

² - تشمل الرسائل الإخوانية أغراض الوصف و العتاب و المدح و التهنية و التعزية و الشفاعة و التشوف و التحية و غيرها، و يمكن أن نطلع من خلالها على تحركات أصحابها، و توجهاتهم، و شيوخهم، و أماكن إقامتهم، و الوظائف التي شغلوها . ينظر: المقري، نفع الطيب، ج6، ص64، و ج2، ص121؛ أبو بكر بن خطاب، المصدر السابق، ص62، 63، و ص108، 109؛ محمد الطاهر التوات، المرجع السابق، ص271، و ما بعدها؛ أحمد عبد القادر المرجع السابق، ص166 و ما بعدها؛ عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص456-462.

³ - لا تكون عارضة البلاغة إلا لمن كانت له معرفة عامة بعلوم النحو فهو قانون اللغة و ميزان تقويمها، و البلاغة لا تأتي إلا عن طريق الإعراب و التصاريف و الأبنية. ينظر: أبو عبد الله ابن قتيبة الدينوري، أدب الكتاب، دار صادر، بيروت، 2004، ص19-20 . و يزيد أبو هلال العسكري حلى هذا و يقول بأنه على كاتب الخليفة أو السلطان أن يحسن التأليف و يزيد المعنى بالشرح و الوضوح، لأن سوء التأليف يؤدي إلى الغموض في المعنى، و ذلك أن: " الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، و إنما تراها بأعين القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرًا أو أخرت مقدما أفسدت الصورة و غيرت المعنى كما لو حول الرأس إلى موضع اليد، أو اليد إلى موضع الرجل، لتحولت الحلقة "، كتاب الصنائع، ص167.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص260.

⁵ - يقول النويري في هذا الإطار إن الكاتب قد يسأل عن أحوال من سلف، أو عن كتاب ذكر واقعة بعينها، أو يحتج عليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها من مجازها. المصدر السابق، طبعة القاهرة، ص32.

فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم ،ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج ... " ¹.

كما عد القلقشندي الإسلام شرط من شروط تولي منصب الكاتب وذلك ليؤتمن فيما يكتبه ويمليه ،فإن الكاتب لسان المملكة المرهب للعدو بوقع كلامه وجاذب للكعوب بلطف خطابه ،فلا يجب ان يولى هذا المنصب أحد من أهل الكفر حتى لا يكون عينا للكفار على المسلمين . ² وذكر صاحب منهاج الصواب أن الله سبحانه حث على عدم تقرب أهل الذمة وموالاتهم واستكثابهم ،لعلمه سبحانه وتعالى بقبيح سرائرهم ،وما فيها من العداوة والبغضاء ،وفساد نيتهم وقبح طويتهم ،وغيض قلوبهم وغشهم للمسلمين . ³ وعن أهمية هذه الشروط ضرورة التحلي بها يقول النويري: " ... فهذه أمور كلية لا بد للمتشرع لهذه الصناعة من التصدي للإطلاع عليها ،والإنكباب على مطالعتها ،والاستكثار منها ،لينفق من تلك المواد ،وليسلك في الوصول إلى صناعته تلك الجواد ،وإلا فليعلم أنه في واد والكتابة في واد ... " ⁴.

ومن كمال الشروط العلمية أن يكون الكاتب لبعض اللغات الأجنبية لأن ذلك ضروري في المكاتبات مع الدول الأجنبية ،خاصة وأن كاتب السلطان يطلع على أسرار الملك ،واستكثاب أجنبي بسبب اللغة يشكل تهديدا للدولة ،ومن جاءت ضرورة الإمام باللغة الأجنبية لفهم الكتب الواردة للسلطان ،والإجابة عنها دون اطلاع ترجمان عليها فإن ذلك أصون لسر الملك ،وأبلغ لبلوغ مقاصده . ⁵

وأما الشروط الخلقية ،فعلى الكاتب أن يكون حليما في موضع الحلم ،فهيما في موضع الحكم ،مقداما في موضع الإقدام ،محجما في موضع الإحجام ،مؤثرا للعفاف والعدل والإنصاف ،كتوما للأسرار ،و فيا عند الشدائد . راغبا بنفسه عن المطامع سنيها ودينها ،وعن سفاسف الأمور ومحقرها لأنها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ،متره عن الدناءة ،مترفع عن السعاية

¹ - المقدمة . ص 261 ، 262 ؛ أبو المكارم الأندلسي ،المرجع السابق ،ص 7 ، 8.

² - صبح الأعشى ،ج 1 ،ص 61 ،و يذكر المقرئ أنه لم يكن من بين كتاب المغرب و الأندلس نصرانيا و لا يهوديا ،وكان هذا الشرط من الأسباب التي أدت ببعض الادميين إلى اعتناق الاسلام بغية الحصول على المناصب السلطانية ،و على رأسها الكتابة . نفع الطيب ،تحقيق يوسف الشيخ ومحمد البقاعي ،ج 1 ،بيروت 1998 ،ص ص 202-208.

³ - مؤلف مجهول ،منهاج الصواب في قبح استكثاب أهل الكتاب ،تحقيق داود علي فاضل ،ط 1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1982 ،ص 25.

⁴ - نهاية الأرب ،طبعة القاهرة ،ص 35.

⁵ - القلقشندي ،صبح الأعشى ،ج 1 ،ص 165 .

والنميمة وما فيه أهل الجهالات . بعيدا عن التكبر والسخف والعظمة فإنها عداوة مجتلبة من غير أحنة.¹

وفي نفس السياق سار القلقشندي حين تناول الشروط الواجب توفرها في كتاب السلطان، فذكر من جملة هذه الشروط قوة العزم وشرف النفس، والتزاهة، وحسن السيرة المعشر.²

ويضيف ابن قتيبة الدينوري مجموعة من الخصال يجب التحلي بها لدى الخلفاء والسلاطين منها: التزام أعلى درجات الأدب والتحلي بالمهم الشريفة والإخلاص والصبر والتجملد والنصيحة وشكر النعمة، والوفاء والإخلاص للسلطان عند إقبال دولته وعند إدارها، والتمسك بأداب الخدمة والمواظبة عليها، وأن يكون كذلك قوي النفس حلو اللسان، بشوشا، حليما، قادرا على كتمان السر، وأن يكون في مستوى المهمة الخطيرة الملقاة على عاتقه، لأن صحة الخليفة أمر عظيم، وصاحبه راكب خطر ا جسيما.³ وعلى الكاتب أن تجري أقلامه بالسعادة والسعود، وتبعث الأمانى البيض من الخطوط السود، وتضرب سحب إحسانها هفات الآمال تجود.⁴ وقد أوصى رجل بنيه قائلا: " يا بني تزينوا بزى الكتاب فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة".⁵

وأما الشروط الخلقية، فذكر منها القلقشندي المذكورة⁶ والبلوغ، واعتدال القامة وكثافة اللحية، وهاء الملابس وزكاء

¹ - هذا ما أوصى عبد الحميد الكاتب الكتاب بأن يتحلوا به من أخلاق، كما أوصاهم بالتواصي بينهم على صناعتهم أي الكتابة، و ذلك بما يليق بأهل الفضل و العدل و النبل، لينتقل في نصيحته بعدها لمن ولي من الكتاب أو صير له أمر الخلق، فيوصهم بمراقبة الله فيهم، و ليتولاهم بالعدل و الحكمة و المساواة بينهم، و ليكن متواضعا حليما . ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص ص 261-263.

² - صبح الأعشى، ج 1، ص ص 61-100.

³ - أدب الكاتب، ص 19.

⁴ - مرعي المقدسي، المصدر السابق، ورقة 30.

⁵ - ابن قتيبة الدينوري، كتاب عيون الأخبار، ج 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1965، ص 46.

⁶ - لم يمنع شرط الذكورة الخليفة الأموي بالأندلس عبد الرحمن الناصر لدين الله من توظيف النساء في ديوان انشائه، فقد اختص بالكاتبة مزنة المتوفاة سنة 358 هـ / 968 م، و التي وصفت بسعة الأدب وحسن الخط. ينظر: أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 546؛ أبو القاسم ابن بشكوال، كتاب الصلة، ج 2، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1966، ص 692.

الرائحة.¹ و يذكر ابن بسام الشنتريني أن على كاتب السلطان أن يكون طيب الرائحة سليم الحواس نقي الثوب، وأن لا يكون وسخ الضرس منقلب الشفة مكحر الأظافر وضر الطوق. لأن الملوك ترى أنه من كان لنفسه مهملاً فهو لغيره أكثر إهمالاً.² ويضيف ابن الشهيد الأندلسي أنه لا بد للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليه عينه، وأذن ذكية تسمع منه حسه، وأنف نقي لا تدم أنفاسه عند مقاربتة له.³

لكن وجوب توفر هذه الشروط الخلفية قد تمنع بعض الكتاب المتضلعين، والمشهورين بغزارة علمهم، والمشهود لهم بالكفاءة العلمية من الوصول إلى مرتبة كاتب الخليفة أو السلطان مثل العالم عمرو بن بحر الجاحظ⁴ الذي ظل يشتغل في دواوين الكتابة مرؤوساً من كاتب الخليفة، ولم يبلغ شرف المتزلة بشرف الصنعة رغم أنه كان وحيد عصره في البلاغة وذلك لبحوظ عينه قعد بهما عنها.⁵

أما فيما يخص شروط اختيار الكتاب في دولة بني عبد الواد الزيرية فيبدو من خلال دراسة شخصية كتاب هذه الدولة وسيرهم، أن سلاطين هذه الدولة قد اعتمدوا نفس الشروط السابقة الذكر، حيث يذكر الأستاذ بوزياني الدراجي أن اختيار كاتب الإنشاء لديهم لم يكن يخضع لمقياس القربي بل لمقياس الكفاءة وحسن السلوك.⁶ وهذا ما تؤكد وصية السلطان أبي حمو موسى الثاني لولده وولي عهده أبي تاشفين حين قال: " يا بني وأما كتابك فلتخير منهم لسرك كاتباً من وجوه بلدك⁷، موفياً لغرضك و مقصدك، فصيح اللسان، جريء الجنان، بليغ البيان

¹ - يُعتقد أن الرجل الكثيف اللحية المعتدل القامة الصغير الهامة رجل ذكي فطن. صبح الأعشى، ج1، ص 61 وما بعدها؛ عبد الرحمن رزقي، المرجع السابق، ص 102.

² - ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، القسم الأول، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 191.

³ - ابن الشهيد الأندلسي، رسالة التوابع و الزوابع، تحقيق بطر البستاني، دار صادر، بيروت، 1967، ص 51.

⁴ - هو عمرو بن بحر الجاحظ المولود سنة 165 هـ، والمتوفى سنة 255 هـ، أديب مشهور، كان يقصده بالبصرة الكثير من طلاب العلم و من جميع بقاع العالم الإسلامي للأخذ عنه، من آثاره: البيان والتبيين، البخلاء، الحيوان، رسائل الجاحظ. للمزيد عنه ينظر: عبد الله محمد ابن فرضي الأزدي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984، ص 276.

⁵ - ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، القسم الأول، ج1، ص 191.

⁶ - نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيرية، ص 142.

⁷ - لم يعمل أبو حمو موسى الثاني بهذا المقياس حيث نجد من بين كتابه من ليس من بلده كمحمد بن علي بن قاسم المرسي - من مرسية بالأندلس -، وكذلك استعان يغمراسن بن زيان من قبله بكتاب من غير بلده كأبي بكر بن خطاب

، عارفا بالآداب ، سالكا طرق الصواب ، بارع الخط ، حسن الضبط ، عالما بالحل والربط ، كاتما للأسرار ، متحليا بالوقار ، ذا عقل وافر ، وفهم حاضر ، وذهن ثاقب ، وفكر صائب ، حلو الشمائل موسوما بالفضائل ، جميل الهيئة واللباس ، والموالاتة للناس . لأن الكاتب عنوان المملكة ، وبه تتبين الأمور المشتبكة ، ومن كتابك يستدل على عقلك ، ويعترف بمعرفتك وفضلك ، هذا أقل ما يشترط في الكاتب ، ويكون في حقه وحقك من الواجب ، فإنه إن كان الكاتب بهذه المثابة ، صلح لأن يكون أهلا للكتابة ، وإن أخل بهذه الشروط كان جديرا بالتأخر والسقوط ، لإخلاله بكتابته ، وعدم إصابته ، وكان ذلك وصما في حق مخدومه ، ودليلا على جهله في تقديمه .¹

أما أهم مهمات الكاتب ووظائفه في دولة بني عبد الواد الزيرية فهي تحرير مراسلات السلطان وعهوده ومعاهداته ، سواء إلى ملوك وسلاطين الدول أو إلى عماله وموظفيه داخل دولته ، من ولاية وقضاة ، وأصحاب الأشغال . وذكر القلقشندي أن عملية كتابة الرسائل كانت تتم داخل ديوان الإنشاء² ، حيث يعمل الكاتب على تحرير الرسالة بنفسه ، أو يملئها على أحد مساعديه ليكتبها .³ كما أنه من مهمات الكاتب قراءة الرسائل والخطابات الواردة على السلطان ، والتي جعل لها - أي قراءة الرسائل - أبو حمو موسى الثاني شروطا حين قال في ذلك: " ... لتلقي إلى كاتبك ما أردت من شرك . ويعرض عليك الكتب الواردة من أقطارك

=العائقي المرسي ، اللهم إلا إذا كان يقصد بذلك من يعيش على أرض بلده حتى وإن كان وافدا عليها ، أي أنه لا يستجلب كتابا من دول أخرى .

¹ - واسطة السلوك ، ص 85 .

² - يسمى ديوان الإنشاء والتوقيع ، وهي التسمية التي استعملها يحيى بن خلدون في تحديد ديوان الإنشاء في دولة أبي حمو موسى الثاني . بغية الرواد ، ج 2 ، ص 38 ، و يعرف القلقشندي ديوان الإنشاء فيقول: " لا خفاء في أنه اسم مركب من مضاف وهو ديوان ، ومضاف إليه وهو الإنشاء ، أما الديوان فاسم للموضع الذي يجلس فيه الكاتب وهو بكسر الدال . وأما الإنشاء فقد تقدم أنه مصدر أنشأ الشيء ينشئه ، إذا ابتدأه واخترعه ، و حينئذ فإضافة الديوان للإنشاء تحتل أمرين : أحدهما أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تنشأ عنه وتبدأ منه . والثاني أن الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالا . وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل ، تسمية له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه ، لأن الرسائل أكثر الأنواع التي تكتب وأعمها ، وربما قيل ديوان المكاتبات ثم غلب عليه هذا الاسم وشهر به واستمر عليه إلى الآن . ينظر: صبح الأعشى ، ج 1 ، ص 89 ، 90 .

³ - نفس المصدر ، ج 5 ، ص 144 . ويبدو أن هذا ما كان معمولا به في دولة بني عبد الواد حيث جاء في واسطة السلوك: " ... فإذا فرغ الكاتب من عرض كتبك وتلقى بالتوقيع ما أردته من إربك ، خرج لكتابة ما أمرته به ، ويجري على أحسن ما أمرته به ... " . ينظر: ص 105 .

وأمصارك ، وذلك بمحضر وزيرك ،المخصوص برأيك وتدبيرك ... ويجب على هذا الكاتب الذي تقدمت صفته ،ووصفت نباهته ومعرفته ،أن يكون دربا بقراءة الكتب وسردها ،متحرزا عند قراءتها من ألفاظ شائنة ،أو وصمة في ضمن الكتاب كامنة ،فإنه ربما يجد فيها ما يكون في حق الجلساء وصما ،وقبيحا يستحق في الوقت كتما. فيتجاوز الكاتب عن ذلك اللفظ المشين، ولا يبينه في الحين ،ثم ينتظر به خلوة إليك فيعيد قراءته عليك ،ويظهر لك ما أخفاه عن الجلساء، فيعد ذلك من قوة فطنته والذكاء ... ¹ .

كما أنيطت بكاتب الإنشاء في الدولة الزيانية مهمة التوقيع ² بين يدي السلطان ،فقد ذكر يحيى بن خلدون وهو كاتب السلطان أبي حمو موسى الثاني أنه كان يجلس بين يدي هذا الأخير للتوقيع.³ ويضاف إلى هذه المهمات إصدار أوامر السلطان مكتوبة بأبلغ وأوجز عبارة.⁴

هذا عن مهمات كاتب الإنشاء ،أما مهمات كاتب العسكر⁵، فيمكن حصرها فيما يتعلق بجيش دولة بني عبد الواد من

¹ - عبد الرحمن بن خلدون ،المقدمة ،ص 223. وقد عالج موضوع ولاية العهد من جانب شرعي حيث قال: " ... وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه و انعقاده اذ وقع بعهد أبي بكر لعمر بمحضر من الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم طاعة عمر ... ولم ينكره أحد منهم . فدل ذلك على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته ."

² - التوقيع من خطط الكتابة ،و هو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه و يوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها و الفصل فيها ،متلقاة من السلطان بأوجز لفظ و أبلغه ،فإما أن تصدر كذلك و إما أن يحدو الكاتب على مثالها في سجل يكون في يد صاحب القصة . و يحتاج الكاتب إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه . ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ،المقدمة ،ص 260 . ويعرف القلقشندي التوقيع بأنه الكتابة على الرقاع و القصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالملكة ،و التحدث في المظالم ،و هو أمر حليل ،و منصب حفيظ ،إذ هو سبيل الإطلاق و المنع ،و الوصل و القطع ،و الولاية و العزل ،إلى غير ذلك من الأمور المهمات ،و المتعلقة السنية . وكان الخليفة هو من يتولى التوقيع على الأمور السلطانية و فصل المظالم وغيرها في صدر الدولة الإسلامية . صبح الأعشى ،ج 1 ،ص 110 ، 111.

³ - بغية الرواد ،ج 2 ،ص 268 ، 269.

⁴ - بوزياني الدرارجي ،المرجع السابق ،ص 141.

⁵ - لم يرد ذكر هذه الوظيفة إلا على عهد يغمراسن بن زيان حيث ذكر يحيى بن خلدون - دون غيره من المؤرخين - اسم كاتب واحد من كتاب العسكر و هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن المعلم الذي كان كاتباً ليغمراسن ،و لعل مرد ذلك ليس الغاء هذا المنصب ،و إنما قد يكون ألحق بإحدى الوظائف الأخرى كالوزارة مثلا ،خاصة و أن كاتب العسكر كان يرفق الجيش في تحركاته نو غالبا ما تكون هذا الجيش تحت قيادة الوزير ،و قد يكون تحت إمرة كاتبه .

تسجيل أسماء أفراد وحصر عددهم¹، وطريقة تصنيفهم، وتقسيمهم، وتسجيل المنح والأعطيات الممنوحة لهم وفق ذلك التصنيف.²

أما أهم من تولى منصب الكتابة السلطانية في الدولة الزيانية فمنهم:

- الفقيه أبو محمد بن الغالب: كان كاتباً ليغمراسن بن، قتل أثناء ثورة النصارى سنة 652 هـ / 1254 م .

- أبو عبد الله محمد بن جدار: كان كاتباً ليغمرلسن بن زيان .³

- أبو عبد الله محمد بن الرقام الهكسوري: من قبيلة هكسورة، تولى كتابة الإنشاء أبي زيان محمد بن عثمان .

- محمد بن زواق: تولى كتابة الإنشاء في عهد أبي حمو موسى الأول .

- الفقيه أبو عبد الله بن مدورة: تولى كتابة الإنشاء في عهد أبي تاشفين الأول .⁴

- عبد الواحد بن محمد الزواق: تولى كتاب لإنشاء في عهد أبي سعيد عثمان الثاني، لكن لم يطل الحال به حتى سخط عليه ونكبه، ثم عوضه بعلي بن محمد بن سعود .

- علي بن محمد بن سعود: تولى كتابة الإنشاء لدى السلطان أبي السعيد عثمان، وهو ابن محمد بن سعود صاحب أشغال سلاطين بني عبد الواد الأوائل: عثمان

¹ - يذكر يحيى بن خلدون في هذا الصدد، أنه في أحد أعياد الفطر حضر عرضاً عسكرياً أمام أنظار السلطان أبي حمو موسى الثاني، وقد اصطفت الكتائب الكثيرة العدد، و خلال مرورهم أمامه كان الكتاب الذين بين يديه يحصون أعداده التي بلغت اثنا عشر ألف فارس . ينظر: بغية الرواد، ج2، ص 181، 182.

² - جاء في واسطة السلوك، ص 147: " و يكون ترتيب الجيش في العطاء على قدر بياتهم و شجاعتهم و سابقتهم للخدمة و اصطناعتهم، و محبتهم و انقيادهم، و ألفتهم و اجتهادهم . و هؤلاء أهل الطاعات و المجاي و البلاد . وهم القبيل و الحماة و الأنصار و الأجناد . ما عدا ممالكك المنقطعين إليك، المتصرفين في الخدمة بين يديك، فإن جرايتهم في الرتب مشاهرة، و أرزاقهم من بيت المال مياسرة، جريا على توالي الشهور، و هم عندك في جرايتهم على قدر طبقاتهم، فأصحاب البلاد يجوفها في أوقات معلومة، على حسب ما هي عندهم مقسومة، و ذلك بقدر ما يقيم أودهم، و يصلح أهلهم وولدهم، و خيلهم و عددهم . ثم تتفقد أحوالهم جهد استطاعتك، ليستمرروا على خدمتك و طاعتك. لأن من فرط في جيشه أعان عدوه عليه . " ولا شك أن تقسيم جيش بهذه الطريقة، و التنظيم في المنح و الأعطيات كان من اختصاص كتاب العسكر.

³ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 111.

⁴ - نفس المصدر، ص 127.

بن يغمراسن، وأبي حمو الأول، وأبي تاشفين الأول، كما شغل منصب حاجب السلطان أبي زيان محمد .¹

- الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي العصامي، أول من تولى خطة الكتابة و التوقيع في دولة أبي حمو موسى الثاني، والشاعر محمد بن صالح الشقرون، و أبو الفضل بن الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن علي العصامي ابن أول كتاب أبو حمو موسى الثاني تولى الكتابة لدى هذا الأخير، كما كان من شعراء بلاط بني عبد الواد.²

- الشاعر محمد بن علي بن قاسم المرسي: أحد شعراء البلاط الزياني، تولى كتابة الإنشاء في دولة أبي حمو موسى الثاني .³

أما أشهر كتاب دولة بني عبد الواد الزيانية :

* - محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي (المتوفى سنة 686هـ):

من أهل مرسية ونزيل تلمسان، كان من أبرع الكتّاب خطا وأدبا وشعرا، ومن اعرف الفقهاء بأصول الفقه، كتب عن ملوك غرناطة، ثم ارتحل إلى تلمسان فكتب بها عن السلطان يغمراسن بن زيان⁴، أخذ العلم على عدد كبير من علماء بلده ومنهم: العالم النحوي أبا بكر محمد المعافري، والفقيه أبا علي الحسن بن عبد الرحمن الكياني رفاء وأخذ الحديث والفقه عن أبي بكر محمد بن محرز الزهري، والأصول عن أبي مطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي⁵، ولقي غيره من العلماء والصلحاء⁶.

وبعد أن استقر بتلمسان قرّبه يغمراسن بن زيان من مجلسه، وجعله صاحب القلم الأعلى⁷، فصدرت عنه رسائل في مخاطبة خلفاء

¹ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 150.

² - نفس المصدر، ج2، ص 36 و ص 143 و ص 315.

³ - نفسه، ج2، ص 315 .

⁴ - ابن مريم، المصدر السابق، ص 227؛ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 129.

⁵ - الإحاطة، ج2، ص 425.

⁶ - أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري، رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تحقيق أحمد جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، (د.ت)، ص 16، 17.

⁷ - التنسي، تاريخ بني زيان، ص 127؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 129؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص

مراكش وتونس، وظل ملازما للبلاط الزياني إلى أن توفي بتلمسان يوم عاشوراء سنة 686هـ¹.

* - محمد بن عمر الحجري الرعيني المعروف بابن خميس التلمساني²:

هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحجري الرعيني المعروف بابن خميس ينحدر من ذرية حجر ذي رعين، من قبيلة يمنية من شعب حَمِير³. ولد بتلمسان سنة 650هـ ونشأ بها، وأخذ عن علمائها حتى صار " نسيح وحده زهدا وانقباضا، وأدبا وهمة، حسن الشببة، جميل الهيئة، سليم الصدر، قليل التصنع، بعيدا عن الرياء، عاملا على السياحة والعزلة، عارفا بالمعارف القديمة مضطعا بتفاريق النحل، قائما على العربية والأصلين طبقة الوقت في الشعر، وفحل الأوزان من المطول، أقدر الناس على اجتلاب الغريب حافظا لأشعار العرب، وعارفا بأخبارهم وأحوالهم، وله مشاركات في العقلية واستشراف على الطب"⁴، وكان من أهل علم السيمياء⁵.

ولاه السلطان أبو سعيد عثمان الزياني ديوان الإنشاء وأمانة سره سنة 681هـ لكن كثر حساده وكثرت فيه الوشاية، فغادر تلمسان سنة 693هـ قاصدا سبتة بالمغرب الأقصى فاستقر بها مدة يريد التدريس⁶ فمدح رؤساءها من بني العزفي، فغنم عطفهم بعد أن رمته الأيام بالحن والبعد عن الأهل والخلان والوطن، إلا أنه رأى في هذه المدينة مكر الماكرين، وكيد الكائدين، فأنهم بالزندقة، فتمت محاكمته بفاس بحضور ابن هدية، الذي كانت له اليد الطولى في تدبير هذه المحاكمة، وقد وقف ابن خميس موقف الأبطال، حيث دافع عن آرائه وأفحم

¹ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 129؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص 227.

² - زين العابدين بنطاهر، الرحلة العبدرية إلى الوجه الحجازية (دراسة وتحقيق)، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فاس، المملكة المغربية، 1992-1993، ص 31؛ محمد الطاهر توات، ابن الخميس شعره ونثره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 41 وما بعدها؛ فرحات الشريف خوالد، أبو عبد الله بن خميس التلمساني، حياته وأدبه، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1993، ص 29 وما بعدها؛ محمد رمضان شاوش والغوثي بن دحمان، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، ج1، دار بريكسي، تلمسان، 2001، ص 236.

³ - Meziane (Abdel Salem), Ibn Khamis, Poète Tlemcenien du XIII^{eme} siècle, 2^{eme} congrès de la fédération des sociétés savantes de l'Afrique du nord, Tlemcen, T1, 1982, P 1058.

⁴ - المقرئ، المصدر السابق، ج5، ص 359-360.

⁵ - يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 109.

⁶ - عبد الحميد حاجيات، أبو حمور موسى الثاني، ص 51.

خصومه بحجج قاطعة حتى لم يبق في المناظرة إلا خصمه الذي نصب له الكمين بحكم مركزه السياسي وهو الشريف أبو البركات الذي كان يعتبر ابن خميس زنديقا وجب هدر دمه؛ ولكن ابن خميس استطاع الفرار من تنفيذ حكم الإعدام عليه إلى تلمسان ومنها عبر البحر إلى الأندلس سنة 703هـ ، ليستقر بغرناطة في كنف القائد أبي الحسن بن كماشة من خدام الوزير أبي عبد الله بن الحكيم الأديب الكبير، الذي استطاع أن يحقق لابن الخميس الجاه والهناء والعيشة الطيبة¹.

وعاش ابن خميس يجول بلاد الأندلس مائلا نحو التصوف، فقعد للإقراء بـحضرة غرناطة بعد أن أغدق عليه الوزير ابن الحكيم من نعمه، فخلع عليه ابن خميس بدوره أثواب نثره ونظمه كما فعل مع بني زيان بتلمسان فقال في مدحه قصائد كثيرة خلّدت ذكره مدى الدهر. توفي ابن خميس بغرناطة قتيلا صباح يوم عيد الفطر سنة 708هـ، وذلك يوم مقتل مخدمه الوزير ابن الحكيم².

فكان ابن خميس بذلك من فحول الشعراء، وأعلام البلغاء، له شعر كثير كله حسنات ولطائف وبراعات وطرائف، جمعه القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي في ديوان سماه " الدرّ النفيس في شعر ابن خميس"³، ويبدو أن هذا الديوان ضاع، وقد نشر عبد الوهاب بن منصور ما أمكن جمعه من شعره من خلال كتب الأدب والرحلات والتراجم في كتاب سماه " المنتخب النفيس من شعر ابن خميس"⁴ بتلمسان سنة 1365هـ.

اهتم الأدباء بحفظ شعر ابن خميس ورواية أخباره حتى بلغت شهرته بلاد المشرق، حيث أن قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد المصري⁵ حلاه بأحسن الأوصاف وأطرب في فضله⁶. من تلامذته ورواد شعره وجلسائه وأصدقائه بتلمسان وسبتة وفاس وبلاد الأندلس الإمام النحوي محمد بن علي بن الفخار الجذامي⁷، والفقيه الأديب محمد بن إبراهيم بن عيشون

¹ - بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 144.

² - يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 109؛ المقرئ، المصدر السابق، ج5، ص 362.

³ - المقرئ، المصدر السابق، ج5، ص 361.

⁴ - لخضر عبدلي، الحياة الثقافية ، ص 202.

⁵ - هو أبو عبد الفتاح محمد بن أبي الحسن علي بن وهب العشري المعروف بتقي الدين بن دقيق العيد.

⁶ - المقرئ، المصدر السابق، ج5، ص 370.

⁷ - الإحاطة، ج3، ص ص 91-95.

البلفيقي¹، وأبو محمد عبد المهيمن الحضرمي، وأبو زكرياء بن يحيى بن علي القيسي، وأبو عبد الله بن قطرال الأنصاري، وأبو الحسن البلوي، أما رواية شعره فهم: أبو عبد الله بن عبد الرزاق الجزولي، وأبو عثمان بن ليون التيجيني، والرحالة العبدري والسلطان أبو عنان المريني الذي كان مولوعا به. أما أصدقاؤه فكان أغلبهم من العلماء وذوي الشأن والسلطان منهم: أبو عبد الله بن حمدون، وأبو الفضل يحيى بن عتيق العبدري، وأبو عبد الله بن الحكيم... وغيرهم².

* - محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي التلمساني:

هو أبو عبد الله محمد بن منصور بن هدية القرشي، من ولد عقبة بن نافع الفهري³ هو تلمساني المنشأ والدار، تولى خطة القضاء بتلمسان مع كتابة السر للسلطان أبي تاشفين الأول، الذي كان يشاوره في تدبير شؤون الدولة، ولا يجري شيئا من الأمور إلى بعد استطلاع نظره. قال عنه النباهي: " كبير قطره في عصره نباهة ووجاهة، وقوة في الحق وصرامة، وكان أثيرا لدى سلطانه... قلده مع قضائه كتابة سره، وأنزله من خواصه فوق منزلة وزرائه فصار يشاوره في تدبير ملكه، فقلما كان يجري شيئا من أمور السلطة إلا عن مشورته وبعد استطلاع نظره... وكان أصيل الرأي، مصيب العقل، مذكرا للسلطان بالخير معينا عليه... كاتبا بليغا ينشئ الرسائل المطولة في المعاني الشاردة ذا حظ وافر من علم العربية واللغة والتاريخ..."⁴. فكان بذلك من البطانة الصالحة الناصحة للخليفة، حظي بمكانة رفيعة عند السلطان الذي لا يقطع أمرا إلا بعد مشورته⁵. وقال عنه ابن مرزوق الخطيب: " أبو عبد الله بن هدية أحد قضاة العدل، وأئمة اللسان والأدب و نفوذ الأحكام، والبصر بالوثائق"⁶.

¹ - نفس المصدر، ج2، ص 431.

² - بوداوية مبخوت، المرجع السابق، ص 148.

³ - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 116؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص 225؛ المقرئ، المصدر السابق، ج5 ص 234.

⁴ - أبو الحسن علي بن محمد النباهي المالقي، قضاة الأندلس، المعروف باسم كتاب المرتبة العليا في من يستحق القضاء و الفتيا، نشر ليفي بروفنسال، بيروت، 1983، ص 101، 102.

⁵ - بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7 هـ / 13 م إلى القرن 10 هـ 16 م، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة تلمسان، 2009-2010، ص 258.

⁶ - ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية، ص 175.

وقال عنه يحيى بن خلدون : "من أئمة اللسان والأدب، ذو بصر بالوثائق وكتب الرسائل عند الملوك الأوائل من بني يغمراسن بن زيان " ¹ .

كما كان كاتباً بليغاً، له حظ وافر من التاريخ، من مآثره " تاريخ تلمسان "، هذا المؤلف الذي قيل أنه ضاع أثناء الحصار الطويل لتلمسان، وشرح رسالة ابن خميس نظماً ونثراً، فكان سبباً في هجرة ابن خميس من تلمسان إلى الأندلس، فكان عنوان الرسالة : "التعليق النفيس في شرح ابن خميس" ²، وقد كتب هذا الشرح لأنه اعتبر ابن خميس فيلسوف وهو في نظره زنديق مارق على الشريعة، بل كافر يستوجب فيه القتل إن لم يتب ³ من تلامذة ابن هدية المقري الكبير، وأبو البقاء البلوي.

توفي ابن هدية أواسط سنة 735هـ بتلمسان قبل وفاة السلطان أبي تاشفين الأول الذي شهد جنازته، وولى ابنه علي منصور مكانه. ⁴

* - أبو زكرياء يحيى بن محمد بن خلدون: (73 - 780هـ / 1344 - 1379م) ⁵:

هو أبو زكرياء يحيى بن محمد بن خلدون شقيق عبد الرحمن بن خلدون، ولد بتونس سنة 734هـ، ونشأ بها وتلقى العلم عن علمائها، أمثال: عبد المهيمن الحضرمي ومحمد بن إبراهيم الآبلي وأبو منصور الزواوي، والسطي وغيرهم ⁶.

¹ - بغية الرواد، ج1، ص 116؛ البستان، ص 225 .

² - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 52.

³ - المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 131.

⁴ - البستان، ص 225؛ نفح الطيب، ج5، ص 234؛ بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 135.

⁵ - لسان الدين بن الخطيب، ريجانة الكتاب و نجمة المتاب، ج2، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981، ص 144؛ ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، ج1، تحقيق حامد عبد المجيد وآخرون، دون مكان و لا تاريخ طبع، ص 343؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص 145؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي الأتابكي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج7، ط2، تحقيق محمد أمين و نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1990، ص = 209-205؛ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1929، ص 173 و ما بعدها؛ المقرئزي، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1972، ص 24.

⁶ - المقري، المصدر السابق، ج9، ص 340، 341 .

وفي عهد السلطان أبي عنان المريني، انصرف إلى خدمة الدولة المرينية بفاس، وفي آخر سنة 761هـ رافق الأمير الحفصي أبا عبد الله محمد الذي نهض نحو بجاية ينتزعها من عمه السلطان أبي إسحاق بمساعدة قبيلة رياح، فلم يحقق هذا الهدف إلا بعد أربع سنوات، ولما استولى أبو عبد الله الحفصي على بجاية سنة 765هـ عين يحيى بن خلدون في منصب الحجابة إلا أنه ترك هذا المنصب لأخيه عبد الرحمن الذي رجع من الأندلس سنة 766هـ، وبقي ابن خلدون في بجاية إلى أن استولى عليها أمير قسنطينة أبو العباس الحفصي في شعبان من سنة 767هـ، هذا الأخير أمر بسجن بن خلدون وذلك بعد أن غادر أخاه عبد الرحمن بجاية متجها إلى الجنوب وملتجأ عند ابن مزني بناحية بسكرة، وبعد مدة فر يحيى من سجنه ولحق بأخيه¹.

وفي سنة 769هـ التحق يحيى بن خلدون ببلاط أبي حمو موسى الثاني الذي استكتبه وعينه على ديوان الإنشاء الذي ظل على رأسه إلى أن ساءت الأوضاع بين بني مرين وبني زيان، واحتل السلطان عبدالعزيز المريني تلمسان سنة 772هـ فتقرب يحيى بن خلدون من بلاطه، لينتقل رفقة أخيه عبد الرحمن ولسان الدين بن الخطيب إلى فاس.

وفي أوائل سنة 776هـ رجع يحيى بن خلدون إلى تلمسان، فرحب به السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي أعاده مرة أخرى إلى منصب الكتابة، فألف له يحيى كتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " ².

ومكث يحيى بن خلدون في خدمة البلاط الزياني إلى أن قتل في رمضان سنة 780هـ بتدبير من الأمير أبي تاشفين الذي اتهمه بالمماطلة في عقد ولاية وهران³.

وقد ساهمت البيئة العلمية التي نشأ فيها يحيى بن خلدون في جعله يرتقي إلى طبقة الكتاب المبرزين أمثال: أبي القاسم بن رضوان، ولسان الدين بن الخطيب وغيرهما، فكان كاتباً وشاعراً ومؤرخاً يمتاز بثقافة أدبية واسعة، وأسلوب زاخر بالمحسنات البديعية والسجع المستظرف، إضافة إلى نبوغه في سائر العلوم اللسانية والاجتماعية وخصوصاً التاريخ⁴.

¹ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 295 ، 296 ؛التنكي، المصدر السابق، ج2، ص ص 143 - 145.

؛عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 174، 175.

² - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 175، 176.

³ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 292.

⁴ - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 176.

الباب الأول: حكامه التسيير في المجال السياسي . - الفصل الأول: أجهزة الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية.

ومن تأليفه كتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " ، فضلا عن قصائد عديدة، نظمها في مدح أبي حمو موسى الثاني، وفي المناسبات الدينية.

الفصل الثاني: حكامه التسيير لدى السلطان يغمراسن بن
زيان في المجال السياسي.

المبحث الأول: حكامه يغمراسن بن زيان في التمكين للدولة
العبد الوادية.

المبحث الثاني: حكامه يغمراسن بن زيان في سياسة الرعية.

المبحث الثالث: حكامه يغمراسن بن زيان من خلال سياسته
الخارجية.

تولى يغمراسن بن زيان شؤون بني عبد الواد في ظروف صعبة على الصعيدين الداخلي والخارجي ، فعلى المستوى الداخلي كان بنو عبد الواد يعانون من أطماع بعض القبائل التي كانت تنافسهم على حكم المغرب الأوسط ورئاسة قبيلة زناتة ، لاسيما بني مطهر⁽¹⁾ وصنهاجة⁽²⁾. إضافة إلى تهديدات القبائل العربية خاصة منها حصين⁽³⁾، ذوي عبيد الله⁽⁴⁾، سويد⁽⁵⁾.

وعلى الصعيد الخارجي كان المغرب الأوسط محل أطماع الحفصيين من الشرق ، والمرينيين الذين ما فتئت قوتهم تتصاعد من الغرب ، خاصة بعد حالة الضعف والانهيار التي وصلت إليها دولة الموحدين حليفة بني عبد الواد والتي منحهم السلطة على المغرب الأوسط.

إذا كانت هذه الظروف تحتاج إلى قائد قوي وصارم ، فإن كثرة الصراعات وتعدد جبهات المواجهة تحتاج أكثر إلى قائد حكيم ، ذكي وفطن.

(1) بنو مطهر أبناء عمومة بني عبد الواد من ذرية مطهر بن يمل بن يزكن بن القاسم بن عبد الواد. ينظر في ذلك: عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج7 ص 149.

(2) أراضي هذه القبيلة بضواحي المدينة ، والونشريس ، ومنهم فرع آخر يعرف باسم ملكيش يستقر بنواحي متيجة ، واستوطن قسم منهم الصحراء ، وهم المعروفون بالملثمين ، وقد ناصبت هذه القبيلة العداء لبني عبد الواد ، وهي مناوئة لهم ، وكثيرا ما كانت تخرج ضدهم. ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 330-341 ؛ مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 215.

(3) تمتد مواطن حصين بين جبل التيطري والمدينة إلى الجنوب بجوار بني يزيد ، كانوا مناوئين لبني عبد الواد ، ولا يتوانون في التحالف مع أعدائهم ، أو دعم الخارجين عنهم وتخريضهم ، وقد لعبوا أدوارا كبيرة وخطيرة في اضطراب أمن الدولة العبد الوادية ، ولعل ذلك راجع لتغلب بني عبد الواد عليهم ، واذلالهم ، واثقال كاهلهم بالضرائب. العبر ، ج6 ، ص 91-93.

(4) ذوي عبيد الله مواطنهم تتاخم مواطن بني عامر إلى وادي ملوية ، ومنابع وادي صا ، وكانت لهم قصور بتوات وتمنطيط ، كانوا في الغالب الأعم حلفاء لبني مرين ضد بني عبد الواد ، خاصة بعدما استقروا بالأقاليم الواقعة بين هنين ووادة وندرومة. ينظر: العبر ، ج6 ، ص 123-126 ؛ مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 373.

(5) كانت علاقة سويد مع الدولة العبد الوادية حسنة في البداية ، فأقطعهم أراضي البطحاء ، ومنحهم خراجها ، ثم ساءت علاقتهما بسبب فتنة بينهما ، فترج سويد خلف مواطن توجين وحالفوهم على حرب بني عبد الواد ، وكانوا يخوضون بني مرين على غزو تلمسان. ينظر: العبر ، ج6 ، ص 46-48 ؛ مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 375.

فإلى أي حد كان يغمراسن بن زيان حكيما في التعامل مع هذه الظروف من أجل الحفاظ على ارث أسلافه ،والتمكنين لدولته التي أعلن عن قيامها بالمغرب الأوسط بعد انفصاله عن الموحدين؟ وفي سياسة رعيته؟ وبناء العلاقات الخارجية لدولته الفتية؟

المبحث الأول: حكمة يغمراسن بن زيان في التمكين للدولة العبد الوادية.

● التعريف بيغمراسن بن زيان.

هو يغمراسن⁽¹⁾، بن زيان، بن ثابت، بن محمد، بن زيدان، بن يندوكسن⁽²⁾، بن طاع الله، بن علي، بن يمل، بن برجى، بن القاسم، ويرجع صاحب نظم الدر نسب القاسم هذا إلى علي بن أبي طالب، أي إلى آل البيت.⁽³⁾

⁽¹⁾ هذا الاسم أمازيغي الأصل، اختلف في نطقه فالتنسي وعبد الرحمن بن خلدون يضبطانه بياء فغين مفتوحة تليها ميم ساكنة فراء مفتوحة، تتبعها سين مفتوحة فنون ساكنة (يغمراسن)، أما المؤرخون الغربيون، فينطقونه بياء مفتوحة، فغين ساكنة، فميم مضمومة، أما أصله في اللغة الأمازيغية فيكتب بألف مكسورة بدل الياء، وضم الغين، ثم تسكين الميم (اغمراسن) وهذا النطق الأخير هو المتداول في الجزائر خاصة بمنطقتي القبائل، وتلمسان، ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان، هامش 16، ص 115؛ محمد مكوي، دور يغمراسن بن زيان في تأسيس الدولة الزيانية، دورية قرطاس الدراسات الحضارية و الفكرية، العدد التجريبي، ديسمبر 2008، كلية الآداب و العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، ص 214.

⁽²⁾ هكذا عند التنسي في تاريخ بني زيان، ص 109، ويحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 1، ص 102، بينما نجدها عند عبد الرحمن بن خلدون في العبر، ج 7، ص 150، تيندوكسن .

⁽³⁾ اذ يذكر التنسي، أن القاسم من ولد عبد الله الكامل ولكن اختلف في طريق اتصاله به، فقيل انه القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل، وقيل انه ابن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل، ينظر: تاريخ بني زيان، ص 110، ويذكر يحيى بن خلدون أن القاسم هو ابن محمد بن عبد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل، ويضيف: "وهو أحب إلي لاشتهاره و اجماع المشيخة عليه..."، البغية، ج 1، ص 101. أما عبد الرحمن بن خلدون فيذكر أن القاسم ابن محمد بن أحمد بن سليمان بن عبد الله الكامل، العبر، ج 7، ص 149، لكن عبد الرحمن ابن خلدون يحتج على هذا النسب مستدلا برد يغمراسن بن زيان لما أخبر بذلك قال: "...إذا كان ذلك صحيحا فينفعنا عند الله، و أما الدنيا فلناها بسيوفا"، العبر، ج 7، ص 149. وفي حقيقة الأمر وحسب وجهة نظرنا فإن يغمراسن بن زيان في هذا القول لا ينفي نسب بني زيان إلى آل البيت نفيًا قاطعا، بل لعله يريد أن يؤكد بأنه في تأسيسه لدولته اعتمد على قوته حنكته ودهائه، وقوة قبيلته، وليس على نسبه، وهو بذلك يؤكد أن دولته لم تقم على أساس فكرة دينية، أو دعوة مذهبية كسابقاتها كما ذكرنا سابقا.

ولد يغمراسن بن زيان سنة 603 هـ / 1206 م⁽¹⁾ ، وبويع يوم توفي أخوه أبي العزة زيدان سنة 633 هـ / 1236 م⁽²⁾ .

ولعبت قوة شخصية يغمراسن بن زيان دورا كبيرا في مبايعته ، و التمكين للدولة العبد الوادية ، فهو كما يصفه عبد الرحمن بن خلدون في قوله: " ... كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد بني عبد الواد ، و أعظمهم في النفوس مهابة واجلالا ، وأعرفهم بمصالح قبيله ، و أقواهم كاهلا ، اشتهر بحصافة الرأي و سداد التدبير وقوة العزيمة ، معظما عند الخاصة والعامّة ، يرجعون اليه في كل الأمور عندما تدهمهم النوازل ، و النوائب ، والعوادي " ⁽³⁾ . وقال فيه التنسي: " ... وكان دينا فاضلا ، محبا في الخير وأهله ، وهو بنى الصومعتين بالجامعين الأعظمين من أجادير وتاجرات ، وهي تلمسان الحديثة . وسئل أن يأمر بكتب اسمه فيها فأبي ، و قال: " علم ذلك عند ربي " . وكان كثيرا ما يجالس الصلحاء ، ويكثر من زيارتهم... " ⁽⁴⁾ ، كما عرف بين قومه بالدهاء السياسي ، والشجاعة والحزم ، و مكارم الأخلاق ، واثار ذوي الفضل والعلم⁽⁵⁾ .

ويصف لنا لسان الدين ابن الخطيب قوته عين يقول:

أول ملاك لهم يغمور **** ليث الثرى و البطل الشهور
تثني عليه حومة الميدان **** ما لامرئ ببأسه يـدـان

(1) هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، ص 11 ؛ محمد مكيوي ،الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول ،رسالة ماجستير ،قسم الثقافة الشعبية ،جامعة تلمسان ،2000-2001 ،ص 59 .

(2) يذكر التنسي أنه بعد وفاة أبي العزة زيدان قدم بنو عبد الواد أخاه أمير المسلمين يغمراسن بن زيان و بايعوه بيعة الملك المستقل و خلعوا بني عبد المؤمن ، تاريخ تلمسان ، ص 113 .

(3) العبر ، ج 7 ، ص 162 .

(4) تاريخ بني زيان ، ص 125-126 .

(5) محمد مكيوي ،القرطاس ، ص 209 ؛ هوارية بكاي ،المرجع السابق ، ص 11 ؛ عبد العزيز فيلاي المرجع السابق ، ج 1 ، ص 21 ، وما يدل على أن يغمراسن بن زيان كان أفضل قومه ، أنهم ولوه أمرهم وعمره لم يتجاوز الثلاثين سنة .

لاقى الجيوش من بني مرين **** كالليث يحمي جانب العرين. (1)

كما تمكن بفضل دهائه، و حسن تدبيره، وحرصه على علاقاته بقبائل المغرب الأوسط من استكتار العشيرة، و استمالة أغلب القبائل العربية، خاصة منها عرب زغبة، إضافة الى بطون زناتة، (2) فضم اليه بعضها وتحالف مع البعض الآخر منها (3)، وهذا ما مكنه من توسيع رقعة دولته، ولبس اشارة السلطان، و نظم دولته، واتخذ لنفسه مظاهر الملك والسلطنة. (4)

ومنذ ذلك الوقت بدأ نجم دولة بني عبد الواد يعلو يوما بعد يوم، و غدت عاصمة ملكها - تلمسان -، حاضرة من حواضر العالم الاسلامي. (5)

توفي السلطان يغمراسن بن زيان - رحمه الله - بمنطقة رهيو من شلف سنة 681 هـ / 1283 م وعمره ثمان و سبعين سنة، حكم خلالها الدولة العبد الوادية مدة ثمان وأربعين سنة

(1) نقلا عن محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط2، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964، ص 85.

(2) أحاط يغمراسن بن زيان دولته بسياج من القبائل العربية والبربرية، فكانت له درعا واقيا، وخطا دفاعيا أماميا ضد خصومه من بني حفص وبني مرين، أبو راس المعسكري، المرجع السابق، ورقة 14، كما كانت له حروب مع القبائل المناوئة له من عرب و بربر فاق عددها الاثنين وسبعين مع العرب وحدهم، ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان، ص 128.

(3) تقسم القبائل بالمغرب الأوسط على هذا العهد حسب تبعيتها للدولة العبد الوادية إلى ثلاثة أقسام هي: قبيلة الأسرة الحاكمة، وهي قبيلة بني عبد الواد و التي تضم - حسب ما ذكر صاحب العبر في ج7، ص 149 - ستة بطون هي: بنو ياكيتين، بنو وللو، بنو ورسطف، مصوفة، بنو تومرت، و بنو القاسم. تليها القبائل المتحالفة التي كانت تقدم ولائها مقابل مجموعة من الامتيازات، ومنها عرب بني هلال. ثم القبائل الغارمة وهي القبائل الخاضعة لسيطرة الدولة العبد الوادية بالقوة، والمطالبة بدفع الغرائم، ومنها قبائل مغراوة، توجين، وملكيش. للمزيد من التفاصيل حول هذه القبائل ينظر: محمد مكبوري، الأوضاع السياسية الثقافية، ص ص 19-21؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص ص 201-205.

(4) انتقى يغمراسن بن زيان جيشا من زناتة، وأضاف إليه فرقا من عناصر مختلفة كالغز والروم، وقام بتولية العمال على الأقاليم الخاضعة لسلطانه، واستحدث مجلسا للوزراء، واختار لديوانه نخبة من الكتاب الوافدين عليه من الجاليات الأندلسية المهاجرة، منهم الأدبيين ابن وضاح، وأبو بكر ابن خطاب. ينظر: العبر، ج7، ص 162-163؛ مبارك الملي، المرجع السابق، ج2، ص 439؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 21.

(5) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 162-163؛ ابن الأعرج، المصدر السابق، ورقة 35.

، حين كان يستعد لاستقبال زوجة ابنه الأمير أبي سعيد ،وهي ابنة السلطان الحفصي أبي اسحاق بن أبي زكريا. ليخلفه في الحكم أبي سعيد عثمان. (1)

تولى يغمراسن بن زيان زعامة بني عبد الواد وهو شاب - لم يتجاوز الثالثة والثلاثين سنة- يتوقد حيوية ونشاطا ،وأعلن عن استقلاله بالمغرب الأوسط دون الموحدين في كيان سياسي حمل اسم قبيله "دولة بني عبد الواد" التي مكن لها في منطقة تميزت بالاضطراب والصراع حول بسط النفوذ عليها .فبنو حفص في المغرب الأدنى كانوا يطمعون في السيطرة عليها على اعتبار أنهم ورثة الموحدين الشرعيين وكثيرا ما حملوا هذا الاسم، والمرينيون في المغرب الأقصى كان لهم نفس الطموح على اعتبار أنهم من ملك عاصمة الموحدين. والموحدون أنفسهم كانوا متمسكين بملكهم قبل زواله على يد المرينيين.

وفي المغرب الأوسط كانت بعض القبائل البربرية مثل بني مطهر وبني راشد ترى لنفسها الحق في حكم المنطقة بدل بني عبد الواد. لكن ورغم كل هذه الصعاب تمكن يغمراسن بن زيان من التمكين لدولته والسير بها قدما حتى أصبحت أطول الدول التي حكمت المغرب الأوسط عمرا.

ولم يكن تمكن يغمراسن بن زيان لدولة بني عبد الواد نتيجة قوة قبيلته وأحلافها ، وإنما كان نتيجة حصافة الرأي وسداد التدبير وقوة العزيمة التي تميز بها. (2) ومن مظاهر ذلك:

1- استغلاله ضعف دولة الموحدين.

بعد أن استطاعت دولة الموحدين (3) توحيد بلاد المغرب الاسلامي الممتدة من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ،و من البحر الأبيض المتوسط و الأندلس شمالا إلى الصحراء

(1) توفي يغمراسن بن زيان وعمره ثمان وسبعين سنة ،حكم خلالها الدولة العبد الوادية مدة ثمان وأربعين سنة ،عن ظروف وفاته ينظر: التنسي ،تاريخ بني زيان ،ص 128.

(2) العبر ،ج 7 ،ص 162.

(3) حول تأسيس هذه الدولة و تطورها ينظر المدخل من هذا البحث.

جنوبا، تحت رايتها⁽¹⁾، و بعد أن أصبحت قوة فاعلة غرب العالم الاسلامي الذي كان يعاني من شدة الحروب الصليبية المدمرة ،والهجوم المغولي الكاسح ،في شرقه،و الاسترداد الاسباني المتتالي في غربه.⁽²⁾ دخلت بداية من القرن السابع الهجري (7 هـ) ،الثالث عشر ميلادي مرحلة الضعف ،والاضمحلال ،و التفكك ،نتيجة تضافر عدة عوامل⁽³⁾.

من أهم هذه العوامل ،وأبرزها هزيمة معركة حصن العقاب سنة 609هـ / 1212م⁽⁴⁾ ،والتي تعتبر بداية نهاية الموحدين ،بعدها أدخلت المغرب الاسلامي والأندلس في حالة من الفوضى والاضطرابات أدت إلى تفككه إلى وحدات سياسية متناحرة.⁽⁵⁾

(1) وهي بذلك أول دولة استطاعت توحيد بلاد المغرب الاسلامي تحت راية أبنائه من البربر ،مبختوت بودواية ،المرجع السابق ،ص 12 ؛عبد العزيز فيلاي ،المرجع السابق ،ج 1 ،ص 13 ؛هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 2.

(2) حول الصراع الموحدوي الاسباني ينظر: عبد الواحد المراكشي ،المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،نشر محمد سعيد عريان و محمد العلمي ،دار الاستقامة ،القاهرة ،1963 ،و عن دور الموحدين في الحروب الصليبية ،ينظر: سعد زغلول عبد الحميد ،العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي و أبي يوسف يعقوب المنصور ،مقال بمجلة بكلية الآداب بالإسكندرية ،عدد 16 و 17 لسنة 1953 ،ص ص 84 - 100 .

(3) يحدد الأستاذ عز الدين عمر أحمد موسى هذه العوامل في: الضعف السياسي ،التفكك الإداري ،الانهيار العسكري ،اتساع نطاق الثورات و الفتن الداخلية ،تقلص أراضي الدولة في الأندلس و بلاد المغرب ،و الخراب الاقتصادي ،دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي ،ط 1 ،دار الشروق ،بيروت ،1983 ،ص 75 و ما بعدها .

(4) معركة حصن العقاب و المشهورة عند الاسبان ب: LA Navas de TOLOSA دارت رحاها بين الموحدين بقيادة محمد الناصر الموحدوي ،و بين الجيش الاسباني المسيحي بقيادة ألفونسو الثامن ،عند سفح جبل المودارال (سهول طولوزا) ،و انهزم فيها الموحدون ،ينظر في ذلك: أحمد بن محمد المقرئ ،نفح الطيب ،ص 117

؛ (1232-1492) Arie Rachel ,L'Espagne Musulmane au temps de Nasrides ، édition E.de Boccard ,Paris ,1973 ,p49 ،؛مارمول كرنخال ،أفريقيا ،ترجمة محمد حجي و آخرون

،ج 1 ،مكتبة المعارف ،المغرب ،1984 ،ص 373 ؛بن أبي الزرع ،الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية ،دار المنصور للطباعة ،الرباط ،1972 ،ص 24 ؛الأنيس المطرب ،ص ص 238-240.

(5) فقد استقل بنو حفص (فرع من الموحدين ،من هنتاتة) بالمغرب الأدنى أو افريقية سنة 625 هـ / 1227 م متخذين من تونس عاصمة لهم ،و استطاع بنو الأحمر تأسيس دولتهم بالأندلس (الدولة النصرية) سنة 629 هـ / 1231 م ،و عاصمتها غرناطة ،بينما استقل بنو عبد الواد بالمغرب الأوسط ،بعدها أسسوا دولتهم سنة 633هـ / 1236م ،و عاصمتها تلمسان ،قبل أن يتمكن بنو مرين من تأسيس دولته بالمغرب الأقصى بعد القضاء على دولة الموحدين سنة 668 هـ / 1269 م ،عن دولة بني حفص ينظر: ابن عذارى المراكشي ،البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،ج 3 ،نشر ليفي بروفنسال و كولان ،دار الثقافة ،بيروت ،1967 ،ص 231 ،و ما بعدها ؛أبو محمد عبد الله التيجاني ،رحلة التيجاني ،تقديم حسن حسني عبد الوهاب ،الدار العربية للكتاب ،تونس ،1981 ،ص 360 و ما بعدها

اضافة إلى ثورة بني غانية⁽¹⁾، والحروب المتكررة مع بني مرين، وولاية النواحي

الخارجين عنها.⁽²⁾

هذا فضلا عن الأوضاع الداخلية التي كانت تعيشها الأسرة الحاكمة (آل عبد المؤمن)
، و منها وفاة الخليفة محمد الناصر المفاجئة بعد عام من هزيمة العقاب ، اثر عودته من الأندلس
، وتعيين ابنه المستنصر⁽³⁾ مكانه وهو لا يزال في السادسة عشر من عمره لا يفقه في شؤون

=عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6 ،ص 404 و ما بعدها ؛ G.Marçais ,La berberie
Musulmane et l'orient au moyen âge ,Paris ,1946 ,p 279.

وعن دولة بني الأحمر ،ينظر: لسان الدين ابن الخطيب ،اللمحة البدرية في الدولة النصرية ،منشورات دار الأفاق الجديدة
،بيروت ،1978 ،ص 17 و ما بعدها ،و عن دولة بني عبد الواد ،ينظر:المبحث الأول من هذا الفصل ،وعن دولة بني
مرين ينظر: ابن أبي الزرع ،الأنيس المطرب ،ص 205 ،و الذخيرة السنية ،ص 117-118 ؛العبر ،ج7 ،ص 375
؛حسين مؤنس ،تاريخ المغرب و حضارته ،مج2 ،ط1 ،ج2 ، دار العصر الحديث ،بيروت ،1992 ،ص 21 ؛مؤلف
مجهول ،مفاخر الربيع ،تحقيق عبد القادر بوباية ،دار أبي الرقراق ،الرباط ،2005 ،ص 118 ؛ابن السماك ،المصدر السابق
،ص 261 ؛محمد المنوني ،ورقات عن حضارة المرينيين ،ط3 ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،2000 ،ص 14 .
⁽¹⁾ ينتمي بنو غانية إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية التي ينحدر منها أمراء المرابطين ،قد سموا بهذا الاسم نسبة لأهمهم التي
كانت تدعى غانية ،كانوا ولاية على دانية فامتلكوا جزر البليار شرق الأندلس ،و استقلوا بها ،و أعلنوا ولائهم للعباسيين
،ثم ثاروا على الموحدين راغبين في احياء الدولة المرابطية ،فغزوا في حركتهم هذه كل من بجاية ،مليانة ،قلعة بني حماد
،قسنطينة ،،و غالب افريقية شرق الدولة الموحدية ،و قد أحدثت هذه الحركة اضطرابا في المغرب الاسلامي بأكمله ،ينظر:
عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6 ،ص 508 ؛عبد العزيز سالم ،المرجع السابق ،ص 803-805 ؛محمد العروسي
المطري ،السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1986 ،ص
17 وما بعدها.

⁽²⁾ لقد أنهكت هذه الحروب الجيش الموحدية و جعلته هشاً لا يقدر على الصمود و المقاومة ،وخير دليل على ذلك انهزامه
في موقعة بني بملول سنة 653 هـ / 1255 م دون قتال ،و قبول الخليفة المرتضي بدفع اتاوة مالية كل عام للمرينيين
لعجزه عن قتالهم ،ثم عجزه عن رد الوائق أبي دبوس الذي أخذ منه الخلافة سنة 665 هـ / 1266 م ،ينظر: ابن
عذارى المراكشي ،المصدر السابق ،ج3 ،ص 392 ،وما بعدها ؛العبر ،ج6 ،ص 573 وما بعدها ؛ابن أبي الزرع ،روض
القرطاس ،ص 183 ؛ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج12 ،دار صادر بيروت ،1967 ،ص 146-147 ؛ابن السماك
،المصدر السابق ،ص 256-257 ؛عز الدين عمر أحمد موسى ،المرجع السابق ،ص 93-98 .

⁽³⁾ لم يحظ يوسف المستنصر بالإجماع من قبل مشايخ الموحدين ،فقد رفضه البعض ،و استصغره البعض الآخر ،بينما وجد
فيها طرف ثالث فرصة للاستبداد بالحكم ،و الحفاظ على مصالحهم و امتيازاتهم ،أما هو (يوسف المستنصر) فقد انشغل
بنفسه عن التدبير بما يقتضيه الشباب . ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6 ،ص 524 ؛السلواوي الناصري
=،الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ،ج2 ،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،1955 ،ص 204 ،وعن استبداد مشايخ
الموحدين بالسلطة ينظر: عز الدين عمر أحمد موسى ،المرجع السابق ،ص 85-88 .

الدولة و سياسة الملك شيئا ، الأمر الذي فتح المجال واسعا لشيوخ الموحديين للاستبداد بالحكم⁽¹⁾. ويضاف إلى هذا الأزمة التي حدثت بين الخليفة المأمون الموحدى ، ومشايخ الموحديين وأعيانهم ، بعد أن نفى فكرة المهديّة ، و كفر بها ، و أزال اسم المهدي من الخطبة و السكة و الآذان ، و قطع النداء بالبربرية عند الصلاة⁽²⁾ ، ولم تنته هذه الأزمة إلا بوفاته سنة 630هـ/1232م ، و تولى ابنه الرشيد الذي أعاد لهؤلاء المشايخ و الأعيان امتيازاتهم من دور ، و أسهم ، و رسوم⁽³⁾ ، فأصبحوا من أكبر مؤيديه و الداعين له .⁽⁴⁾

وقد جعلت هذه الأحداث مجتمعة الخلفاء الموحديين غير قادرين على اصلاح الأمور التي ما فتئت تسوء يوما بعد يوم خارج مدينة مراكش وأحوالها ، حتى سقطت على المرينيين سنة 668 هـ / 1269 م .⁽⁵⁾

(1) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين و الموحديين في المغرب و الأندلس ، ج2 ، عصر الوحديين و انهار الأندلس الكبرى ، القاهرة ، 1960 ، ص 290 وما بعدها ؛ عز الدين عمر أحمد موسى ، المرجع السابق ، ص 85-88 .

(2) و قد فعل ذلك بعد أن نكث مشايخ الموحديين بيعتهم له و حاولوا البيعة ليحيى بن الناصر الفتى الصغير ليكون طوع أمرهم ، و لم يكتفي المأمون بما فعل بأن حاد عن شريعة المهدي بن تومرت بل استنجد بملك قشتالة ، ولما دخل مراكش سنة 626 هـ / 1229 م قتل الناكثين عن بيعته . ينظر: ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 267-268 ؛ العبر ، ج6 ، ص 530 ؛ ابن أبي الزرع ، روض القرطاس ، ص 167-168 ؛ لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج1 ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، دار المعارف ، مصر ، (د . ت) ، ص 419-420 .

(3) فعل ذلك مقابل أن يؤيدوه ، و ينقلبوا على منافسه على الخلافة يحيى بن الناصر . ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 533 .

(4) و يصف لنا ابن عذارى المراكشي فرحة هؤلاء المشايخ و انقلاب حالهم حين تلقيهم نبأ اعادة امتيازاتهم و الرسوم إليهم فيقول: "... فيا الله ماذا بلغ من سرورهم ، و ما كانوا عليه من الارتياح عند سماعهم الخير ، فانطلقت ألسنتهم بالدعاء بنصر خليفتهم و تأييده و اعلاء أمره و تجديده ، و شملت الأفراح الكبير منهم و الصغير ، عم الجلل الحاضر و البادي ... " ، البيان المغرب ، ج3 ، ص 305 .

(5) ابن أبي الزرع ، الأنيس المطرب ، ص 205 ، و الذخيرة السنية ، ص 117-118 ؛ العبر ، ج7 ، ص 375 ؛ حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 21 ؛ مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، ص 118 ؛ ابن السماك ، المصدر السابق ، ص 261 ؛ محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 14 ؛ مريم سكاكو ، مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس ما بين القرنين الثامن و التاسع الهجريين (14 - 15 م) ، مذكرة ماجستير ، شعبة التاريخ ، قسم التاريخ و علم الآثار ، جامعة تلمسان ، 2012/2011 ، ص 5 .

2- نجاح سياسة التحالفات⁽¹⁾.

بعد أن أعلن يغمراسن استقلاله عن دولة الموحدين وقيام دولة بني عبد الواد.⁽²⁾ أبقى الخليفة الموحدين بمراكش الدعاء على المنابر، وهذا ما جعل الخليفة الرشيد الموحدي يتودد إليه، ويكثر له العطايا والهدايا، والجرايات،⁽³⁾ وظلت العلاقة بين الطرفين جيدة، يجمع بينهما تحالف عسكري ضد بني مرين - عدوهما المشترك - الذين كانت قوتهم تتزايد بالمغرب الأقصى إلى أن غزا الأمير الحفصي أبي زكريا بن أبي حفص⁽⁴⁾ تلمسان، وعقد صلحا مع يغمراسن بن زيان بعد أن أعاده إلى عرشه بعدما تركه مرغما إثر غزو الأول له.

أدخل هذا الصلح الريبة إلى قلب الخليفة الموحدي أبي الحسن السعيد وتخوف من عواقبه⁽⁵⁾ فخرج بجيوشه قاصدا تلمسان لتجمعه مع يغمراسن معركة حامية الوطيس بالقرب من قلعة تامزدكت⁽⁶⁾ سنة 646هـ / 1248م كان الانتصار فيها حليف يغمراسن بعد مقتل أبو الحسن⁽⁷⁾. وبعد زوال رسم دولة الموحدين استمر تحالف يغمراسن بن زيان مع بني حفص والذين أعلن لهم البيعة والولاء، وذلك ليؤمن حدود دولته الشرقية، ويتفرغ لحرب بني مرين والذين استمر في صرعه معهم حتى وفاته سنة 681هـ / 1283م.

3- استعماله للقبائل العربية والبربرية.

(1) ستناول هذا الموضوع بالتفصيل من خلال المبحث الثالث من هذا الفصل والموسوم بـ: " حكمة يغمراسن بن زيان من خلال العلاقات الخارجية".

(2) في بداية توليته أبقى يغمراسن بن زيان على الدعاء والخطبة للموحدين على منابر المساجد التلمسانية، وكذلك ذكر خلفائهم على العملة، ينظر في ذلك: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 119؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 16.

(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 205؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 116.

(4) أبو زكريا مؤسس الدولة الحفصية بتونس سنة 625/1228م، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 594-595.

(5) السلاوي، المرجع السابق، ص 29.

(6) هي قلعة حصينة تقع جنوب واحة، قرب جبل العصفور في الحدود الجزائرية المغربية، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 168-169.

(7) مؤلف مجهول، الذخيرة السنوية، المصدر السابق، ص 78؛ ابن عذارى المصدر السابق، ص 387-388؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 58، وج 7، ص 82؛ ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 102.

إذا كانت الدول السابقة بالمغرب الاسلامي قامت على أساس حركات دينية مذهبية⁽¹⁾، فإن يغمراسن بن زيان قد نحي منحى آخر إذ اعتمد في بناء دولته على قبيلة بني عبد الواد، والاستعانة بالقبائل البربرية والعربية التي استوطنت المغرب الأوسط، والتي تمكن بفضل دهائه وحكته من توجيهها حسب مصالحه المشتركة معهم، أو المصالح الذاتية لدولته.⁽²⁾ فالقبائل البربرية لم تكن كلها تكن الود لبني عبد الواد، فقد كان منها من قدمت لها - للدولة العبد الوادية - فروض الولاء والطاعة، وشاركت في تأسيس مجدها، وتوسيع رقعتها مثل: بني واسين⁽³⁾، وأولاد منديل⁽⁴⁾، وكومية⁽⁵⁾، وبني يلومي⁽⁶⁾، وبني وامانو، وبني ورنيد⁽⁷⁾، وهوارة⁽⁸⁾، وغيرها من القبائل البربرية التي كان يتشكل منه المغرب الأوسط على عهد الدولة العبد الوادية .

- (1) مثل دول الخوارج، والشيعية، ودولة المرابطين والموحدين، عن هذه الدول، والأفكار التي قامت عليها، ينظر: عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 465 وما بعدها؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 53 وما بعدها.
- (2) كانت الدولة العبد الوادية الفتية تواجه أخطارا داخلية، تتمثل في منافسة القبائل الزناتية لبني عبد الواد على الحكم، وأخطارا خارجية، تمثلت في الأطماع والتحرشات الحفصية، والمرينية، من الشرق ومن الغرب، لكن يغمراسن بن زيان عالج هذه القضية بدبلوماسية هادئة، فكان له ذلك سلما إلى الملك، الذي أورثه إلى بنيه سائر الأيام. ينظر في ذلك: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 154؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 16.
- (3) هم بنو واسين بن يصلتين، مواطنهم ما بين ملوية، وحبل بني راشد، اشتروا بفرعين أساسيين هما بادين وورتاجن، فمن بادين تفرع بنو عبد الواد، ومن ورتاجن تفرع بنو مرين. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 114 .
- (4) يستوطن هذا القبيل غرب شلف، من أهم مدغم: شرشال، مليانة، برشك وتنس، و هم من شيد مدينة مازونة بالتعاون مع مغاوة. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 131؛ Belhamissi (M), histoire de Mazouna (des origines à nos jours), S.N.E.D ,Alger ,1981 ,pp 25.
- (5) تنحدر كومية من بني فاتن، تفرعت عنها ثلاثة بطون هي: صغارة، ندرومة، و بني يلومي، و كومية و هي قبيلة عبد المؤمن بن علي الموحد، يخضعون لسلطة الدولة العبد الوادية ويناصروها، العبر، ج 6، ص 257؛ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 339؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 223-222.
- (6) بني يلومي كانوا في خدمة بني عبد الواد ويخضعون لطاعتهم، مواطنهم بالضفة الغربية لوادي مينا، والبطحاء وسيق، وسيرات، و جبل هوارة، وحبل بني راشد. العبر، ج 7، ص 114؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 223.
- (7) هم فرع من بني توجين استوطنوا المرتفعات، والمناطق الجنوبية من الونشريس، يوجد جنوب تلمسان جبل يسمى باسمهم. العبر، ج 7، ص 320.
- (8) تستوطن هذه القبيلة الجبل المنسوب إليها - هوارة - القريب من البطحاء والونشريس، كانت هذه القبيلة متحالفة مع بني عبد الواد . العبر، ج 7، ص 204؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 224-226.

وكان منها من ناصبتها العدا، وتحالفت مع أعدائها، وسعت للإطاحة بعرشها، ومنها على وجه الخصوص مغراوة، و توجين، و صنهاجة.⁽¹⁾

ومنها من كانت مواقفها متذبذبة بين مؤيدة مناصرة، ومعادية متخاذلة مثل بني يفرن⁽²⁾، ومغيلة.⁽³⁾

لكن هذه القبائل وعلى اختلاف علاقاتها بالدولة العبد الوادية، كانت تشترك في تغليب المصلحة الذاتية، وهو الأمر الذي استغله يغمراسن بن زيان للاستفادة من قوتها - في مد نفوذه، ومقارعة أعدائه -، خاصة في حالة ظهور عدو مشترك،⁽⁴⁾ وكانت أغلب هذه القبائل تخضع مضطرة للدولة العبد الوادي حالة قوتها .⁽⁵⁾

(1) أراضي هذه القبيلة بضواحي المدينة، و الونشريس، و منهم فرع آخر يعرف باسم ملكيش يستقر بنواحي متيجة، واستوطن قسم منهم الصحراء، وهم المعروفون باللمثمين، و قد ناصبت هذه القبيلة العدا لبني عبد الواد، و هي مناوئة لهم، و كثيرا ما كانت تخرج ضدهم. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 330-341؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 215.

(2) استوطنوا تلمسان منذ القدم، وهم من شيدوا مدينة أكادير بتلمسان، وكان موطنهم على عهد بني عبد الواد بنواحي تلمسان، وتيهرت، كانت علاقاتها بالدولة العبد الوادية تخضع لقوة هذه الأخيرة، و ضعفها. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 22؛ أبو راس العسكري، المرجع السابق، ورقة 48؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 210-211.

(3) تنتمي قبيلة مغيلة إلى بني فاتن، من أبرز رجالها أبي قرة المغيلي (ق 2 هـ / 8 م)، كان موطنها على عهد بني عبد الواد عند مصب وادي شلف بالقرب من مازونة، كان مقفها من سلاطين بني عبد الواد متذبذبا بين التأييد و المناوئة، العبر، ج6، ص 225، و ج7، ص 24؛ المقرئ: المصدر السابق، ج1، ص 312؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 222-223؛ Belhamissi (M), opcit ,pp 25-29

؛ Loukil (Y), Monographi de Mazouna ,Alger ,1912 ,p 8 .

(4) مثلما حدث خلال الحصار الطويل الذي فرضه بني مرين على تلمسان نهاية القرن السابع للهجرة، الثالث عشر للميلاد، ومناصرتها لأبي سعيد، وأبي ثابت عندما قاما بإحياء الدولة الزيانية سنة 749 هـ / 1348 م، ثم لأبي حمو موسى الثاني سنة 760 هـ / 1359 م. عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 19.

(5) خاض يغمراسن الكثير من الحروب مع القبائل البربرية خاصة توجين و مغراوة من أجل إخضاعها لأنها كانت تنافسه في الملك و السلطان، ولم تخضع له إلا بالقوة. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 164؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 128.

أما القبائل العربية التي استقرت ببلاد المغرب الاسلامي مع استقرار الفتح،⁽¹⁾ والتي سكنت حواضره وبواديها،⁽²⁾ فقد كانت في معظمها تساند بني عبد الواد، وتقف إلى جانبهم برجالها وعتادها، كما لعبت أدوارا هامة في قيام دولتهم، وتوطيد أركانها، ومد نفوذها،⁽³⁾ ومن أهم هذه القبائل: بني عامر⁽⁴⁾، بني يزيد⁽⁵⁾، بني

(1) استقرت بهذه المنطقة مع استقرار الفتح الاسلامي، وهي في أغلبه من عرب الجنوب (اليمنية)، و عرب الشمال (المضرية)، ثم لحقت بها قبائل أخرى قدمت من الشام، والعراق، ومصر، وبلاد فارس. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 19، وحول عدد الجيوش الفاتحة ينظر: أحمد عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1984، ص ص 175-200.

(2) كما استقرت بهذه المناطق قبائل بني هلال التي احتاحت ربوع المغرب الاسلامي خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، و التي استولت على الكثير من الأراضي بالقوة، و كانت تتعاون مع الدول المتعاقبة حينما، و تخرج عنها أحيانا كثيرة. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 19، وأيضا لنفس المؤلف، المظاهر الكبرى في عصر الولاية ببلاد المغرب و الأندلس، دار المعارف للطباعة و النشر، سوسة، تونس، 1991، ص 181-182. وعن الغزو الهلالي = لبلاد المغرب ينظر: العير، ج6، ص 27 وما بعدها؛ المقريري، المصدر السابق، ص 224 و ما بعدها؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 666 و ما بعدها.

(3) كان يغمراسن بن زيان قد حالف أغلب هذه القبائل و قرىها منه للاستفادة من قوتها، في رد هجمات الحفصيين من الشرق، و المرينيين من الغرب، و من أهم هذه القبائل بطون زغبة، التي أصبحت تربطها بالدولة العبد الوادية صلة الحلف و التعاون. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القاهرة، 1959، ص 272؛ العير، ج6، ص 85؛ أبوراس العسكري، المرجع السابق، ورقة 14؛ عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة، ج1، بيروت 1968، ص 137؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 20.

(4) هم بنو عامر بن زغبة أسكنهم يغمراسن بن زيان نواحي تلمسان و وهران، فكان لهم الأثر الحسن على دولته، بفضل مساندتهم له و لخلفائه من بعده ضد بني حفص، و بني مرين، حيث ذكر عبد الرحمن بن خلدون في العير، ج7، ص 278 أنهم شيعة خالصة لبني عبد الواد منذ أول أمرهم، و قد كانوا أعداء لقبيلة سويد المناوئة لبني عبد الواد، وقد ظل بنو عامر مخلصين لبني عبد الواد حتى سقوط وهران في يد الاسبان فانقلبوا ضدهم و تعاونوا مع هؤلاء. يحيى بن خلدون، المصدر = السابق، ج2، ص 28؛ عبد القادر بن عبد الله المشرفي، بحجة الناظرين في أخبار الداخلين تحت ولاية الإيبانيين بوهران من أعراب بني عامر، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)، ص 9 وما يليها.

(5) بنو يزيد من زغبة، كانت تستوطن بلاد حمزة من اقليم بجاية (البويرة حاليا)، ناصرت بني عبد الواد و تحالفت معهم، كانت تقوم بجمع جباية المناطق المجاورة لها، غزاهم أبو حمو موسى الثاني، و أرغمهم على الفرار إلى حصن جرجرة، بعدما ناصروا غريمه أبا زيان. عبد الرحمن بن خلدون، العير، ج6، ص ص 87-91؛ يحيى بن خلدون، البغية، ج2، ص ص 133-135.

مالك⁽¹⁾، المعقل⁽²⁾، وذوي منصور⁽³⁾، أما القبائل التي كانت تناصب العداء لبني عبد الواد وتساند أعداءها فهي على الخصوص: حصين⁽⁴⁾، ذوي عبيد الله⁽⁵⁾، سويد⁽⁶⁾.

و لم ييخل بنو عبد الواد بالحظوة والنفوذ، والمال، والأراضي الخصبة على القبائل المناصرة لهم⁽⁷⁾، فكثيرا ما كانت الوفود الرسمية التي يرسلها سلاطين بني زيان للدول المجاورة تتشكل من الفقهاء و الكتاب، و رؤساء القبائل⁽⁸⁾.

(1) بنو مالك استوطنوا جنوب أراضي توجين ما بين سعيدة و المدينة، وقد كانت لهم حظوة عند بني عبد الواد، إلا أنهم لم يحافظوا عليها بسبب تذبذبهم في موقفهم بين الولاء لبني عبد الواد و بني مرين. عبد العزيز فيلالي، ج 1، تلمسان في العهد الزياني، ج 1، هامش 65، ص 34.

(2) عرب المعقل ينسبون أنفسهم إلى بني هاشم، و قد اختلف المؤرخون في نسبهم، فهناك من يرجعه إلى بني هلال، وهناك من يرجعه إلى عرب اليمن، كانوا ينتشرون عبر أراضي المغرب الأوسط و المغرب الأقصى، استقروا بنواحي تلمسان بعدما نقلهم أبو حمو موسى الثاني إليها، و أقطعهم بعض الأراضي بها، و آخى بينهم وبين بني عامر. العبر، ج 7، ص 260؛ البغية، ج 2، ص 222؛ السلاوي الناصري، المرجع السابق، ج 2، ص 131-132؛ عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج 1، ص 414.

(3) ذوي منصور من عرب المعقل، و هم أنصار بني عبد الواد و حلفائهم، كانت مواطنهم ما بين ملوية شرقا و درعة غربا. العبر، ج 6، ص 131، و أيضا: مبارك الملي، المرجع السابق، ج 2، ص 372-373؛ عبد الوهاب بن منصور المرجع السابق، ج 1، ص 425؛ عمر مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 139-283.

(4) تمتد مواطن حصين بين جبل التيطري و المدينة إلى الجنوب بجوار بني يزيد، كانوا مناوئين لبني عبد الواد، و لا يتوانون في التحالف مع أعدائهم، أو دعم الخارجين عنهم و تحريضهم، و قد لعبوا أدوارا كبيرة و خطيرة في اضطراب أمن الدولة العبد الوادية، و لعل ذلك راجع لتغلب بني عبد الواد عليهم، و إذلالهم، و إتقال كاهلهم بالضرائب. العبر، ج 6، ص 91-93.

(5) ذوي عبيد الله مواطنهم تناخم مواطن بني عامر إلى وادي ملوية، و منابع وادي صا، و كانت لهم قصور بتوات و تمنطيط، كانوا في الغالب الأعم حلفاء لبني مرين ضد بني عبد الواد، خاصة بعدما استقروا بالأقاليم الواقع بين هنين و وحدة و ندرومة. ينظر: العبر، ج 6، ص 123-126؛ مبارك الملي، المرجع السابق، ج 2، ص 373.

(6) كانت علاقة سويد مع الدولة العبد الوادية حسنة في البداية، فأقطعهم أراضي البطحاء، و منحهم خراجها، ثم ساءت علاقتهما بسبب فتنة بينهما، فترج سويد خلف مواطن توجين و حالفوهم على حرب بني عبد الواد، و كانوا يحرضون بني مرين على غزو تلمسان. ينظر: العبر، ج 6، ص 46-48؛ مبارك الملي، المرجع السابق، ج 2، ص 375.

(7) لقد انتشرت ظاهرة اقطاع الأراضي انتشارا كبيرا على عهد الدولة العبد الوادية خاصة في مرحلة ضعفهم، ينظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج 1، ص 20؛ لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 49.

(8) أبو عبد الله محمد ابن مرزوق الخطيب، المجموع، ورقة 25.

4 - موقع مدينة تلمسان.

تلمسان في لغة زناتة كما ذكر ابن خلدون اسم مركب من كلمتين تلم - سين وتقرأ بـ (سان) ومعناها تجمع بين اثنين البر والبحر، وعند صاحب البغية تعني التل و الصحراء، وهي من أقدم مدن المغرب الأوسط، عرف الاستقرار البشري منذ آلاف السنين، عرفت باسم بوماريا خلال العهد الروماني، كما عرفت باسم أكادير نسبة إلى المدينة التي أسسها بنو يفرن بالمنطقة إضافة إلى تآكرارت المدينة التي أسسها المرابطون.⁽¹⁾

تقع مدينة تلمسان، في الشمال الغربي من المغرب الأوسط. بمكان مائل نحو الغرب، في الإقليم الرابع من الأقاليم الفلكية السابع⁽²⁾، على خط طول $14,40^{\circ}$ ودائرة عرض $33,42^{\circ}$ ⁽³⁾ على ارتفاع 830 م عن سطح البحر، تحيط بها الجبال و الهضاب الصخرية من الجهة الجنوبية. ويجدها من الشمال الغربي مرتفع ترارة، وجبل فلاوسن، ومن الشمال الشرقي مرتفعات السبعة الشيوخ وتسالة.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ العبر، ج7، ص 156-157؛ بغية الرواد، ج1، ص 85؛ وللمزيد حول تاريخ مدينة تلمسان، و الأسماء التي عرفت بها، وعهدها، ينظر: sa, Tlemcen ancienne de royaume de ce nom, Barges (L.J.J.L), Paris 1859, p 7 topographie, son histoire, Paris 1859, p 7؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشر محمد بن أبي شنب، تقديم عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 9؛ ابن مرزوق، المجموع، ورقة 3-5؛ الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 17؛ مارمول كرنخال، المصدر السابق، ج1، ص 298؛ le royaume Abd elouadide a l'époque d'Abou Dhina (A), Hamou 1^{er} et d'Abou Tachafin 1^{er}, O.P.U, Alger, p 31.

⁽²⁾ و هو أثر الأقاليم اعتدالا من عيث المناخ، و أكثرها وفرة في المياه و النبات و الحيوان، ينظر: يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 84؛ لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 48؛ Marçais (G), Tlemcen ville d'art et d'histoire, 2^{ème} congres de la fondation des société savantes de l'Afrique de nord, Tlemcen, publié par soin de la société historique Algérienne, Alger, 1936, p 31.

⁽³⁾ لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 48؛ عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر، ص 17.

⁽⁴⁾ ابن مريم، المصدر السابق، ص 8-9.

تشرف مدينة تلمسان من الجهة الشمالية على سهول الحنايا الخصبة التي تمتد نحو الغرب أين تتصل بسهول لالة مغنية.⁽¹⁾ وهي لا تبعد عن البحر إلا بسبعة فراسخ.⁽²⁾

وقد ضمن لها هذا الموقع حصانة طبيعية قوية،⁽³⁾ فقد وفر لها سهولة الدفاع و قوة الصمود أمام الغزاة، فكانت الجبال والهضاب بمثابة الحصون الدفاعية القوية.⁽⁴⁾

تتصل مدينة تلمسان بالبحر عن طريق ممرات سهلة تخترق الجبال المحيطة بها، حيث تعد طرقا حيوية نحو موانئ هنين،⁽⁵⁾ ووهران، وأرشكول،⁽⁶⁾ وهي موانئ قريبة من موانئ الأندلس حيث لا تبعد عنها إلا بمسافة يوم وليلة.⁽⁷⁾

وتعد مدينة تلمسان خزاناً طبيعياً للمياه، حيث تتوزع بها ينابيع كثيرة، وتنحدر من الجبال المحيطة بها⁽⁸⁾ العديد من الأودية التي تحيط

(1) Dhina (A) ,op.cit. p 31.

(2) مارمول كرنجال، المصدر السابق، ج2، ص 289 .

(3) Marçais (G) ,op.cit .p 32 .

(4) عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 87-88 .

(5) هنين مدينة ساحلية تقع غرب مدينة وهران، و تبعد عن تلمسان بأربعة و ثلاثين ميلا، سكانها ميسوري الحال، يعملون في القطن و النسيج، و منازلهم في غاية الحسن و الجمال، كانت ميناء هاماً للدولة العبد الوادية، كانت تستقبل سنويا سفنا تجارية من المدن الايطالية، و الاسبانية، و الفرنسية، و التي كانت تجني أرباحا كبيرة من تجارتها مع تلمسان، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 15-16.

(6) أرشكول مدينة ساحلية تبعد تلمسان بأربعة و ثلاثين ميلا، بناها الأفارقة على صخرة، يحيط بها البحر من كل الجهات ما عدا جهة الجنوب التي تربطها باليابسة، سكنها قوم من الأندلس فترة من الزمن. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 16.

(7) عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 87.

(8) أهم الجبال التي تحيط بتلمسان هي: سبعة شيوخ، تاسلة، بني شقران، جبال تلمسان . للمزيد حول الجبال المحيطة بتلمسان، ينظر: لخضر عبدلي، المرجع السابق، 49-53 .

بالمدينة أو تمر بجانبها مثل وادي الصفصيف⁽¹⁾، ويسر، و متشكانة⁽²⁾،
والوريط⁽³⁾.

وقد أكسبها هذا الموقع أهمية اقتصادية، وحضارية كبيرة، فهي مدينة منتجة بما العديد من البساتين التي تتوفر على الفواكه والخضر، والمحاصيل الزراعية المتنوعة التي تلي حاجيات السكان الغذائية⁽⁴⁾. كما جعلها موقعها المميز مكان تقاطع الطريقين التجاريين الهامين ببلاد المغرب وهما الطريق الذي يربط الشرق بالغرب، والمار بوادي شلف إلى تلمسان، ومنها إلى فاس فسجلماسة، والطريق الذي يربط الشمال بالجنوب، والواصل إلى السودان الغربي⁽⁵⁾، عبر فيجيج⁽⁶⁾ وتوات. وقد جعلها هذا الموقع الاستراتيجي الهام محل أطماع الغزاة من الشرق، ومن الغرب، ومن وراء البحر على مر العصور⁽⁷⁾، كما جعلها في الآن نفسه تصمد في وجه الطامعين من بني مرين، وبني حفص، الذين حاولوا ضمها إلى ممتلكاتهم⁽⁸⁾.

(1) وادي الصفصيف أو السطفصيف، واد بضواحي تلمسان، يصب في بركة عظيمة، لا يبعد كثيرا عن وادي الوريث شرق مدينة تلمسان، محمد عبد المنعم السبتي الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980، ص 318.

(2) يمر وادي متشكانة جنوب تلمسان، و شرقها. عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج 1، ص 7، ص 98.

(3) عن الأودية التي تمر بتلمسان، ينظر: محمد بلفراد، تلمسان، مجلة الأصالة، العدد 26 (جويلية - أوت)، السنة الرابعة، 1975، ص 298.

(4) محمد رضا ابن ادريس، المقالة المرومة في الرحلة إلى تلمسان و ندرومة، (مكرو فيلم)، الخزنة العامة الرباط، ورقة 21 و 22؛ p 32, op.cit. (G) Marçais

(5) محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ط 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص 29؛ p 32, op.cit. (G) Marçais.

(6) فقيق أو فكيك عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء يحيط بها عدد كبير من النخيل - تابعة في وقتنا الحاضر للمملكة المغربية قريية من منطقة بني ونيف ببشار - تنتج الكثير من الصوف الرقيق الذي يباع بأثمان مرتفعة بتلمسان وفاس رحالها أذكيا، و أثريا. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 132-133، بينما يذكر الصديق بن العربي في كتاب المغرب، الرباط، 1956، ص 120-120 أن عدد قصور فقيق كثيرة أهمها سبعة قصور.

(7) عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج 1، ص 88.

(8) حول محاولات الحفصيين، والمرينيين لضم تلمسان، ينظر: لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 101 و ما بعدها؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 18-33.

وبالتالي كان لموقع مدينة تلمسان التي اتخذها يغمراسن بن زيان عاصمة لدولته الدور

البارز في بقاء هذه الدولة ، وضمن استمراريتها لأزيد من ثلاثة قرون من الزمن.

المبحث الثاني: حكمة يغمراسن بن زيان في سياسة الرعية.

بعد استقلال يغمراسن بن زيان بالمغرب الأوسط عن الموحدين -الذين لم يُبقي لهم إلا الدعاء على المنابر- ، والإعلان عن قيام دولة بني عبد الواد ، قام بوضع الجهاز السياسي لتسيير دولته ، أي بناء المؤسسات السياسية التي تسهر على تسيير شؤونها. فلبس شارة الملك والسلطان ، ورتب الجيش ونظمه ، وسلحه ، واتخذ الآلة ، والوزراء والكتاب ، وبعث في الجهات الولاية والعمال. يقول في ذلك بن خلدون: "... واتخذ الآلة ورتب الجند والمسالح ، واستلحق العساكر من الروم والغز راحمة وناشبة ، وفرض العطاء واتخذ الوزراء والكتاب ، وبعث في الجهات العمال ، ولبس شارة الملك والسلطان ، واقتعد الكرسي ومحا من آثار الدولة المؤمنية ، وعطل من الأمر والنهي دستها ، ولم يترك من رسوم دولتهم وألقاب ملكهم إلا الدعاء على المنابر للخليفة بمراكش ، وتناول التقليد والعهد من يده تأنيسا للكافة ومرضاة للأكفاء من قومه." (1)

وإذا كانت الضرورة السياسية تحتم على أي دولة أو حاكم وضع جهاز سياسي لتسييرها ومراعاة شؤون رعيته ، وإذا كانت حنكة يغمراسن بن زيان السياسية جعلته يسارع لوضع هذا الجهاز السياسي لقطع الطريق أمام مشايخ المغرب الأوسط الطامعين في حكمه خاصة من قبائل توجين وبني مطهر ، فإن الحكمة تقتضي بأن يحسن إلى الرعية ويكسب سند بني عبد الواد ، ويستميل قبائل المغرب الأوسط من بريرية وعربية.

لذلك نجد أول ما قام به يغمراسن بن زيان بعد تنظيم دولته هو أنه أحسن السيرة في الرعية واستمال قبيل بني عبد الواد وأحلافهم خاصة قبيلة زغبة العربية بحسن الاصطناع وحسن الجوار (2) ، وقبيلة بني عامر بأن أقطعهم أراض حول تلمسان مقابل ضمان تحالفها في حالة الحروب. (3)

(1) العبر ، مج 4 ، ص 2752.

(2) نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 254.

ومن مظاهر حكمة يغمراسن بن زيان في تسيير رعيته أنه حكم دولته في بداية أمرها بعقلية شيخ القبيلة بعيدا عن مظاهر الملك وأبهة التي تميز الحكام والسلاطين ، لذلك نجد ابن الأحمر يطلق لقب الشيخ بدل السلطان أو الأمير على يغمراسن بن زيان.⁽¹⁾

كما أظهر الكثير من الورع والزهد ومن ذلك أنه لما قام ببناء مئذنة مسجد أغادير⁽²⁾ طُلب منه كتابة اسمه عليها قال: "يسنت ربي" بلغة زناتة أي "عرفه الله"⁽³⁾ ، كما قام بتوسعة المسجد الأعظم⁽⁴⁾ بأن أضاف له الجزء الشمالي من بيت الصلاة والقبة والصحن والمئذنة⁽⁵⁾ والتي كانت سببا في تغيير مقر سكناه من قصره القديم بجانب الجامع

(1) ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية ، تحقيق هاني سلامة ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2001 ، ص 63 ؛ وروضة النسرين ، ص 111 ، 112 . وإن كنا نرى رأي الأستاذ بوزياني الدرارجي (نظم الحكم ، ص 61) أن اطلاق لقب شيخ على حكام دولة بني عبد الواد من طرف ابن الأحمر كان تمكنا منه على يغمراسن بن زيان للحظ من قيمته وقيمة بني عبد الواد من ورائه على اعتبار أنه من مؤرخي بني مريين أعداء بني عبد الواد فقد قالها صراحة في بداية كتابه (تاريخ الدولة الزيانية ص 57) : " لما فرغت من الدولة المرينية في هذا المصنف ، وأتيت من أذان اجمالها بالمفرط والمشنف ، وكنت لأعدائها بالمعنف ولم أكن بالمنصف ... " إلى أن يقول: "... ممن لهم الغلبة على أعدائهم من بني عبد الواد المحقرين الأذلة المصغرين...". لكننا نرى أن لقب لقب الشيخ أطلق على يغمراسن بن زيان فعلا لأنه حكم دولته في بداية أمرها بعقلية شيخ القبيلة وذلك لكسب ود الرعية ودعم شيوخ القبائل ، خاصة وأنه كان محببا مفضلا لديهم . وقد ذهب الأستاذ بلعربي خالد إلى أبعد من ذلك حين ذكر أن يغمراسن بن زيان لم يتخل عن قيمه البدوية فقد ظل قرابة الثلاثين عاما يعيش في خيمة وسط مواشيه وفرسان قبيلته . ينظر: تلمسان من الفتح الإسلامي ، ص 215 . وإنما نشكك في هذه المعلومة اللهم إلا إذا اخذنا في الحسبان أن فترة حكم يغمراسن تميزت في أغلب فتراتها بالحروب وبالتالي اقامته في هذه الحالة تكون في الخيمة أو الفسطاط ، خاصة وأنه ينهي كلامه بقوله: "... حيث ظل يشارك في المعارك التي تقوم بها أسرته لإظهار تفوقها...".

(2) شيد مسجد أغادير على عهد ادريس الأول الذي أمر ببنائه سنة 173هـ / 789م ، وأمر ابنه ادريس الثاني بتوسعته سنة 199هـ / 814م . عن المسجد وطريقة بناءه ينظر: مبخوت بودواية ، المرجع السابق ، ص 67 ؛ هوارية بكاي ، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا ، النشر الجديد الجامعي ، تلمسان ، 2017 ، ص 63 .

(3) يحيى ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج 1 ، ص 207 ؛ التنسي ، تاريخ بني زيان ، ص 125 ؛ مبخوت بودواية ، المرجع السابق ، ص 67 ؛ هوارية بكاي ، المرجع السابق ، ص 63 .

(4) يعرف أيضا بالجامع الكبير شيد على العهد المرابطي حيث أمر ببنائه الأمير يوسف بن تاشفين (450-500هـ / 1058-1106م) حين حصاره لتلمسان سنة 473هـ / 1080م . عنه ينظر: مبخوت بودواية ، المرجع السابق ، ص 68 ، 69 ؛ هوارية بكاي ، المرجع السابق ، ص 63 ، 64 .

(5) هوارية بكاي ، المرجع السابق ، ص 64 .

الأعظم بتاكرارت⁽¹⁾ - وهو القصر الموحد الذي كان يقيم به العامل على تلمسان والمعروف بدار الإشراف⁽²⁾، إلى قصره الجديد بالمشور⁽³⁾ الذي شيده جنوب المدينة وهو عبارة عن قلعة مستطيلة الشكل تقدر مساحتها بحوالي 137200 متر مربع⁽⁴⁾، وذلك خشية أن ينكشف حريمه على المؤذن حين صعوده للمئذنة، أو غيره ممن يصعدونها.⁽⁵⁾ ولعل يغمراسن بن زيان أراد بتصرفه هذا - وهو الذكي الفطن - كسب محبة الرعية وتعاطفها بأن غير مقر حكمه احتراماً لحرمة المسجد. فليس من الهين على أي حاكم ترك قصره وتغيير مقر حكمه إلا لظروف أمنية قاهرة كأن يكون هذا القصر مكشوفاً للأعداء أو به ثغرات تُسهل عليهم اختراقه، خاصة وأن القصر شُيد قبل بناء الصومعة، وكان بإمكان يغمراسن بن زيان أن يأمر ببنائها في الجهة الجنوبية الشرقية، والتي لا يمكن منها الاطلاع على ما يحدث داخل القصر من حركة، خاصة وأن علو الصومعة ليس كبيراً. أما رفضه لكتابة لوح يخلد بناءه لصومعة مسجد أغادير على غير عادة الملوك والسلاطين فهذا يجعله في نظر الرعية حاكماً تقياً ورعاً لا يبتغي بأعماله وإنجازاته غير وجه الله تعالى، الأمر الذي سيزيد من تعلق رعيته به من العامة والخاصة، وذلك ما حدث فعلاً حيث أن أبا زكريا الحفصي لما استولى على تلمسان سنة 640 هـ / 1242 م⁽⁶⁾ لم يجد من يوليه عليها سواء من بني عبد الواد أو بني حفص أو

(1) تاكرارت أو تلمسان الجديدة وهي وسط مدينة تلمسان الحالية والمعروفة بين سكان المنطقة بـ "البلاص"، بناها الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين سنة 473 هـ / 1080 م، وتاكرارت اسم بربري المعسكر أو محلة الجيش. ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 170؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2750؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 125؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 96، 97؛ نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 5.

(2) أبو يعقوب يوسف ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1984، ص 369 و 448.

(3) المشور معناه المكان الذي يعقد السلطان اجتماعاته لمناقشة شؤون الدولة، والتشاور في أمور الرعية. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 115.

(4) وذلك أن طول قلعة المشور يقدر بـ 490 متر، وعرضه 208 متر. ينظر: Dhina (A), op.cit, p 32.

(5) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 114.

(6) عن حملة أبي زكريا الحفصي (الأول) على تلمسان ينظر: أو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد مازور، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ص 29؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص

غيرهم ، وذلك ليس خوفا من سطوة يغمراسن بن زيان الذي كان طريدا بجبال بني ورنيد جنوب تلمسان فحسب ، بل خوفا كذلك من انقلاب الرعية في تلمسان التي أحسن يغمراسن استمالتها ، لذلك اضطر أبو زكريا الحفصي إلى التفاوض مع يغمراسن بواسطة أم هذا الأخير "سوط النساء"⁽¹⁾ وإعادته إلى عرشه الذي ليس له إلا صاحبه كما قال أبو زكريا.⁽²⁾ ومن ذلك أيضا وقوف الرعية إلى جانب يغمراسن بن زيان في قتاله لجند النصارى الذين كانوا من جيشه وحاولوا الغدر به حيث يذكر عبد الرحمن بن خلدون: "... وركض النصارى أمامه - يقصد يغمراسن بن زيان - يطلب النجاة. وتبين الغدر ، وثار بهم الدهماء من الحامية والرعايا...".⁽³⁾ ومن حكمة يغمراسن بن زيان في سياسة الرعية أنه تقرب من العلماء ، وقربهم إليه لما لهم من تأثير على الرعية ، وتأثر هؤلاء بهم ، وخاصة منهم الفقهاء ، والمتصوفة.⁽⁴⁾ يقول في ذلك التنسي: "وكان - يقصد يغمراسن بن زيان - كثيرا ما يجالس الصلحاء ، ويكثر من زيارتهم ... وله في أهل العلم رغبة عالية ، يبحث عليهم أين ما كانوا ، ويستقدمهم إلى بلده ، ويقابلهم بما هم أهلهم...".⁽⁵⁾ حيث كان يكثر من زيارة الشيخ الصالح أبو عبد الله بن عيسى

=205؛ ابن الأعرج ، ج3 ، ورقة 37 . التنسي ، تاريخ بني زيان ، ص 117 ، 118 ، والذي يذكر أن استيلاء أبا زكريا على تلمسان كان سنة 645هـ .

(1) خلصت المفاوضات بين أبي زكريا الحفصي ووالدة يغمراسن بن زيان إلى عقد الصلح بين الطرفين وعودة يغمراسن بن زيان إلى عرشه ، وجلاء أبي زكريا عن تلمسان مقابل ولاء الأول للثاني ، وعلى أن يكون له عوناً على الموحدية . وقد ذكر يحيى بن خلدون والتنسي أن أبا زكريا قد أقطع يغمراسن أرضاً بافريقية جبايتها مائة ألف دينار اعانة له . ينظر: البغية ، ج1 ، ص 205 ؛ تاريخ بني زيان ، ص 118 . بينما لم يحدد عبد الرحمن بن خلدون موقع الأرض ولا مقدار جبايتها . العبر ، مج4 ، ص 2754 .

(2) لما تمكن أبو زكريا من تلمسان عرض أمرها على أشرف الحفصيين ، وأمراء زناتة فرضوا العرض خوفاً من سطوة يغمراسن بن زيان ، وهو كما ذكر ابن خلدون " الفحل الذي لا يقرع أنفه ، ولا يطرق غيله ، ولا يصد عن فريسته " . حينها قال أبو زكريا - كما ذكر التنسي - : " ليس لها إلا صاحبها " يقصد يغمراسن بن زيان . ينظر: العبر ، مج4 ، ص 2754 ؛ تاريخ بني زيان ، ص 118 .

(3) العبر ، مج4 ، ص 2756 .

(4) ألفريد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987 ، ص 312 .

(5) تاريخ بني زيان ، ص 126 .

بأجادير⁽¹⁾، وكثيرا ما كان يستقبل في قصره الشيخ الصالح ابراهيم بن علي الخياط. ⁽²⁾ كما كان يغمراسن بن زيان يعقد المجالس العلمية في قصره ، وكان كثير الرعاية والاهتمام بالمذهب المالكي. ⁽³⁾

ومن أبرز العلماء الذين تقرب منهم يغمراسن بن زيان ولزم مجالسهم:

• أبو اسحاق التنسي:

هو العالم الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي ، ولد بتنس ، درس ببجاية والمشرق ، عالم متضلع في العلوم الدينية ، استقدمه يغمراسن بن زيان إلى تلمسان بعد استيلائه على تنس للإقامة بها مدرسا ، من تلامذته أبو عبد الله ابن مرزوق جد الجد ، وأبو عبد الله العبدري. توفي أبو اسحاق التنسي سنة 680 هـ ودفن بالعباد. ⁽⁴⁾

يقول في ذلك صاحب نظم الدر: «... فكان أمير المسلمين يغمراسن يكتابه كثيرا ، ويرغبه في سكنى تلمسان. ويمتنع إلى أن نشأت فتنة مغراوة فورد مرة على تلمسان ... فبلغ خبره أمير المسلمين فركب بنفسه وجاء إليه ، واجتمع به في الجامع الأعظم ، ومعه فقهاء تلمسان ، وقال له: " ما جئت إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج ."

ووافق ذلك فقهاء تلمسان ، فعظموا عليه حتى أمير المسلمين وإتيانه إليه. عزموا عليه أن يفعل فقال لهم: " إن رجعت إلى أهلي تسببت في الانتقال ."

⁽¹⁾ ولي صالح يوجد قبره خارج باب العقبة ، ذكر يحيى بن خلدون ان له كرامات ، ووجع أكثر من خمس وعشرين مرة. ينظر: البغية ، ج 1 ، ص 112 ؛ ألفريد بال ، المرجع السابق ، ص 313 ؛ عبد العزيز فيلاي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج 2 ، ص 389.

⁽²⁾ عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 389.

⁽³⁾ ابن مرزوق ، المجموع ، ورقة 35 ؛ عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 321.

⁽⁴⁾ عن أبو اسحاق التنسي ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 181 ؛ العبدري ، الرحلة المغربية المعروفة برحلة العبدري ، تحقيق أحمد حدو ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، (د.ت) ، ص 11-12 ؛ يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج 1 ، ص 114 ؛ هوارية بكاي ، العلاقات الزيانية المرينية ، ص 84 ، 85.

فقال له أمير المسلمين: " نحن لا ندعك ترجع ولكن نرسل إلى أهلك من ينقلهم إلينا. " فكان كذلك وأقطعه أمير المسلمين اقطاعات من جملتها تيرشت ... وكان لا يوجه في الرسائل غيره.»⁽¹⁾

• أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني:

جد ابن مرزوق الخطيب أو الجد صاحب المسند ولد سنة 629 هـ ، فقيه ومحدث ، وولي من الأولياء الصالحين ، كان يغمراسن بن زيان يرغب كثيرا في لقائه ، وكثيرا ما كان يصلي في مسجد الطلبة حيث يصلي ابن مرزوق لعله يلتقيه هناك ، ولما لم يستطع ذلك قال باكيا: "...حجبتنا الله عنه ، ولكن لعل الله يجمعني به في الآخرة"⁽²⁾ ، وأوصى بأن يدفن بجواره . توفي ابن مرزوق في رجب من سنة 681 هـ ، ودفنه السلطان أبا سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان بجوار قبر والده الذي توفي قبل ابن مرزوق بحوالي ثمانية أشهر⁽³⁾ ، تنفيذاً لوصيته بدار الراحة بالجامع الأعظم.⁽⁴⁾

ومن جملة العلماء الذين قربهم يغمراسن بن زيان من مجلسه العلمان الأندلسيان الوافدان عليه ابن وضاح وأبو بكر بن الخطاب اللذان قربهما من مجلسه ، فاختص الأول بالشورى ، وجعل الثاني كاتباً له⁽⁵⁾ . يقول في ذلك عبد الرحمن بن خلدون: " ووفد عليه لأول دولته ابن وضاح اثر دولة الموحدين ، أجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الأندلس ، فأثره وقربه من مجلسه وأكرم نزله ، وأحله من الخلة والشورى . بمكان اصطفاه له . ووفد في جملته أبو بكر بن

(1) التنسي ، تاريخ بني زيان ، ص 126 ، 127 .

(2) ابن مرزوق ، المجموع ، ورقة 4 .

(3) ابن مرزوق ، المجموع ، ورقة 9 ، بينما يذكر عبد الرحمن بن خلدون أن أبا عبد الله ابن مرزوق توفي قبل يغمراسن بن زيان ، وأن هذا الأخير دفنه بقصره ليدفن بجواره عند وفاته . وفي هذه الحالة نأخذ برأي ابن مرزوق صاحب المجموع لأن المعنى جده ، وهو أقرب للواقعة من غيره .

(4) المجموع ، ورقة 9 ؛ عبد العزيز فيلالى ، تلمسان في العهد الزياني ، ج 2 ، ص 389 .

(5) يقول التنسي: "... ولما اشتهر اعتناؤه بالعلم وأهله ، وفد عليه من الأندلس خاتمة أهل الآداب ، المرز في عصره على سائر الكتاب ، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن داود بن خطاب ، فأحسن نزله ومثواه ، وقربه من بساط العز وأدناه ، وجعله صاحب القلم الأعلى... " . تاريخ بني زيان ، ص 127 ، 128 .

الخطاب المبايع لأخيه بمرسية، وكان مرسلًا بليغًا، وكاتبًا مجيدًا، وشاعرًا محسنًا، فاستكتبه وصدر عنه من الرسائل في خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس في عهود بيعاتكم ما تنوقل وحفظ. (1)

ومن مظاهر حكمة يغمراسن بن زيان في سياسة الرعية استغلاله للمجتمع القبلي الذي كان يشكل المغرب الأوسط في صالح دولته، فقلد قبائل بني عبد الواد المناصب السامية في الدولة، واستعملهم على العمالات، ومن ذلك آل مكن الذين تولوا الوزارة. (2) أما القبائل العربية فقرب إليه منهم تلك التي لها عداوة مع القبائل العربية الداعمة والمساندة لأعدائه من بني مرين خاصة منهم زغبة وسويد أعداء عرب المعقل، ثم استقدم بني عامر وحميان، الذين أقطعهم الأراض وأقطعهم الأموال. (3) أما القبائل البربرية الأخرى والتي كانت تناصب الدولة الزيانية العدا ومنها قبيلة توجين وملكيش، وهي قبائل خاضعة لسيطرة الدولة العبد الوادية بالقوة، ومطالبة بدفع المغارم. (4)

كما نجد السلطان يغمراسن بن زيان يرحب بالأندلسيين الفارين من الاضطهاد النصراني للاستفادة من علمهم، ومهاراتهم، وهم الذين اشتهروا بالتطور في جميع المجالات السياسية، والعلمية، والعمرائية، والزراعية، والصناعية وغيرها (5). ومن ذلك الظهير الملكي الذي اصدره

(1) العبر، مج4، ص 2752.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2759، 2760؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 123.

(3) اسماعيل بن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001، ص 24 و ص 39، 40.

(4) محمد مكوي، الأوضاع السياسية الثقافية، ص ص 19-21؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص ص 201-205.

(5) فقد كان من بينهم الكثير من العلماء و الفقهاء والأطباء والحرفيين والصناع، وجاءوا حاملين معهم علومهم ومعارفهم و نشاطاتهم، وحتى بعض صفاتهم و خصائصهم و مميزاتهم، و التي تأثر بها المجتمع الزياني، خاصة حبهم للعلم وتعظيمهم للعلماء. ومن الأندلسيين الذين كانت لهم مكانة بارزة في الدولة الزيانية أسرة بني وضاح التي وفدت من شرق الأندلس والتي استعان بهم يغمراسن في تسيير شؤون دولته، وكذا أسرة بني ملاح التي وفدت من قرطبة وتولى أفرادها مناصب هامة في الدولة الزيانية كالحجابه والوزارة وخطة الأشغال، إضافة إلى كونهم بيت علم وأدب وفقه امتهنوا حرفة =صك النقود.

يرحب فيه بهم في حضرته ،وييدي اهتمامه بأمرهم ،العناية بهم ،و مما جاء فيه: "... هذا ظهير
عناية مديد الظلال ،و كرامة رحيبة المجال ،وحماية لا يخشى على عقدها المبرم وعهدها المحكم
من الانحلال والاختلال أمر به يغمراسن بن زيان أيد الله أمره وأبد عصره لجميع أهل الأندلس
المستوطنين بحضرة تلمسان - حرسها الله -أحلهم من رعية الجميل أكنافا...وأضفى
عليهم من جنن حمايته ما يدفع عنهم طوارق الاضطهاد والاهتضام ...".⁽¹⁾

وكان التأثير الأندلسي في ربوع الدولة الزيانية واضحا جدا في مجالات التعليم وطريقة
الكتابة والخط الذي أمودجا مميذا وغلب على الخط المغربي في جميع المناطق التي نزل بها
الأندلسيين⁽²⁾ ،والعمران والموسيقى وحتى في بعض العادات وحتى العادات ،والتقاليد كطريقة
اللباس والتزين بالحلي والجواهر ،وكذلك طريقة تحضير الأطعمة ،وصناعة الألبسة ،اضافة إلى
النشاطات الاقتصادية وخاصة منها طرق الزراعة والبستنة.⁽³⁾

كما كان للأندلسيين الدور الكبير في النهوض بالفن المعماري بالمغرب الأوسط
،وخاصة بتلمسان حاضرة الدولة الزيانية ،وكذلك في مجال الموسيقى التي ساهم الغرناطيون في
انتشارها بالمغرب الأوسط عامة وتلمسان خاصة والتي اهتم بها أهل المغرب الأوسط ،ولا
يزالون يحافظون عليه إلى يومنا هذا⁽⁴⁾.

ينظر: يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205، 206؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 173
؛هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية، ص 187، 178.

⁽¹⁾ أبو بكر ابن خطاب، المصدر السابق، ص 159 .

⁽²⁾ 07محمد سعيد شريفي، خطوط المصاحف عند المشاركة و المغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري، الشركة
الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 256؛ هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية، ص 192.

⁽³⁾خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان، ط1، مطبعة تلمسان، 2005، ص202؛ ليفي بروفنسال،
حاضرة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص30؛ هوارية بكاي
،العلاقات السياسية والروابط الثقافية، ص 193.

⁽⁴⁾ محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، ص 171، 172؛ عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص 130
؛هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية، ص 193.

المبحث الثالث: حكمة يغمراسن بن زيان من خلال سياسته الخارجية.

بعد إعلانه عن تأسيس دولة بني عبد الواد وجد يغمراسن بن زيان نفسه أمام ثلاث كيانات سياسية⁽¹⁾ كلها تطمح إلى حكم بلاد المغرب الإسلامي، فدولة الموحدين المتلاشية كانت لا تزال تطمح في استرجاع أملاكها وإعادة بسط نفوذها على البلاد التي حكمتها من حدود مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ودولة الحفصيين في الجهة الشرقية كانت تطمح إلى وراثة دولة بني عبد المؤمن الموحدين، والمرينيون القوة الصاعدة بالمغرب الأقصى الذين كانت قوتهم تتزايد مع مرور الوقت حتى أصبح حلمهم كبيرا في أخذ كرسي الموحدين بعد أن أزاحوهم عنه. هذا فضلا عن الكيانات السياسية القائمة في الضفة الشمالية لبحر الروم -البحر الأبيض المتوسط- والمتمثلة في دولة بني الأحمر بالأندلس⁽²⁾، وقشتالة⁽³⁾ وأراغونة⁽⁴⁾، والجمهورية الإيطالية⁽⁵⁾. فكيف سيواجه زعيم بني عبد الواد هذا الوضع؟ وما هي الأسس التي سببني عليها سياسته الخارجية؟

-
- (1) هذه الكيانات السياسية هي دولة الموحدين، الحفصيين والمرينيين. عنهم ينظر: المدخل من هذه الدراسة هامش 1، 2، و3، ص 1 بالنسبة للموحدين، وهامش 4، ص 1 بالنسبة للحفصيين، وهامش 1، ص 2 بالنسبة للمرينيين.
- (2) بالنسبة لدولة بني الأحمر النصرية ينظر: هامش 5، ص 1 من المدخل من هذه الدراسة.
- (3) تقع إلى الشرق من شبه الجزيرة الإيبيرية أصبحت أقوى وأكبر ممالك اسبانيا بعد إتحادها مع مملكة ليون سنة 628هـ /1230م. عنها ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 234؛ عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص 595؛ إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الاسلامي مع دول جنوب أوروبا في الفترة (ق 7-10هـ /13-16م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2013/2014، ص 46، 47.
- (4) تأسست سنة 533هـ /1238م على يد الكونت رامون برنجير الرابع أمير برشلونة بعد اتحاد إقليم كتالونيا مع افليمي أراغون وبلنسية. عنها ينظر: عبد الله عنان، دولة الاسلام، ص 584؛ سعيد عبد الله عاشور، أوروبا في العصور الوسطى التاريخ السياسي، ط8، المكتبة الأنجلومصرية، 1985، ص 546؛ إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص 46-49.
- (5) أهمها فلورنسا بالشمال الغربي، ونابولي بالجنوب، وميلانو بالشمال الغربي، والبندقية بالشمال الشرقي، وجنوة بالشمال الغربي أيضا، وجزيرة صقلية. عن ه الجمهوريةات ينظر: إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص 53-57.

1- علاقة يغمراسن بن زيان بالموحدين.

بنى يغمراسن بن زيان السياسة الخارجية لدولته بدبلوماسية هادئة⁽¹⁾ على النحو الذي يضمن بقاءها واستمراريتها، حيث نجده يستمر على نهج أسلافه في الولاء للموحدين⁽²⁾ حيث أبقى على الدعاء لهم على المنابر⁽³⁾، وكتابة أسماء خلفائهم على العملة⁽⁴⁾، وأخذ التقليد والعهد من الخليفة الموحد⁽⁵⁾، وليؤكد ولاءه هذا أرسل بعثة دبلوماسية إلى الخليفة الرشيد بن المأمون تحمل له فروض الطاعة والولاء، تعاهده على أن يكون سلما لمن يسلمه، واعدوا لمن يعاديه⁽⁶⁾ فكسب بذلك كما ذكر صاحب العبر تأنيس الكافة ومرضاة الأكفاء من قومه.⁽⁷⁾

(1) لخصر عبدلي، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان، ص 101.

(2) حيث تعود جذور علاقة بني عبد الواد بالموحدين إلى تأسيس هذه الأخير حيث كانوا من أخلص قبائل زناتة للموحدين وأكثرهم انصياعا لأوامرهم، ونظير ذلك أقطعهم الموحدون عامة بلاد يلومي، وبني وامانو من ضواحي المغرب الأوسط وهي المنطقة الممتدة ما بين البطحاء شرقا و ملوية غربا، ويذكر يحيى بن خلدون أن عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين استنجد بشيخ بني عبد الواد أبي محمد بن عبد الحق لرد أموال و غنائم اغتصبها منه بنو مرين، فلبى نداءه واسترجع له غنائمه، ونظير ذلك أقطع عبد المؤمن بن علي تلك الربوع لبني عبد الواد الذين ظلوا على هذا الولاء إلى أن دخلوا مدينة تلمسان وعلى رأسهم يومئذ كبيرهم جابر بن يوسف، الذي قضى على ابراهيم بن اسماعيل بن علان الصنهاجي- الذي خلع دعوة الموحدين وحاول احياء دولة المرابطين- وأعلن الدعوة للمأمون، وبعث اليه معلنا الطاعة والولاء. فعهد إليه المأمون بولاية تلمسان و ما يليها من بلاد المغرب الأوسط. ينظر: محمد ابن الأعرج، زبدة التاريخ و زهرة الشماريخ، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 170، ج 3، ورقة 7 وورقة 30؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 159؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 101 و ص 106، 107، و ص 199، 200؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 113؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني الزباني حياته و آثاره، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 12؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 9 و ص 11 .

(3) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2759.

(4) يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 119.

(5) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2759.

(6) عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 16.

(7) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2759.

ظلت العلاقة بين يغمراسن بن زيان والموحدين جيدة، يجمع بينهما تحالف عسكري ضد بني مرين - عدوهما المشترك - الذين كانت قوتهم تتزايد بالمغرب الأقصى إلى أن غزا الأمير الحفصي أبي زكريا بن أبي حفص تلمسان، وعقد صلحا مع يغمراسن بن زيان بعد أن أعاده إلى عرشه بعدما تركه مرغما إثر غزو الأول له.

ولما بلغ خبر هذا الصلح إلى الخليفة الموحي أبي الحسن السعيد تخوف من عواقبه ومن اتحاد بني عبد الواد وبني حفص⁽¹⁾ فخرج بجيوشه قاصدا تلمسان لتجمعه مع يغمراسن معركة حامية الوطيس بالقرب من قلعة تامزدكت⁽²⁾ سنة 646هـ / 1248م كان الانتصار فيها حليف يغمراسن الذي نصب كميناً له فقتل أبو الحسن على يدي فارس يدعى (يوسف بن عبد المؤمن الشيطان)⁽³⁾، وانهمز جيشه فغنم بنو عبد الواد ذخائره ومن جملة هذه الذخائر المصحف العثماني والعقد اليتيم المعروف بالثعبان⁽⁴⁾.

2- علاقة يغمراسن بن زيان بالحفصيين.

ظل يغمراسن بن زيان على وفائه وإخلاصه للموحدين بعد أن استقل بمملكته، الأمر الذي أقلق الأمير الحفصي أبي زكريا بن أبي حفص الذي كان قد استقل بشؤون إفريقية عن سلطة الموحددين، وكانت له مطامع توسعية ترمي إلى الاستيلاء على المغرب كله وبالتالي تمكنه من كرسى الدعوة بمراكش خاصة وأنه كان يعتبر نفسه الوارث الشرعي لمملكة الموحددين الآيلة للسقوط⁽⁵⁾.

(1) السلاوي، المرجع السابق، ص 29.

(2) هي قلعة حصينة تقع جنوب وحدة، قرب جبل العصفور في الحدود الجزائرية المغربية، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 168-169.

(3) مؤلف مجهول، الذخيرة السنوية، ص 78؛ ابن عذارى المصدر السابق، ص 387-388؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 58، وج 7، ص 82؛ ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 102.

(4) التنسي، المصدر السابق، ص 123-124.

(5) ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: " كان الأمير أبو زكريا الحفصي منذ أن استقل بأمر إفريقية واقتطعها من بني عبد المؤمن متطاولاً إلى ملك الحضرة بمراكش والاستيلاء على كرسى الدعوة. " ينظر: العبر، ج 6، ص 607.

وزاد قلق الأمير الحفصي أبا زكريا الذي تضاعفت خشيته من أن يعقد صلح بين يغمراسن بن زيان وبني مرين ثم يقع التحالف بينهما وبين الموحديين على محاربتة. فعزم على محاربة يغمراسن الذي كان يعتبره حاجزا يمنعه عن طريقه إلى مراكش. لذلك ظل يتحين الفرصة لغزو تلمسان. وهي الفرصة التي وجدها حين قدوم وفد عليه من بني توجين وبني منديل (مغراوة) بقيادة عبد القوي التوجيني وأمراء مغراوة، يؤلبونه على يغمراسن ويعدونه بالمساعدة للسيطرة على تلمسان، وجمع زناة تحت سيادته.⁽¹⁾

قويت آمال أبي زكرياء الحفصي بهذه المبادرة، وزادت آماله بهذه الوعود والمساندة فأعد حملة لغزو عاصمة بني عبد الواد، ونزل بمليانة سنة 640هـ / 1242م⁽²⁾ ومنها راسل يغمراسن يطلب طاعته فأبى، حينئذ تحرك نحو تلمسان وأجبره على النجاة بنفسه وأهله منها.⁽³⁾ لكن أبا زكرياء لم يجد من يتولى شؤون تلمسان بعد عودته بعدما رفض أمراء زناة ذلك بحجة أن لاطاقة لهم على مواجهة يغمراسن⁽⁴⁾، ورفض أعيان وكبراء الحفصيين تولي ولاية تلمسان لعلمهم بأنها ولاية محسورة مادام يغمراسن قريبا منها⁽⁵⁾.

أجبر هذا الوضع أبا زكريا على التفاوض مع يغمراسن الذي تولت أمه سوط النساء المفاوضات عنه مع الأمير الحفصي الذي استقدمه وأمنه وعقد معه صلحا بشروط أهمها أن يعود

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 608.

(2) أورد الزركشي أن تعداد الجيش الحفصي بلغ أمام تلمسان أربعة وستين ألفا. ينظر: الزركشي، المصدر السابق، ص 29. بينما أورد ابن عذارى أن التعداد بلغ عشرة آلاف، ويختلف الزركشي مع يحيى بن خلدون وإخيه عبد الرحمن، حول تاريخ الحملة، إذ جاء في العبر، ج 7 ص 165، أن أبا زكرياء تحرك نحو تلمسان في عهد الرشيد سنة 639هـ / 1241م، أما في البغية، ج 1، ص 113 فتحرك نحو تلمسان سنة 640هـ / 1242م، بينما انفرد التنسي في نظم الدرر، ص 117 بتحديد سنة 645هـ / 1247.

(3) محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 80.

(4) تخوف الجميع من تحمل المسؤولية لأنهم كانوا يدركون خطورة الوضع إذ على الوالي الجديد مجاهدة قوات الخلافة الموحدية إذا جاءت لنجدة تلمسان، وإصرار يغمراسن على استرجاع ملكه خصوصا وأنه ظل يناوش القوات الحفصية في تلمسان لا بل استطاعت طلائع من أتباعه أن تقتحم المعسكر الحفصي وأن تحتطف بعض الأسرى، ينظر: محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 143.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 609.

يغمراسن إلى تلمسان وأن يعترف بسلطة أبي زكرياء الحفصي عليه، وأن يتخلى عن الخلافة الموحدية، وأن تقام الخطبة باسمه دون الرشيد⁽¹⁾ على يد أبي زكرياء ليغمراسن مائة ألف دينار جباية أرض من افريقية، إعانة من بني حفص لدولة بني عبد الواد⁽²⁾.

وأثناء عودته إلى تونس أقام الأمير الحفصي منافسين ليغمراسن من زناتة وأمراء المغرب الأوسط (مغرواة وتوجين)⁽³⁾، على إمارات بني توجين ومغرواة، حتى لا يخلو له الجو ويقوى نفوذه،⁽⁴⁾ فعين كلا من عبد القوي بن عطية التوجيني والعباس بن مندبل المغراوي ومنصور المليكشي أمر قومهم وعهد إليهم جميعا باتخاذ الآلة، كما جاء ببني سليم إلى نواحي بونة، فأسكنهم بها ليضيق على يغمراسن وتكون حصنا لمملكته⁽⁵⁾.

أما عن أبي زكرياء الحفصي فلم يلبث بعد ذلك إلا قليلا حتى فاجأه الموت وهو بمحلته ببونة سنة 647هـ/1249م، فخلفه ابنه أبو عبد الله محمد الأول المستنصر⁽⁶⁾ الظرف الذي استغله يغمراسن الذي اجتمع حوله قومه وأخذوا في الانقضاض على العديد من المدن منها مليانة سنة 668هـ/1269م⁽⁷⁾.

ولتوطيد علاقاته مع الحفصيين قام بمصاهرهم عن طريق خطبة ابنة السلطان ابي اسحاق ابراهيم (678-683هـ/1279-1284م) لابنه وولي عهده أبي سعيد عثمان. وهي العروس التي توفي بعد أن استقبل موكبها برهيو من وادي شلف⁽⁸⁾.

(1) عبد الحميد حاجيات، أبو هو موسى، ص 13.

(2) التنسي، المصدر السابق، ص 118.

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج 4، ص 361.

(4) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 146؛ محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 81.

(5) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 166-167؛ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 1 ص 206-207.

(6) الزركشي، المصدر السابق، ص 164.

(7) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 152.

(8) ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص 18 والمجموع، ورقة 9؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 1، ص 115؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 24.

3- علاقة يغمراسن بن زيان بالمرينيين.

تعتبر علاقة دولة بني عبد الواد الزيانية امتداد للخلاف القديم بين بني مرين وبني عبد الواد والناشئ عن التنافس الشديد بين القبيلين حول بسط النفوذ على بلاد المغرب وخاصة الوسطى والغربية منها، إضافة إلى الجوار في الملك والمنافسة على رئاسة زناتة⁽¹⁾.

ويعود تاريخ هذا التنافس إلى ما بعد هزيمة الموحدين بضواحي تلمسان عندما استولى الأمير أبو بكر المريني على مدينة فاس وتوجه في ربيع الأول 647هـ إلى فزاز⁽²⁾، لتأكيد سلطان بني مرين فيها وجباية المغارم من القبائل، وكان قد استخلف وراءه على فاس مولاه السعود بن خرباش الجشمي من أحلاف بني مرين⁽³⁾.

الأمر الذي دفع بالخليفة الموحد إلى الاستنجاد بيغمراسن بن زيان على الأمير أبي بكر ويغريه بالاستيلاء على ما يستطيع من المناطق التي استولى عليها بنو مرين، فلبى يغمراسن الدعوة وخرج من تلمسان لعرقلة جهود أبي بكر المريني في فاس⁽⁴⁾ فتقدم إلى ممر تازا واستولى عليه، وسار السلطان المريني نحوه لعرقلة مسيره قبل وصوله إلى تخوم بلاده، فلقيه بوادي إيسلي بالقرب من وجدة في ذي الحجة 647هـ/ مارس 1250م، وكانت بينهما ملحمة عظيمة

(1) مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، م و ك، الجزائر، 1986، ص 422.

(2) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 148-154 وص 162-163؛ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 104-108؛ التنسي، المصدر السابق، ص ص 11-116.

(3) كان هذا الجند تحت قيادة قائد منهم يدعى شرير الزنجي الذي تحالف مع الموحدين من أهل فاس للفتك بالسعود وتحويل الدعوة إلى المرتضى. ينظر: هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، ص 223.

(4) حشد يغمراسن قواته، إذ شاركه بنو توجين وكافة القبائل من زناتة والمغرب. ينظر: العبر، ج7، ص 184؛ ابن عداري، المصدر السابق، ج4، ص 299؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 305.

انتصر فيها المرينيون،⁽¹⁾ بينما عاد يغمراسن بن زيان في فلوله إلى تلمسان تاركا محلته نهباً وسلباً لبني مرين.⁽²⁾

وتعتبر موقعة ايسلي أول معركة نظامية بين قبيلي بني عبد الواد وبني مرين. وبعد استمرار مساندة يغمراسن بن زيان للموحدين فهض بنو مرين لردع بني عبد الواد عن فعلتهم فوقعت بينهما معركة سنة 655هـ / 1257م ،بأبي سليط، انهزم فيها يغمراسن مرة أخرى، وقرر السلطان أبو بكر المريني ملاحقته لولا أن رده عن ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن.⁽³⁾

وما كادت الجيوش المرينية تصل أحواز فاس حتى تناهى إلى مسامع أبي بكر المريني أن يغمراسن بن زيان قصد سجلماسة⁽⁴⁾ لتحالف كان بينه وبين أهلها. فسارع السلطان المريني المسير إليها ،وتمكن من دخولها يومين قبل وصول يغمراسن بن زيان الذي أجبر على التزول خارجها ،وهناك دارت معركة بين الطرفين انتهت دون غالب ولا مغلوب لكن السلطان المريني أبا بكر أحد أحفاد أخيه الحق. وعاد يغمراسن إلى تلمسان ،وأحكم بنو مرين سيطرتهم على سجلماسة ودرعة⁽⁵⁾ ،وتم عقد ولايتهما مع سائر بلاد الجهة الشرقية ليوسف بن

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 172؛ المصدر السابق، ص 305.

(2) هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، ص 224.

(3) السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 18-19.

(4) سجلماسة مدينة تقع جنوب المغرب الأقصى في مقاطعة تافيلالت، وصفها الرحالة ابن حوقل في صورة الأرض، ص 65، والبكري في المغرب، ص 148، وصفا شاملا فقال عنها أنها: كثيرة النخيل والأعناب والقصور والأبواب، ثم تحدثا عن أهلها الذين كانوا يقصدون بلاد السودان بالملح والنحاس، ويرجعون بالذهب إلى بلادهم، ولهذا كانوا في سعة من العيش، إضافة إلى أنها كانت مركزا لتجارة الذهب فقد جلبت عددا كبيرا من التجار اليهود . يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 206-207.

(5) درعة مدينة تقع جنوب المغرب الأقصى، وراء جبال الأطلس يخترقها نهر طويل يعرف بوادي درعة، فكانت محطة تجارية هامة في القرون الوسطى. ينظر: لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب، القسم الثالث، ص 139.

يزناسن ورجع هو إلى فاس⁽¹⁾. وبذلك لم يعد يفصل بين بني مرين وإعلان دولتهم إلا السيطرة على مراكش عاصمة الموحدين⁽²⁾.

وبعد وفاة أبي بكر بن عبد الحق المريني سنة 656هـ/1258م خلفه أخوه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق الذي كان عاملا لأخيه على ناحية تازا⁽³⁾، وقد واصل نفس سياسة أخيه مع يغمراسن بن زيان الذي أعلن بيعته للخليفة الموحد أبي دبوس في شهر ذي القعدة من سنة 665هـ/1267م، وعاهده على محاربة المرينيين، بل حرضه على مواصلة قتالهم، ومن ذلك الرسالة التي بعث إليه بها، يدعوها فيها إلى نصرته ضدهم: "إياك أن تطمع بني مرين فيما لديك، وأنا أكفيك شرهم وأنا وأنت يد واحدة في حربهم"⁽⁴⁾.

وكان رد فعل أبو يوسف يعقوب أن حاصرت جيوشه عاصمة الموحدين مراكش في السنة الموالية من ولايته وبعد اشتد حصاره لها، لم يجد الخليفة الموحد أبي دبوس غير الاستنجاد بيغمراسن بن زيان لفك هذا الحصار فبعث إليه بوفد مصحوبا بالهدايا الثمينة قائلا: "كن معي يدا على حربهم."⁽⁵⁾، فشرع يغمراسن في شن هجمات مكثفة على الأراضي الشرقية لبني مرين، الأمر الذي أجبر أبا يوسف على رفع حصاره عن مراكش والعودة إلى فاس، أين بدأ في تجهيز حملة على تلمسان انطلقت يوم 15 محرم 666هـ/15 أكتوبر 1267م ووصلت وادي تلاغ قرب وجدة يوم الاثنين 12 جمادى الثانية 666هـ/28 فبراير 1268م أين جمعته ببني عبد الواد معركة حامية الوطيس⁽⁶⁾، هي من أعنف المعارك التي جمعت الطرفين، بلغ

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص175-176.

(2) هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، ص225.

(3) تازا مدينة بشرق المغرب الأقصى، وهي حده الفاصل بينه وبين المغرب الأوسط. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975، ص128.

(4) الذخيرة السنية، ص112.

(5) الذخيرة السنية، ص115؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص305.

(6) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص371؛ الذخيرة السنية، ص116؛ الأنيس المطرب، ص305؛ الاستقصا، ج3، ص25.

فيها حماس الجانبيين للقتال إلى الحد الذي برزت فيه النساء سافرات في القباب تشجيعا للمقاتلين على الصمود والاستبسال⁽¹⁾.

ومرة أخرى كانت الغلبة لبني مرين الذين تمكنوا من قتل ولي العهد العبد الوادي وكبير أبناء يغمراسن الأمير أبو حفص عمر هذا فضلا عن مقتل العديد من أكابر بني عبد الواد ووجهائهم من أمثال: ابن عبد الملك بن حنيفة، وابن يحيى بن مكتن، وعمر بن إبراهيم بن هشام.⁽²⁾

تركت حادثة مقتل أبي حفص عمر حرقه وأسى كبيرين في نفس يغمراسن بن زيان وازداد حقه على المريني، لدرجة أنه رفض مبادرة الصلح والمهدنة التي عرضها عليه السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق خلال جوازه للأندلس قائلا: " لا صلح بيني وبينه ولو بلغت في حربه الردى، لقد قتل ولدي وقرّة عيني وولي عهدي عمر، أصالح وأهدر دمه؟ والله لا كان هذا أبدا، ولا أترك دم ولدي يمضي سدا حتى آخذ منه الثأر وأضيق بلاده التبارى"⁽³⁾، كما كتب إليه قائلا:

فلا صلح حتى نروي السيف والقنى **** وتأخذ عبد الواد منكم بثارها

وأشفي غليلي من مرين التي طغت **** بسبب غوانيتها و قتل خيارها

يبدو أن السلطان المريني غضب من ردة فعل يغمراسن بن زيان وتهديداته له، وذلك أنه عدل عن أمر الأندلس، وجهز جيشا وسار به نحو تلمسان لتأديب السلطان العبد الوادي الذي تحرك نحوه هو الآخر قبل دخوله تلمسان، والتقى الفريقان بإيسلي قرب وجدة في رجب 670هـ / فبراير 1272م⁽⁴⁾، ومرة أخرى كانت الغلبة لبني مرين الذين تمكنوا من قتل أبي عنان فارس ابن يغمراسن

(1) الأنيس المطرب، ص 305؛ العبر، ج7، ص 371؛ الاستقصاء، ج3، ص 26

(2) هوارية بكاي، العلاقات الزيبانية المرينية، ص 227.

(3) ينظر: الذخيرة السنية، ص 130؛ الأنيس المطرب، ص 309؛ العبر، ج7، ص 307؛ الاستقصاء ج3، ص 25؛ مبارك الملي، المرجع السابق، ص 422.

(4) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 176-177.

بعد هذه الهزيمة جنح يغمراسن بن زيان إلى مهادنة المرينيين الذين عقد معهم معاهدة صلح سنة 673هـ/1274م، بمبادرة من أبي يوسف يعقوب، التزم من خلالها يغمراسن بن زيان بعدم الاعتداء على الأراضي المرينية⁽¹⁾ وإذا كان هدف أبي يوسف يعقوب هو والوقوف إلى جانب بني الأحمر في صد هجمات قشتالة المتتالية على أراضيهم، فإن يغمراسن بن زيان استغلها لتأديب بني توجين الذين وقفوا ضده في معركته الأخيرة مع بني مرين.⁽²⁾

بعدها انتهى أبو يوسف يعقوب من أمر الأندلس التفت إلى أمر سجلماسة -التي كانت بيد بني عبد الواد منذ سنة 662هـ/1263م-⁽³⁾ التي تمكن من السيطرة عليها سنة 673هـ/1274م، الأمر الذي دفع بيغمراسن بن زيان إلى نقض الصلح وخرق الهدنة مع بني مرين.⁽⁴⁾ فوجد فرصة قتالهم في استنجد بني الأحمر به⁽⁵⁾. فكان أول رد فعله أن رفض الصلح الذي عرضه عليه أبو يوسف يعقوب سنة 678هـ/1280م ليمنع تحالفه مع بني الأحمر، بل ذهب إلى أكثر من ذلك حين أكد تحالفه مع هؤلاء، وما على بني مرين إلا الاستعداد للحرب، حيث كان رده على رسول أبي يوسف: " لا صلح بيني وبينه أبدا، وليس له عندي ما عشت إلا الحرب وكلما وصله من صلح مع ابن الأحمر، فهو حق، فقل له يتأهب للقائي وليستعد لتزالي وقتالي"⁽⁶⁾.

(1) العبر، ج7، ص 178.

(2) بعد هزيمة بني عبد الواد في معركة اسلي عمد المرينيون إلى مدينة وجدة فحطموها ثم ساروا إلى تلمسان فحاصروها، وأطلقوا الأيدي في ساحتها بالنهب والسلب، وقد انضم إلى أبي يوسف يعقوب أثناء حصاره لتلمسان جماعة من بني توجين على رأسهم أبو زيان محمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية كبير بني توجين من زناتة الذي قدم في جيش كبير من قومه لدعم السلطان المريني الذي أكرم وفادته وأغدق عليهم السلطان يعقوب العطايا من الخيول والجمال والأموال، ولم يتخل عنهم بعد فكه الحصار عن تلمسان حتى اطمأن على وصولهم إلى ديارهم في أمان. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 177 - 178؛ هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، ص 229.

(3) هوارية بكاي، العلاقات الزيان المرينية، ص 230 هـ 2.

(4) نفس المرجع، ص 230.

(5) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 105؛ محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 87.

(6) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 335؛ عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 417.

وكانت نتيجة رفض يغمراسن بن زيان لمبادرة أبي يوسف أن هاجم هذا الأخير بني عبد الواد وهزمهم هزيمة نكراء في معركة دارت رحاها بينهم سنة 678هـ / 1280م بالقرب من وادي التافنة ،دفعت -هذه الهزيمة- بيغمراسن بن زيان إلى اللجوء للصحراء ناجيا بنفسه⁽¹⁾.

وبعد توالي الهزائم على بني عبد الواد أيقن يغمراسن بن زيان أن لا قبل له ببني مرين ،فأعرض عن قتالهم ،وللحفاظ على دولته أوصى ولي عهده عثمان بعدم التعرض لهم ومسالمتهم ،وإن أراد توسيع ملكه فليكن ذلك على حساب الحفصيين شرقا.⁽²⁾

4- علاقة يغمراسن بن زيان ببني الأحمر والممالك النصرانية بالأندلس.

تميزت علاقة دولة بني عبد الواد ببني الأحمر على عهد يغمراسن بن زيان بالمودعة والتعاون ،ومن مظاهر ذلك تبادل الهدايا بين الطرفين فقد ذكر عبد الرحمن بن خلدون أن يغمراسن بن زيان قد بعث " بثلاثين من عتاق الخيل ،مع ثياب من عمل الصوف " ،وبادله ابن الأحمر " بعشرة ألف دينار".⁽³⁾ كما أن يغمراسن بن زيان لما علم باستعدادات أبا بكر بن عبد الحق المريني للزحف بجيوشه على تلمسان استنجد ببني الأحمر لوقف هذا التحرك لما كان بينهم وبين بني مرين من تعاون ومصالح مشتركة⁽⁴⁾. ويبدو أن هذا التقارب العبد الوادي النصري كان بدافع رد التوسعات المرينية على حساب الطرفين ،ويتجلى ذلك في تحرك يغمراسن بن زيان مناوشا

(1) محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 89؛ هوارية بكاي، العلاقات الزيباني المرينية، ص 231.

(2) أوصى يغمراسن قبل وفاته ولي عهده عثمان قائلا: " اعلم يا بني أن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على حضرة الخلافة بمراكش لا طاقة لنا بلقائهم فإياك أن تحاربهم، فإن مددهم موفور ومددك محصور ولا يغرنك أبي كنت أحاربهم، ولا أنكص عن لقاءهم، لأني كنت أخشى معرفة الجبن عنهم بعد التمرس بهم، والاحتراء عليهم، وأنت لا يضرك ذلك لأنك لم تحاربهم، ولم تتمرس بهم فعليك بالتحصن ببلدك متى زحفوا إليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين أصحاب تونس، ليستفحل بها ملكك، وتكافئ حشد العدو، بجشذك ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك " ينظر: ابن خلدون، العبر، مج4، ص 2865؛ السلاوي، المرجع السابق، ج3، ص 56؛ عطاء الله دهينة وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 80؛ عطاء الله دهينة، وصية يغمراسن، مجلة التاريخ وحضارة المغرب العربي، العدد 6، 27 جويلية، 1969، ص ص 22-26.

(3) العبر، مج4، ص 2854.

(4) إدريس بن معمر، المرجع السابق، ص 293، 294.

بني مرين على حدودهم الشرقية كلما أرادوا الجواز إلى الأندلس بغير رضی بني الأحمر.⁽¹⁾ وتعدى تعاون يغمراسن بن زيان مع بني الأحمر العلاقات الثنائية إلى التحالف مع ملك قشتالة الفونسو العاشر (الطاغية) حليف بني الأحمر⁽²⁾، وذلك حين أراد أبو يوسف يعقوب توسيع نفوذه بالأندلس.⁽³⁾ وقد اعترف يغمراسن بن زيان بذلك - كما ذكرنا سابقا - لرسول السلطان المريني حين رده على طلب الصلح الذي بعث به بالرفض قائلا: "لا صلح بيني وبينه أبدا، وليس له عندي ما عشت إلا الحرب وكلما وصله من صلح مع ابن الأحمر، فهو حق، فقل له يتأهب للقائي وليستعد لتزالي وقتالي".

أما علاقة يغمراسن بن زيان مع ملك أراغونة فيبدو أن أساسها كان تغليب المصلحة، حيث عمد كل طرف إلى تحسين علاقاته مع الطرف الآخر، حيث أن ملك أراغونة بيدرو الثالث كان يسعى لضمان عدم دعم يغمراسن بن زيان لثورة مسلمي بلنسية، ويرغب في استقباله لعدد كبير منهم لكي لا تتجدد ثورتهم⁽⁴⁾، كما أن الملك الأراغوني كان يطمح في السيطرة على صقلية، وذلك يتطلب تأمين الضفة الجنوبية ليأمن شرها⁽⁵⁾. أما يغمراسن بن زيان فكان في غنى عن أي صراع آخر يزيد من متاعب دولته إلى جانب صراعه مع المرينيين، والخارجين عليه في دولته من بني توجين.

(1) أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي (خلال القرنين 7 و8هـ)، ج2، مطبعة الرباط نيت، المغرب، 2007، ص 56.

(2) إذا كان دافع بني الأحمر وألفونسو العاشر هو عرقلة السلطان المريني عن توسعه في الأندلس فإن دافع يغمراسن بن زيان هو الانتقام منه لغزوه سلجلماسة وضمها للملكة، وهي التي ظلت تحت حكم بني عبد الواد زهاء السبع سنوات، وإذا كان عبد الرحمن بن خلدون يلوم يغمراسن بن زيان على تحالفه مع الطاغية ضد أبي يوسف يعقوب فإن هذا الأخير نفسه عقد صداقة وتحالفا مع القشتاليين والفرنسيين سنة 681هـ. ينظر: رسالة دعم السلطان أبي يوسف يعقوب المريني لملك قشتالة وحثه لملك فرنسا على ذلك، وظهير الصداقة والتحالف. أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج2، ص 155-158، و ص 159.

(3) اشتد الصراع بين المرينيين والنصريين بسبب تنازل بني أشقيلولة عن مملكة ليعقوب بن عبد الحق، فتحالف بنو الأحمر والقشتاليين ضد بني مرين وراسلوا يغمراسن بن زيان للإغارة على الأراضي الشرقية للدولة المرينية، حتى يشغله عن أمر الأندلس. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 4، ص 2854؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج2، ص 57؛ إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص 296.

(4) أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج2، ص 56، 57.

(5) إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص 308.

5- علاقة يغمراسن بن زيان بالجمهوريات الإيطالية.

إذا كانت المصادر التي بين أيدينا شحيحة في ما يخص العلاقات السياسية لدولة بني عبد الواد مع دول شمال حوض البحر المتوسط عموما، ومع الجمهوريات الإيطالية على وجه الخصوص. فإنه يمكننا استنتاج ذلك من خلال العلاقات التجارية بين الطرفين، حيث أن الضرورة والمصلحة بين الطرفين تقضي بأن تكون العلاقات السياسية بينهما جيدة تتميز بالأمن والأمان، وذلك أن العلاقات التجارية تفرض وجود ممثلين دائمين لكل طرف لدى الطرف الآخر، وخاصة في دولة بني عبد الواد أين تواجد العديد من القناصلة والتجار الإيطاليين بتلمسان ومراسي وهران وهنين.⁽¹⁾

وخلاصة هذا الفصل أن يغمراسن بن زيان كان حكيما في التمكين لدولته منذ الانفصال عن الموحدين، حيث استغل ضعفهم، وانشغالهم بمشاكلهم الداخلية معتمدا على قبيل بني عبد الواد، ودعم القبائل العربية. ولما تمكن من إعلان استقلال دولته انتهج سياسة رشيدة بالإحسان إلى الرعية، وكسب ودها بالتقرب من العلماء، والعناية بالمؤسسات الدينية مثل بناء صومعتي أغادير والجامع الكبير، ونقل مقر إقامته إلى المشور لعدم احراج القائمين على الجامع الكبير، كما قام لتأديب القبائل الخارجة عن دولته ومنها مغراوة وتوجين.

وفيما يخص علاقاته الخارجية فقد عالج أمورها بسياسة هادئة وحكمة بالغة، وذلك أنه هادن الموحدين وتحالف معهم ضد بني مرين، وذلك لكسب الشرعية اللازمة لحكم المغرب الأوسط، وقطع الطريق على القبائل الطامحة في الحكم خاصة منها مغراوة وتوجين. ولما وجد نفسه وجها لوجه في مواجهة بني مرين نتيجة تحالفه مع الموحدين تحالف مع بني حفص، وأعلن تبعيته لهم ليؤمن الجهة الشرقية من مملكته خاصة وأنه قرر عدم الكف عن حرب بني مرين الذين كان يرى فيهم خطرا على دولته الناشئة نظرا لتنامي قوتهم في المنطقة، ومزاحمته على رئاسة

(1) إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص 318؛ Belkacem Daouadi, les relations commerciales entre le royaume Abdelwadide de Tlemcen et les villes du sud de l'Europe occidentale à partir du milieu du 13^e siècle jusqu'au milieu du 16^e siècle, AAM n° 16, 2009, p p 116, 118.

زناتة، وهذا ما يتضح جليا في وصته لولي عهده عثمان بأن يتجنب ملاقاتة بني مرين لأنهم أقوى منه عدة وعددا، وإنما هو قتالهم خشية معرفة النكوص، والنكوص في اللغة العربية هي تراجع الشخص عن أمر شرع فيه، أي أنه خشي أن يعيره قبيله بني عبد الواد بالجن ويتخلون عنه لتراجعه عن محاربة بني مرين خاصة وأنهم من قبيلة زناتة، والعصية القبلية في مثل هذه الظروف لا تأخذ بالأعذار. أي أن يغمراسن بن زيان كان عارفا بطريقة تفكير بني قومه وطبيعتهم، ولا يتأتى ذلك إلا للحكيم .

أما تبعيته للحفصيين فكانت للحفاظ على مملكته خاصة وأنه كان يعلم مدى قوتهم العسكرية، والروحية على اعتبار أنهم أحد فروع الموحددين الصنهاجيين، وكان رده واضحا بهذا الخصوص حين رد عن سؤال حول ذلك أي تبعيته للحفصيين، ولماذا يدعو لهم على منابر دولته، حيث قال : "تلك أعواد يقولون عليها ما شاؤوا."

وعن تحالفه مع بني الأحمر فالأهم دولة مسلمة، وهي بعيدة عن أي تهديد لدولته، وقد تكون سببا في شغل بني مرين عن أراضيهم، وكذلك الأمر بالنسبة للقشتالين، والذين فوق هذا قد يكونون خطرا يهدد سواحل دولته في حالة وجدوا فرصة لذلك.

أما عن علاقته بباقي الممالك الأوربية خاصة منها الجمهوريات الإيطالية فقد حرص على أن تكون طيبة لدواع اقتصادية، فقد كانت تربطهم بدولته علاقات تجارية هامة، والتجارة كانت تمثل أحد أهم الموارد المالية للدولة.

إذن لقد كان يغمراسن بن زيان قائدا بارعا وسياسيا مكنكا وحاكما حكيما، إذ استطاع في ظروف أقل ما يقال عنها أنها صعبة أن يؤسس دولة، ويحافظ على بقائها في ظل صراع محموم من أجل السيطرة على أراضيها من قبل بني حفص وبني مرين الذين كانوا يرون في الدولة العبد الوادية والمغرب الأوسط حاجزا أمام بسط نفوذهم على بلاد المغرب الإسلامي. بذلك كان سلما لملك أورثه بنيه سائر الأيام على حد قول صاحب العبر.

الفصل الثالث: حكامه التسيير لدى أبي حمو موسى
الثاني في المجال السياسي.

المبحث الأول: جهود أبي حمو موسى الثاني في احياء دولة
أسلافه.

المبحث الثاني: حكامه أبي حمو موسى الثاني في التمكين
لدولته.

المبحث الثالث: حكامه أبو حمو موسى الثاني من خلال
العلاقات الخارجية.

تعاقب على حكم دولة بني عبد الواد خلال الفترة ما بين وفاة مؤسسها يغمراسن بن زيان ومحبي أمجادها أبو حمو موسى الثاني أي ما بين 681هـ/1283م و760هـ/1358م خمس سلاطين هم أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن (681-703هـ/1282-1303م)، أبو زيان محمد بن عثمان الأول (703-707هـ/1303-1307م)، أبو حمو موسى الأول بن عثمان (707-718هـ/1307-1318م)، أبو تاشفين الأول عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الأول (718-737هـ/1318-1337م)، وأبو سعيد عثمان الثاني بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن (749-753هـ/1348-1352م)، وبسقوط دولة هذا الأخير على يد السلطان المريني أبي عنان فارس ابن أبي الحسن بعد انتصاره على بني عبد الواد في معركة سهل أنجاد بالقرب من وجدة سنة 753هـ/1352م انقطع خبر الدولة العبد الوادية إلى أن تمكن السلطان أبي حمو موسى الثاني من إعادة بعثها من جديد باسترجاعه لتلمسان سنة 760هـ/1358م.

فمن هو أبو حمو موسى الثاني؟ وإلى أي مدى كان حكيما في إعادة التمكين لدولة أسلافه؟ وما هي العوامل والظروف التي ساعدته على ذلك؟ وكيف تعامل معها؟ هذه التساؤلات وغيرها سنحاول الإجابة من خلال هذا الفصل.

المبحث الأول: جهود أبي حمو موسى الثاني في احياء دولة أسلافه.

يذكر العديد من الباحثين أبا حمو موسى بمجدد رسوم دولة بني عبد الواد الزيانية، وقد بذل لأجل ذلك كل ما أوتي من قوة، ولم يأل لتحقيق مبتغاه جهدا. وسنحاول من خلال هذا المبحث تسليط الضوء على هذه الشخصية، وجهوده في استرجاع عرش أجداده.

1- التعريف بأبي حمو موسى الثاني.

هو موسى بن يوسف أبي يعقوب بن عبد الرحمن بن يحيى⁽¹⁾ بن يغمراسن بن زيان ويكنى بأبي حمو، ولد بغرناطة من بلاد

¹ - يحيى بن يغمراسن بن زيان بن ثابت ولي عهد يغمراسن بن زيان بعد وفاة أخيه أبي حفص عمر سنة 666هـ بمقعة تلاغ، وقبل السلطان أبي السعيد عثمان، ولد سنة 639هـ، وقد ولاه أبوه سحلماسة، توفي حوالي 669هـ، دفن بدار

الأندلس⁽¹⁾ سنة 723هـ/1323م وهي السنة التي عادت فيها أسرته إلى تلمسان بطلب من السلطان أبي تاشفين الأول، الأمر الذي مهد له عيشة الأمراء، ويمكن له من أخذ العلم عن أشهر العلماء.⁽²⁾

وبعد استيلاء أبي الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ انتقل أبو حمو موسى مع أبيه إلى فاس بعدما قام السلطان المريني بنقل أشرف بني عبد الواد إلى عاصمته⁽³⁾، وفي فاس وجد أبو حمو الفرصة مواتية لأخذ العلم عن علمائها وهو في سن الرابعة عشر من عمره، وهي السن التي تسمح له بذلك. ويبدو أن أبا حمو موسى قد أخذ بحظ وافر من العلم⁽⁴⁾، وذلك ما يتضح من خلال كتابه واسطة السلوك في سياسة الملوك⁽⁵⁾، والقصائد الكثيرة التي نظمها في عديد المناسبات، وخاصة منها القصائد المولدية التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي

=الراحة بالجامع الأعظم. ينظر: بغية الرواد، ج2، ص42؛ العبر، مج4، ص2782؛ عبد الحميد حاجيات، أبوحمو موسى، ص69.

¹ - استقر أبو يعقوب يوسف بالأندلس مع أبيه عبد الرحمن وإخوته عثمان، والزعيم (أبي ثابت)، وإبراهيم بعدما أحازه عمه السلطان أبو سعيد عثمان إليها خشية على ملكه خاصة وأنه أي عبد الرحمن بن يحيى كان ابن ولي العهد السابق قبل وفاته، وكان ذلك سنة 694هـ، وفي سنة 712هـ عاد إلى تلمسان وكان ذلك على عهد السلطان أبي حمو موسى الأول الذي أحازه سنة 713هـ مرة ثانية ولنفس الأسباب التي أبعدته من أهلها والده السلطان أبي سعيد عثمان . ينظر: العبر، مج4، ص2782؛ بغية الرواد، ج2، ص42، 43؛ عبد الحميد حاجيات، أبوحمو موسى، ص69، 70.

² - لم تذكر المصادر ولا المراجع عن من أخذ أبو حمو موسى العلم بتلمسان، حتى الدكتور عبد الحميد حاجيات الذي درس شخصيته باستفاضة لم يشر إلى ذلك، ولم يضع له افتراضا، ويبدو أنه يكون قد أخذ العلم خلال هذه الفترة من عمره وخاصة بعد سن العاشرة، والتي يحتمل أنه قد أتم خلالها دراسته الأولية من حفظ كتاب الله، وتعلم مبادئ اللغة العربية والحساب - من كبار علماء تلمسان مثل العالمين الجليلين ابني الامام أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى، وابن مرزوق الخطيب.

³ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج2، ص2782، 2783.

⁴ - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص72.

⁵ - هو كتاب في السياسة وتنظيم الحكم، وهو عبارة عن وصايا منه لولي عهده أبي تاشفين عبد الرحمن قال عنه: "...فأرأينا أولى ما نتحف به ولي عهدنا، ووآرت مجدنا، والخليفة إن شاء الله من بعدنا، وصايا حكيمة، وسياسة عملية علمية مما تختص به الملوك وتتنظم بها أمورهم انتظام السلوك في سياسة الملوك، ولذلك سميت هذا الكتاب بواسطة السلوك في سياسة الملوك، ليكون اسمه يوافق مسماه، ولفظه يطابق معناه..." ينظر: أبو حمو موسى الثاني الزياتي، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق، محمود بوترة، دار الشيماء للنشر وتوزيع، باتنة، ودار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص47 وفي الطبعة التي قمها وعلق عليها محمد الزاهي، مصدر سابق، ص19.

كانت تلقى بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف. (1) رغم أن ابن الأحمر ذكر أنه أدركه بفاس وهو يسكن منها بعين أصلتين، وأنه كان يعمل في رد الفك للمفكوكين، وأن أباه يوسف بن عبد الرحمن كان يبيع السقط بدكان في حارة السقاطين. (2)

وفي سنة 748هـ (3) عاد أبو حمو موسى الثاني من فاس إلى تلمسان، ومنها انتقل إلى ندرومة مع والده الذي آثر حياة الزهد والعزوف عن الدنيا (4)، وبها كان أبا حمو محبوبا إذ أنه حسب قول صاحب البغية: "فكان - أبقاه الله بها معه - محمود السير، ظاهر الشرف، مشهور الفضل، يحمل الكل، ويقري الضيف، ويوثر العفاف، فلا يعترض الطيف." (5)

وبعد استرجاع بني عبد الواد لملكهم والتي دامت زهاء الأربع سنوات (749-753هـ/ 1348-1352م) على يد أبي سعيد وأبي عثمان ابني عبد الرحمن (6)، ضل أبو حمو موسى مستقرا بندرومة مع والده، أين ولد له عبد الرحمن سنة 752هـ/1351م (7)، ولكنه لحق بعمه

¹ - ذكر المقري أن أبا حمو موسى الثاني كان يقرض الشعر ويحب أهله. ينظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939، ص 149.

² - تاريخ الدولة الزيانية، ص 81، وهي رواية لا تأخذ بها لأن ابن الأحمر في كتابه هذا لم يكن موضوعيا البتة بل ألفه إرضاء لبني مرين وكال من خلال أبشع الأوصاف وأشنعها لسلطين بني عبد الواد، وقد اعترف بذلك في بداية كتابه هذا.

³ - وذلك في جملة من عاد من بني عبد الواد ومنهم والده وعماه مع السلطان أبي الحسن المريني حين عزمه على غزو افريقية بغية الرواد، ج 1، طبعة فونطانا 1903، ص 144؛ العبر، مج 4، ص 2783. بينما ذكر عبد الحميد حاجيات أن عودته إلى تلمسان كانت سنة 750هـ. ينظر: أبو حمو موسى الثاني، ص 73.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 4، ص 2788؛ بغية الرواد، ج 2، ص، ويذكر عبد الحميد حاجيات أن الغالب على الظن أن أبا يعقوب يوسف أبعد إلى ندرومة من قبل أخويه أبو سعيد وأبو ثابت خوفا على عرشهما. وهذا هو الأرجح لدينا. ينظر، أبو حمو موسى، ص 74.

⁵ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 2، ص 48.

⁶ - بعد هزيمة أبي الحسن المريني بالقيروان، تمكن بني عبد الواد من استرجاع أغلب الأراضي التابعة لهم بايعوا أبا السعيد عثمان اميرا عليهم، وعين أخاه أبا ثابت الزعيم وزيرا له. وكان ذلك سنة 749هـ/1348م. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، مج 4، ص 2782؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، طبعة 1903، ج 1، ص 144-147؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 149، 150.

⁷ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 2، ص 49؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 184؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 73.

أبي ثابت قبل موقعة شلف سنة 753هـ/1352م والتي هزم فيها بني عبد الواد⁽¹⁾، وانتقل معه إلى مدينة الجزائر، ومنها إلى بجاية أين تم القبض على أبي ثابت وابن أخيه محمد أبي زيان ابن أبي سعيد، ووزيره يحيى بن داود بن مكن⁽²⁾، وتمكن أبو حمو موسى من النجاة إلى تونس أين نزل على الحاجب ابن تافراكين أبي محمد الذي أحسن إليه، وأنزله منزلة الأمراء، وأغدق عليه من المال، رفقة من صاحبه في رحلته من بني عبد الواد⁽³⁾ وظل أبو حمو مقيما بتونس حتى سنة 759هـ/1357م أين خرج منها إلى الجريد بالجنوب بعد أن احتلها السلطان أبي عنان فارس المرييني. ومن الجريد بدأت حركة ابي حمو لاسترجاع ملك بني عبد الواد وإعادة إحياء دولة أسلافه، وهو الأمر الذي تمكن منه سنة 760هـ/1358م.⁽⁴⁾

بعد بعث دولة بني عبد الواد أسلافه ظل ابو حمو موسى في الحكم مدة واحد وثلاثين سنة⁽⁵⁾ تمكن خلالها من النهوض بدولته⁽⁶⁾ -التي أصبحت تعرف منذ عهده بالدولة

¹ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2787. بينما يرى الدكتور عبد الحميد حاجيات في كتابه أبي حمو موسى أن هذا الأخير لم يشارك مع بني عبد الواد في موقتي أنجاد وشلف، وإنما لحق بعمه أبي ثابت بعد هزيمته في موقعة شلف. ونحن نخالف الرأي، فإذا لم يشارك في موقعة أنجاد فهذا محتمل جدا لأنه حتى مولد ابنه عبد الرحمن سنة 752هـ كان مقيما بندرومة. أما مشاركته في موقعة شلف فهذا وارد جدا لأنه لو كان لا يزال في ندرومة لاضطر إلى اللجوء إلى المغرب مع عائلته، خاصة وأن شلف تقع إلى الشرق من ندرومة وكان بنو مرين قد أحكموا سيطرتهم عليها.

² - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2787.

³ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ص 2788، بينما يذكر التنسي أن من استقبل السلطان أبي حمو هو السلطان الحفصي أبو اسحاق بن أبي يحيى بن أبي زكرياء، وقابله بما يليق بالأمراء. ينظر: تاريخ بني زيان، ص 157.

⁴ - يقول يحيى بن خلدون في بغية الرواد، ج2، ص 48: "كان استقرار مولانا الخليفة أمير المسلمين أبي حمو بدار الملك لسلفه الكريم، بعد صلاة الظهر من يوم الخميس المبارك غرة شهر ربيع الأول المشرف -من سنة 760هـ/1258م-، فافتعد أريكة الملك، وامتطى سرير الخلافة...".

⁵ - من سنة 760هـ إلى 791هـ. ينظر: ابن الأحرر تاريخ الدولة الزيانية، ص 86؛ أبو حمو موسى، واسطة السلوك، طبعة تونس، مقدمة التحقيق، ص 8.

⁶ - سنتطرق إلى هذا الموضوع بالتفصيل في المباحث اللاحقة من هذه الدراسة.

الزيانية⁽¹⁾ - في جميع الميادين. وتوفي أبو حمو موسى سنة 791هـ/1388م بمطقة الغيران⁽²⁾ جنوب تلمسان على يد أحد رجال ابنه وولي عهده عبد الرحمن أبي تاشفين الثاني.⁽³⁾

2- هيئة قبيل بني عبد الواد نفسيا لتوليه الحكم.

يبدو أن إلقاء القبض على السلطان أبي ثابت ،والأمير أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد والوزير يحيى بن داود بن مكن من قبل بني مرين قد بث الأمل كبيرا في نفس أبي حمو الذي تمكن من النجاة إلى تونس ،وبدأ يفكر جادا في استرجاع عرش أسلافه والتربع عليه. ومن هنا بدأ يستعمل دهائه وحكته التي تدل على حكمته وتبصره بالأمر وخاصة أنه كان داهية لا يفتقد الحيلة ،فهو كما قال عنه صاحب زهر البستان جعل الناموس ديدانا واتخذه صوابا.⁽⁴⁾

فكان أول ما قام به أن مهد للأمر باختلاق مجموعة من القصص تجعل من فلول بني عبد تقتنع يقنا أنه الزعيم الوحيد الذي يرجى أن تبعث على يده دولتهم. ومن ذلك قصة الذود بنفسه عن عمه السلطان أبي ثابت حين ألقى القبض عليهم الأمير الحفصي أبي عبد الله محمد بن

¹ - يعتبر السلطان أبو حمو موسى الثاني أول من أطلق تسمية الدولة الزيانية على دولة بني عبد الواد. ينظر: يحيى بن خلدون ،المصدر السابق ، ج1 ،تحقيق حاجيات ،ص 186 ؛ابن الأعرج ،المصدر السابق ،ج3 ،ورقة 3 ؛حسين تواتي ،المرجع السابق ،ص 44 ؛أحمد مختار العبادي ،دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ،الاسكندرية ،1968 ،ص 198.

² - ابن الأحمر ،تاريخ الدولة الزيانية ،ص ؛عبد الحميد حاجيات ،أبو حمو موسى ،ص 154. وإذا أخذنا برواية ابن الأحمر بأن منطقة الغيران تبعد بنصف يوم عن تلمسان -وهي تقع إلى الجنوب منها- فتكون بالقرب من المكان الذي يحمل نفس الاسم اليوم قرب غار بومعزة بجبال بني هديل. وهناك رواية شفوية سمعتها من أهل المنطقة مفادها أن الحكاية الشعبية تقول أن أحد السلاطين توفي بمنطقة الغيران. وليس كما يذكر البعض أن منطقة الغيران هي بني بوبلان التي لا تبعد عن تلمسان إلا بحوالي ساعتين على أقصى تقدير. وهذا ما يمكن استنتاجه من رواية عبد الرحمن ابن خلدون إذ يقول: "...وجاءت العيون إلى أبي فارس ابن صاحب المغرب ووزيره ابن علال بمكان أبي حمو وأعرابه بالغيران ،فنهض الوزير ابن علال في عساكر بني مرين لغزوه. وسار أمامهم سليمان ابن ناجي من الأحلاف إحدى بطون المعقل ،يدل بهم على طريق =القفر حتى صبحوه ومن معه من أحياء الخراج في مكان مقامتهم بالغيران." ينظر: العبر ،مج4 ،ص 2808. وكلمة صبحوه تدل على أن جيوش بني مرين لم تتوف عن المسير طوال الليل ،أي بعد المسافة بين تلمسان والغيران.

³ - بعد انهزام أتباع أبي حمو ولوا منهزمين ،فسقط السلطان أبي حمو عن فرسه فأدرك فرسان بني مرين فقتلوه قصعا بالرمح على حد تعبير صاحب العبر ،وجيء برأسه إلى الوزير ابن علال وأبي تاشفين الثاني. عبد الرحمن بن خلدون ،المصدر السابق ،مج4 ،ص 2808. ويذكر ابن الأحمر أن الوزير ابن علال بعث برأسه ورأس ابنه عسير الذي قتله إبو تاشفين كذلك إلى السلطان المريني أبي العباس ،وطيف برأسيهما في فاس. ينظر: تاريخ الدولة الزيانية ،ص 88.

⁴ - المصدر السابق ،ص 16. والناموس في اللغة عدة معاني ومنها الوصي والحاذق ،والحيلة والمهارة. ولعل هذا ما يقصده يقصده صاحب زهر البستان.

أي زكريا يحيى صاحب بجاية وسلمهم للسلطان المريني أبي عنان فارس بمعسكره قرب المدينة⁽¹⁾، فقتل أبا ثابت ووزيره ابن مكن بينما أقتيد أبو زيان أسيرا إلى فاس.⁽²⁾ حيث أورد يحيى بن خلدون عن الحادثة عكس ما ذكره أخاه عبد الرحمن -الذي ذكر أن بعد القبض على أبي ثابت ومن معه تمكن أبو حمو من النجاة إلى تونس- إذ يقول يحيى بن خلدون: "حتى إذا كان - بقضاء الله وقدره- وقية شلف، المتقدمة الذكر، شرق وفاء مع عمه السلطان أبي ثابت -رحمه الله- معززين من يحيى بن داود بن علي بن مجن⁽³⁾ الوزير بثالث.⁽⁴⁾ فلما عثر عليهم بليزر من أحواز بجاية -كما مر- وجيء بهم إلى أصحاب التنكير. قيل: من السلطان أبو ثابت منكم؟ فابتدر هذا الخليفة (يقصد أبا حمو) -أيده الله- مؤثرا نجاة صنو أبيه (يقصد أبا ثابت)، وباذلا لفدائه مهجته، وسامحا دونه من حياته بما لم يسمح بمثله أحد قبله، وقال: أنا، فاعتزوه القوم محمولا، وصاحبا يتلوانه راجلين، وهو يقول: أتركوهما، فقد ظفرتم مني بجاحتكم، إلى أن وصلوا معسكر فارح -علج صاحب بجاية يومئذ- بخميس تيكالات وكان به من عرف السلطان أبا ثابت -رحمه الله- فانتقلت أيدي الظنة إليه، ومالت عيون الرصد نحوه، وسئل: من الجائد دونك بنفسه؟ فقال معميا لشأن ابن أخيه: هو من خول النعمة، وتبع الدولة، وأنشدكم الله، إلا ما سرحتموه، فخلوا سبيله، وانصرف راشدا لطيبته."⁽⁵⁾

¹ - وهذا ما أشار إليه الأستاذ عبد الحميد حاجيات في كتابه أبو حمو موسى الثاني ص ص 77-81.

² - مكث في سجن أبي عنان فارس إلى أن آل الحكم إلى أخيه أبي سالم فأطلق سراحه وقربه من مجلسه، وأعدده لمزاحمة ابن عمه أبي حمو موسى الثاني على عرش تلمسان. ينظر: العبر، مج4، ص 2791.

³ - ذكره عبد الرحمن بن خلدون بابن مكن، وجاء في الجزء الأول من بغية الرواد بابن مجن.

⁴ - لم يشر يحيى بن خلدون هنا إلى محمد أبي زيان كما ذكره صاحب العبر.

⁵ - بغية الرواد، ج2، ص 51. وقد أورد التنسي نفس القصة في كتابه نظم الدر والعقيان في الباب الثاني، ويبدو أنه أخذها عن يحيى بن خلدون. ينظر: تاريخ بني زيان، ص 155، هـ 280. ويرى الأستاذ عبد الحميد حاجيات أن القصة التي أوردها يحيى بن خلدون لا تمثل إلا ما كان شائعا في البلاط بتلمسان، وأنصار الدولة من الحكايات الموضوعية، التي ترمي إلى تمجيد الملوك، وتحبيهم إلى الناس. ينظر: أبو حمو موسى، ص 80، 81. ونحن نرى نفس الرأي فلا يعقل أن يلقي القبض على أبي ثابت ووزيره ابن مكن، وابن أخيه محمد أبي زيان، ويترك الذي ذاد بنفسه عنه حتى وإن كان من المخلصين له ولا يمت له بصلة القرابة، وذلك على الأقل حتى يعرض على السلطان أبي عنان فينظر في أمره. هذا إذا افترضنا أن العيون التي كانت ترقبهم لم تكن تعلم من يصحب السلطان أبا ثابت، أو أن الأخبار لم تنقل ذلك. ثم إن يحيى بن خلدون نفسه ذكر في بغية، ج2، ص 48 أن أبو حمو موسى كان ت علامات الخلافة والملك بادية عليه منذ كان مقبلا

وأما الأمر الموضوع الثاني فهو ما أشيع عن أمر الحدثان⁽¹⁾ والجفري⁽²⁾ التي أوردها صاحب زهر البستان، وكذلك أشار إليها أبو حمو موسى الثاني في إحدى قصائده حيث يقول:

فخلت تلمسان التي كنت أرتجي *** كما ذكرت في الجفر أهل الملاحم

وخلصت من غصابها دار ملكنا *** وطهرتها من كل باغ وجارم⁽³⁾

أما صاحب زهر البستان فقال: "قال الراوي: سمعت من تحدث بظهور مولانا السلطان، وما يكون له من الرفعة والشأن. قال اتفق أن بتونس علماء بالحدثان، وآخرين يتحدثون بالجفران. أما اصحاب الجفرانات فاجمعوا على رجوع الدولة لبني عبد الواد، وأما الحدثانيون فيقولون في ذلك الزمن، فرق الوقت أو يكده..." إلى أن يصل الحوار الذي دار بين أبي حمو والحدثاني فيقول: "...فقال له الحدثاني المذكور - أي لأبي حمو - ما اسمك؟ قال: موسى، فكبر ثلاثا وقال: ستكون ملكا رئيسا، ثم قال ما كنتك؟ قال: ابو حمو، فقال: أنت الملك الذي بالمغرب يسمو. ثم سأل: هل لك من ولد؟ قال: نعم، واحد من العدد، اسمه عبد الرحمن، فقال: يملك المغرب، وتسود به بني زيان. فاستغرب الحدثاني من شأنه، وأشاع بما يكون من سلطانه..." ثم يضيف أن الجفرائي استبين الأمر من الحدثاني ثم يذكر أن الجفرائي قال بعد تأكده من علامات الملك والرياسة: "...إنه بحق مثل ما أنكم تنطقون. فشاع الخبر بقبولهم عند أهل التوحيد

=مع والده بندرومة فكيف لم يتفطن الأمير أبي عبد الله الحفصي لهذه العلامات، ولم يميز بين خادم وأمير في المعاملات، وإن للملك والسلطة مهابة تعتري ملامح صاحبها.

¹ - يعرف عبد الرحمن بن خلدون الحدثان بقوله: "وكل أمة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجم أو ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة يحدثون أنفسهم عنها، وما يحدث لهم من الحرب والملاحم، ومدة بقاء الدولة، وعدد الملوك فيها، والتعرض لأسمائهم، ويسمى مثل ذلك الحدثان." ويذكر أنه من المنكرات الفاشية في الأمصار، لما تقرر في الشريعة من ذم ذلك. ينظر: المقدمة، طبعة 2004، ص 345.

² - الجفر نسبة إلى كتاب مسجل فيه ما سيحدث لآل البيت روي عن جعفر الصادق من قبل رأس الزيدية الشيعة هارون بن سعيد العجلي، وقد سمي بكتاب الجفر لأنه كتب على جلد ثور صغير، والجفر في اللغة هو الصغير. أي أن الجفريون يدعون علم الغيب. ويضيف عبد الرحمن بن خلدون أن كتاب الجفر لم تتصل روايته ولا عرف عينه. ينظر: المقدمة، ص 349. وللمزيد عن حدثان الدول وما يسمى الجفر فينظر ص ص 345-358.

³ - واسطة السلوك، طبعة تونس، ص 41. والقصيدة مطلعها جرت أدمعي بين الرسوم الطواسم. ينظر القصيدة كاملة، ص ص 35-42.

، واتصل الخبر بالقرب والبعيد. ثم اتفقا على واحدة من الإمارات ، إن كانت فهي خاتمة العلامات. وهو أن يخرج من الزاب ، في جماعة من الأعراب... " (1)

أما الأمر الثالث فهو ما ذكره يحيى بن خلدون على لسان يغمراسن بن زيان حول احياء دولة بني عبد الواد من قبل أبناء ابنه يحيى ، إذ يقول: " وكان رحمه الله يقول -ويقصد يغمراسن بن زيان- إذا رآه: -يقصد ابنه يحيى- بعقب ولدي هذا يحيى دولة بني عبد الواد ، وفيهم يبقى ملكنا إلى آخر الدهر. " (2)

وبذلك يكون أبو حمو موسى الثاني قد هيئ الظروف لحكم دولة أسلافه ، وجهاز قبيله من بني عبد الواد نفسيا لتقبل ذلك ومبايعته على الأمر ، والوقوف إلى جانبه حين عزمه عليه. كما أننا من خلال ما ذكرنا نصل إلى نتيجة مفادها أن أبا حمو يكون قد علم خلال مقامه بالبلاط الحفصي أن السلطان المريني أبي عنان فارس لم يقدم على قتل ابن عمه الأمير أبي زيان وأبقاه سجينا في عاصمته ، وذلك ما يشكل خطرا على مخططه ، ويقف حجرة عثرة أمام طموحاته ، لأن أبا زيان هو الوريث الشرعي لعرش بني عبد الواد بعد أبيه أبي سعيد.

3- رحلة أبي حمو لاسترجاع عرش أسلافه. (3)

لا يغن القول من الفعل شيء. إن أبا حمو موسى الثاني وإن نال مبتغاه من قصة الحدثاني والجفري ، ونال مراده من حادثة ذوده عن عمه أبي ثابت وبشارة يغمراسن بن زيان بأن دولة

¹ - عن الرواية كاملة ينظر: زهر البستان ، ص 15-17. ومن خلال هذه الرواية يبدو أن أبا حمو موسى لم يكن ينظر إلى رئاسة بني عبد الواد فقط وإنما كان يصبو إلى بقاء الحكم في أسرته ، وذلك من خلال ذكر ابنه أبي تاشفين عبد الرحمن في الرواية ، كما يبدو أن أبا حمو حضر الأرضية المناسبة لتغيير اسم الدولة من دولة بني عبد الواد إلى الدولة الزيانية نسبة لزيان بن ثابت والد يغمراسن مؤسس الدولة ، وذلك ما يتضح من الرواية ، إذ ذكر دولة بني عبد الواد عندما تعلق الأمر بأبي حمو ، بينما ذكر الدولة الزيانية عندما تعلق الأمر بأبي تاشفين. كم أكد يحيى بن خلدون على قضية الحدثان حين ذكر أن أحد أحفاد عبد المؤمن بن علي وهو الشيخ ابو زكريا يحيى بن أبي بكر قدم على أبي حمو موسى مؤكدا أمانة الحدثان وحقيقة روايتها ، أنه تخلى عن عائلته من أجل ملازمة أبي حمو لتأكده من تلك القصة. ينظر: بغية الرواد ، ج 2 ، ص 61 ، 62.

² - بغية الرواد ، ج 2 ، ص 40 ، 41.

³ - خلد السلطان أبو حمو موسى الثاني رحلته لاسترجاع عرش أسلافه ، وما قاساه خلالها ، والانتصارات التي حققها في قصيدته التي مطلعها جرت أدمعي بين الرسوم الطواسم. ينظر القصيدة كاملة ملحق رقم (5).

بني عبد الواد تحيي بعقب ولده يحيى، فإنه كان على يقين تام لا يساوره شك أن الوصول لذلك المتبغى لا يكون إلا بقوة عسكرية تعينه عليه، وتوصله إلى ما يصبو إليه.

ولما كان يعلم أن ما بقي معه من فلول بني عبد وعموم زناتة بإفريقية لا تكفي مطية للنهوض من أجل استرجاع عرش أسلافه، شرع يبحث عن يشد بهم عضده، فوجد ذلك في قبيلة الدواودة بعد انفصالهم عن السلطان المريني أبي عنان فارس⁽¹⁾ أثناء غزوه لأراضي الحفصيين وإعلانهم الطاعة والولاء للسلطان أبي اسحاق الحفصي، فعقد معهم روابط متينة بغية استمالتهم وكسب دعمهم إن هو قام لاستعادة ملك بني عبد الواد.⁽²⁾ لذلك - كما ذكر عبد الحميد حاجيات - صحبهم إلى أراضيهم وشارك معهم في شن الغارات على أحواز فسنطينة، وعلى الأراضي التي اعتادوا ارتيادها لما شيتهم، كما أغار معهم على ميلة التي احتلوها آخر شوال سنة 758هـ/1357م.⁽³⁾

وبعد وصول الإمدادات المرينية إلى نواحي قسنطينة تحت قيادة سليمان بن داود العسكري ارتحل أبو حمو موسى ومن معه من الدواودة نحو الجنوب الشرقي أين نزلوا بمدينة تبسة، ومنها شدو الرحال نحو الجنوب وفي بركة اجتمع مع بني عامر الذين طردوا من

¹ - انضم الدواودة إلى أبي عنان فارس حين غزوه بلاد بني حفص لكنهم تخلوا عنه بعد أن الغى بعض الامتيازات التي كانوا يتمتعون به، ومن ذلك ضريبة الخفارة التي كانوا يفرضونها على الأهالي والمسافرين، فعرضوا نتيجة ذلك لمطاردة المرينيين، فلجأوا إلى السلطان الحفصي أبي اسحاق. ينظر: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 82، 83.

² - لمس أبو حمو موسى في قبيل الدواودة قوة سياسية كبيرة بإمكانه الاعتماد عليها فيما كان ينوي عليه من استرجاع مملكة أسلافه. ينظر عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 83.

³ - يبدو أن الغارات التي شنها الدواودة على الأراضي الغربية للدولة الحفصية كانت بأمر من السلطان الحفصي أبي اسحاق لمناوشتهم وردهم عن عاصمته، وأن أبا حمو موسى كان معهم لنفس الغرض، فهو لم يخرج معهم للمرة الأولى من أجل غزو تلمسان لعل في رواية عبد الرحمن بن خلدون دليل على ذلك حين يذكر: "اجتمع أمراء الدواودة من رياح إلى الحاجب أبي محمد بن تافراكين، ورغبوه في لحاق أبي حمو موسى بن يوسف بالمغرب من غربته، وأنهم ركابه لذلك ليحلب على نواحي تلمسان ويحصل للسلطان أبي عنان شغلا عنهم. وسألوه أن يجهز عليه ببعض آلة السلطان. " ينظر: العبر، مج 4، ص 2789. لأنه لو كانت وجهته الأولى تلمسان لما رغبوا ابن تافركين في ذلك. كما يمكن أن نستنتج أن أبا حمو موسى قد أسر لكبار الدواودة برغبته في غزو تلمسان لما لمس رغبتهم في قتال جيش أبي عنان الذي قاتلهم، وحرهم امتيازاتهم.

أراضيهم بالمغرب الأوسط، وشيخهم يومئذ يدعى سقيير.⁽¹⁾ وبعد أن شد أبو حمو موسى عضده بني عامر حيران بني عبد الواد في الموطن⁽²⁾، ومشاركوه الرغبة في العودة إلى مضاربهم بنواحي تلمسان، انتقل معهم بصحبة قسم من الداوودة بزعامة عثمان بن سباع، وأحلافهم بني سعيد دعار بن عيسى بن رحاب وقومه⁽³⁾ نحو الجنوب تسمية لبني مرين، فترلو الزاب، ومنه إلى ريغ فورجلا⁽⁴⁾، ومن ورجلا غربوا نحو مزاب⁽⁵⁾، ثم سلكوا طريق الشمال عبر زرقون⁽⁶⁾ حتى وصلوا وادي ملال⁽⁷⁾ أين أغاروا على قبيلة سويد وقتلوا منها الكثير وعلى رأسهم عثمان بن عريف بن ونزمار، وغنموا مالهم وماشيئهم، وسبوا نساءهم، وكان ذلك سنة 759هـ/1358م. أثلج هذا الانتصار على سويد صدور بني عامر لعداوة كانت بينهم.⁽⁸⁾

¹ - هكذا عند أبي حمو موسى الثاني في واسطة السلوك، طبعة تونس، ص 39، صدر البيت الأول، وعند التنسي، في تاريخ بني زيان، ص 158، وعند صاحب زهر البستان، ص 27. أما عند يحيى بن خلدون، في بغية الرواد، ج 2، ص 60، ذكره بشقيير، بينما ذكره عبد الرحمن بن خلدون بصغير في العبر، مج 4، ص 2788.

² - يقول يحيى بن خلدون: "... فلقية قبيل بني عامر، عرب وطنه، وشيعة ملكه، والجار الجنب لحاضرة خلافته، حلفاء جلاء، وطرداء خوف. " ينظر: بغية الرواد، ج 2، ص 60. ويقول أبو حمو موسى في قصيدة حان الفراق: يا نجل عامر دارنا مع داركم *** قد عمرت بعدنا بالحنظل

وهو يقصد هنا بنجل عامر سغير، ويقصد تلمسان ونواحيها بقوله دارنا مع داركم، ويقصد بعمرت بالحنظل الاحتلال المريني. ينظر: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 297؛ عيسى قوراري، دور بنو عامر وحميان السياسي والعسكري في إحياء الدولة الزيانية (عهد أبي حمو موسى الثاني) ما بين 760هـ-1359م/774هـ-1373م، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، تلمسان، العدد التحريبي، ديسمبر 2008، ص 132.

³ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 4، ص 2788.

⁴ - كهذا جاءت عن يحيى بن خلدون في البغية، ص 63. وذكرها صاحب زهر البستان، ص 35 بورجلاء، أما أبو حمو فقد ذكرها بقاف بدل الكاف أي وارقلا. ينظر: واسطة السلوك، ص 37، صدر البيت 11. والمقصود بها ورقلة.

⁵ - مزاب أو ميزاب أو مصاب كما في البغية، ج 2، ص 63، وواسطة السلوك، ص 37، صدر البيت 11، وزهر البستان، ص 36. وهي مدينة غرداية حاليا.

⁶ - واد زرقون يقع إلى الغرب من غرداية حاليا.

⁷ - وادي ملال يقع بالقرب من بلدية الغاسول التي تقع إلى الشمال الشرقي من ولاية البيض.

⁸ - بغية الرواد، ج 2، ص 64. وقد خلد أبو حمو موسى الثاني هذه الحادثة في قصيدته حرت أدمعي إذ يقول:

إلى ملل ملنا وما ملت السرى *** سرايا ركاب كالقسي السواهم

ولما بدا لي غيب القوم ظاهرا *** وحيهم بين الطلال الغياهم

إلى أن يقول:

وبينما القوم بوادي ملال جاءتهم البشرية بموت السلطان المريني أبي عنان فارس وذلك في محرم من سنة 760هـ/1359م.⁽¹⁾ وجد أبو حمو ومن معه من بني عامر في وفاة أبي عنان الفرصة المواتية للوثوب على تلمسان، فتوجهوا نحوها عبر سبخة كبود⁽²⁾، ومنها إلى عين الحجر⁽³⁾ عبر درج، وفرتون، ومن ثم قصدوا وادي يسر شرق تلمسان.

= حملنا عليهم حملة مضرية *** فولوا شرادا مثل حفل النعائم
فولت سويد ثم حلت مجيرها *** وشيخ حماها في لجوج المصادم
ينظر: واسطة السلوك، طبعة تونس، ص 38، 39.

¹ - توفي أبو عنان فارس بفاس في 27 ذي الحجة 759هـ/5 ديسمبر 1958م، ولم يصل خبر وفاته إلى أبي حمو وصحبه إلا بعد مرور عشرة أيام. ينظر: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 86. وعن وصول خبر وفاته ينظر كذلك: التنسي، تاريخ بني زيان، ص 158، 159؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 2، ص 65، 66 عيسى قروراري، المرجع السابق، ص 133؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 55. بينما يذكر أبو حمو موسى الثاني أن خبر وفاة أبي عنان المريني وصلهم بينما كانوا في طريقهم من سبخة كبود إلى درج، حيث قال في ذلك:
وخضراء كبود قد تبدت هضابها *** وهبت رياح عاطرات النواصم
درجنا إلى درج ولاحت بشائر *** بهلك الأعادي الناعسين الأشائم
ألا أيها الناعي البشير الذي نعى *** أمير مرين حزت أسنى المقاسم
ينظر: واسطة السلوك، طبعة تونس، ص 39؛ وفي طبعة الجزائر، ص 72، 73.

² - هذا المكان لم تتمكن من معرفة لكن إذا أخذنا برواية يحيى بن خلدون في بغية الرواد، ج 2، ص 67 بأن قوات أبي حمو انتقلت إلى سبخة كبود من ماء شعيب فإن هذه السبخة توجد حاليا بالقرب من مدينة رأس الماء من ولاية سيدي بلعباس لأنه يوجد إلى الشرق منها حاليا مكان يسمى سيدي شعب، وبذلك يكون قد اتجه غربا ليقترب أكثر من تلمسان لتقصي أخبارها، ومنها يكون قد اتجه شمال ليعسكر بواد مكرة أو ماكرا كما ذكره يحيى بن خلدون قرب سيدي بلعباس .
³ - خلال تتبع خط سير أبو حمو موسى بقواته لا نجد إلا مكانان يحملان اسم عين الحجر اليوم، أولهما قرب سعيدة، والثاني بين تلمسان والحنايا، ولما كان يستحيل أن يعود أبو حمو إلى الجنوب بعدما اقترب من تلمسان، كما يستحيل تجاوز تلمسان في هذه الظروف فالمقصود بعين الحجر ليس هذان، لكن من خلال مواصلة تتبع خط السير يبدو أن المقصود بها هي منطقة حمام بوحجر حاليا والتي تقع إلى الشمال الغربي من واد مكرة الذي عسكر به أبو حمو وقواته، خاصة أنها تقع إلى الشرق من واد يسر كما ذكر صاحب البغية في، ج 2، ص 68. ووربما يكون قد اتجه إليها تعمية لعيون بني مرين المتمركزين بتلمسان، ومن ثم مباغتتهم، وأخذهم على حين غفلة منهم، بعد أن يكون قد جمع أهم أخبارهم. كما أنه =ذكرها في موضع آخر، ص 129، في قوله: "فخيم ليلة إذ -يقصد أبا حمو الثاني- بأحد بني يزيد، ثم من الغد بتانفا ثم بعين الحجر شمال الحضرة." "

ومن وادي يسر توجه أبو حمو في جيوشه إلى تلمسان فتزلوا بالصفصيف⁽¹⁾ يوم 25 صفر 760هـ أين تصدت لهم قوة من حامية بني مرين لم تستطع الصمود أمامهم فولت منهزمة وتحصنت بأسوار مدينة تلمسان التي كان عليها محمد بن أبي عنان المريني.⁽²⁾ وبينما أبي حمو يحاصر تلمسان بقواته، وفد عليه بعض أهالي تلمسان يدلّونه على نقاط الضعف التي يمكن من خلالها دخول المدينة.⁽³⁾ وبناء على هذه المعلومات قسم أبو حمو جيشه إلى فريقين، أحدهما جعل عليه ابن برغوث، ويضم بني عبد الواد ومن معهم من عموم زناتة وجهه نحو أجادير شرق المدينة عبر باب العقبة، والآخر تحت قيادته ويضم من معه من الأعراب⁽⁴⁾ وقصد به الجهة الغربية باتجاه باب كشوط. وتمكن الفريقان من دخول المدينة بعد انهزام حامية بني مرين.⁽⁵⁾

وبدخوله مدينة تلمسان وطرد المرينيين عنها تمكن أبو حمو موسى من استرجاع ملك أسلافه، ويجلسه على عرشهم حقق آماله، وكان ذلك في الفاتح من ربيع الأول عام 760هـ/1359م.⁽⁶⁾

¹ - يبعد عن تلمسان بحوالي خمس كيلومترات شرقا. عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 87.

² - جعله أباه على تلمسان بمساعدة مربيه السعيد بن موسى العجيسي والأمير يغمراسن بن عثمان بن سليمان المريني، وكانت قواته لاتقل عن ثلاثة آلاف من بينهم حوالي ألف وثمانمائة مريني. ينظر: زهر البستان، ص 59؛ عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 87.

³ - يذكر يحيى بن خلدون أن أبا حمو موسى لما كان معسكرا يبسر ورد عليه أهل القصبات - ولعله يقصد سكان أحواز تلمسان - ببيعتهم، وحملوا له كتابا من الفقيه أبي زيد عبد الرحمن بن مخلوف الشامي أحد فقهاء تلمسان يرغبه في الاسراع لدخول تلمسان. بغية الرواد، ج 2، ص 68، 69. ويبدو أن هؤلاء القوم الذين ذكروا له عورات البلاد كما ذكر عبد الحميد حاجيات. أبو حمو موسى، ص 88.

⁴ - عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 88. يبدو أن أبا حمو موسى الثاني قرر قيادة عرب بني عامر ومن معهم ارضاء لهم، ليستأنسهم وردا لجميلهم .

⁵ - اقتحم أبو حمو تلمسان بعد معارك دامت ثلاثة أيام، ودخولها صبيحة اليوم الرابع. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 4، ص 2788.

⁶ - يقول يحيى بن خلدون: "كان استقرار مولانا الخليفة أمير المسلمين أبي حمو بدار الملك لسلفه الكريم، بعد صلاة الظهر من يوم الخميس المبارك غرة شهر ربيع الأول المشرف، فاقتعد أريكة الملك وامتنى سرير الخلافة." بغية الرواد، ج 2، ص 95. بينما يذكر عبد الرحمن بن خلدون أن دخول أبي حمو قصر الملك كان في يوم الأربعاء الثامن من ربيع الأول. العبر، مج 4، ص 2788. بينما يؤيد التنسي في تاريخ بني زيان، ص 159 قول صاحب البغية، وهو نفس ما ذهب إليه عبد

المبحث الثاني: حكمة أبي حمو موسى الثاني في التمكين لدولته.

بعد أن تمكن أبو حمو موسى الثاني من استرجاع عرش أسلافه سنة 760هـ/1359م بعد مسيرة شاقة دامت زهاء الستين. بقي أمامه أخطر مما واجهه من ذي قبل، وهو كيفية الحفاظ على العرش الذي اعتلاه، فهو كان يدرك تمام الإدراك أن بني مرين لاشك معيدوا الكرة على دولته كما ألفوا من قبل. ومن هنا كان عليه الإعداد جيدا لمواجهة هذا الخطر وغيره، خاصة وإن ابن آخر سلاطين دولة بني عبد الواد أبي زيان بن أبي سعيد كان سجيناً لدى بني مرين، ويمكن استعماله في أية لحظة لمنافسته على العرش. فإلى أي مدى سيكون أبو حمو موسى حكيماً للحفاظ على عرشه والتمكين لدولته؟ وما هي الإجراءات الوقائية اللازمة التي سيتخذها من أجل الحفاظ على دولته؟

1- تثبيت الحكم.

لم يكن تولي أبو حمو موسى الثاني لعرش بني عبد الواد لا على أساس ولاية عهد، ولا اغتصبه من أحد سلاطين الدولة، بل حتى البيعة لم يأخذها من بني عبد الواد ومن حالفهم من قبيلة زناتة كسابقه من ولد زيان بن ثابت.⁽¹⁾

فاليعة تمت له من قبل عرب بني عامر ومن معهم من عرب رياح لما وصل سبخة كبود أثناء رحلته لاسترجاع ملك

= الحميد حاجيات في أبي حمو موسى، ص 89. لأن صاحب البغية يكون قد أخذ هذه الرواية عن أبي حمو موسى الذي أوردها في واسطة السلوك، ص 34 حيث قال: " فلما كان من الغد افتتحناها عنوة عليهم، وخلصنا من جميع جهاتنا إليهم. وكان ذلك غرة ربيع الأول من سنة ستين وسبعمئة." .

¹ - كان الحكم في دولة بني عبد الواد وراثياً يؤول إلى ولي العهد والذي كان غالباً ما يكون للولد الأكبر إذا استثنينا أبي زيان بن عثمان الذي عهد غي أخيه أبي حمو موسى الأول، ولم يزل هذا النظام في دولة بني عبد الواد حتى احتلالها من طرف أبو الحسن المريني سنة 737هـ/1336م أين تمكن أبو سعيد بن عبد الرحمن بمساعدة أخيه أبي ثابت من استرجاع ملك بني عبد الواد سنة 749هـ/1348م، لكن في هذه الحالة تمت البيعة لأبي سعيد من طرف قبيل بني عبد الواد وحلفائهم من زناتة. ينظر: بوزيانى الدراجي، المرجع السابق، ص 111؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 48؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 82.

أجداده⁽¹⁾، وهي سابقة في تاريخ دولة بني عبد الواد. لذلك نجد أن أبا حمو موسى الثاني قام بثورة في نظام الحكم غير عن طريقها الكثير من مفاهيم الحكم والسلطة لم تكن قبله، ولم يألفها قبيله ولا الرعية بالمغرب الأوسط ومنها:

أ- التلقب بلقب الخليفة⁽²⁾، وذلك كان استكمالاً لما بدأه مع كتب الحدثان والجفر التي تنبأت بسيادته وولده من بعده عرش بني عبد الواد وبلاد المغرب الأوسط، وبشارة يغمراسن بن زيان بأن دولته ستحيى بعقب ولده يحيى، وبهم يدوم ملك بني عبد الواد، حيث أن الخلافة توجب أنه معين من قبل الله، وهو يجمع بين السلطتين الدينية والدينيوية. ونجد ذلك جلياً في وصايا لولي عهده أبي تاشفين عبد الرحمن حين قال: "يا بني إن الملك خليفة الله في أرضه، الموكل بإقامة أمره ونهيه، قلده بقلائد الخلافة، وجعله حصناً منيعاً لذوي المخافة. وأمره بإقامة الشرائع، وسد الذرائع، ليقوم قسطاس الحق في رعاية الخلق، وأتاه الله من ملكه، وجعل الرعية تحت إيلته وملكه." ⁽³⁾

¹ - يقول في ذلك يحيى بن خلدون: "فيخضراء كبود أهل صفر السنة، وفي خامسه - بين ماء الخضراء والأخضر - بايعت العرب أمير المسلمين وخليفة رب العالمين، أبا حمو أيده الله بيعة الرضوان، على الوفاء له في المنشط والمكره، والعسر واليسر." ينظر: بغية الرواد، ج 2، ص 67.

² - وهي عادة ما كانت في حكام بني عبد الواد من قبله، حتى يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة لم يدعي ذلك واكتفى بالسلطة الدينيوية وكان يدعو على منابر دولته للموحدين، ثم الحفصيين من بعدهم، حتى أنه لما سئل عن ذلك قال: "تلك أعوادهم يذكرون عليها ما شأؤوا" لأن يغمراسن بن زيان كان يرغب في استمرار دولته التي فعلاً بقيت سيادتها مفروضة على المغرب الأوسط رغم ذلك، إذ أن تبعيته للحفصيين لم تمنعه من تأديب الخارجين عن طاعته مثل بني توجين ومغراوة. ولا من عقد اتفاقيات مع الدول الأخرى كبني مريين وبني الأحمر، القشتاليين كما أسلفنا في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

³ - ينظر: واسطة السلوك، طبعة تونس، ص 24. وهنا نستشف من قوله هذا أنه كان يرى نفسه مفوضاً من الله لسياسة الرعية ومراعاة شؤونها، حيث لا يمكن أن ينازع في الملك أحد، وإن فعل فإنه يقف ضد إرادة الله. ونلمس ذلك في قصيدته التي مطلعها دمع ينهل من المقل إذ يقول في نفس المصدر، ص 25:

إلا المولى يسدي الطولا *** ربي الأعلى محيي الدول
أحيها بي وبأعرابي *** وأنا الزابي والدول لي
لي أحيها لي أنشأها *** لي أعطها أزل الأزل
الله قضى والحكم مضى *** ولنا فرضاً فدعوا عدلي
فله الشكر وله الأمر *** منه التصر لا من قبلي
حملني الملك ومن يقوى *** يحمل ما فيه من الثقل.

ب- إدعاء النسب النبوي الشريف⁽¹⁾ صراحة وأنه من آل البيت من ولد إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ،وهذا يزيد -إلى جانب كونه من ولد يغمراسن بن زيان- شرعية في الحكم ،ولدعم هذا النسب أطلق على دولة بني عبد الواد اسم الدولة الزيانية نسبة لزيان بن ثابت والد يغمراسن بن زيان. ولعله أراد بذلك أن يثبت أنما بني عبد الواد نسبا وليس أصلا.

وقد أكد ذلك يحيى بن خلدون في أكثر من موضع ،ومن ذلك قوله في أبي حمو موسى الثاني: "فاقتاد بزمام مهابته الدنيا الحرون ،ودمت بسنابك آرائه حوادثها الحزون ،وعلم بصحة تجاربه ما يكون فيها قبل أن يكون ،فهو كما قال جده علي بن أبي طالب لابن عمه عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهم: "الله أنت من رجل فلقد تنظر إلى الغيب من ستر رقيق"... كلا إن هي إلا الشجاعة العلوية ،تعضدها يد الله العلوية..." إلى أن يقول: "فهو الإمام الذي شرف أصلا وفرعا ،ووجبت خلافته الهاشمية طبعاً وشرعاً ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الخلافة في قريش والأئمة من قريش"... ولا يرتاب كل منصف نابذ لهواه في استحقاق هذا الإمام الأعلى -أيده الله- الخلافة بدينه وفضله وسياسته وعدله وعمله وعلمه وبره وذاته وقدره وحمله وخصله وفرعه وأصله فهو المعني بقول أبي العتاهية:

أته الخلافة منقادة *** إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له *** ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره *** لزلت الأرض زلزالها⁽²⁾

ج- أنه وضع شروطاً محدد لتولي المناصب العليا في الدولة منها:

¹ - ظل سلاطين بني عبد الواد منذ تأسيس دولتهم يعتمدون على عصبية قبيلة بني عبد الواد في الحفاظ على دولتهم التي تأسست على أساس هذه العصبية ،وهذا ما أشار إليه مؤسس الدولة يغمراسن بن زيان صراحة حين أخبر عن انتساب بني عبد الواد إلى آل البيت حيث قال: "إذا كان هذا صحيحاً نفعنا الله به في الآخرة ،أما الدنيا فلنأخذها بسيفنا". حتى لما قام السلطان أبو سعيد بن عبد الرحمن بحملته لاسترجاع دولتهم من بني مرين اعتمد على قبيل بني عبد الواد ،ولم يدعي النسب النبوي الشريف.

² - بغية الرواد ،ج2 ،ص ص 26-36.

أن يكون الوزير كبيرا في عشيرته وبيته بصيرا بالأمر، من خيار قومه، وافر العقل حاضر الذهن، سريع الفهم راجح الرأي محمود السعي، صالحا محبا ناصحا، حسن الصورة فصيح اللسان، كثير المال.⁽¹⁾

وأن يكون الكاتب من وجوه البلاد فصيح اللسان بليغ البيان، عارفا بالآداب بارع الخط حسن الضبط، كما للسر متحليا بالوقار، وافر العقل حاضر الفهم، ثاقب الذهن صائب الفكر، جميل الهيئة واللباس والموالة للناس.⁽²⁾

وأما صاحب الأشغال وضابط الأعمال فيجب أن يكون من الأخيار العارفين بالحساب وأنواع الخراج والجبايات، ذا ثقة أمين، عفيف صالح متدين، حازم ذا كفاية ومال وأثاث وعقار. وكذلك العمال يجب أن يكونوا من العارفي بجباية الخراج، يتصفون بالأمانة وذوي فضل وديانة، ولا يضررون بالرعية.⁽³⁾

أما الفقهاء فيجب أن يكونوا ممن يتوفر فيهم العلم والصلاح، ناصحا يأمر بالسداد ويهيئ إلى الرشاد. وكذلك القضاة يجب أن يكونوا ممن لا يخشون في الله لومة لائم، ولا يسمح لظلمة ظالم، ولا يغتر بالرشوة، يعدل بين الناس.⁽⁴⁾

وأما قادة الجيش فيجب أن يكونوا من أجشع الجند محبين للسلطان أوفياء له، لا يؤذون الرعية، محبين للبلاد مدافعين عنها.⁽⁵⁾

ويذكر بوزياني الدراجي أن أبا حمو الثاني قد ألغى وظيفة الحاجب التي كانت مستعملة قبله في دولة بني عبد الواد واستبدلها بوظيفة المزوار التي كانت سائدة عند الحفصيين والمرينيين. وكانت وظيفة المزوار تتمثل في الاشراف على القصر.⁽⁶⁾

¹ - واسطة السلوك، ص 60؛ حسين تواتي، المرجع السابق، ص 89.

² - نفس المصدر، ص 85.

³ - نفسه، ص 85، و ص 96.

⁴ - نفسه، ص 85.

⁵ - نفسه، الصفحة نفسها.

⁶ - نظم الحكم في دولة بني عبد الواد، ص ص 137-139.

د- إعادة بناء جيش الدولة الزيانية وتنظيمه ،حيث ضم إليه إضافة إلى بني عبد الواد وبقية زناتة مقاتلين من القبائل العربية خاصة بني عامر⁽¹⁾ ،هذا فضلا عن عناصر من الروم والغز والوصفان. كما غير من نظامه ،وجعله يتحرك وفق خطط مدروسة تقتضي عدم المخاطرة به.⁽²⁾ وقد قسم الجيش إلى أربعة أقسام هم الخاصة⁽³⁾ والقبيل⁽⁴⁾ وأنصار الملك⁽⁵⁾ ،والمماليك.⁽⁶⁾

وقد ربط الجيش بالمال أي أن يكون الجيش وفق الكفاية من المال الذي يسمح بسد حاجيات أفراد الجيش من هبات وأعطيات

¹ - استطاع أبو حمو موسى الثاني بفضل هذه السياسة تشكيل جيش قوي ضاهى به جيوش بني مرين عدة وعددا ،ويمكن بواسطته من العود إلى عرشه كلما داهمته وأبعده عنه. ينظر: عبد العزيز فيلالي ،تلمسان في العهد الزياني ،ج1 ،ص 57.
² - حيث جعل الجيش يتحرك وفق قوة العدو وضعفه ،كما كان يصحبه معه كلما خرج من عاصمته حفاظا عليه ،إضافة إلى اعتماده على خطط محدثة منها مهاجمة العدو والانتفاف حوله من الخلف وضرب ممتلكاته وحريمه ،وإتلاف غلاته ،وتخريب عمرانته ،لإحداث البلبلة والارتباك في صفوفه فيضطر إلى الانسحاب. ينظر: ابو حمو موسى ،واسطة السلوك ،ص ص 155-160 ؛يحيى بن خلدون ،ص ص 176-184 ؛عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 58.

³ - وهي فرقة خاصة بالملك تتشكل من وجهاء القبائل وكبار العشائر ،يختصهم الملك لنفسه ،وهم جواسيس السلطان وعيونه على قبائلهم ،يقول ابو حمو موسى الثاني: "اعلم يا بني ،أنه ينبغي لك أن تتخذ خاصة من وجوه القبائل وكرام العشائر تستخلصهم لنفسك ،لئعلمك كل واد منهم بما انطوت عليه جماعته من السرائر ،ويكون كل واحد منهم محبا في جناحك ،ومائلا إليك ،ومعتادا في أموره عليك." ،ومن بينهم يتم اختيار قادة الكتائب والسرايا. ينظر: واسطة السلوك ،ص 103 ؛بوزياني الدراجي ،المرجع السابق ،ص 256.

⁴ - هي فرقة تتشكل من قبيل الملك وعصبيته وخاصة منهم المشايخ والرؤساء ،والأعيان ،وهؤلاء يضمنون له الولاء والتبعية ،والتعبئة. ينظر: أبو حمو موسى الثاني ،المصدر السابق ،ص 103.

⁵ - يشكل أنصار الملك الفئة النظامية للجيش ،والقوة الضاربة فيه ،ملازمون للملك لا يفارقونه ،لهم زي عسكري موحد موحد ،يشترط فيهم الشجاعة والشدة والحزم والثبات. ينظر: أبو حمو موسى الثاني ،واسطة السلوك ،ص 103 ؛بوزياني الدراجي ،المرجع السابق ،ص 256 ،257.

⁶ - تتشكل هذه الفرقة من الأعلاج والنصارى والأغزاز والوصفان ،عددتهم نفس عدد أنصار الملك ،وهم لا يغادرون عاصمة الدولة مهمتهم حراسة السلطان ،والوقوف بالمرصاد لي تمرد خاصة من قوات الأنصار ،ولذلك وجب أن يكون عدد الفرغين متساو. ينظر: أبو حمو موسى ،واسطة السلوك ،ص 104 ،105 ؛بوزياني الدراجي ،المرجع السابق ،ص 257.

،وجرايات شهرية.⁽¹⁾ كما عمل على استئلاف قلوب جيشه ومعاملته بالحسنى.⁽²⁾

2- استرجاع مدن المغرب الأوسط.

بعد أن تمكن أبو حمو موسى الثاني من تثبيت حكمه على عرش أجداده التفت إلى استرجاع مدن المغرب الأوسط ،خاصة بعدما جاءته البيعة من قبائل هنين ،وندرومة ،ووجدة ،ومستغانم ،وتمزگران ،والبطحاء⁽³⁾ . وهي البيعة التي سهلت عليه أمر استرجاع المنطقة الشرقية من مملكة بني عبد الواد ،والتي كانت خاضعة لبني مرين.⁽⁴⁾ يضاف إليها انشغال بني مرين بالصراع على كرسي العرش.⁽⁵⁾ والتحاق عبد الله بن مسلم الزردالي⁽⁶⁾ والي المرينيين على درعة بأبي حمو موسى حاملا معه جباية المنطقة ،والذي عينه السلطان الزياني وزيرا له.

¹ - يقول أبو حمو موسى الثاني في هذا الصدد: "ويكون ترتيب الجيش في العطاء على قدر بيانهم وشجاعتهم ،وسابقتهم للخدمة واصطناعتهم ومحبتهم وانقيادهم ،وألفتهم واجتهادهم .وهؤلاء أهل الطاعات والمجاي والبلاد . وهم القبيل والحماة والأنصار والأجناد . ما عدا ممالكك المنقطعين إليك ،المنصرفين في الخدمة بين يديك ،فإن جراياتهم في الرتب مشاهرة ،وأرزاقهم من بيت المال مياسرة ،جريا على توالي الشهور." ينظر: واسطة السلوك ،ص 147.

² - لأنه باستئلاف الجيش وحسن معاملته يُضمن ولاءه الجيش ،ويؤمن شره ،لأنه بالسياسة يُدرك ما لم يتم ادراكه بالغلظة والعنف . ينظر واسطة السلوك ،ص 164.

³ - كانت بعة كل من هنين وندرومة ووجدة في الثالث أو الرابع من ربيع الأول سنة 760هـ ،وكانت بيعة مستغانم وتمزگران والبطحاء في الرابع والعشرين من نفس الشهر . أي قبل انقضاء شهر من استرجاع عرش بني عبد الواد . ينظر: يحيى بن خلدون ،بغية الرواد ،ج2 ،ص 99 ،124 ؛عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 55 ؛عبد الحميد حاجيات ،أبو حمو موسى ،ص 92.

⁴ - في الوقت الذي تمكن فيه أبو حمو موسى الثاني من استرجاع تلمسان كانت باقي مدن المغرب الأوسط خاضعة لسلطة بني مرين تحت حكم حاميات من بني مرين ومن والاهم من القبائل البربرية مثل بني توجين . ينظر: عبد الحميد حاجيات ،أبو حمو موسى ،ص 95.

⁵ - بعد وفاة السلطان أبي عنان فارس دخل أفراد الأسرة الحاكمة من بني مرين في صراع على العرش خاصة وأن البيعة تمت لأبي بكر السعيد ابن أبي عنان وهو ابن الخامسة من عمره ،وكان وصيه الوزير الحسن بن عمر الفودودي قد اسبد بالحكم دونه مما أثار أفرادا من الأسرة الحاكمة . عن الصراع حول العرش المريني بعد وفاة أبي عنان ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،مج4 ،ص ص 2935-2944.

⁶ - هو ابو محمد عبد الله بن مسلم من وجوه بني زردال الذين اختلطوا ببني عبد الواد لقتلهم ،عاش في تلمسان على عهد عهد أبي تاشفين الأول ،اشتهر بالشجاعة والإقدام لدرجة أن بني مرين بعد استيلائهم على تلمسان منذ عهد أبي الحسن اهتموا لأمره وولوه عنایتهم ،ورفعوا منزلته ،حتى ولاه أبو عنان فارس المريني ولاية درعة وما يليها . وبعد أن سيطر أبو

فكان أول الأمر أن أرسل قوة في الثامن والعشرين من ربيع الأول من سنة 760هـ تحت قيادة موسى بن علي بن برغوث لاسترجاع مدينة وهران ،التي تصدت حاميتها المرينية لهذه الحملة وهي يومئذ تحت رئاسة عامر بن ابراهيم بن ماساي ،وتمكن من أسر ابن برغوث بعدما تفرقت قواته من حوله ،وكان ذلك بعد حوالي أسبوع من حصارها (08 ربيع الثاني 790هـ).⁽¹⁾

بعد استعصاء مدينة وهران عليه قرر أبو حمو موسى ارسال والده أبي يعقوب⁽²⁾ لإخضاع الجهة الشرقية ،فخرج في 4 شعبان 760هـ فتزل بالبطحاء ،ومنها هاجم القوات المرينية المتمركزة بجبل وانشريس تحت قيادة يحيى بن علي البطوي ومن حالفه من بني توجين وسويد الذين اضطروا إلى الانسحاب إلى مليانة والتحصن بها ،وامتنعت المدينة عن أبي يعقوب والد أبي حمو بعد انضمام فرقة من الحامية المرينية المتمركزة بمدينة الجزائر إلى البطوي ،الأمر الذي اضطره إلى تغيير وجهته نحو بلاد شلف والمدية والمناطق المجاورة لهما ،فتمكن من إخضاعها.⁽³⁾ في هذه الأثناء قدم على السلطان أبي حمو موسى الثاني عبد الله بن مسلم الزردالي السالف الذكر ،فدعم به والده وتمكن من إخضاع مدينة مليانة وأسر القائد يحيى بن علي البطوي

= سالم = المريني على العرش لحق عبد الله بن مسلم بأبي حمو في تلمسان بمال كثير وجماعة من إتباعه ،ففرح به كثيرا ووله وزراته من حينه . ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،مج4 ،ص 2790 ؛يحيى بن خلدون ،بغية الرواد ،ج2 ،ص 143 ،144 ؛عبد الحميد حاجيات ،ابو حمو موسى ،ص 95 ،96.

¹ - يحيى بن خلدون ،بغية الرواد ،ج2 ،ص 124 ؛عبد الحميد حاجيات ،أبو حمو موسى ،ص 93.

² - هو أبو يعقوب يوسف أكبر أبناء عبد الرحمن بن يحيى بن يعمراسن ولد سنة 689هـ . كان مقيما بندرومة أثناء استيلاء أبو عنان فارس المريني على تلمسان ،ولما ألقى عليه القبض نقله ومعه أسرته ومن ضمنها أبو تاشفين عبد الرحمن ابن أبي حمو موسى الثاني إلى فاس وأقام فيها مكرما معززا حتى تمكن أبو حمو موسى من تلمسان ،وأثناء اخضاعه للمناطق الشرقية من المغرب الأوسط وأسر من فيها من بني مرين اضطر السلطان المريني منصور بن سليمان الذي خلف السعيد بن أبي عنان إلى توقيع الصلح مع أبي حمو . ولما عاد إلى فاس أرسل أبا يوسف يعقوب وحفيده أبي تاشفين إلى تلمسان لتمتين عرى ذلك الصلح . فوصلا إلى حاضرة الدولة الزيانية يوم 7 رجب من سنة 760هـ أين استقباهما أبو حمو موسى الثاني استقبالا كبيرا احتفاء بقدومهما . ينظر: زهر البسان ،ص 99-106 ؛بغية الرواد ،ج2 ،ص 138 ،139 ؛التنسي ،تاريخ بني زيان ،ص 184 ،185 ؛عبد الحميد حاجيات ،أبو حمو موسى ،ص 70 ،71 و ص 94.

³ - يحيى بن خلدون ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 141-143 ؛التنسي ،المصدر السابق ،ص 185 ؛زهر البستان ،ص 106-113 ؛عبد الحميد حاجيات ،المرجع السابق ،ص 95 ؛عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ص 55.

والحامية المرينية ،وممليانة التقى أبو يعقوب بعبد الله بن مسلم ،منها زحفا على مدينة الجزائر التي استعصت عليهما ،وقائدها على الحامية المرينية يومئذ شعيب بن ميمون الذي قاوم وحمائته الجيش الزياني مقاومة شديدة اضطرت عبد الله بن مسلم وأبي يعقوب والد أبي حمو إلى رفع الحصار عن المدينة والعودة إلى مليانة التي غادرها عبد الله بن مسلم بأمر من أبي حمو موسى الثاني. (1)

وبعد أن تمكن أبو حمو موسى من رد الغزو المريني على بلاده (2) ،ومطاردة أبي زيان القبي (3) الطامع في عرشه ما بين 761هـ - 1360م و762هـ /1361م ،أعاد محاولاته لاسترجاع مدن مملكته ،فزحف على وهران واسترجعها عنوة يوم 13 شوال 762هـ ،ثم تسلم مدينة الجزائر صلحا في ذي القعدة من نفس السنة على يد والده أبي يعقوب الذي اتخذها مقرا لولايته. (4)

فسح الاستيلاء على مدينة الجزائر المجال واسعا أمام أبي حمو لضم بجاية ،فأمر قادة جيشه بالناحية الشرقية لغزوها فتمكن عمر بن موسى المطهري من إخضاع تدلس في بدايات سنة 763هـ /1362م ،وفي النصف الأخير من نفس السنة أخضع عبد الله بن مسلم فحص حمزة

¹ - يحيى بن خلدون ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 145 ،عبد الحميد حاجيات ،المرجع السابق ،ص 97.

² - بعد أن استقر ملك بني مرين لأبي سالم قرر النهوض إلى تلمسان كمتصف سنة 762هـ ،ولما بلغ خبر هذا التحرك مسامع أبي حمو موسى الثاني خرج عن تلمسان ومن معه قاصدا الجنوب حتى إذا دخل أبو سالم المدينة التفت أبو حمو موسى خلفه قاصدا بلاده فترل وطاط وبلاد ملوية وكرسيف فحطموا زروعها وخربوا عمرانها ونسفوا أفواجا ،فاضطر أبو سالم إلى العودة إلى بلاده والخروج من تلمسان بعد أن خلف عليها محمد أبي زيان المعروف بالقبي . ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،مج4 ،ص 2790 ؛يحيى بن خلدون ،بغية الرواد ،ج2 ،ص 147-149 ؛عبد الحميد حاجيات ،ابو حمو موسى ،ص 98 ،99.

³ - هو أبو زيان محمد بن عثمان بن أبي تاشفين الأول المعروف بالقبي ،والقبي معناها العظيم الرأس ،أخذه المرينيون صغيرا بعد مقتل أبيه عثمان وحده أبي تاشفين ،وتربى في قصورهم . ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،مج4 ،ص 2790 ؛عبد الحميد حاجيات ،أبو حمو موسى ،ص 98 ،هامش 1. ولا شك أن بني مرين قاموا بتربية ابا زيان القبي في قصورهم لاستعماله ضد بني عمومته متى استرجعوا مملكتهم ،وذلك فعلا ما كان من أي سالم المريني الذي تركه على عرش تلمسان لما عاد إلى بلاده خشية أن يستولي عليها أبو حمو موسى الذي عاد بعد ذلك إلى تلمسان واخرج القبي منها الذي احتسى بأولاد عريف من سويد بجبال وانشريس.

⁴ - يحيى بن خلدون ،بغية الرواد ،ج2 ،ص 199 ؛عبد الحميد حاجيات ،المرجع السابق ،ص 103.

وبلاد بني حسن وتاغزوت ، وبلاد زواوة وما يليها.⁽¹⁾ وبذلك أعاد أبو حمو موسى الثاني من إحكام سيطرته على كامل بلاد المغرب الأوسط.

3- كسب ولاء الرعية.

لا يستقيم الملك ما لم تكن الرعية تدعن بالولاء للحاكم ، لأنها في هذا الجو المشحون بالفتن والمؤامرات الداخلية خاصة مع وجود مطالبين بالعرش من الأسرة العبد الوادية⁽²⁾ ، والتحرشات الخارجية لا سيما من قبل بني مرين.⁽³⁾ تمثل مصدر قلق إن لم يتم كسب ودها وحسن سياستها.

وقد أدرك أبو حمو موسى أهمية هذا الجانب لذلك نجد أول ما قام به هو العفو عن حامية بني مرين التي أسرها حين استرجاعه لتلمسان⁽⁴⁾ ، ونحسب ذلك من حكمته لأن من كان رحيمًا بأعدائه فهو بأهله أرحم. فيكون بتصرفه هذا قد آمن أهل تلمسان ، ومن ورائها أهل

¹ - عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج 4 ، ص 2793 ، 2794.

² - ونقصد هنا على وجه الخصوص أبي زيان القي بن عثمان بن أبي تاشفين الأول السالف الذكر ، وأبي زيان بن السلطان أبي السعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان. عن صراعهم مع أبي حمو موسى الثاني ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج 4 ، ص 2791-2802 ؛ هوارية بكاي ، العلاقات الزيانية المرينية ، ص 257 ، 258 ؛ عبد العزيز فيلاي ، تلمسان في العهد الزياتي ، ج 1 ، ص 56 ، 57.

³ - غزي بنو مرين تلمسان على عهد أبي حمو الثاني أربع مرات كانت أولها سنة 760هـ/1359م ، ودامت خمسة وعشرين يوما ، وكانت الثانية في السنة الموالية 761هـ/1360م غادر خلالها أبو حمو عاصمة دولته مدة أربعين يوما. والثالثة تمكن من خلالها السلطان عبد العزيز المريني من السيطرة على تلمسان لمدة تزيد عن الستين ، وكانت ما بين 772-774هـ/1371-1373م. والرابعة دامت نفس مدة سابقتها ، وكانت ما بين 784-786هـ/1383-1365م. وقد تمكن في كل مرة استرجاع عرشه بفضل قبيله وحلفائه وخاصة منهم القبائل العربية. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج 4 ، ص 2789-7805 ؛ يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج 2 ، ص 125 ، 126 وص ص 147-178 وص ص 460-484 ؛ ابن الأحمر ، روضة النسر ، ص 56 وما بعدها ؛ عبد العزيز فيلاي ، تلمسان في العهد الزياتي ، ج 1 ، ص 56 ؛ هوارية بكاي ، العلاقات الزيانية المرينية ، ص 256 ، 257.

⁴ - يقول أبو حمو موسى في ذلك: "... فتشفعوا إلينا بالفقهاء والصلحاء في الإبقاء عليهم ، وخلصهم إلى غيرهم بجميع ما لديهم . فأسعفناهم بما طلبوا من العفو ، وسوغناهم من الأمان العذب والصفو . وذلك هو المعهود منا ومن أسلافنا الكرام ، وخيرناهم بين الانصراف والمقام ، فمن انصرف فمبلغ المراد والمرام ومن أقام للخدمة المرضية فمرعى الدمام ، ومحمول على ساعد البر والإكرام..." . ينظر: واسطة السلوك ، طبعة تونس ، ص 34. وعن الحادثة ينظر أيضا: يحيى بن خلدون ، ج 2 ، ص 95.

باقي المدن والمناطق⁽¹⁾ جانبه ،وأثبت لهم أنما جاء ليشيع العدل والعمو بين الناس ،وقد أكد على ذلك بأن خصص يوم الجمعة للنظر في شكاوى الناس والفصل خصوماتهم ،وقد أكد على ذلك في وصيته لولده حين قال: "... وبعد فراغك من الصلاة -يقصد صلاة الجمعة- تجلس بمجلسك للشكايات ،وتأخذ في قضاء الحاجات ،والفصل بين الخصماء ،والانتقام من الظلمة الغشماء ،فتقمع الظالم وتقهره ،وتحمي المظلوم وتنصره ،وتحضر الفقهاء في مجلسك حين الفصل بين الناس ،لإزالة ما يقع من الأحكام إلى الالتباس ،وهذا المجلس في هذا اليوم المذكور ،مخصوص بالرعية وبالجمهور..."⁽²⁾

كما كان احتفاله بالمولد النبوي الشريف بعد احدى عشر يوما من تربعه على العرش يصب في هذا الجانب ،أي جانب تقوية روابطه مع الرعية وكسب ودها واسترضائها لتكون موالية له وعونا على الآتي من النوائب.⁽³⁾ حيث أقام احتفالية كبيرة وصفها يحيى بن خلدون بقوله: "وأطلت ليلة الميلاد النبوي -على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم- فأقام لها بمشور

¹ - لقد كان أبو حمو موسى الثاني حريصا على أن لا يمس رعايا دولته في مختلف المدن والمناطق حيف ولا جور وذلك ما نستشفه من قوله: " يا بني ،استعن بثقات عمالك على جمع مالك ،فول الرفيق في الرعية الجاري على السبيل السوية ،تتل بذلك في الدارين الدرجة العلية. ولا يحملنك حب المال على المسامحة في جور العمال. فإنه إذا هلكت الرعايا عدت الجبايا ،وإذا عوملت الرعية بالرفق كثر فيها النماء والرزق." ومن قوله: "...يا بني ،وأما قوادك فلتتخير قوادا من أنجاد حنك زعماء صادقين في محبتك وافين بعهدك ذوي حزم وكفاية ومعرفة ودراية. لا يصلون إلى الرعية بمضرة ولا بإذابة..." ومن قوله: "... وأما عمالك فلتتخير منهم العارفين بجباية الخراج ،وأهل البصر بالألقاب التي إليها الاحتياج. ويكونون ذوي حزم ودراية ،ودربة دراية ،وضبط وأمانة ،وفضل وديانة. لا يضيعون أعمالك المخزنية ،ولا يضررون في ذلك الرعية..." واسطة السلوك ،طبعة تونس ،ص 28 ،29 ،وص 87 وص 96.

² - ينظر: واسطة السلوك ،ص 108. وقد أكد التنسي ذلك بقوله: " ولما استقر المولى أبو حمو من هالة في نصابها ،وانتزع دولته من يد غاصبها. ساس أهل مملكته بالسيرة الحسنى ،وغمر الرعية قسطاس عدله الأسنى ،وقسم أوقاته بين حكم يقضيه وحق يمضيه ،وعاق يرضيه ،وسيف لحماية الدين ينضيه ،وحفن عن عوراء الأمة يغضيه ،وسبيل إلى رضاء الله تعالى ورسوله يفرضه." ينظر: تاريخ بني زيان ،ص 160.

³ - جاء في واسطة السلوك: "... واتبع آثارنا في القيام بليلة مولد النبي عليه السلام ،واستعد لها بما تستطيع من الانفاق العام ،واجعله سنة مؤكدة في كل عام ،تواسي في تلك الليلة الفقراء ،وتعطي الشعراء. وإن ركبت فيك الغريزة الشعرية ،وتحليت بالخلية الأدبية ،زدت جمالا إلى جمالك ،وكمالا إلى كمالك. فانظم المولديات ،وأجر مع حلبة السابقين في الأدبيات. تحرز في ذلك افضل المزيات." ينظر: طبعة تونس ،ص 194.

داره العلية ،مدعى كريما وعرسا حافلة ،احتشدت لها الأمم وحشر بها الأشراف والسوقة. " (1) ويرى عبد الحميد حاجيات أنه من خلال إحياء هذه الليلة أدرك الأدباء والعلماء ما اختص به السلطان الجديد من ثقافة واسعة ،واقبال على فنون الأدب والعلوم وحسن استعداد على تشجيع الحركة الفكرية. (2)

هذا اضافة إلى الأعطيات والإقطاعات التي كان أبو حمو موسى الثاني يسترضي بها الرعية ،والقبائل العربية ،وذلك من أول جلوس له على عرش أسلافه حيث وزع على المبايعين له والمهنيين بمناسبة استرجاعه للعرش -وخاصة عرب بني عامر والمعقل- المحاصيل الزراعية ،وكساهم وأغدق عليهم الكثير من المال ،وأهدى لرؤسائهم الكثير من الخيول والسروج ،كما أقطعهم الأراضي الخصبة. (3)

يضاف إلى ما سبق إقدام السلطان أبي حمو موسى الثاني على تعيين أناس أكفاء في المناصب السامية للدولة ،ومشهورين بين الرعية بالعلم والكفاية والإقدام. ومن ذلك إقدامه على تعيين

¹ - عن طريقة الاحتفالات ،وكيف تم التحضير لها ،وما عرض فيها من قصائد ،وقدم خلالها من مأكولات ينظر: بغية الرواد ،ج2 ،ص 100-123.

² - أبو حمو موسى الثاني ،ص 92. ويبدو أن أبا حمو موسى الثاني عمد إلى تثبيت ملكه عن طريق الدعوة الدينية التي دعم بها العصبية القبلية التي ظل أسلافه يعتمدون عليها في الحفاظ على ملكهم -وذلك وفق نظرية ابن خلدون التي تقول: بأن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها- ،وذلك من خلال إحياء المناسبات الدينية وخاصة ليلة المولد النبوي الشريف وهي الميزة التي اضافها إلى ما قبلها من سلوكات والمتمثلة في تنبؤات الحدثان والجفريين ،وادعاء النسب الشريف ،والتلقب بلقب الخلافة. عن نظرية الدعوة الدينية والعصبية في استمرار الدولة ينظر: المقدمة ،طبعة 2004 ،ص 172-175.

³ - يحيى بن خلدون ،بغية الرواد ،ج2 ،ص 99 ،100 ؛عبد العزيز فيلاي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 55. ويشير إلى أن أبا حمو موسى سار على هذه العادة طوال مدة حكمه. وقد أشار أبو حمو موسى إلى أهمية الأعطيات في تذليل الصعاب وبلوغ المأمول في واسطة السلوك حين يقول: "اعلم يا بني أن المال به تدفع العدى ،وحصن يتقي به من الردى. به تدفع آلام الأعراض ،ويُتوصل إلى المقاصد والأغراض ،وبه تستفتح الصياصي -أي الحصون المستعصية- وتستملك النواصي ،ويقاد العاصي ،ويستدق القاصي ،وبالمال تستعبد الرجال وتبلغ الآمال ،وتدل به الرقاب ،وتستفتح به الأبواب ،وتسهل الأمور الصعاب ،وتنال به الرغائب وينجى به من المصائب." ينظر: ص 28. وقد نجح أبو حمو موسى في ذلك حيث أصبحت قبائل بني عامر ملجأه وملأذه ،وسندا له كلما تعرضت حضرته إلى الاعتداء خاصة من قبل بني مرين ،وتكون رهن اشارته كلما أراد تأديب الخارجين عليه ،بل اصبح المسؤول عن تولية شيوخها كما فعل مع شعيب بن عامر الذي ولاه رئاسة بني عامر بعد وفاة أخيه صغير. ينظر: عيسى قوراري ،المرجع السابق ،ص 136 ،137.

عبد الله بن مسلم الزردالي وزيرا له فور قدومه من درعة حاملا له جباية أموالها وهو المعروف بشجاعته وإقدامه وعفته⁽¹⁾ وتعيينه الفقيه أبا زيد عبد الرحمن بن مخلوف الشامي على الأشغال والعلامة ، والفقيه أبا عبد الله بن علي العصامي ديوان الانشاء والعلامة ، وعين على القضاء الفقيه أبا العباس أحمد بن الحسن المديوني.⁽²⁾ ومن حرصه على استعمال ذوي الكفاءة طلبه لعبد الرحمن بن خلدون من أجل توليته خطة الحجابة والعلامة في دولته لكنه امتنع وأرسل له بدلا عنه أحاه يحيى.⁽³⁾

4- النهوض بدولته.

يُجمع الكثير من المؤرخين والباحثين على أن عصر أبي حمو موسى الثاني هو العصر الذهبي للدولة الزيانية. إذ اتسم عهده بالتطور الحضاري والنماء الاقتصادي ، والرقي في نظم الحكم ، وازدهار العلوم ، حتى أصبحت تلمسان حاضرة الدولة تضاهي كبرى حواضر العالم الإسلامي.⁽⁴⁾

حيث بُجده اهتم بالبناء والتشييد ومن ذلك:

¹ - استعمله بنو مرين وهو من أعدائهم على درعة لبسالته وجرأته وإخلاصه ، ولما اضطرب أمر دولتهم واسترجع ابو حمو موسى عرش أسلافه لجأ إليه حاملا معه جباية درعة ، وما كان فراره من خدمة بني مرين إلا خشية على نفسه من أبي سالم الذي كان رفيق أبي الفضل ابن أبي الحسن المريني الذي قاده اسيرا إلى أخيه السلطان أبي عنان فارس. ينظر: العبر ، مج4 ، ص 2789 ، 2790.

² - وهؤلاء الفقهاء كانوا على مناصبهم في دولة أبي السعيد عثمان بن عبد الرحمن أي أنهم إضافة إلى علمهم ، ومكانتهم عند الرعية كانوا يتمتعون بالخبرة اللازمة لتسيير شؤون الدولة. ينظر: يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج2 ، ص 96 ، 95.

³ - لقد أراد أبو حمو استعمال عبد الرحمن بن خلدون لمعرفة بغزارة علمه ، وخبرته فقد عمل في بلاط المرينيين والحفصيين ، كما أنه وعلى ما يبدو أراد استعماله لمعرفة بأسرار وخبايا البلاطين ، خاصة وأنه كان خلال هذه الفترة في صراع مع الحفصيين حول بجاية. وذلك ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون نفسه: " وكان السلطان أبو حمو قد بلغه خروجي من بجاية ، وما أحدثه السلطان من بعدي في أخي وأهلي ومخلفي ، فكتب إلي يستقدمني قبل هذه الواقعة. وكانت الأمور قد اشتبهت ، فتناديت بالأعداء... فلما وصل السلطان أبو حمو إلى تلمسان ، وقد جزع للواقعة ، أخذ في استئلاف قبائل رياح ، ليحلب بهم مع عساكره على بجاية ، وخاطبني في ذلك لقربي عهدي باستباعتهم ، وملك زمامهم ، ورأى أن يعول علي في ذلك ، واستدعاني لحجابته وعلامته." ينظر في ذلك ونص رسالة أبي حمو: العبر ، مج4 ، ص 3038 ، 3039 ؛ التعريف يابن خلدون ، ص ص 97-99.

⁴ - عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص 227 ، وص 229 ؛ عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 58 ، 59 ؛ بو زياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 45 ؛ نصر الدين بن داود ، المرجع السابق ، ص 36.

* - بناؤه للمجمع العلمي المكون من المدرسة والزاوية اليعقوبية ،ومسجد سيدي ابراهيم المصمودي. حيث ابتدأ ببناء الزاوية على ضريح والده أبي يعقوب يوسف -الذي توفي سنة 763هـ/1362م- وعميه أبي سعيد وأبي ثابت اللذان نقلوا رفاتهما من قرية العباد ،ثم شرع في بناء المدرسة التي دامت فترة انشائها مدة سنة ونصف⁽¹⁾ وهي مدرسة كما وصفها صاحب زهر البستان " مليحة البناء ،واسعة الفناء ،ضربت بضروب من الصناعات ووضعت في أبداع الموضوعات ،سمكها بالأصبغة ،مرقوم ،وبساط أرضها بالزليج مرسوم ،وجناها بإزائها بستنتين تتبعها ،ونقل لها أصناف المشمومات التي تروق حضرة أفنانه. صنع فيها صهريجا مستطيلا ،وعلى طرفيه من الرخام حصتان يطردان مسيلا ،فيا لها من بنية ما أهجها ،وأشكلها وأحسنها شكلا وأجملها. "⁽²⁾ وأما المسجد فبناه على طريقة العمارة المرابطية والموحدية إذ تماثل أبوابه أبواب مسجد تينملل بالمغرب الأقصى ،وقبته تشبه في تزيينها قبة حمام الصباغين⁽³⁾ ،ومئذنته مربعة الشكل هي حسب الأستاذ عبد الحميد حاجيات بنيت اواخر العهد الزياني أو خلال العهد التركي.⁽⁴⁾

كما اهتم بالعلم والعلماء ،وأجرى عليهم الأرزاق ،وجعل لهم مناصب في دولته. ومن هؤلاء:

* أبو عبد الله الشريف: (710 هـ/1310 م-771 هـ/1369 م).

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن علي بن محمد بن القاسم بن محمود بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي

¹ - يحيى بن خلدون ،بغية الرواد ،ج2 ،ص 228 ،وص 283.

² - زهر البستان ،ص 336.

³ - رشيد بورية ،جولة عبر مساجد تلمسان ،مجلة الأصاله ،العدد 26 ،الجزائر ،1975 ،ص 176 ؛هوارية بكاي ،العلاقات الزيانية المرينية ،ص 66.

⁴ - يذكر الأستاذ عبد الحميد حاجيات أن المئذنة قد أضيفت في آخر الدولة الزيانية ،أو في العهد التركي ويشهد على ذلك الخطاطها الفني وقلة زخارفها. ينظر: أبو حمو موسى ،ص 183.

طالب المعروف بالحسيني والعلوي⁽¹⁾. ولد سنة 710 هـ/1310 م⁽²⁾ ببلدة العلويين قرب تلمسان⁽³⁾.

كان أبو عبد الله الشريف يتمتع بقوة جسمانية كبيرة، وكان من أحسن الرجال كما لا علما وذاتا وخلقا وخلقا، حسن الوجه والقدر كثير التبسم مهذب الجانب، جميل العشرة متواضعا جميل الطباع أنيس الطباع، عالي الهمة طويل اليد، كريما سمحا حسن اللقاء كريم النفس⁽⁴⁾.

نشأ الشريف بتلمسان، وبها أخذ القرآن الكريم في بداية أمره عن أبي زيد بن يعقوب⁽⁵⁾. كما تتلمذ على يد كبار علماء تلمسان فأخذ فنون اللغة والأدب عن ابن هدية القرشي⁽⁶⁾، وعن موسى بن عمران المشدالي⁽⁷⁾

¹ - أحمد بابا التنبكي، نيل الانتهاج، مج 2، ص 87؛ ابن مريم، البستان، ص 164؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 1، ص 120؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 4، ط 1، ص 3022.

² - عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 3022.

³ - بلدة العلويين أو العلويين كما وردت عند ابن خلدون هي قرية عين الحوت الحالية تقع إلى الشمال من تلمسان. ينظر: نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 117، و ص 119.

⁴ - ابن مريم، البستان، ص 169، و ص 174، و ص 177؛ التنبكي، ص 87 وما بعدها؛ أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تح محمد أبو الأحفان، ج 1، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، والمكتبة العتيقة، تونس، 1982، ص 114، 115.

⁵ - هو أبو زيد بن عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي من شيوخ تلمسان في تعليم القرآن وتربية النشء عاش من النصف الثاني للقرن 7 هـ إلى النصف الأول من القرن 8 هـ. ينظر: نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 119.

⁶ - هو أبو عبد الله محمد بن منصور بن هدية القرشي، من ولد عقبة بن نافع الفهري، تلمساني المنشأ والدار، تولى خطة القضاء بتلمسان مع كتابة السر للسلطان أبي تاشفين الأول، الذي كان يشاوره في تدبير شؤون الدولة، ولا يجري شيئا من الأمور إلى بعد استطلاع نظره. كان كاتباً بليغاً، له حظ وافر من التاريخ. توفي أواسط سنة 735 هـ بتلمسان. عنه ينظر: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 116؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص 225؛ المقرئ، نفح الطيب، ج 5، ص 234؛ أبو الحسن علي بن محمد النباهي المالقي، قضاة الأندلس، المعروف باسم كتاب المرتبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا، نشر ليفي بروفنسال، بيروت، 1983، ص 101-102؛ ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية، ص 175؛ عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 52؛ بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 135. بن داود نصر الدين، المرجع السابق، ص 258.

⁷ - ولد سنة 670 هـ ببجاية حيث نشأ وتلقى تعليمه بما على يد الشيخ ناصر الدين المشدالي. اقتص بالفقه والحديث والمنطق والفرائض والأصول، وكان من أعلم معاصريه بمذهب الإمام مالك، وحافظاً لأقوال أصحابه وعرفانا بنوازل

وأبو محمد المحاصي⁽¹⁾ وعن أبي الامام⁽²⁾ أخذ الفقه والحديث والأصول وعلم الكلام، وأخذ العلوم العقلية عن ابن النجار⁽³⁾.

وبعدما أكمل أبو عبد الله الشريف مرحلته التعليمية الأولى ارتحل إلى فاس أين أخذ عن أبي فارس عبد المؤمن بن موسى الجناتي⁽⁴⁾، وعن الآبلي أبي عبد الله محمد بن ابراهيم العبدري التلمساني⁽⁵⁾ الذي شهد الله بالتفوق العلمي وقوة التحصيل حيث قال: " قرأ علي كثير شرقا وغربا فما رأيت فيهم أنجب من أربعة ... أبو عبد الله الشريف أنجبهم عقلا وأكثرهم

=الأحكام في الفتيا. توفي سنة 745هـ. عنه ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص 141؛ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 131.

¹ - هو أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن ابراهيم بن الناصر المحاصي المعروف بالبكاء، من علماء تلمسان وصلحائها، توفي سنة 741هـ ودفن بتلمسان. ينظر: البسان، ص 121؛ نفح الطيب، ج5، ص 230؛ نبيل الابتهاج، مج1، ص 121.

² - هما أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله. أبو زيد هو أكبر ابني الإمام، أصلهما من برشك، كان أبوهما إماما، درسوا العلوم الدينية على تلامذة ابن زيتون، وأبي عبد الله بن شعيب الدكالي. توفي أبا زيد سنة 743هـ/1343م، وتوفي أبا موسى سنة 749هـ/1349م. عنهما ينظر: يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130؛ التنسي، المصدر السابق، ص 139؛ التبيكي، المصدر السابق، ج1، ص 142-139؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص 123، 124؛ المقرئ، المصدر السابق، ج7، ص 147-142؛ عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 22-47؛ محمد عمرو الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص 109-111.

³ - فقيه أصولي نبغ في مختلف العلوم العقلية والنقلية، من تلامذته الفلصادي الذي عرفه في رحلته قائلا: " كانت له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية، قرأت عليه مختصر خليل ومستصفي الغزالي وأصلي ابن الحاجب، وحضرت عليه تفسير القرآن ومنهج البيضاوي، وجمل الخونجي وتلخيص المفتاح. توفي سنة 846هـ/1442م. ينظر: نبيل الابتهاج، ج2، ص 323؛ البستان، ص 221-222.

⁴ - هو الامام الفقيه أبو فارس عبد المؤمن بن محمد بن موسى الجناتي الفاسي، أعرف الناس بالمدونة وبمسائل التهذيب، توفي سنة 746هـ/1345م. عنه ينظر: أبو عبد الله الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تحقيق محمد علي فركوس، ط1، المكتبة المكية، السعودية ومؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، 1998، ص 95.

⁵ - هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن أحمد الآبلي المتوفى سنة 757هـ، شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره، أشهر علماء المغرب الأوسط في القرن الثامن الهجري، أصل أجداده من آبله بالأندلس، ولد بتلمسان سنة 681هـ/1282م، ونشأ بها في كفالة جده القاضي ابن غلبون فثب على حب العلم والمعرفة فبرع في الحكمة والتعاليم واشتغل بالمعقولات، أخذ علوم المنطق والأصول عن أبي موسى بن الإمام وعن جده القاضي، وعن أبي الحسن التنسي عنه ينظر: المقرئ، نفح الطيب، ج5، ص 244؛ البستان، ص 215؛ نبيل الابتهاج، ج2، ص 66؛ هوارية بكاي، العلاقات الزبانية المرينية، ص 131-134.

تحصيلاً...⁽¹⁾، وكان إذا أشكلت مسألة على الطلبة عنده يقول: " انتظروا أبا عبد الله الشريف."⁽²⁾

ومن فاس ارتحل الشريف إلى تونس أين أخذ عن قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يونس الهواري، الذي قربه منه واستعظم مرتبته في العلم، وكان يأخذ عنه أصول العلوم العقلية من حساب ومنطق وفلسفة وغيرها حيث يذكر عبد الرحمن بن خلدون في ذلك: "... وكان ابن عبد السلام يصغي إليه ويؤثر محله، ويعرف حقه حتى لزعموا أنه كان أنه كان يخلو به في بيته، فيقرأ عليه فصل التصوف من كتاب الاشارات لابن سينا، بينما كان هو قد أحكم ذلك الكتاب على شيخنا الآبلي، وقرأ عليه كثيرا من كتاب الشفاء لابن سينا، ومن تلاخيص كتب أرسطو لابن رشد، ومن الحساب والهيئة والفرائض، علاوة على ما كان يحمله من الفقه والعربية وسائر العلوم الشرعية."⁽³⁾

وبعد اتمامه مرحلة التعلم والتحصيل عاد أبو عبد الله الشريف إلى تلمسان أين انبرى لمهمة التدريس والتعليم،⁽⁴⁾ ونظرا لغزارة علمه وحسن معاملته وأخلاقه اجتمع له الطلبة من كل الأرجاء، وتخرج على يديه جملة من العلماء من أمثال الأخوين عبد الرحمن⁽⁵⁾ ويحيى ابن خلدون،⁽⁶⁾ وأبي اسحاق الشاطبي⁽⁷⁾ وابن قنفذ القسنطيني، ولسان الدين ابن الخطيب⁽⁸⁾ وغيرهم.

¹ - البستان، ص 170؛ تعريف الخلف، ج1، ص 116.

² - نيل الابتهاج، ص 258؛ البستان، ص 170؛ تعريف الخلف، ج1، ص 116.

³ - عبد الرحمن بن خلدون، التعريف، ضمن العبر، مج4، ص 3022؛ نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 120.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون، التعريف، ضمن العبر، مج4، ص 3022.

⁵ - بغية الرواد، ج1، ص 120.

⁶ - ابو عبد الله الشريف، مفتاح الوصول، ص 113.

⁷ - نفس المصدر، ص 108.

⁸ - نفسه، ص 112.

وكان السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني قد ابتنى المدرسة اليعقوبية وأجلس فيها أبا عبد الله الشريف مدرسا حتى وفاته في الرابع من ذي الحجة من سنة 771 هـ / 29 جوان 1369 م، وبها دفن بالقرب من قبر أبي يعقوب والد السلطان أبي حمو الثاني، وبأمر منه.⁽¹⁾ ومن أشهر العلماء الذين عرفهم المغرب الأوسط على عهد أبي حمو موسى الثاني كذلك أبو علي منصور بن علي عبد الله الزواوي (كان حيا سنة 770 هـ)، أبو محمد عبد الله بن أبي عبد الله الشريف (ت 792 هـ)، إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني (ت 804 هـ)، أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني، أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي التلمساني (توفي أوائل ق 9 هـ)، أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة بن علي التلاسي طيب أبي حمو الثاني، أبو زكريا يحيى بن خلدون، وابن الفحام وغيرهم كثير.⁽²⁾

وهكذا تمكن ابو حمو موسى الثاني بفضل حمته وحنكته ودهائه السياسي من الحفاظ على دولته والتمكين لها، فقد استطاع في ظرف وحيز أن يكسب ود الرعية، ودعم العلماء، وجعل من القبائل العربية وخاصة بني عامر ملاذه الذي يحتمي به إذا ادلهمت الخطوب. وأن نهض بالمغرب الأوسط في جميع المجالات وخاصة في مجال العلم، بحيث أصبحت تلمسان حاضرة دولته تعج بالعلماء طلباً ومعلمين، وتضاهي كبرى حواضر العالم الاسلامي.

¹ - بغية الرواد، ج1، ص120؛ العبر، مج4، ص3022؛ نوح الطيب، ج7، ص269.

² - عن علماء الدولة الزيانية على عهد أبي حمو موسى الثاني ينظر: عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص ص 162-180؛ هوارية بكاي، العلاقات الزانية المرينية، ص ص 86-159؛ نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 161 وما بعدها، مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص ص 91-184.

المبحث الثالث: حكمة أبو حمو موسى الثاني من خلال العلاقات الخارجية.

تعتبر العلاقات الخارجية لأي دولة استكمالاً لسيادتها السياسية، وقد أدرك أبو حمو موسى ذلك خاصة وأنه استطاع تثبيت ملكه على المستوى الداخلي. فما هي الأسس التي سبني عليها أبو حمو موسى الثاني علاقاته الخارجية؟ وإلى أي مدى سيكون حكيماً في تسيير تلك العلاقات بما يخدم مصلحة دولته والحفاظ عليها؟

1- علاقات أبو حمو موسى مع الدولة المرينية.

ظل بنو مرين الأعداء الأزليين لبني عبد الواد، فلم تتوقف أطماعهم في ضم المغرب الأوسط إلى مملكتهم منذ عهد يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة العبد الوادية. ولما تمكن أبو حمو موسى الثاني من استرجاع عرش أجداده لم يسلم من تلك الأطماع، بل لم يشفع له تسريحه لحامية بني مرين بعد استرجاعه لتلمسان.

فكان أول غزو مريني لتلمسان بعد ثلاثة أشهر من اعتلاء أبو حمو موسى الثاني عرش الدولة الزيانية⁽¹⁾، بعد أن حرك الوزير الحسن بن عمر الفودودي -المستأثر بالسلطان المريني الصغير أي بكر السعيد بن أبي عنان- جيشاً بقيادة مسعود بن رحو بن علي بن عيسى بن ماساي الفودودي ابن عمه لاسترجاع تلمسان من أبي حمو، خاصة وأن أغلب مدن المغرب الأوسط كانت تحت السيطرة المرينية.⁽²⁾ وقد اضطر أبو حمو موسى الثاني أمام هذه الحملة إلى مغادرة تلمسان واللجوء إلى قبائل بني عامر، ثم أوعز إلى عرب المعقل القاطنين على الحدود الشرقية المرينية قرب دبدو بشن الغارات على قوات بني مرين وقطع الطريق الواصلة بين تلمسان وفاس

¹ - كان ذلك في جمادى الأولى، وكان سبب تحريك الجيوش المرينية إلى تلمسان هو محاولة أبي حمو موسى استرجاع وهران من بني مرين. ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص 124، 125؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2789؛ هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، ص 255، 256؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 93.

² - كانت كل من مدن وهران، مليانة، المدية، الجزائر، وبجاية تابعة للمرينيين، كما ظلت بعض القبائل البربرية والعربية من المغرب الأوسط موالية لهم، وخاصة منها توجين وسويد. ينظر: أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي، ج4، ص 43.

، واستطاع عرب المعقل من القضاء على عامر بن ابراهيم بن ماساي وقواته التي أرسلها مسعود بن ماساي لرد غراتهم. (1)

أدخلت هزيمة المرينيين أمام عرب المعقل المواليين لأبي حمو الشك والريبة في نفوس القوات المرينية بتلمسان ، فثار الجنود على الوزير الحسن بن عمر الفودودي وبايع جمع منهم الأمير يعيش بن أبي زيان بن يوسف بن يعقوب بن الحق ، بينما بايع الوزير الحسن الفودودي والجزء الكبير من الجيش منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق الذي سحب قواته من تلمسان وعقد صلحا مع السلطان أبي حمو الذي عاد إلى عرشه في الفاتح من جمادى الثانية بعد ثمان وعشرين يوما من مغادرتها. (2)

ولما تولى السلطان أبي سالم عرش بني مرين سنة 760هـ/1359م ، طلب من أبي حمو موسى الثاني أن يسرح ما لديه من أسرى بني مرين فاقترح عليه هذا الأخير أن يسرح أسيرا مرينيا مقابل أسيرين من بني عبد الواد ، فرفض ذلك ونقض الصلح (3) الذي كان بن الدولتين وزحف بجيوشه منتصف سنة 761هـ/1360م ، ولما دخل تلمسان وجد أبا حمو قد غادرها نحو الجنوب ، ومن هناك التف على بني مرين مغيرا على مدتهم الشرقية فخرها ، الأمر الذي

¹ - يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج2 ، ص 127 . ويذكر عبد الرحمن بن خلدون أن أبا حمو موسى قد شارك في الغارات التي كان يشنها عرب المعقل على بني مرين ، بينما يذكر أخاه يحيى أن عرب المعقل بعثوا برأس عامر بن ماساي إلى أبي حمو الثاني أي أنه لم يشارك معهم في تلك الغارات ويبدو هذا الأصح لأن أبا حمو توجه جنوبا بينما كلن عرب المعقل يبدو قرب وحدة المتاحمة لبلاد بني مرين . ينظر: يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج2 ، ص 127 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج4 ، ص 2789 ؛ عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى ، ص 94 .

² - يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج2 ، ص 128 ، 129 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج4 ، ص 2789 ؛ هوارية بكاي ، العلاقات الزيانية المرينية ، ص 256 ؛ احمد عزاوي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 44 ؛ عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 56 .

³ - ويذكر عبد الرحمن بن خلدون أن سبب نفوس أبي سالم لغزو تلمسان هو فرار عبد الله بن مسلم الزردالي بجباية درعة إلى أبي حمو . العبر ، مج4 ، ص 2790 .

اضطر أبا سالم إلى العودة عن تلمسان إلى المغرب الأقصى. وعاد إليها أبو حمو موسى بعد حوالي أربعين يوما من مغادرتها⁽¹⁾

بعد هذه الواقعة عقد أبو حمو الثاني مع أبي سالم صلحا نتج عنه تسليم مدينة الجزائر لبني زيان الذين تمكنوا بعدها من استرجاع مدينة وهران.⁽²⁾ واستمر الصلح مشوبا بالخذر⁽³⁾ حتى سنة 772هـ/1371م أين قام السلطان المريني أبي فارس بحملة على تلمسان أحكم سيطرته عليها مدة سنتين تقريبا أي حتى سنة 774هـ/1373م، وهي الفترة التي ظل خلالها أبو حمو موسى الثاني مستقرا بتيكرارين من توات والتي خرج منها عائدا إلى تلمسان بعد وفاة السلطان أبي فارس وجلاء القوات المرينية منها.⁽⁴⁾

بعد وفاة أبي فارس تولى مكانه ابنه السعيد الثاني وكان صغير السن فاستبد به الوزير ابن غازي الأمر الذي دفع بالأميرين أبي العباس ابن أبي سالم وعبد الرحمن بن يفلوسن بالنهوض لعزل السلطان السعيد بن أبي فارس ووزيره ابن غازي بدعم من بني الأحمر. نتج عنه مبايعة ابن

¹ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2790؛ ابن الأحرر، روضة النسر في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1962، ص 56؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص 173-181؛ هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، ص 256؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج4، ص 45.

² - كانت كل من مدن وهران، مليانة، المدينة، الجزائر، وبجاية تابعة للمرينيين، كما ظلت بعض القبائل البربرية والعربية من المغرب الأوسط موالية لهم، وخاصة منها توجين وسويد. ينظر: أحمد عزاوي، المغرب الإسلامي، ج4، ص 43.

³ - حيث كان هذا الصلح مؤقتا وذلك بعدما لتوتر الأوضاع في الدولتين ففي المغرب الأقصى خرج الأمير عبد الحليم لن علي عمر حاكم سجلماسة بدعم من أبي حمو الثاني، وبعد تولي السلطان أبي زيان محمد حفيد أبي الحسن المريني عرش بني مرين سنة 762هـ/1361م خرج عليه ابن عمه الأمير أبي زيان عثمان. بين انشغل أبو حمو موسى الثاني باسترجاع المناطق الشرقية خاصة بجاية، ومقاومة ابن عمه السلطان أبا زيان محمد بدعم من بني حفص. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2798-1793؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج4، ص 45، 46.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2798. ويذكر أي عبد الرحمن بن خلدون أنه أعان السلطان أبي فارس عبد العزيز بأن ألب عليه القبائل العربية وخاصة دواودة وأنه شارك في مطاردة أبي حمو إلى الصحراء. وهنا نلمس النفاق السياسي لدى عبد الرحمن بن خلدون إذ رفض مشايعة أبي حمو موسى الثاني له ليجعله صاحب قلمه الأعلى فاعتذر وأرسل له بدلا عنه أخاه يحيى بينما نجده يلي دعوة أبا فارس فور وصولها إليه، ولعله كلن يظن أن دولة أبي حمو لن تستطيع الصمود أمام الضربات المرينية وبالتالي فإنه ان اختار العمل في دولته يكون اختاره في غير محله. ينظر: التعريف بابن خلدون، ص 121-124.

غازي لأبي العباس الذي استطاع السيطرة على عرش بني مرين.⁽¹⁾ فدخل بنو مرين وبني زيان مرحلة هدوء مؤقتة انقطعت بعدما أقدم أبو حمو موسى على التحالف مع عبد الرحمن بن يفلوسن الذي كان يسيطر على مراكش⁽²⁾ ضد أبي العباس الذي زحف على تلمسان بعد قضاؤه على غريمه والسيطرة عليها سنة 784هـ / 1383م حتى سنة 786هـ / 1385م. ليضطر أبو حمو موسى الثاني إلى الخروج منها فشرق واعتصم بحصن تاجحموت، وظل هناك إلى أن قام ابن الأحمر -وقد كان ساخطا على أبي العباس الذي خالفه الرأي وغزوه لتلمسان- بتجهيز موسى ابن أبي عنان المريني للاستيلاء على عرش بني مرين الأمر الذي دفع بأبي العباس إلى الخروج من تلمسان بعدما خرب قصورها، وسمح لأبي حمو موسى الثاني بالعودة إلى عرشه.⁽³⁾

وكان استيلاء أبي العباس هذا آخر استيلاء مريني على تلمسان في عهد أبي حمو، وأصبح بعد ذلك تدخلهم في العرش الزياني غير مباشر عن طريق تأليب ابنه وولي عهده أبي تاشفين الذي تمكن من قتل والده بأيد مريني سنة 791هـ / 1390م.

2- علاقات أبي حمو موسى مع الدولة الحفصية.

تميزت علاقات أبو حمو موسى الثاني مع الحفصيين في بداية عهده بالمودة وذلك لأنه كان مقيما لديهم بعد خروجه من تلمسان غداة استيلاء أبي عنان فارس عليها، ومكث عند سلاطينها مدة خمس سنوات (753-758هـ / 1351-758م) معززا، وقدموا لهم الدعم اللازم للعودة إلى بلاده واسترجاع عرش أسلافه كما أسلفنا. ولم تتوتر العلاقات بينهما إلا

¹ - عن صراع أمراء بني مرين على العرش ينظر: أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص 32-34.

² - خلال حصار السلطان أبي العباس لمراكش أرسل السلطان أبي حمو موسى قوة بقيادة ابنه أبي تاشفين لمهاجمة المناطق الشرقية من المغرب الأقصى بغرض الدفع بأبي العباس إلى فك الحصار عن عبد الرحمن بن يفلوسن حليف بني زيان. لكن أبا العباس تمكن من القضاء على منافسه وانسحبت القوات الزيانية قافلة إلى بلادها. واضطر أبو العباس إلى غزو تلمسان بعدها بقليل. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 4، ص 2803، 2804؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ص 34.

³ - ساند بنو الأحمر أبا العباس المريني من التربع على العرش وكانت لهم اليد الطولى عليه، لما أقدم أبو العباس على غزو تلمسان ولم يخبره بالأمر إلا بعد أن دخلها نقم عليه، وأرسل موسى بن السلطان أبي عنان ليزاحمه العرش فاضطر إلى التخلي عن تلمسان والعودة إلى فاس لاسترجاع عرشه. ينظر: العبر، مج 4، ص 2804، 2805.

عندما أقدم أبو حمو موسى الثاني على غزو بجاية سنة 763هـ/1762م بعدما رفض أميرها أبو اسحاق بن السلطان أبي يحيى الحفصي أن يسلم إليه من أجارهم من مشايخ مغراوة بعد استرجاع مدينة الجزائر. وتمكنت الجيوش الزيبانية من السيطرة على تدلس وبلاد زاوارة وما يليها. (1)

وبتوقف أبي حمو موسى عند تدلس -من حدود بجاية- والتي تنازل له عنها أمير بجاية أبو عبد الله الحفصي بعد أن استرجعها من بني زيان سنة 765هـ/1364م على اثر انشغال أبي حمو موسى بمنازلة ابي زيان القبي وهزيمته أمامه في موقعة البطحاء. (2) دخل أبو حمو الثاني في سلم مع بني حفص توطد أكثر بزواجه من ابنة أمير بجاية أبي عبد الله الحفصي سنة 767هـ/1366م. (3) وهي السنة التي أغار فيها الأمير أبو العباس أحمد الحفصي حاكم قسنطينة على بجاية وتمكن من قتل أميرها أبي عبد الله صهر أبي حمو موسى.

وجد أبو حمو موسى الثاني في مقتل صهره الفرصة السانحة لمهاجمة بجاية، فنهض إليها في جيش كبير لم يتمكن الأمير أبو العباس أحمد الحفصي من رده إلا بعد أن استعان بأبي زيان ابن أبي سعيد عثمان. (4) ليدخل كل من الزيبانيين والحفصيين في صراعات

¹ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2793، 2794؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص 307؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 104.

² - كانت هذه الموقعة في 11 ذي الحجة 765هـ انهمت خلاله قوات أبي حمو موسى أمام قوات أبي زيان القبي المدعوم بأولاد حسين وسويد وبني عامر، ومن أهم أسباب هزيمة بني زيان موت الوزير عبد بن مسلم الزردالي بالطاعون في ذي القعدة من هذه السنة. عن تفاصيل معركة البطحاء ينظر: عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 108-113.

³ - بعد هزيمة أبي حمو موسى الثاني بالبطحاء وانشغاله بأمر أبي زيان القبي استغل أمير بجاية هذه الظروف وتمكن من السيطرة على تدلس سنة 765هـ، لكنه أجبر على التنازل عنها لأبي حمو وتزوجه من ابنته سنة 767هـ ليأمن جانبه ويتفرغ لصراعه مع ابن عمه أمير قسنطينة أبي العباس أحمد الحفصي. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2793؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ص 334؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج4، ص 46.

⁴ - كان أبو العباس أحمد الحفصي أمير قسنطينة قد تقبض على أبي زيان ابن أبي السعيد عثمان وحبس عندده، ولما لم يستطع بمجاهة قوات أبي حمو موسى المحاصرة لبجاية أرسل إلى قسنطينة لاستقدام أبي زيان، فجهزه ومنحه المراكب والآلة وأرسل معه قائده بشير لمهاجمة قوات ابي حمو المحاصرة لبجاية. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2793

داخلية ألهتهما عن بعضهما البعض إلى نهاية عهد أبي حمو موسى الثاني.⁽¹⁾

3- علاقات أبي حمو موسى مع شبه الجزيرة الابيرية.

أ- مع بني الأحمر.

تميزت العلاقات الزيانية النصرية بالمودة والتقارب طيلة المدة التي سبقت تولي أبو حمو موسى الثاني عرش تلمسان. لذلك نجده يسعى إلى إعادة هذه العلاقة فور استرجاعه عرش أسلافه فبعث برسالة إلى سلطان بني الأحمر الغني بالله محمد بعد أشهر قليلة من تربعه على العرش⁽²⁾، وهذا ما تؤكدته رسالة التهئة باسترجاع عرش بني عبد الواد التي ردّ بها الغني بالله على رسالة أبي حمو موسى الثاني والتي جاء فيها: "... أما بعد حمد الله مجدد العهود، ومنجز الوعود، ومطلع نجوم السعود، ومخول الأبناء ميراث الجدود، ومتمم الأمل ومكمل المقصود، الذي أعادكم إلى ملككم -والعود أحمد- إعادة التفضيل والجود..."⁽³⁾

ولم تتأثر العلاقات الزيانية النصرية بالأحداث الحاصلة بالمغرب الإسلامي وسبب ذلك حاجة سلاطين بني الأحمر النصريين إلى الدعم والمساندة من دول المنطقة. ومن ذلك مساندة السلطان أبي حمو موسى الثاني للسلطان محمد الغالب بالله الذي تمكن من عرش غرناطة بعد

=، 2794؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص 358، 359؛ محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 455-457.

¹ - انشغل أبو حمو موسى بأمر ابن عمه أبي زيان محمد خاصة والذي كاد يستولي على عرش تلمسان أكثر من مرة، وانشغل بنو حفص بالصراع على السلطة بين أبي العباس أمير قسنطينة وأبي اسحاق السلطان بتونس إضافة إلى نفوذ القبائل العربية. ينظر: عن أحوال الدولة الزيانية في هذا الموضوع ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص ص 2794-2808؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص ص 117-126، وفيكا يخص الدولة الحفصية ينظر: أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج4، ص ص 55-57؛ محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص ص 466-534.

² - ما يؤكد ذلك هو ما جاء في رسالة الغني بأمر الله: "... وإلى هذا -وصل الله سعدكم، وحرس مجدكم- فإننا تأدّي إلينا كتابكم المبرور، وخطابكم المأثور، فأهلا به من وافد يجوده الجذل والسرور..."

³ - الرسالة من نظم لسان الدين بن الخطيب في جمادى الثانية من سنة 760هـ، وقد وردت في كتاب ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب، مخطوط بالخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم 11738، ص 71، 72. ينظر الرسالة كاملة: لسان الدين بن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عنان، ج1، القاهرة، 1980، ص ص 269-272، أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج4، ص ص 112-114.

خلع السلطان الغني بالله⁽¹⁾، ولما استعاد هذا الأخير عرشه جدد علاقاته مع أبي حمو موسى الثاني.⁽²⁾

وقد سعى أبو حمو موسى الثاني إلى إقامة علاقات حسنة مع بني الأحمر النصريين من أجل شغل بني مرين عن مملكته، حيث راسل في هذا الصدد الغالب بالله محمد بن اسماعيل من أجل أن يصرف إليه عبد الحليم بن أبي علي عمر حاكم سجلماسة السابق ليعينه على تملك المغرب وشغل المرينين به عن مملكته، فأجابه إلى ذلك.⁽³⁾ كما كانت العلاقات الحسنة بين بني زيان وبني الأحمر سببا في عودة أبي حمو إلى عرشه سنة 776هـ/1375م بعدما دفعوا بموسى ابن أبي عنان المريني للاستيلاء على فاس مما اضطر أبي العباس إلى التخلي عن تلمسان بعدما خرب قصورها.⁽⁴⁾

ب- مع الممالك النصرانية.

ربط أبو حمو موسى الثاني علاقات مع الممالك النصرانية بشبه الجزيرة الابيرية منذ استرجاعه لعرش بني عبد الواد وخاصة أرغونة فكانت أول بعثة دبلوماسية له في السنة التي اعتلى فيها العرش أي سنة 760هـ/1359م، وقد أرسل حاجبه علي الكانة إلى الملك جاك الثاني.⁽⁵⁾ وفي سنة 761هـ/1360م أرسل أبو حمو موسى الثاني رسالة إلى ملك أرغونة

¹ - ذكر يحيى بن خلدون أن أبو حمو موسى الثاني قدم إعانة لأهل الأندلس قدرت بخمسين الف قده من الزرع، وثلاثة آلاف دينار من الذهب للكراء عليه في البحر. بغية الرواد، ج2، ص 244، 245. ويذكر المقرئ أن أبا حمو موسى كان يمد الأندلس بالمال والخيول والزرع كل سنة لإعانتهم في جهادهم ضد النصارى. نفح الطيب، ج6، ص 508-510. ينظر أيضا: إدريس بن مصطفى المرجع السابق، ص 302.

² - نظر لحاجته إلى دعم المسلمين من أجل رد العدوان الصليبي على الأندلس. أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج2، ص 50.

³ - بعد دعم أبي حمو لعبد الحليم بن عمر انشغل السلطان المريني أبا سلم بأمره، واضطر إلى عقد صلح مع أبي حمو الثاني تنازل الأول بموجبه للثاني عن كدينة الجزائر. أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج4، ص 46.

⁴ - كان محمد بن اسماعيل الفضل في تربع أبي العباس المريني على العرش وكانت له اليد الطولى عليه، ولما أقدم غزو تلمسان دون علمه نعم عليه، وأرسل موسى ابن السلطان أبي عنان ليزاحمه العرش فاضطر إلى التخلي عن تلمسان والعودة إلى فاس لاسترجاع عرشه. ينظر: العبر، مج4، ص 2804، 2805؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج4، ص 46.

⁵ - إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص 314.

بيدرو الرابع يشتكي فيها إليه اعتداء قراصنة كطلانيين على ميناء المرسى الكبير بوهران ، وسرقة مؤن أراد إرسالها إلى الأندلس. (1)

ويبدو أن العلاقات بين الدولة الزيانية والممالك النصرانية على عهد أبي حمو الثاني كانت قائمة على أساس المصلحة بحيث كان يسعى كل طرف إلى إبعاد الطرف الآخر عن أي مساندة لعدوه ، وحماية كل طرف لمصالحه الاقتصادية لدى الطرف الآخر. ومن ذلك الاتفاق الذي تم بين أبي حمو موسى الثاني وملك أرغونة والكونت (2) بيدرو الرابع سنة 764هـ/1363م والذي تضمن معاهدة سلم بين الطرفين لمدة خمس سنوات. (3) تتضمن تحديد الضريبة على التجار الكطلانيين ، وحماية تجارة الطرفين من اعتداء أحدهما على الآخر ، والتزام كل طرف بإرجاع أسرى الطرف الآخر. (4)

4- مع الجمهوريات الإيطالية.

لا يوجد في ما بين أيدينا من المصادر والمراجع ما يشير إلى وجود علاقات سياسية بمفهومها الصحيح ما بين الدولة الزيانية والجمهوريات الإيطالية ، لكن ما يمكن استنتاجه هو وجود قائمين بالأعمال من هذه الأخيرة بمدن المغرب الأوسط ومراسيه من أجل حماية مصالحها

¹ - كان رسول أبي حمو موسى إلى الملك الأراغوني الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي الزبير طلحة الباتلشي. أحمد عزاوي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 53 ؛ إدريس بن مصطفى ، المرجع السابق ، ص 315. للإطلاع على نص الرسالة كاملا ينظر: أحمد عزاوي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 150-152

² - كان تحت حكم ملك أرغونة بيدرو الرابع كل من بلنسية وميورقة وسردانية وكورسيكة وبرشلونة والرسيليون ، وذلك حسب ما جاء في نص الرسالة التي أعلن من خلالها أبو حمو موسى الثاني موافقته على معاهدة السلم التي بادر بها الملك الأراغوني.

³ - كانت هذا الصلح بطلب من الملك بيدرو الرابع عن طريق رسوله إلى أبي حمو موسى الثاني فرنسيس قوسطه. للإطلاع على نص الرسالة كاملا ينظر: أحمد عزاوي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 244-247 ؛ (A) Dhina , op cit , p528,529.

⁴ - مما جاء في الرسالة: "... لا يتعدى أحدهما على أحد ولا أهل بلد على بلد في حالي الصدر والورد ، سلما محافظا عليها من الجهتين محفوظ عند الملتين ، ومن كلا الجانبين ... ولا تشن في مدة المصالحة المذكورة غارة ولا تدعُرُ سيارة ، فإن كان من جهة النصرارى فعلى السلطان المذكور تسريح الأسرى ورد ما يأخذونه للمسلمين على جهة النهب والسلب ... وعلى مولانا السلطان - أعزه الله - مثل ذلك سواء..."

التجارية في المنطقة⁽¹⁾، وإذا أسقطنا ما بين أيدينا من مادة علمية حول علاقات الدولة الحفصية مع الجمهوريات الإيطالية والتي كانت في أغلبها تنصب حول حماية التجار والوافدين الإيطاليين إلى السلطنة الحفصية فإننا نصل إلى نفس النتيجة السابقة.⁽²⁾

وخلاصة القول أن أبا حمو موسى الثاني كان حكيما داهية في استرجاع عرش أسلافه، وفي التمكين لدولته، ونلمس ذلك من خلال قهيته لقبيل بني عبد الواد نفسيا من أجل القبول به زعيما عليهم، والسلطان المقبل لدولتهم، وذلك من خلال قصته مع افتداء عمه أبا ثابت بنفسه خلال خروجهما من المغرب الأوسط نحو تونس، وقصة الحدثان والجفريين الذين تنبؤوا باسترجاعه ملك بني عبد الواد، وبابنه الذي سيملك المغرب، بخروجه من أرض الزاب.

وكان حكيما حين تقرب من قبيلة الدواودة العربية التي خرج معها لمهاجمة قوات أبي عنان فارس المريني بقسنطينة، وذلك لأنه وجد فيها النصير الذي يغنيه عن القلة الباقية معه من فلول بني عبد الواد، ثم أوحى لهم بأن يطلبوا من الوزير ابن تافراكين بأن يصرحه معهم لاسترجاع ملك تلمسان. كما كان أثبت حكمته وحنكته ودهاءه لما استغل حقد قبيلة بني عامر العربية وأحلافها من المعقل ورياح على بني مرين الذين أبعدهم عن مراعيهم من المغرب الأوسط للنهوض بهم من أجل استرجاع ما ضاع منهم وإعانتته على استرجاع ملك أسلافه.

كما أثبت أبو حمو موسى الثاني حكمته بعد استرجاعه ملك بني عبد الواد حين أعلن الثورة على الأسس التي قامت عليها، حيث أعلن نفسه خليفة وادعى النسب النبوي الشريف صراحة - وهذا ما لم يسبقه إليه أحد من سلاطين بني عبد الواد - وبالغ في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وجعل شروطا لتولي المناصب في دولته.

¹ - يبدو أن العلاقات الزبانية الإيطالية لم تشهد طورا كبيرا منذ عهد يغمراسن بن زيان كما أشرنا إليه خلال الفصل الثاني من هذه الدراسة.

² - حول هذا الموضوع ينظر: ربير برونشفيك، تاريخ افريقيا في العهد الحفصي، تعريب حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988، De Mas Latri, Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations avec les arabes de l'Afrique septentrionales au moyen âge, Paris, 1866.

وتجلت حكمة أبي حمو موسى البالغة في قيادته للجيش والحفاظ عليها ، حيث تجنب الملاقاة المباشرة لأعدائه وخاصة منهم بني مرين ، وكان يخرج بقواته من تلمسان ليلتف عليهم من خلفهم فيضطرهم للخروج عنها ليخلفهم إليها. وفي سعيه الحثيث إلى النهوض بدولته في جميع الميادين فاهتم بالعمران ، وتقرب إلى العلماء وقربهم منه ، واختار أفضلهم لتولي الوظائف في دولته. وفي سعيه إلى كسب ود وولاء الرعية عن طريق حكمهم بالعدل والنظر في قضاياهم ومظالمهم ، وقضاء حوائجهم.

الباب الثاني: حكمة التسيير في المجال الاقتصادي .
الفصل الأول: مقومات الاقتصاد في دولة بني
محمد الواد الزيانية.

الفصل الثاني: حكمة يغمراسن بن زيان وأبي عمرو
موسى الثاني في التسيير المالي.

الفصل الثالث: حكمة التسيير في مجال التجارة
الخارجية.

الفصل الأول: مقومات الاقتصاد في دولة بنين

معد المواد الزبانية.

المبحث الأول: النشاط الزراعي.

المبحث الثاني: النشاط الصناعي.

المبحث الثالث: التجارة.

يعد الاقتصاد عماد الدولة مهما كان نظامها ،فهو الذي يضمن بقاءها واستمراريتها ،لأنه أصل الموارد المالية التي تساعد الدولة على التشييد والبناء ،وحشد الجيوش التي تدافع عن وجودها ،وتضمن أمنها واستقرارها ،وولاء الرعية. لذلك نجد كل دولة تسعى إلى النهوض باقتصادها عن طريق استغلال امكانياتها قدر المستطاع. ودولة بني عبد الواد الزيانية لم تحذ عن هاته القاعدة ،خاصة وأنها كانت عرضة لأطماع جيرانها المرينيين والحفصيين ،وكانت بحاجة ماسة للدفاع عن كيانها ووجودها من جهة ،وكسب ولاء الرعية لضمان استمرار بني عبد الواد في الحكم من جهة أخرى.

فما هي المقومات الاقتصادية لدولة بني عبد الواد الزيانية؟ وما هي أهم النشاطات الاقتصادية لهذه الدولة؟ وما هي أهم مناطق النشاط الاقتصادي في ربوعها؟

يقوم الاقتصاد على ثلاثة نشاطات رئيسية هي الزراعة والصناعة والتجارة ،وهي أنشطة متكاملة ،ولا يمكن الاستغناء عن أحدها. مع أنه يمكن غلبة أحدها على الآخر حسب إمكانيات الدولة ومواردها الطبيعية.

* - العوامل المؤثرة في الاقتصاد الزياني:

لما كان الاقتصاد مرتبطا بنشاطات الإنسان ،فإنه يتأثر بتأثر الإنسان ،وبأماكن عيشه ،والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها ،وحسب قربه من السلطة وبعده عنها. لذلك نجد مجموعة من العوامل تتحكم في اقتصاد الدول ،ولعل أهمها الخصائص الطبيعية من تضاريس ومناخات ،وتركيبة المجتمع ،والأوضاع السياسية ،ومدى استقرار الدولة ،واستتباب الأمن فيها.

1- الخصائص الطبيعية للمغرب الأوسط.

أ- التضاريس.

لم تختلف تضاريس المغرب الأوسط خلال حكم الدولة الزيانية على ما هو عليه اليوم، حيث يمكننا تمييز سلسلتين جبليتين متوازيتين تمتدان من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي

، أحدهما في الشمال وتسمى سلسلة الأطلس التلي، والأخرى في الجنوب وتسمى سلسلة الأطلس الصحراوي.⁽¹⁾

من أشهر جبال سلسلة الأطلسي جبل بني يزناسن الذي يبعد عن تلمسان بحوالي ثمانين كيلومتر غربا، يشتهر بغاباته الكثيفة، التي تنتج الكثير من الخروب، وجبل مطغرة قرب ندرومة الذي كان ينتج الشعير والخروب، وجبل بني ورنيذ قرب تلمسان الذي كان ينتج الكثير من الفواكه، وكان أهله فحامون وخطابون، كما كان يدر على الدولة مداخيل تقدر بحوالي اثني عشر ألف مئقال في السنة. إضافة إلى جبل بني بوسعيد قرب تنس والذي كان أهله ينتجون الكثير من العسل والشعير، والماعز، والشمع والجلود⁽²⁾، وجبل وانشريس الذي كانت قبائل بنو توجين تستوطنه، وهي قبائل حاربت الزيانيين لأكثر من ستين سنة، وقد اشتهر هذا الجبل بمعدن الزنك. أما جبال مدينة الجزائر فاشتهرت بأسواقها التي كانت تباع بها البهائم والحبوب، والصوف، والأقمشة المجلوبة من المناطق المجاورة. تتخلل هذه السلسلة سهول خصبة منتجة، منها الداخلية مثل سهول : تلمسان، تاسالة، معسكر، تيهرت، والسرسو. وسهول ساحلية مثل سهل وجدة، هنين، ندرومة، تنس، ومتيجة.⁽³⁾

أما سلسلة الأطلس الصحراوي التي تفصل التل عن الصحراء فأشهر جبالها من الغرب إلى الشرق: جبال القصور، جبال عمور، وجبال أولاد نايل، وكان سكان هذه المنطقة يعيشون حياة البداوة والترحال، الذين كانوا كثيرا ما يتجاوزون المناطق الرعوية إلى المناطق الزراعية مما جعلهم يدخلون - في كثير من الأحيان - في صراع مع سكانها. وبين السلسلتين تمتد الهضاب على مساحات واسعة (وهي التي تعرف اليوم بالهضاب العليا) من ضواحي ملوية إلى منطقة الحضنة، يشتغل أهل هذه المناطق بالرعي والزراعات المعاشية خاصة زراعة الشعير والقمح.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ محمد مكوي، المرجع السابق، ص 15، 16.

⁽²⁾ مارمول كرنجال، إفريقيا، ج 2، ص 371؛ الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 43-45.

⁽³⁾ الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 46؛ لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 50 و ص 53.

⁽⁴⁾ محمد مكوي، المرجع السابق، ص 15، 16.

ب- المناخ.

يمكن أن نميز بالمغرب الأوسط منطقتين متباينتين من حيث المناخ هما، المنطقة المعتدلة المتمثلة في المناخ المتوسطي الذي يتميز بالرطوبة والاعتدال، وكثرة الأمطار خلال فصل الشتاء، ويسود هذا المناخ المناطق الساحلية، أما المنطقة الثانية فهي المنطقة الحارة المتمثلة في المناخ الصحراوي، الذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة، وقلّة التساقط، وانتشار الزوابع الرملية. وقد أدى المناخ الصحراوي الجاف إلى تقلص المساحات الزراعية والرعيّة مما دفع بسكان المناطق الجنوبية إلى الهجرة نحو الشمال، مشكلين قوة بشرية أثرت بصورة واضحة في التاريخ السياسي والحضاري للمغرب الأوسط.⁽¹⁾

2- القبائل.

كان للقبائل المشكلة للمجتمع الزياني تأثير مباشر على اقتصاد الدولة حيث كانت منها من تأخذ من الدولة ما يجعلها مهادنة لها ومتحالفة معها، وهناك من كانت تدفع للدولة، وتعتبر مصدر دخل هام لها، لأنها مغلوبة على أمرها، وخاضعة للسلطان الزياني بالقوة ويمكن تقسيم هذه حسب قربها من سلاطين بني زيان و مدى خضوعها لهم إلى ثلاثة أصناف هي :

أ- قبيلة الأسرة المالكة.

هي قبلة بني عبد الواد، لها ست بطون هم: بنو يايكتين، بنو ييللو، بنو رهطف، مسوفة، بنو تومرت، وبنو القاسم. ويعتبر بنو القاسم أشد بطون بني عبد الواد قوة، وأعظمهم عصبية، ومنهم بنو ييكتين، وبنو مطهر. وقد حرس سلاطين بني زيان على تقريب أفراد هذه البطون منهم، والتكرم عليهم، خصهم بالخطوة، والمناصب السامية. خاصة مشايخ هذه البطون، وهذا ما نستنتجه مما ورد في كتاب واسطة السلوك لأبي حمو موسى الثاني في قوله: "...يا بني انه ينبغي أن تكون محافظا على قبيلك، مواسيا لهم في قليلك وكثيرك، ولا تمنعهم من خيرك، تختص منهم لنفسك من يكون محبا ناصحا، ومخلصا صالحا، ومن تراه لاختصاصك أهلا، لتقريبك واصطفائك محلا، وتقدم الأشياخ على المجموع، فإن التابع يصلح بالمتبوع، فتحصل على كل

⁽¹⁾ السلاوي الناصري، الاستقصا، ج2، ص 145؛ محمد مكوي، المرجع السابق، ص 16، و ص 18.

جماعة منهم شيخا من كبارهم وأعيانهم وخيارهم ،مما في جماعتك وسلطانك باذلا في خدمتهم جهد استطاعتك...".⁽¹⁾

ب- قبائل الحلفاء.

تمثل في القبائل التي عجز سلاطين بني زيان عن اخضاعهم ،فاضطروا إلى مهادنتهم وكسب ودهم ،ليكونوا لهم حلفاء على أعدائهم. من أهم هاته القبائل نجد قبيلة بني عامر التي استقدمها يغمراسن بن زيان لصد غارات عرب المعقل ،مقابل اقطاعهم أراضي حول تلمسان.⁽²⁾

بذلك أصبحت قبائل بني عامر حليفة لسلاطين بني زيان ضد خصومهم ،وأعدائهم من الأعراب ،وغيرهم من المرينيين والحفصيين. ولبني عامر ثلاثة بطون هي بنو يعقوب ،وبنو حميد ،وبنو شافع ،وكانت رئاستهم في عهد يغمراسن بن زيان لداود بن هلال بن عطاف بن رداد بن ركيش بن عياد بن منيع بن يعقوب.⁽³⁾ وكانت هذه القبائل تقدم ولاءها مقابل ما تتحصل عليه من أموال ،وأسلحة ،وما يقدم لشيخوخها من رواتب.

ج- القبائل الغارمة.

هي القبائل الخاضعة للسلطة الدولة الزيرية قصرا وغلبة ،والمطالبة بدفع الغرامات ،وهي قبائل ظلت رافضة للخضوع للسلطة الزيرية ،التي ظلت في صراع مع هذه القبائل من أجل اخضاعها والسيطرة عليها ،لما كانت تدره عليها من الأموال الناتجة عن الجباية ،ومن هذه القبائل مغراوة ،وتوجين ،ومليكش ،وحصين. وكان التعامل مع هذه القبائل يتم عبر الادارة المحلية بالعمالات التي كان لقائدها العدد الكافي من الجيش لإخضاعها ،ورددع المتمردين عليها.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ واسطة السلوك ،ص 79.

⁽²⁾ كانت قبيلة بني عامر تستوطن شرق عاصمة المغرب الأوسط. ينظر: محمد مكوي ،المرجع السابق ،ص 20.

⁽³⁾ عبد الرحمن بن خلدون ،المصدر السابق ،ج 6 ،ص 105 ،106.

⁽⁴⁾ بوزياني الدراجي ،المرجع السابق ،ص 205.

3- صراعات دولة بني عبد الواد الزيانية.

تمثلت في الصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة ،وصراع السلاطين الزيانيين مع قبائل المغرب الأوسط ،والصراعات الخارجية. حيث أن موقع الدولة الزيانية وسطا جعلها مطمعا للدولتين المرينية من الغرب ،والحفصية من الشرق ،وهدفا منشودا يجب القضاء عليه للوصول إلى السيطرة على المغرب الإسلامي.

أ- الصراعات الداخلية.

تتمثل في الصراع داخل الأسرة الحاكمة ،ومن ذلك الصراع بين السلطان أبي حمو موسى الثاني وابنه وولي عهده أبي تاشفين الذي تمكن من حكم الدولة الزيانية بمساعدة بني مرين ،جاعلا من دولته أسلافه ولاية من ولايات السلطان المريني ،يخطب له على المنابر ،ويدفع له الضريبة كل سنة. وقبل هذا كان السلطان أبا حمو الثاني قد دخل في صراع مرير مع أبي زيان القبي ،وأبي زيان بن أبي السعيد ،بدعم من الحفصيين تارة ،و من المرينيين تارة أخرى.⁽¹⁾

أما النوع الآخر من الصراع الداخلي لبني عبد الواد ،فيتمثل في صراعهم مع القبائل المتواجدة بإقليم دولتهم ،من بربر وعرب ،حيث أن هذه القبائل كثيرا ما كانت تكلف الدولة الزيانية أموالا كبيرة إما لاسترضائها ،أو لمحاربتها ،أو لتعرضها للقوافل التجارية القادمة من المغرب الأوسط أو إليه ،أو العابرة له.⁽²⁾

ب-الصراعات الخارجية.

يعود الصراع بين دويلات المغرب الإسلامي إلى عهد الموحدين ،حيث وبعد أن دب الضعف في أوصال هذه الدولة رأى كل قبيل - بنو حفص ،بنو عبد الواد ،وبنو مرين - أنه الأحق بخلافتها.⁽³⁾

⁽¹⁾ لخضر عبدلي ،المرجع السابق ،ص 150 ،154 ؛عبد الحميد حاجيات ،الجزائر في التاريخ ،ج3 ،ص 406 ،409.

⁽²⁾ عمار بن خروف ،المرجع السابق ،ص 13-15 ؛لخضر عبدلي ،المرجع السابق ،ص 150 ،154.

⁽³⁾ هوارية بكاي ،العلاقات الزيانية المرينية ،ص 5.

رغم استقلال يغمراسن بن زيان بحكم تلمسان إلا أنه لم يقطع علاقته بالموحدين ،فظلت العلاقة بينهما قوية متينة ،خاصة على عهد الرشيد بن المأمون الموحدي. وهي نفس السياسة التي انتهجها السعيد الموحدي ،الذي أغدق المال على يغمراسن من أجل أن يظل حليفا له على بني مرين.⁽¹⁾

أقلق هذا التحالف بني حفص ،و بعث الحقد في نفوس بني مرين ،الذين راحوا يستغلون كل فرصة للقضاء على سيطرة الزيانيين على المغرب الأوسط، فلم يدخروا جهدا من أجل تحقيق هذا الهدف ،فوجد الحفصيين أول المبادرين لذلك. فكانت أول فرصة لهم حين جاء وفد من قبائل بني توجين وبني منديل - من قبائل مغراوة - يستنجدون الأمير الحفصي أبا زكرياء ضد السلطان يغمراسن. واشتد هذا الصراع بعد وفاة يغمراسن الذي أوصى ولي عهده بالتوسع شرقا ،والتخلي عن مقارعة المرينيين لأنه لا قبل له عليهم ،واستمر إلى غاية بداية التحرشات الاسبانية البرتغالية على سواحل المغرب الإسلامي ،و بداية التدخل العثماني.⁽²⁾

أما بنو مرين فكانت وطأهم أشد على الدولة الزيانية ،حيث تمكنوا في كثير من الأحيان من السيطرة على مواقع كثير من أقاليم هذه الدولة ،بل جعلوا الدولة الزيانية محصورة في مدينة تلمسان ،خاصة خلال الحصار الشهير الذي ضربوه على حاضرة بني عبد الواد سنة 698هـ/1299م والذي استمر إلى غاية 706هـ / 1307م. ويضاف إلى هذا الصراع غزو الاسبان لسواحل المغرب الأوسط خاصة موانئ المرسى الكبير سنة 1505م ،ووهران سنة 1509م ،وهنين سنة 1531م.⁽³⁾

كما أن وصول البرتغاليين - في إطار الكشوفات الجغرافية - إلى خليج غينيا سنة 844هـ/1440م ،واتصالهم بمصادر ذهب السودان الغربي ،مكنهم من تحويل الطرق التجارية عن المغرب الأوسط نحو أوربا عبر المحيط الأطلسي. هذه العوامل كلها منفردة ومجمعة

⁽¹⁾ محمد العروسي المطوي ،السلطنة الحفصية ،ص 143 ؛محمد عمرو الطمار ،المرجع السابق ،ص 80.

⁽²⁾ للمزيد عن الصراع الحفصي الزياني ينظر: هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 15 - 23 ؛محمد مكبوي ،المرجع السابق ،ص 103 - 110.

⁽³⁾ مارمول كرنجال ،المصدر السابق ،ج 2 ،ص 360 ؛هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 190 - 226.

أثرت سلبا على الاقتصاد الزيري ، حيث قللت من موارد الدولة ، وزادت من نفقاتها ، وازداد الأمر سوءا بعد تدخل العثمانيين في سواحل المغرب الأوسط مع بدايات القرن السادس عشر ميلادي ، العاشر الهجري. (1)

المبحث الأول: النشاط الزراعي.

يغلب النشاط الزراعي على رعية دولة بني عبد الواد الزيرية ، وهو قوام اقتصادها وعموده الفقري ، لذلك يعتبر مجتمع المغرب الأوسط على عهد هذه الدولة مجتمعا فلاحيا. (2) ويتميز النشاط الفلاحي في دولة بني عبد الواد الزيرية بطابعه الاقطاعي ، حيث كانت معظم الأراضي في هذه الدولة عبارة عن اقطاعات للقبائل والعشائر البربرية ، والعربية. (3) والإقطاع هنا يعني الالتزام بخدمة الأرض ، لأن الغرض من الاقطاع في الاسلام هو التشجيع على استصلاح الأرض وخدمتها. (4)

وأول من عمل بنظام الاقطاع في الدولة العبد الوادية هو مؤسسها يغمراسن بن زيان الذي أقطع البطحاء وسيرات وهوارة لمشايخ قبيلة سويد العامرية وتبعه في ذلك بنوه من سلاطين الدولة. (5) يتم النشاط الفلاحي في الدولة الزيرية على محورين هما: الزراعة ، وتربية المواشي والإبل. (6)

وقد ساعدت عدة عوامل على ازدهار القطاع الزراعي وتنوعه.

1- عوامل ازدهار النشاط الزراعي.

(1) عمار بن خروف ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 22-24.

(2) بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 208 ؛ إدريس بن مصطفى ، المرجع السابق ، ص 75.

(3) محمد مكوي ، الأوضاع السياسية ، ص 22.

(4) بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 209.

(5) بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 209 ؛ هوارية بكاي ، شركة آل المقرري التجارية ، ص 163.

(6) محمد مكوي المرجع السابق ، ص 23 ؛ هوارية بكاي ، شركة آل المقرري التجارية ودورها في تمتين العلاقات التجارية

بين المغرب الأوسط الزيري والسودان الغربي ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، جامعة الوادي ، العدد 4 / أبريل 2016 ، ص 162.

1.1- وفرة الأراضي الخصبة.

يقع المغرب الأوسط في الإقليم الرابع⁽¹⁾، الذي يتميز الجزء الشمالي منه بمناخ معتدل وأراضي خصبة⁽²⁾ تنتج محاصيل متنوعة. يقول الحسن الوزان في ذلك: "ويكون معظم مملكة تلمسان أقاليم جافة قاحلة، لاسيما في جزئها الجنوبي، لكن السهول القريبة من الساحل منتجة جدا نظرا لخصبها. والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المفايزات. حقا إنه توجد غربا عدة جبال قرب الشاطئ، وكذلك في إقليم تنس وفوق بلاد الجزائر عدد لا يحصى من الجبال غير أنها كلها منتجة. ولا يوجد بهذه المملكة إلا القليل من المدن والقصور، غير أن الأماكن زاهرة والبقعة خصبة."⁽³⁾ ويذكر صاحب الاستبصار ان بلاد المغرب الأوسط كثيرة الخصب والزرع كثيرة الغنم والماشية، طيبة المراعي، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها.⁽⁴⁾

بينما نجد الجزء الجنوبي من المغرب الأوسط، والذي يشكل القسم الأكبر من مملكة تلمسان، والذي وإن تميّز بالجفاف إلا أنه صالح لزراعة النخيل، خاصة بمنطقة تيكورارين⁽⁵⁾

(1) يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص7. ويحدده موقعه ما بين إفريقية والسوس كم المغرب الأقصى. بينما يحدد عبد الرحمن بن خلدون موقع المغرب الأوسط ضمن الجزء الأول من الإقليم الثالث حيث يقول في ذلك: "...وهذه التي تسمى المغرب الأقصى في عرف أهلها. وعلى ساحل البحر المحيط منها بلدان: أصيلا والعرايش. وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الأوسط وقاعدتها تلمسان، وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هنين ووهران والجزائر...". ينظر: المقدمة، ص72.

(2) حيث يذكر يحيى بن خلدون أن هذا الإقليم أي المغرب الأوسط أعدلها مزاجا وهو يقصد المناخ، وأفضله نتاجا ويقصد أن أرضه أفضل أراضي الإقليم الرابع انتاجا نظرا لشدة خصوبتها.

(3) وصف إفريقيا، ج2، ص10. يقع الجزء الجنوبي من مملكة تلمسان ضمن نطاق المناخ القاري شبه الجاف، وهو ما يعرف اليوم بالهضاب العليا التي تنحصر بين الأطلسين التلي والصحراوي، رغم ذلك فإنه يصلح لإنتاج بعض المحاصيل وممارسة نشاطات اقتصادية أخرى ستعرض لها في حينها، فيحين يؤكد أن المنطقة الشمالية تتميز بخصوبة أراضيها السهلية منها والجبليّة وهي المنطقة التي تتجمع فيها أغلب المدن والسكان.

(4) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق عبد الحميد سعد زغلول، دار النشر المغربية، الدار البيضاء البيضاء، المملكة المغربية، 1985، ص176.

(5) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص، وأيضا الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، مجلة القرطاس، العدد، العدد التجريبي، ديسمبر، 2008، ص54.

، وفيحيج⁽¹⁾. وهذا ما يساعد على تنوع المحاصيل الزراعية والإنتاج الحيواني لدولة بني عبد الواد الزيرية.

1.2- الموارد المائية.

يتوفر المغرب الأوسط على شبكة من الوديان⁽²⁾ والعيون دائمة الجريان من أهمها:

أ- **واد سطفيسيف**: وهو وادي ينبعث من جبل البغل جنوب تلمسان، وهو شديد التدفق ويصب في واد اسر. من شدة تدفقه ذكر صاحب الاستبصار أنه يسمع له خرير شديد هائل على مسافة أميال حين ما يصب في البركة التي يتجمع فيها، وهي بركة منقورة في حجر صلد، ومن هذه البركة يتم توزيع الماء لسقي المزارع والبساتين المحيطة بتلمسان.⁽³⁾

ب- **واد تافنة**: هو وادي ينبع من جنوب تلمسان، يسيل على بعد حوالي خمسة عشر ميلا شمال تلمسان، يصب في البحر قرب أرشكول ويبدو أنه كان واسعا نوعا ما إذ كر البكري أنه تدخله بعض السفن الصغيرة أو اللطاف كما ذكر.⁽⁴⁾

ج- **واد ملوية**: واد كبير مشهور ينبع من جبال الأطلس يمر عبر قعر أنقاد وجبل بني يزناسن وأجرسيف، يصب في البحر.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ فيحيج أو فيقيق أو فيكيك هي اليوم تابعة للمملكة المغربية تقع إلى الجنوب الشرقي منها على الحدود مع منطقة بني ونيف من ولاية يشار. كانت تابعة للملكة تلمسان، وهي "بلاد خصبة فيها نخل كثير وتسكنها أمم شتى". الاستبصار، ص 179.

⁽²⁾ يذكرها الرحالة بالأطهار، وأسميناها بالأودية لأنها في نظرنا لا ترقى إلى كصاف الأطهار لأن هذه الأخيرة أكبر وتخرق عدة دول، ومنها على سبيل المثال نهر النيل ونهر السنغال ونهر النيجر.

⁽³⁾ أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تحقيق وتقديم، أدريان فان ليفن وأندري فيري، ج2، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيروت، 1992، ص 746؛ الاستبصار، ص 176، 177. ويذكر المصدر أن واد السطفيسيف يصب بيسر ومنه في واد تافنة.

⁽⁴⁾ ويذكر البكري أنه يأتي مدينة تيهرت من قبلتها. المسالك والممالك، تحقيق وتقديم، أدريان فان ليفن وأندري فيري، ج2، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيروت، 1992، ص 747؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 250.

⁽⁵⁾ الاستبصار، ص 177؛ المسالك والممالك، ج2، ص 753؛ وصف إفريقيا، ج2، ص 250.

د- **واد مينا:** واد كبير ينحدر من الجبال المجاورة لتقدمات قرب تيهرت من جهة الغرب ، يمر بالبطحاء ، وهو من روافد وادي شلف. ⁽¹⁾

هـ- **واد شلف:** واد كبير مشهور سمي بهذا الاسم نسبة لمدينة شلف ، وهو نهر حرار على حد تعبير البكري أي شديد التدفق ، ينبع من جبال الونشريس يمر بتنس ، ومزگران ، ومستغانم ويصب في البحر. ويذكر صاحب الاستبصار أنه يمر بفحوص وقرى ومزارع مدينة مليانة. ⁽²⁾

و- **واد الشفة:** واد ينبع من الأطلس التلي من جبال موزاية حاليا ، يسيل في سهل متيجة ، يصب في البحر قرب مدينة تمندفوست. ⁽³⁾

كما يزخر المغرب الأوسط بالعديد من العيون مثل عيون الوريث التي تبعد عن تلمسان بستة أميال ، ومها كان يجلب الماء إلى مدينة تلمسان. ⁽⁴⁾ وعيون مستغانم ومطغرة وغيرها. هذا إضافة إلى الآبار التي شقت في المدن والدور. ⁽⁵⁾

ويذكر الونشريسي أن قسمة الماء كانت منظمة تنظيما دقيقا بتلمسان بحيث كان المزارعون يوزعون ماء العين التي تُسقى بها بساتينهم ومزارعهم توزيعا بلغ الغاية في الترتيب ، فكان قسم منهم يسقي نهارا ، وقسم يسقي ليلا ، وآخرون يسقون من الغداة إلى الزوال ، قسم يسقي من الزوال إلى العصر ، وقد استمروا على هذا النظام لأكثر من خمسين سنة. كما أشار إلى وجود قنوات كثيرة لسقي المزارع خارج المدينة تستمد مياهها من الوادي. ⁽⁶⁾

⁽¹⁾ البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص 734 ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص 178 ؛ الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، ص 251.

⁽²⁾ المسالك والممالك ، ج2 ، ص 744 ؛ الاستبصار ، ص 171 ؛ وصف افريقيا ، ج2 ، ص 151.

⁽³⁾ وصفه البكري بأنه نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين ويقال لها متيجة. المسالك والممالك ، ص 732 ؛ الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 251.

⁽⁴⁾ المسالك والممالك ، ص 745 ؛ الاستبصار ، ص 176.

⁽⁵⁾ نفس المصدر ، ص 732 وما بعدها.

⁽⁶⁾ أبو العباس أحمد الونشريسي ، المعيار المغرب ، ج5 ، نشر وزارة الأوقاف المغربية ، المملكة المغربية ، 1981 ، ص 111

111 و ص 330 ؛ كمال أبو مصطفي ، جوانب من حضارة المغرب الاسلامي من خلال نوازل الونشريسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، مصر ، 1998 ، ص 58.

يضاف إلى العامل الطبيعي والمتمثل في خصوبة التربة، وتنوع المناخ، ووفرة الموارد المائية عوامل أخرى مثل عناية سلاطين دولة بني عبد الواد الزيانية بالقطاع الزراعي لأنه يوفر الغذاء الذي يمكن ادخاره لأوقات الشدة المحتملة كالمجاعات أو الحصادات والتي تعرضت لها تلمسان أكثر من مرة على يد المرينيين.⁽¹⁾ ومساهمة الجالية الأندلسية في تطوير هذا القطاع، وخاصة نظام البستنة.⁽²⁾

وقد ساعدت هذه العوامل على تنوع المحاصيل الزراعية، وازدهار نشاط تربية المواشي، وتنوع الثروة الحيوانية.

2- الإنتاج الزراعي.

2.1- المحاصيل الزراعية.

تميزت المحاصيل الزراعية بمملكة بني عبد الواد بالتنوع والوفرة، نظرا لتنوع المناخ ووفرة الأراضي الصالحة للزراعة، ووفرة الماء، ومن أهم المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها أراضي دولة بني عبد الواد الزيانية:

*- الحبوب:

تعد الحبوب أهم المحاصيل الزراعية ببلاد المغرب الأوسط لأنها تشكل العنصر الأساسي لغذاء أهلها، وتتمثل الحبوب في القمح والشعير والذرة.⁽³⁾ وكانت زراعة الحبوب تمارس في المنطقة الممتدة من وادي ملوية إلى واد يسر، والسهول الشمالية التي تتميز بخصوبة التربة وكثرة

(1) حول الموضوع ينظر: إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص 77، 79. وعن حصادات المرينيين لتلمسان ينظر: هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، ص 223-237.

(2) إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص 81.

(3) بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 112؛ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 267؛ إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص 81.

التساقط، والمجاري المائية، وعلى الخصوص سهول تاسلة، وهران، متيجة، برشك، تنس، ووادي شلف، وتاهرت. (1)

وتعتبر سهول تسالة من بين أكبر سهول المغرب الأوسط التي تنتج أجود أنواع الحبوب وبكميات كثيرة، ويمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب حسب الحسن الوزان الذي قال عن هذه السهول: "تسلّة مدينة عريقة في القدم، بناها الأفارقة على سهل كبير يمتد على مسافة عشرين ميلا وينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب، يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب." (2) كما أشار إلى منطقة البطحاء التي تنتج هي الأخرى كميات كثيرة من الحبوب، تحقق للدولة الزيانية وحدها حوالي عشرين ألف مثقال من المداخيل. (3) وأورد مختار حساني رواية تدل على كثرة انتاج الحبوب بمنطقة تاهرت (4) حيث ذكر أن ما يلتقطه الناس من بعد عملية الحصاد والدرس يكفيهم مدة سنة، وهذا دليل على وفرة الانتاج. (5)

أما الشعير والحنطة فكانت تمارس زراعته على الخصوص بجبل مطغرة وجبل بني يزناسن، وجبل بني بوسعيد قرب تنس، إضافة إلى حوض شلف كمنطقة مليانة وعين الدفلى وسوق الخميس والتي كانت تنتج الحنطة كذلك. (6)

* - الزيتون:

(1) Dhina (A), op.cit, pp 336-338؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 112؛ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 267

(2) وصف افريقيا، ج2، ص 25.

(3) نفس المصدر، ص 27، 28.

(4) كما تنتج تيهرت أجود أنواع السفرجل حيث قال صاحب الاستبصار في ذلك: "وكان لها -يقصد تيهرت- بساتين كثيرة فيها جميع الثمار، وفيها سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا وطعما ورائحة." الاستبصار، ص 178.

(5) مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، الأحوال الاقتصادية والثقافية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص 27.

(6) الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج2، ص 43 و ص 45؛ مختار حساني، المرجع السابق، ص 28.

يعد الزيتون ذا أهمية كبيرة هو الآخر بالنسبة لسكان المغرب الأوسط ، وذلك لأنه مصدر الزيت الذي يستعمل في الطبخ والإنارة ، وأحيانا يستعمل كدواء. وقد انتشرت زراعة الزيتون في ربوع المغرب الأوسط كتلمسان التي قال عنها يحيى بن خلدون: "ويوجد بخارجها - يقصد تلمسان - الخمائل الألفاف والأدواح الأشبة والحدائق الغلب بما تشتهيه الأنفوس وتلذ العين من الفواكه والرمان والزيتون والتين." ⁽¹⁾ وهنين التي قال الحسن الوزان عنها: " وتنتج الممتلكات المجاورة لهنين كميات وافرة من الثمار ، كالكرز والمشمش والتفاح والاجاص والخوخ وما لا يخصى من التين والزيتون." ⁽²⁾

يضاف إلى هذه المحاصيل العديد من المنتجات الزراعية التي عرفها فلاحو المغرب الأوسط كتلك التي كانت منتشرة بتلمسان حاضرة الدولة الزيانية والتي ذكرتها كتب الرحالة ومنهم الحسن الوزان الذي قال: " وفي خارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية ينعم المدنيون بسكنها في الصيف ، حيث الكروم المعروشة الممتازة تنتج أعنابا من كل لون ، طيبة المذاق جدا ، وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أر لها مثيلا في جهة أخرى ، والتين شديد الحلاوة ، أسود غليظ طويل جدا ، يجفف ليؤكل في الشتاء ، والخوخ والجوز واللوز والبطيخ والخيار ، وغيرها من الفواكه المختلفة." ⁽³⁾

وكانت جبال بني يزناسن ومطغرة وولهاصة تعطي الكثير من الخروب الذي كان الغذاء الرئيسي لسكان تلك المناطق. ⁽⁴⁾ واشتهرت مدينتا الجزائر وتنس بإنتاج العسل والشمع ، وأما القطن والكتان فكانت زراعتهما تمارس ببرشك ، وهنين ، وندرومة ، ومستغانم ، وإنتاج الحرير

⁽¹⁾ بغية الرواد ، ج 1 ، ص 10.

⁽²⁾ وصف إفريقيا ، ج 2 ، ص 15 ، 16.

⁽³⁾ نفس المصدر ، ص 20.

⁽⁴⁾ لخضر عبدي ، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان ، ص 51 ، 52.

كان يمارس بشرشال⁽¹⁾. أما التمور فقد انحصرت إنتاجها بالمناطق الجنوبية من المغرب الأوسط مثل تيكورارين شمال إقليم توات، وفيجيح إلى الجنوب الغربي من تلمسان⁽²⁾.

2.2- تربية الماشية.

تعد تربية المواشي نشاطا ملازما للنشاط الفلاحي، وذلك لحاجة كل منهما للآخر، فلا تجد مجتمعا أو دولة إلا ومارسهما واهتما بهما، والدولة الزيرية كغيرها من الدول التي سبقتها أو التي عاصرتها اهتمت بهذا النشاط الذي انتشر في مختلف مناطقها، فنجد سكان المدن كما سكان المناطق الجبلية والريفية، وسكان المناطق الجنوبية تمارس هذا النشاط. وذلك لوفرة المراعي والماء مثل وهران والجزائر، وأغلب المناطق التلية الداخلية⁽³⁾. ووجدت التي قال عنها صاحب الاستبصار: "كثيرة المياه - أي مدينة وجدة - والعيون طيبة الهواء جيدة التربة ... ومراعيها أنجع المراعي وأصلحها للماشية، يذكر أنه يوجد في الشاة من شياهم مائي أوقية شحما."⁽⁴⁾

فوجد كل من مغراوة وتوجين، وبني راشد وبني عامر اهتموا بتربية الأغنام، حيث يذكر يحيى بن خلدون يذكر أن أبا تاشفين الأول لما هاجم مناطق إقامة مغراوة وبني توجين حاصرهم ثمانية أيام حتى جاءت مواشيهم⁽⁵⁾. ويذكر عبد الرحمن بن خلدون أن أبا ثابت لما هاجم بني

⁽¹⁾ حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 34؛ اسماعيل العربي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، الجزائر 1983، ص 158، 159؛ هوارية بكاي، شركة آل المقرري التجارية، ص 163.

⁽²⁾ الاستبصار، ص 179؛ مبخوت بودواية، العلاقات التجارية والثقافية، ص 268 والقرطاس، ص 54؛ هوارية بكاي، المعارف، ص 164.

⁽³⁾ إدريس بلمصطفى، المرجع السابق، ص 84.

⁽⁴⁾ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 176.

⁽⁵⁾ بغية الرواد، ج 1، ص 134؛ هوارية بكاي، شركة آل المقرري، ص 164.

راشد فروا بماشيتهم إلى الجبال المجاورة لمدينة تنس.⁽¹⁾ كما كانت أكثر أموال سكان بوادي وجبال مدينة الجزائر من البقر والأغنام.⁽²⁾

واشتهرت مدينة مستغانم بتربية المواشي، وكانت زكية الزرع والضرع حتى قيل أن اسمها مشتق من مشق الغنائم.⁽³⁾ وكذلك كانت تيهرت مشهورة بتربية المواشي، وقد قال عنها ابن حوقل: " وهي -يقصد تيهرت- أحد معادن الدواب والماشية، والغنم والبغال، والبراذين الفراهية -ولعله يقصد الفارعة-، ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات"⁽⁴⁾

إلى جانب تربة الأغنام والأبقار اهتم سكان السهول والهضاب كتلمسان وتيهرت بتربية الخيول والبغال والحمير.⁽⁵⁾ ونجد مدينة وجدة قد اشتهرت بتربية الحمير والبغال من السلالة الجيدة، حيث يذكر الوزان في ذلك: "ويربون -يقصد أهل وجدة- عددا من الحمير الجميلة الكبيرة القامة التي تنتج لهم بغالا جميلة عالية تباع في تلمسان بأغلى الأثمان."⁽⁶⁾ أما قبائل المناطق الجنوبية فكانت أغلب ماشيتهم من الماعز والإبل.⁽⁷⁾

وتعتبر تربية الماشية من أغنام وأبقار وإبل نشاطا بالغ الأهمية نظر لما يوفره من مواد استهلاكية كاللحوم والشحوم والألبان ومشتقاتها، أو تلك التي تستعمل كمواد أولية للصناعة كالأصواف والجلود.⁽⁸⁾ أما الخيل والحمير والبغال والإبل أيضا فكانت تستعمل كوسائل

(1) العبر، مج4، ص 2786.

(2) ابن حوقل أبي القاسم النصبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 78؛ مختار حساني، المرجع السابق، ص 34.

(3) عبد الكريم جودت، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط القرنين الثالث والرابع هجريين (9 - 10 م) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1992 ص 130.

(4) صورة الأرض، ص 86.

(5) بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 268؛ هوارية بكاي، شركة آل المفري، ص 164. وعن تربية الخيول بصفة خاصة ينظر: مختار حساني، المرجع السابق، ص ص 36-39.

(6) وصف افريقيا، ص 13.

(7) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2738.

(8) موريس لمبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق 1998، ص 230.

للجر وحمل الأثقال والبضائع، ومراكب للسفر والتجارة.⁽¹⁾ كما كانت تستعمل في الحروب للركوب وحمل الجيوش، وأما الخيول فكانت تهدى لسلاطين الدول مجاملة.⁽²⁾ ويمكن أن نضيف إلى الثروة الحيوانية تربية النحل والثروة السمكية، فالأولى كانت بالإضافة إلى كونها موردا هاما للعسل كانت تعتبر مصدر المادة الأولية لصناعة الشمع، وقد انتشرت في عديد مدن المغرب الأوسط ومنها ندرومة التي يوجد بها بكثرة، وهو من مصادر غذائهم⁽³⁾، وتنس التي يملك سكان المناطق الجبلية القريبة منها كميات كبيرة من العسل، ويبيعون كميات كبيرة من الشمع إلى التجار الأوربيين.⁽⁴⁾ أما الثروة السمكية فيبدو أنها كانت للاستهلاك المحلي، أو كانت تباع محليا بالقرب من أماكن صيدها حيث ذكر الحسن الوزان على سبيل المثال أن سكان مدينة دلس "تعودوا جميعا على اصطياد السمك بالشباك، فيحصلون على كميات وافرة منه لا تباع ولا تشتري، وإنما يهدونه لمن يرغب فيه."⁽⁵⁾ وهكذا قد ساعدت الظروف الطبيعة من تنوع التربة والمناخ، ووفرة المياه بشمال المغرب الأوسط وجنوبه، واهتمام السكان بالزراعة وتربية المواشي، وتشجيع سلاطين دولة بني عبد الواد الزيانية على ممارسة النشاط الزراعي ورعايته، على تنوع المحاصيل الزراعية، والثروة الحيوانية ووفرتهما. الأمر الذي أدى تحقيق الاكتفاء الذاتي في ربوع مملكة تلمسان في الكثير من المنتجات الزراعية والحيوانية، وتصدير الفائض عنهم إلى الدول المجاورة الإسلامية والنصرانية.

⁽¹⁾ هوارية بكاي، شركة آل المقرري، ص 164؛ موريس لمبارد، المرجع السابق، ص 230.

⁽²⁾ ومن ذلك الهدية التي أرسلها يغمراسن بن زيان إلى سلطان بني الأحمر من ثلاثين من عتاق الخيل، مع ثياب من عمل الصوف. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 4، ص 2854.

⁽³⁾ وصف افريقيا، ص 14.

⁽⁴⁾ نفس المصدر، ص 36 وص 45.

⁽⁵⁾ نفسه، ص 42.

المبحث الثاني: النشاط الصناعي.

الصناعة هي عملية تحويل المواد الأولية من شكلها الخام إلى مواد قابلة للاستهلاك لتلبية حاجيات السكان ،وهي تحتاج إلى ملكة العلم بالعمل كما تحتاج إلى الجهد العضلي حيث يقول عبد الرحمن بن خلدون في الصدد: " اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري ،وبكونه عمليا هو جسماني محسوس ... والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى. "(1) ويأتي النشاط الصناعي بعد النشاط الزراعي من حيث الممارسة في دولة بني عبد الواد الزيرية ،وقد ساعدت مجموعة من العوامل على قيام هذا النشاط وتطوره.

1- عوامل تطور النشاط الصناعي.

1.1- وفرة المواد الأولية.

تتمثلت المواد الأولية للصناعة في دولة بني عبد الواد الزيرية في:

*- المعادن:

وتتمثل على الخصوص في الحديد الذي كانت تتوفر كميات كبيرة منه بمنطقة تفسرة إلى الجنوب الغربي من تلمسان حيث ذكر الوزان أنه توجد عدة مناجم للحديد بالقرب منها ،وأغلب عمل أهله الحدادة.(2) كما نجد الحديد والزئبق يتوفر بالجبال القريبة من مدينة أرزيو القريبة من وهران تفصل بينهما مسافة أربعين ميلا شرقا.(3) وتتوفر بجبال الونشريس كميات كبيرة من معدن الزنك.(4) كما نجد منطقة البطحاء غنية بمعدن الملح الذي كانت عملية استخراجها تحتاج إلى عمال كثير.(5) وكذا التربة المستعملة في صناعة الأواني الفخارية والتي

(1) المقدمة ،طبعة 2004 ،ص 417.

(2) يقول عن تفسرة: "فيها حدادون كثيرون لأنه توجد بقربها عدة مناجم للحديد ... وأهلها فليلوا المخاملة ،إذ لا يشتغلون بغير خدمة الحديد ونقله إلى تلمسان ". وصف افريقيا ،ج2 ،ص 24.

(3) أرزيو أو أرزاو كما عند البكري مدينة على الساحل ،وهي مدينة بناها الرومان. المسالك والممالك ،ص 738.

(4) الحسن الوزان ،وصف افريقيا ،ج2 ،ص 45.

(5) ويبدو أن الأراضي التي كانت تحتوي على هذا المعدن كانت تابعة للدولة ،وكان السلطان أو من ينوب عنه يقوم بكرائها لمن يستغلها. ينظر: النشريسي ،المعيار ،ج6 ،ص 135 ،ج8 ،ص 181 ؛ابن القاسم ،المقصد الحمود في

كانت منتشرة على الخصوص بمنطقة هنين التي اشتهر سكانها بصناعة الأواني الفخارية ، كما تواجدت بتلمسان أفران خاصة بالفخار والقرميد.⁽¹⁾

*-الثروة النباتية.

تتمثل في الثروة الخشبية والتي تتوفر في الغابات التي تغطي المنطقة الشمالية من المغرب الأوسط وخاصة بالمناطق الجبلية⁽²⁾ ، إضافة إلى المحاصيل الزراعية المخصصة للإنتاج الصناعي كالقطن الذي نجده بمنطقة ندرومة وهنين ،ومستغانم⁽³⁾ ،والحرير الذي اشتهرت به منطقة شرشال على الخصوص⁽⁴⁾ ،والزيتون الذي ينتشر في العديد من المدن كما أسلفنا.

*-الثروة الحيوانية.

المغرب الأوسط غني بالثروة الحيوانية وهي متنوعة وهذا ما جعل النشاط الصناعي يستفيد منها لما توفره من مادة أولية كالجلود والأصواف ،والأوبار ،والألبان. إضافة إلى ما كانت تجود به تربية النحل من مادة أولية صناعة الشمع.

1.2- العوامل البشرية.

تتمثل في عناية سلاطين بني عبد الواد بالنشاط الصناعي على غرار بقية النشاطات الاقتصادية الأخرى منذ عهد مؤسس دولتهم يغمراسن بن زيان لما له من أهمية على مستوى تطور واستقرار الدولة.

=تلخيص العقود ،مخطوط ،معهد كجيل أسين ،مدريد ،تحت رقم 5 ،ورقة 25. كمال أبو مصطفى ،المرجع السابق ،ص 67 ،مختار حساني ،المرجع السابق ،ص 82 ،83.

⁽¹⁾ ماركول كرنخال ،افريقيا ،ج2 ،ص 300 ؛مختار حساني ،ص 95 ،96.

⁽²⁾ عن جبال مملكة تلمسان ينظر: الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 43-46.

⁽³⁾ البكري ،المصدر السابق ،ص 737 ؛مارمول كرنخال ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 295 ؛الحسن الوزان ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 13-15.

⁽⁴⁾ الحسن الوزان ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 34. ويذكر مختار حساني أن إنتاج الحرير كان متوفرا أيضا بمنطقة واد الزعفران قرب القليعة. ينظر: المرجع السابق ،ص 87.

فوجد يغمراسن بن زيان يرحب بالوافدين الأندلسيين ويصدر ظهيرا سلطانيا للعناية بهم ، وذلك لعلمه يقينا بمهاراتهم في جميع المجالات ، ومنها النشاط الصناعي⁽¹⁾. ونجد السلطان أبو تاشفين الأول يهتم بأمر النصارى ويرفض تصريحهم معتذرا للملك أرغونة عن ذلك لدورهم في النهوض بالصناعة لأنهم متفنون و متمكنون فيها ، ومما جاء فيها: " ... وأما ما أشرتُم إليه من تسريح من عندنا من الأسرى ، فذلك لا يمكن أن يكون ... لأن ما عمر بلادنا إلا الأسرى ، وأكثرهم صناع متفنون في أنواع جميع الصناعات ، ولو طلبتم ما يستغني عنه الحال في تسريح خمسة أو ستة ليسعنا مطلبكم و قضينا إربكم ، و أما تسريح الجميع فصعب لأن ذلك يخلي المواضع ، ويعطل ما يحتاج إليه من أنواع الصنائع ، فإن أردتم أن تكون الصداقة بيننا وبينكم ، فيما عدا الأسرى ويكون حالنا وحالكم ... " ⁽²⁾.

لقد اعتمدت الصناعة بالمغرب الأوسط على عهد دولة بني عبد الواد الزيرية على يد عاملة فنية وخبرة تمثلت على الخصوص في الأندلسيين وأهل الذمة من النصارى واليهود الذين برعوا على الخصوص في صناعة المعادن الثمينة كالذهب والفضة⁽³⁾ ، إضافة التكوين الذي كان يتم على مستوى محلات الصناعة ، ومن ذلك ما أورده ابن مريم من أن العالم ابن زكري كان

⁽¹⁾ لقد أبدى يغمراسن بن زيان في رسالته كرما كبيرا ، واستعدادا لحمايتهم من أي اضطهاد. للإطلاع على نص الرسالة ينظر: أبو بكر بن خطاب ، المصدر السابق ، ص 159.

⁽²⁾ أحمد عبد القادر القريشي ، الحياة الأدبية في تلمسان في القرن الثامن الهجري (14 م) ، كلية الآداب ، جامعة الأردن ، عمان ، 1988 ، ص ص 148-165 ؛ Dhina (A) , le Royaume , p 227 ، حسين تواتي ، المرجع السابق ، ص 95.

⁽³⁾ مارس اليهود بالمغرب الأوسط على عهد دولة بني عبد الواد الزيرية عدة نشاطات صناعية منها الخياطة ، وصناعة السجاد والفخار ، الحدادة ، وصناعة الصابون ، لكن يبقى ميدان المعادن الثمينة الصناعة المفضلة لديهم ، والتي لم تقتصر على المغرب الأوسط فحسب بل امتدت عبر كامل المغرب الإسلامي . عن نشاطهم ينظر: برونشفيك ، المرجع السابق ، ص 243 ؛ فطمة بوعمامة ، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ 14-15 ميلادي ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر ، 2011 ، ص 204.

يتعلم في محل لصناعة النسيج والحياكة ، وكذلك كان الأطفال في سنه يتعلمون حرفا تكون لهم مهنة في المستقبل.⁽¹⁾

2- أهم الصناعات.

إن الدارس للنشاط الصناعي بالمغرب الأوسط على عهد دولة بني عبد الواد الزيرية يجد أن هذا النشاط كان يمارس على نمطين يختلفان باختلاف المناطق والغرض من ممارسته ، فنجدها في المجتمع البدوي صناعات استهلاكية ، لسد حاجتهم من الطعام ، والملبس ، والحيايم ، وأدوات للاستعمال الشخصي كصناعة الأسلحة للدفاع عن النفس.⁽²⁾ بينما نجدها في المدن ، وخاصة منها الكبرى تتميز بالتنظيم والاحتراف ، ويمارسها صناع ذوي مهارة ، ومتخصصون ، ودليل ذلك انتشار المراكز الصناعية عبر مختلف مدن المغرب الأوسط ، كتلمسان ، وجزائر بني مزغنة ، وشرشال ، وغيرها.⁽³⁾ وكان الصناع في هذه المدن يعيشون في رفاه هناء ومتعة.⁽⁴⁾

2.1- الصناعات الغذائية.

تأتي الصناعات الغذائية في مقدمة الصناعات نظرا لما توفره من مواد استهلاكية لجميع السكان ، وكذلك لانتشارها عبر أغلب مدن المغرب الأوسط. وتأتي في مقدمة الصناعات الغذائية طحن الحبوب ، وعصر الزيتون.

*- طحن الحبوب.

انتشر نشاط طحن الحبوب في أغلب مدن وبوادي⁽⁵⁾ المغرب الأوسط نظرا لثلاثة عوامل رئيسية وهي أن طحين الحبوب يمثل الغذاء الأساسي للسكان ، وأن أغلب زراعة بلاد المغرب

⁽¹⁾ وقد ترك ابن زكري تعلم الحرفة بطلب من العالم ابن زاغوا لتلمساني الذي أصبح يدفع لأمه انصف الدينار التي كان يتقاضاها من معلمه الحرفة. ينظر: البستان ، نشر محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908 ، ص 38 ، 39.

وعن موضوع تعلم الحرف ينظر: مختار حساني ، المرجع السابق ، ص 90.

⁽²⁾ لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص 56 ، 51 ؛ هوارية بكاي ، شركة آل المقرري ، ص 64.

⁽³⁾ مبخوت بودواية ، مجلة قرطاس ، ص 55.

⁽⁴⁾ اليعقوبي ، البلدان ، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2002 ، ص 196.

⁽⁵⁾ يبدو أن عملية طحن الحبوب في البوادي كانت تتم بواسطة رحي يدوية تتكون من صخرتين واحدة فوق الأخرى ، والتي في الأعلى تدور حول التي في الأسفل بواسطة عصى خشبية مثبتة عليها ، ويتم وضع الحب بين الصخرتين عن طريق

الأوسط تتمثل في الحبوب، والثالث وجود الماء الذي تدار به الطواحين وخاصة قرب الأودية، ومنها وادي السطفسيف، وادي ملوية، ووادي شلف.⁽¹⁾ ومن أهم المراكز التي انتشرت بها الطواحين تلمسان حاضرة الدولة حيث ذكر البكري أن بها عدة طواحين حين قال: "وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأنهار عليها طواحين، وهو نهر سطفسيف."⁽²⁾ وهو نفس ما ذهب إليه الوزان الذي حدد مكان هذه الطواحين حيث يقول في ذلك: "... وعلى بعد ثلاثة أميال شرق المدينة -أي تلمسان- ترى عدة أرحية لطحن القمح على نهر يدعى سفسف -يقصد السطفسيف-، وترى أخرى قرب المدينة على منحدرات رأس القلعة إلى جهة الجنوب."⁽³⁾ كما أقيمت طاحونات بالقرب من هنين⁽⁴⁾، ووهران التي قال عنها البكري: "ومدينة وهران حصينة ذات مياه سائحة وأرجاء ماء وبساتين."⁽⁵⁾ وتتركز الطواحين كذلك بمليانة⁽⁶⁾، وعلى طول وادي شلف كتلك التي أوردتها كتب الرحالة والموجودة بمستغانم وشلف وتنس وغيرها⁽⁷⁾، كذلك بمدينة الجزائر.⁽⁸⁾ وكانت هذه الطاحونات إما تابع للدولة أو ملك لبعض الأسر، وكانت تشغل العديد من العمال -وأغلبهم من الصبيان والغلمان- الذين يعملون على حمل الحبوب وجمع الطحين

=تقب في التي في الأعلى. وهذه الرحي كانت مستعملة في مختلف مناطق الجزائر إلى وقت قريب، وربما لا زالت هناك بعض المناطق التي تستعملها.

(1) مختار حساني، المرجع السابق، ص 95؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 2، ص 220؛ إدريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص 88. ونستنج من هذا أن أودية المغرب الأوسط كانت شديدة التدفق حتى تدير هذه الطواحين.

(2) المسالك والممالك، ص 746.

(3) وصف إفريقيا، ج 2، ص 20.

(4) قال الحسن الوزان عنها: "وتنتج الممتلكات القريبة من هنين حتى الآن كميات وافرة من الثمار، كالكرز والمشمش والتفاح والاحاص والخوخ وما لا يحصى من التين والزيتون. لكم لا يوجد من يقطفها في البساتين الواقعة على ضفة النهر القريب من المدينة حيث أقيمت الطاحونات." ينظر: وصف إفريقيا، ج 2، ص 15، 16.

(5) المسالك والممالك، ص 738.

(6) نفس المصدر، ص 725.

(7) البكري، المصدر السابق، ص 737؛ الوزان، المصدر السابق، ص 32؛ مختار حساني، المرجع السابق، ج 2، ص 95.

(8) البكري، المسالك والممالك، ص 732؛ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، ص 37.

،وأحيانا يحملون الحبوب من بيوت أصحابها إلى الطاحونة ،ثم يعيدونها إليهم بعد طحنه.(1)
ويبدو أن أرحية طحن الحبوب كانت رائجة وتتم بالشراكة ،وذلك ما نستنتجه من نازلة تطرق إليها الونشريسي حول حكم الشريكين في الرحي يقتسمان غلتها يوما بيوم.(2)

* - صناعة الزيت .

إن المصادر التي بين أيدينا لم تعطينا أماكن انتشار معاصر الزيتون ،ولا كيف كانت تُدار ،لكن ومن خلال كتاب المعيار يمكننا أن نستنتج أن عملية عصر الزيتون كانت تتم في أرحية الحبوب أو في نفس الورشة التي يتم فيها ذلك ،حيث جاء في النازلة أنه: " سئل عن رجل باع رحي أو معصرة الزيتون على شرط أن يطحن فيها طعامه ويعصر فيها زيتونه كذا وكذا سنة..."(3).

ويمكننا من خلال كتب الرحالة أن نستنتج أهم المدن التي انتشرت فيها معاصر الزيتون ،وذلك من خلال اشتهاها بوفرة الزيوت بها ،ومن أهم تلك المدن تلمسان وهنين(4) . أو تلك التي تكثر فيها غراسة الزيتون ومنها إقليم بني راشد وتنس ودلس والجزائر ،ويبدو أن انتشار غراسة الزيتون ووفرتها ادت إلى انتشار معاصره حتى أصبح المغرب الأوسط على عهد دولة بني عبد الواد الزيانية من مصدري هذه المادة إلى الدول النصرانية بأوروبا(5) وذلك رغم منافسة زيت زيت صفاقص من بلاد افريقية الذي اشتهر بجودته وزيت مكناس من بلاد المغرب الأقصى التي اشتهرت بوفرتها.(6) وكان الزيت يستعمل للطبخ والإنارة.

(1) مختار حساني ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 94.

(2) المعيار ،ج5 ،ص 236.

(3) نفس المصدر ،ص 256.

(4) يحيى بن خلدون ،بغية الرواد ،ج1 ،ص 10 ؛الحسن الوزان ،وصف افريقيا ،ج2 ،ص 15 ،16.

(5) مختار حساني ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 30.

(6) حيث يذكر صاحب الاستبصار أن " زيت مدينة سفاقص أطيب من أي زيت إلا المشرقي ،ومن الناس من يفضله عليه عليه ،ومنها يمتاز اهل افريقية بالزيت ،وتحملة المراكب إلى بلاد الروم. " . وذكر أن مدينة مكناسة اشتهرت بزراعة الزيتون ،وزيتها أكثر زيت في جميع المغرب ،المصدر السابق ،ص 116 ،117 ،وص 188.

ومن الصناعات الغذائية الأخرى التي اشتهر المغرب الأوسط الزياني بها تخفيف الفواكه، ومنها التين المجفف لاستعماله في فصل الشتاء والذي اشتهرت به تلمسان.⁽¹⁾ والعنب المجفف والمعروف بالزبيب فقد ذكر ابن مزوق الخطيب أن هذه الفاكهة كانت مفضلة لدى والده أبو العباس أحمد بن مرزوق (681-741هـ/1282-1340م) حيث قال في ذلك: " كان رحمه الله تعالى -يقصد والده- لا يأكل الفاكهة الخضرة على الإطلاق. وأعرف ذلك منذ عقلت. وكان يأكل الخضر، ويأكل من اليابسة التمر والزبيب والتين. "⁽²⁾ كما يبدو من خلال بعض طرق تخزين المحاصيل الزراعية المنتشرة حاليا في تلمسان والكثير من المناطق القريبة منها كبني سنوس وندرومة، والمناطق الجبلية أن سكان المغرب الأوسط كانوا يعملون على تخزين بعض الفواكه لفصل الشتاء سواء عن طريق تخفيفها أو تصبيرها كالشمش والزيتون والليمون. إضافة إلى العسل الذي يجنى من تربية النحل والذي اشتهرت به العديد من المناطق كذلك مثل تبهرت، وندرومة، وتنس والمناطق الجبلية كبني بوسعيد قرب تنس.⁽³⁾

2.2- الصناعات النسيجية.

إن حاجة الناس للباس لا تقل أهمية عن حاجتهم للغذاء لذلك نجد الصناعات النسيجية والحياكة من أكثر الصناعات انتشارا في المغرب الأوسط الزياني وهي من الصناعات التي عرفت تطورا كبيرا، وشهرة فاقت حدود دولة بني عبد الواد الزيانية.⁽⁴⁾

يعتبر الصوف والحريير والقطن المادة الأولية للصناعة النسيجية، وكلها مواد كانت تتوفر محليا. وكانت مراكز الصناعات النسيجية تتوزع في الدولة الزيانية تقريبا تبعا للأماكن التي تتوفر بها المادة الأولية المخصصة لهذه الصناعة أو تلك القريبة منها، فنجد مدينة ندرومة تختص

(1) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص20، وذكر البكري أن حصن تونت، ويبدو من خلال الوصف أنها منطقة تيات الحالية بالقرب من بلدية سواحلية شمال تلمسان، كان يحمل منه زبيب التين أي التين المجفف إلى ما يليه من النواحي. ينظر: المسالك والممالك، ص750، 751.

(2) المناقب المرزوقية، ص222. ونستنتج من قوله هذا أن التين المجفف كان منتشرا في تلمسان، وباقي المغرب الأوسط لأن زراعة التين كانت منتشرة في جميع أنحاءه.

(3) بن حوقل، المصدر السابق، ص ص78.

(4) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص20.

بالصناعات القطنية. قال الحسن الوزان: " ... وندرومة اليوم مزدهرة لكثرة الصناعات فيها، وينتجون على الخصوص أقمشة القطن لأنه يثبت بكثرة في الناحية. "(1) كما اشتهرت منطقة تبخرت بصناعة النسيج، وهو النشاط الغالب على سكانها. ويبدو أن أغلب نسيجهم من القطن الذي يجلبونه من مدينة ندرومة لأنها لا تبعد عنها سوى باثني عشر ميلا. يبدو أن سكان تبخرت كانوا يعملون لصالح شركة معينة أو شخص يسيطر على الصناعة النسيجية بالمنطقة لأن لباسهم المزري على حد قول الوزان يدل على فقرهم. كما يبدو أن مصانع النساجة أقيمت بالمنطقة بغرض التصدير، فقد ذكر البكري أن المدينة محط السفن، ومقصد التجار لقوافل سجلماسة وغيرها.(2)

واشتهرت وهران بجياكة الصوف لأنها كانت والمناطق المجاورة لها غنية بالماشية. قال ابن حوقل عن أهل وهران: "... وغلاتهم من القمح والشعير والماشية عندهم كثيرة. "(3) كما اشتهرت وجدة بنفس النوع من النسيج، وقد ذكر صاحب الاستبصار أن أهلها كانوا يصنعون من الصوف ألبسة لا مثيل لها في الجودة، ومن أشهرها العبيدي الذي كان يباع بخمسين دينارا ويزيد.(4)

واشتهرت مدينة شرشال بصناعة الحرير التي تطورت وازدهرت بفضل الأندلسيين الذين حلوا بالمنطقة واستغلوا كثرة التوت بها لتربية دود القز التي تعطي الحرير.(5) وتبقى تلمسان عاصمة الدولة أكثر المناطق شهرة في الصناعات النسيجية، وصناعتها هي الأجدود، وكان مطلوبا في المشرق والمغرب، وقماشهم معروف باسم مدينتهم "التلمساني" وهو مصنوع إما من الصوف الخالص أو الحرير الخالص منه المختوم ومنه غير المختوم.(6) وتميزت

(1) وصف افريقيا، ج2، ص14.

(2) المسالك والممالك، ص751؛ وصف افريقيا، ج2، ص14، 15.

(3) صورة الأرض، ص78، 79؛ وصف افريقيا، ج2، ص30.

(4) مؤلف مجهول، للاستبصار، ص177.

(5) الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج2، ص34.

(6) انفرد اللباس التلمساني عن غيره من ألبسة الدول الأخرى بالجودة والإتقان ونوعية القماش حتى أصبح بمفهوم اليوم علامة مسجلة لها ما تتميز به.

ملبوساتهم بكونها خفيفة الوزن متقنة الحياطة.⁽¹⁾ ومن الذين اشتهروا بالصناعات النسيجية آل النجار التلمسانية، ومنهم أبا زيد عبد الرحمن بن النجار الذي كان يمتلك معامل لغزل وحياسة ملابس رفيعة من الصوف كانت تسوق في مختلف الأقطار.⁽²⁾

2.3- الصناعة الخشبية.

كان لوفرة الثروة الخشبية دور في انتشار هذه الصناعة وازدهارها بالمغرب الأوسط، وأهم ما كان يصنع من هذه الثروة الأبواب والنوافذ، والأثاث من أسرة وخزانات وصناديق.⁽³⁾، والأواني المتزلية. هذه الأخيرة التي اشتهرت بها مدينة مليانة التي قال الحسن الوزان عن أهلها: "... يكاد يكون سكانها كلهم صناعا، نساجين أو خراطين، ويصنع هؤلاء أواني من خشب في غاية الحسن." ⁽⁴⁾ ويبدو من خلال الأبواب والنوافذ المنتشرة في بعض مساجد تلمسان ودورها اليوم أن الصناعات الخشبية تأثرت بالطابع الأندلسي أو سيطر عليها الأندلسيين لما تتميز به من زخرفة وفن أندلسي، ومن ذلك أحد ابواب المدرسة التاشفينية الموجود بمتحف تلمسان، وثرية المسجد الكبير. ومن أشهر من امتهن مهنة النجارة بتلمسان الجد الخامس لصاحب فهرست الرصاع أبي عبد الله محمد الأنصاري الذي كان يصنع منتجات يتفنن في ترصيعها، وهي في غاية في الجودة والاتقان.⁽⁵⁾

ومن المواد المستخلصة من الأخشاب الفحم الذي اختص به سكان المناطق الجبلية والذين كانوا يبيعونه في الحواضر بغرض استماله في الهو وتسخين الحمامات والأفران، والتدفئة في فصل

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 22؛ مبارك الملي، المرجع السابق، ج3، ص 484؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 245، 246؛ مبخوت بودواية، العلاقات، ص 270.

(2) ابن مرزوق، المجموع، ورقة 14، 15؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج2، ص 220؛ إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية في عهد الدولة الزيانية، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007/2006، ص 37. وفي رسالة الدكتوراه، ص 87.

(3) ذكر مختار حساني أن صناديق السلاطين وكبار التجار والموظفين كانت تصنع بتلمسان من الخشب وتنقش وتطلى بالذهب أو الفضة. المرجع السابق، ج2، ص 98.

(4) وصف افريقيا، ج2، ص 35.

(5) ينظر: أبو عبد الله محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص م من المقدمة؛ بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص 218؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 220.

الشتاء. ومن المناطق التي اشتهرت بصناعة الفحم جبال بني ورنيد جنوب تلمسان ، كما كانوا يبيعون الحطب على شكله الخام.⁽¹⁾

2.4- الصناعات الحديدية.

توفر الحديد على الخصوص بمنطقة تفسرة التي اشتهر سكانها بصناعته ، وكانوا لا يشتغلون بغيره. قال الحسن الوزان في ذلك: " ... فيها -يقصد تفسرة- حدادون كثيرون لأنه توجد بقرها عدة مناجم للحديد ... (وأهلها) لا يشتغلون بغير خدمة الحديد ونقله إلى تلمسان. "⁽²⁾ كما كانت توجد بالجبل القريب من مدينة أرزيو أو أرزاو كما سماها البكري كميات من هذا المعدن.⁽³⁾

وأهم السلع التي كانت تصنع من الحديد الأسلحة من سيوف ورماح ودروع ، والأبواب ومقابضها ، والمطارق والفؤوس والمحارث والشبايك والسكاكين وغيرها. ويبدو أن سكان تفسرة كانوا يحملون الحديد إلى تلمسان على شكله الخام ، وهناك يتم تصنيعه ، وهذا ما نستنتجه من قول صاحب البغية حين تطرق إلى الصناعات المنتشرة بالمدينة: " ... فمن دراق ، ورماح ، ودراع ، ولجام ، ووشاء ، وسراج ، وخباء ، ونجار ، وحداد ، وصائع ، ودباج وغير ذلك."⁽⁴⁾ ويبدو أن المناطق القريبة من أرزيو كانت هي الأخرى تشتغل بالصناعات الحديدية نظرا لوفرتة بالمنطقة ، وحاجتهم للوسائل وللوازم المصنوعة منه كالأسلحة للدفاع عن أنفسهم ، والمحارث لخدمة أراضيهم ، والألجمة لخيولهم.

(1) الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 44. ويبدو أن أغلب سكان المناطق الجبلية كانوا يجلبون الحطب لبيعه بالحواضر القريبة منهم نظرا لوفرتة بمناطقهم ، ومن ذلك سكان جبال جبل أغبال الذين يحملون حطبهم إلى وهران لبيعه. ينظر: نفس المصدر ، الصفحة نفسها.

(2) وصف افريقيا ، ج2 ، ص 24.

(3) قال البكري: " وبقر مدينة أرزاو جبل كبير فيه قلاع ثلاث مسورة ورباط يقصد إليه. وفي هذا الجبل معدن الحديد والزئبق. " . ينظر: المسالك والممالك ، ص 738.

(4) يحيى بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 323 ، 324 .

2.5- الصناعات الجلدية.

أدت وفرة الجلود المستخلصة من الثروة الحيوانية الكبيرة التي تتمتع بها بلاد المغرب الأوسط إلى انتشار الصناعات الجلدية بالعديد من المناطق، خاصة وأن منتوجاتها واسعة الاستعمال مثل الأحذية والنعال والسروج.

وارتبطت عملية الدباغة بالصناعات الجلدية، لأنها هي التي توفر المادة الأولية للورشات التي تقوم بتحويل الجلود إلى مواد قابلة للاستعمال. وتقوم عملية الدباغة على إزالة الشعر أو الصوف من الجلد باستعمال الماء ثم يقومون بتلوينها، ثم نشرها لتجف وتصبح قابلة للاستعمال.⁽¹⁾ كما اشتهرت تلمسان بصناعة معاطف من الجلد ومبطنة بالصوف وذلك حسب ما أورد جورج مارسي نقلا عن أريفيو شوفالييه الذي وصف أحد البرانس التلمسانية بأنه كان يلبس وقت المطر فلا يخرقه مأوها، وكان يجف فور نفضه.⁽²⁾

2.6- الصناعات الفخارية.

تعتبر صناعة الفخار هي الأخرى ذات أهمية لسكان المغرب الأوسط لما توفره لهم من مستلزمات ضرورية لاستعمالاتهم اليومية وخاصة منها الأواني من صحون وأوعية وجرار وغيرها. ومن المناطق التي اشتهرت في المغرب الأوسط بهذه الصناعة منطقة هنين، وتلمسان التي وجدت بها أفران خاصة بصناعة الأفران بباب العقبة وباب القرمادين.⁽³⁾ ويبدو أن صناعة الفخار كانت منتشرة في أغلب مدن وبوادي المغرب الأوسط لوفرة المادة الأولية بها.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ كانت عملية دبع الجلود تعتبر من العادات السلبية في المجتمع لما تسببه من أذى للرعية سواء عن طريق الدماء أو الرائحة الكريهة التي تنبعث منها، لذلك عارضها بعض الفقهاء، وكان المحتسب يأمر بإبعادها عن الطرقات حتى لا يتأذى الناس منها. ينظر: مختار حساني، المرجع السابق، ص 93. ويبدو أن هذه الحرفة كانت تمارس في أماكن محددة لها حيث لا تزال بعض الدروب بتلمسان تحمل أسماء متعلقة بها، ومنها درب الدباغين، ودرب منشر الجلد.

⁽²⁾ جورج مارسي، أشهر مدن الفن "تلمسان"، مطبعة موقان، البلدة، الجزائر، 2004، ص 100.

⁽³⁾ مختار حساني، المرجع السابق، ص 95.

⁽⁴⁾ تعد صناعة الفخار من أهم الصناعات التقليدية الجزائرية اليوم وهي منتشرة في مناطق عديدة الوطن، ومنها منطقة بيدر من ولاية تلمسان والتي يبدو أنها امتداد لما كان سائدا خلال العصر الوسيط.

ويمكن أن ندرج ضمن هذه الصناعة صناعة القرميد والخزف أو الزليج، والتي يبدو أنها عرفت ازدهارا ورواجا كبيرين، وذلك من خلال استعمالها الواسع في النمط العمراني لمملكة تلمسان على عهد دولة بني عبد الزيانية. حيث يذكر الوزان أن دور هنين كانت مبلطة بالزليج المزين سواء الأرضية أو السطوح، وجدراها مزينة بالفسيفساء.⁽¹⁾ وكذلك كانت دور، وقصور، ومساجد، ومدارس تلمسان مزينة بالزليج والفسيفساء، والقرميد.⁽²⁾

ويضاف إلى هذه الصناعات صناعات أخرى عرفها المغرب الأوسط على غرار باقي دول المغرب الإسلامي ومنها صناعة الذهب والفضة، والتي اقتصت بها الجاليات اليهودية⁽³⁾ والأندلسية، وتمثلت في صناعة الحلبي وضرب السكة أو العملة. من أشهر العائلات الأندلسية التي عملت في ضرب السكة آل الملاح القرطبية.⁽⁴⁾ إضافة إلى صناعة الورق

(1) وصف افريقيا، ج2، ص15.

(2) يقول عن الحسن الوزان في ذلك: "وتوجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة صينة... وخمس مدارس حسنة، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية... والقصر الملكي الواقع جنوب المدينة محاط بأسوار مرتفعة إلى حد كبير، على شكل قلعة، ويضم قصورا أخرى صغيرة ببساتينها وسقاياتها، وكلها مبنية بكامل العناية وبأسلوب رائع... وفي خارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية ينعم المدينيون بسكناها في الصيف." وصف افريقيا، ص19، 20.

(3) عن دور اليهود في صناعة المعادن الثمينة من ذهب وفضة ينظر: فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص204، 205.

(4) اشتهرت أسرة آل الملاح بالعلم والأدب والفقه، تقلد أفرادها عدة وظائف في دولة بني عبد الواد منها سك النقود وخطبة الأشغال، والحجاية، والوزارة. ومن أشهرهم محمد بن ميمون بن الملاح، وابنه الأشقر وإبراهيم بن محمد بن الملاح. للمزيد عن هذه الأسرة ينظر: يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص205 وص214؛ التنسي، المصدر السابق، ص138؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص178، 179.

المعروف بالكاغد، ونسخ الكتب وتجليدها.⁽¹⁾ وصناعة الأصبغة الدهانات⁽²⁾، وصناعة العطور و مواد التنظيف ومنا الصابون.⁽³⁾

عرفت الصناعة في دولة بني عبد الواد الزيانية تطورا كبيرا بفضل وفرة المواد الأولية من نباتية ومعدنية، ورعاية سلاطين الدولة لها واهتمامهم بها، وكذلك بفضل وفرة اليد العاملة الفنية والمتخصصة. كما كان للأندلسيين دور كبير في تطويرها وتنوعها حيث يذكر ابن الأعرج أن تلمسان عرفت بعد نزول هذه الفئة بها ازدانت بالمصانع المفيدة، ومنها الصناعات النسيجية، ومعامل الفخار والخزف، وصناعة السلاح، وجميع أنواع الأواني المزلية.⁽⁴⁾

وكانت الصناعة تمارس على نمطين أولهما تقليدي يتم في البوادي والمناطق الجبلية بما توفر لديهم من مواد أولية كالغزل وحياسة الصوف وصناعة الفحم، وتلك المتعلقة بالجلود والألبان. والثانية متطورة تتم في المراكز الحضارية كتلمسان وشرشال وتنس وجزائر بني مزغنة، واشتهرت بالجودة والاتقان، والوفرة حتى أن الكثير منها كان موجه للتصدير كالألبسة والزيوت والفواكه المجففة.

⁽¹⁾ يذكر محمد عمرو الطمار أن صناعة الورق كانت منتشرة بتلمسان ودليله في ذلك كثرة الوراقين، وانتشار عملية نسخ وتجليد الكتب. ينظر: تلمسان عبر العصور، ص 182. ومن بين الذين اشتهرو بعملية النسخ والتجليد أبو عبد الله محمد بن أبي بكر محمد بن مرزوق الذي كانت مهنته نسخ تجليد المصاحف، وكان منها يتعيش على حد تعبير ابن مرزوق الخطيب. المسند، ورقة 3؛ المناقب المرزوقية، ص 148؛ نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 275.

⁽²⁾ ابن مرزوق الخطيب، المسند، ص 492.

⁽³⁾ اشتهرت بتلمسان عدة أحياء باسم الصناعات التي كانت قائمة بها ومنها على سبيل المثال درب العطارين، وذراع الصابون. ينظر: عبد العزيز الفلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 220؛ ادريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص 83.

⁽⁴⁾ زبدة التاريخ، ورقة 76، 97.

المبحث الثالث: التجارة.

التجارة هي عملية البيع والشراء سواء سلعا أو خدمات من أجل تحقيق ربح ،وهي ضرورية في النشاط الاقتصادي الذي لا يكتمل إلا بها ،فلا معنى ولا فائدة من ممارسة الزراعة والصناعة إذا كسدت التجارة لأن المزارع والصانع لا بد لهما من تصريف منتجاتهما ليجددا نشاطهما وإلا سيتعطل نشاطهما إن تكدر ما أنتجها من سلع.

ويعرف عبد الرحمن بن خلدون التجارة بقوله: " إن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال ،بشراء السلع بالرخص ،وبيعها بالغلاء ،أيا ما كانت السلعة ،من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش. وذلك القدر النامي يسمى ربحا... ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطالب الكشف عن حقيقة التجارة: أنا أعلمها لك في كلمتين ،اشترى الرخيص وبيع الغالي. "(1)

ولما كانت السلع لا تتوفر كلها في بلد واحد ،فكان لابد للتجار أن يجلبوا ما تفتقده بلادهم ،ويحملوا من بلادهم إلى البلاد الأخرى ما تفتقده ،وبالتالي تصبح التجارة عبارة عملية تصريف المنتجات إما داخل البلد وتسمى تجارة داخلية أو خارجها وتسمى تجارة خارجية.

وقد أدرك حكام دولة بني عبد الواد الزيرية هذه الحقيقة فسعوا إلى التشجيع على ممارسة النشاط التجاري على المستويين الداخلي والخارجي ،وذلك لما لهذا النشاط من فائدة على الصعيدين الاجتماعي والمالي. فهي من جهة توفر للسكان ما يحتاجونه من متطلبات الحياة وبأثمان تتناسب ووضعياتهم الاجتماعية ،وتمكن المزارعين والصناع من تصريف منتجاتهم. ومن جهة أخرى تدر على الدولة موارد مالية هامة بفضل مختلف الضرائب التي تفرضها على التجار. (2)

1- تشجيع سلاطين بني عبد الواد على التجارة.

من مظاهر تشجيع سلاطين بني عبد الواد على ممارسة التجارة.

(1) المقدمة ،ص 412.

(2) سنتطرق إلى هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل اللاحق من هذه الدراسة.

1.1- تنظيم الأسواق.

حيث عمد سلاطين بني عبد الواد إلى تنظيم الأسواق في المدن، ومراقبتها، ومن ذلك أنهم أقاموا في أسواق المدن لكل سلعة مكان خاص بها -فتجد على سبيل المثال- سوق العطارين، سوق الخرازين، سوق الغزل، وغيرها.⁽¹⁾ ومن المدن التي اشتهرت بأسواقها مدينة تنس ومدينة جزائر بني مزغنة.⁽²⁾ ومدينة وجدة التي اشتهرت دكاكين سوقها بالإتقان.⁽³⁾ أما تلمسان فاشتهرت بقيصارياتها وهي عبارة عن حي تجاري كبير فيه العديد من الدكاكين التي تبيع مختلف السلع، وكانت توجد في أروقة مغطاة.⁽⁴⁾

1.2- توفير الأمن.

يعد الأمن عنصرا أساسيا لممارسة النشاط التجاري لذلك سعى سلاطين بني عبد الواد أو عمالهم على توفير الأمن بالأسواق الداخلية التي تقام في دائرة أمير يكون قادرا على حمايتها وتوفير الأمن بها لذلك غالبا ما كانت هذه الأسواق تحمل اسم الأمير الذي تقام في منطقتها فيقال مثلا سوق حمزة، سوق ابراهيم، سوق يوسف.⁽⁵⁾ أما قوافل التجارة الخارجية فغالبا ما كان سلاطين الدولة يكلفون القبائل العربية بحراسة المسالك التجارية.⁽⁶⁾

(1) وقد كانت هذه المحلات موزعة على مختلف أزقة وساحات تلمسان، ويبدو أن محلات المدن الأخرى كانت كذلك، خاصة وأن هذا النمط كان متبع في أغلب مدن المغرب الإسلامي مثل فاس. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 19؛ مختار حساني، المرجع السابق، ص ص 46-50.

(2) البكري، المسالك والممالك، ص 726، 727، وص 732؛ الاستبصار، ص 133. وذكر الحسن الوزان أن مدينة الجزائر منسقة الدور والأسواق لكل حرفة مكانها الخاص. وصف إفريقيا، ج2، ص 37.

(3) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 13.

(4) أسس القيصرية السلطان أبو حمو موسى الأول وسط مدينة تلمسان وأحاطها بسور له عدة أبواب، وجعلها سوقا منظمة جمع فيه جميع أنواع التجارات. ينظر: (G) Marçais, Tlemcen et le commerce Euro-Africain au moyenne âge, revue Euro-Afrique, juillet, 1953, p8; (S.A) Bouali, les deux grands sièges de tlemcen, E.N.A.L, Alger, 1984, p107.

عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 135، 136.

(5) مبخوت بودواية، العلاقات، ص 271.

(6) مختار حساني، المرجع السابق، ص 43، 44.

1.3- مراقبة الأسواق.

عمد سلاطين بني عبد الواد إلى فرض رقابتهم على الأسواق لمحاربة الغش في المنتجات والمكايل من أجل الحفاظ على حقوق الرعية، وقد وضعوا خطة الحسبة للإشراف عليها، وكان عامل هذه الخطة يسمى المحتسب الذي كان دوره مراقبة نوعية السلع وصحة وسلامة المكايل، والتلاعب بالأسعار.⁽¹⁾

1.4- انشاء الفنادق.

تعد الفنادق⁽²⁾ مرافق هامة للنشاط التجاري فهي مقر إقامة التجار والقناصل وممثلي الشركات التجارية⁽³⁾، وعادة ما كانت هذه الفنادق تبني بالقرب من الأسواق. وتشير كتب الرحالة والجغرافيين إلى انتشار الفنادق في أغلب مدن المغرب الأوسط، ومنها جزائر بني مزغنة ووهران وتلمسان.⁽⁴⁾ وكان الطابق الأرضي من هذه الفنادق التي كانت تتألف من طابقين أو ثلاثة مخصص للدكاكين والمخازن، والإسطبلات، والحمامات، والأفران.⁽⁵⁾

2- التجارة الداخلية.

تمارس التجارة الداخلية في دولة بني عبد الواد الزيرية على عدة طرق أولها كانت تمارس في أسواق المدن في دكاكين معلومة، ومن ذلك القيصارية وأسواق جزائر بني مزغنة وتنس

(1) "الحسبة خطة دينية تعتمد على الأمر بالمعروف والنهي على المنكر. يتولاها موظف تابع للقضاء يدعى المحتسب يتخذ معاونين ومساعدين ينتشرون في الأسواق والشوارع لتغيير المنكرات والتشجيع على أعمال الخير والمعروف. ويهتم صاحب السوق أو المحتسب بمراقبة السلع والموازين والمكايل منعا للغش والتلاعب بالأسعار." ينظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 245.

(2) حسب ماس لاتري فإن معنى فندق هو المخزن أو السوق، بينما يرى لوتورنو أن معناه هو التزل الذي يؤوي الأشخاص والحيوانات. ويبدو من خلال وطائف الفندق في المغرب الاسلامي عموما والمغرب الاسلامي خصوصا أنه يحمل نفس المعنيين ففيه كان يتزل التجار والقناصلة الأجانب، وفيه أيضا كانت تخزن البضائع المستوردة وتتم صفقات وعمليات بيع السلع المستوردة والمحلية. ينظر: عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 136-139

(3) عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 136؛ Bouali, op.cit, p107.

(4) البكري، المسالك والممالك، ص 732؛ الاستبصار، ص 123؛ الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج 2، ص 20 وما بعدها. ابن مريم، البستان، ص 275.

(5) عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 137.

وغيرها كما أسلفنا. وكانت هذه الأسواق مكانا لتصريف المنتوجات المحلية أو تلك المجلوبة من المدن الأخرى أو من خارج الدولة الزيرية أي المستوردة، فمثلا كانت السلع المحلية المقتناة من قبل تجار الجملة تباع بالمزاد العلني تحت اشراف ممثلي الدولة من الجمارك، ثم ينقلها مشتروها من تجار التجزئة إلى محلاتهم ودكاكينهم لبيعها للسكان.⁽¹⁾

وتمثلت الطريقة الثانية في تصريف السلع بالأسواق الأسبوعية والموسمية، وهي عديدة منتشرة عبر العديد من مناطق المغرب الأوسط، ومنها سوق معسكر من اقليم بني راشد الذي زاره الحسن الوزان وقال عنه: " وتسمى الثانية المعسكر، وبها يقيم خليفة الملك مع فرسانه، يعقد فيها سوق كل خميس يباع فيها عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل، وكثير من منسوجات البلاد وأشياء أخرى أقل قيمة، كالحبال والسروج والأعنة وحاجيات الخيل.⁽²⁾ وسوق ريغة، وسوق ابراهيم، وسوق ندرومة الذي كان يقام يوم الخميس وكانت تفصده تقصده القبائل المجاورة لها لبيع منتوجاتها من حبوب وأصواف وجلود وزراني وبرانس وأواني فخارية.⁽³⁾ وهناك أسواق المواشي التي كانت تقام خارج المدن، ومنها تلك التي كانت تقام خارج النطاق العمراني لمدينة تلمسان⁽⁴⁾، ومنها سوق سيدي بوجمعة الذي يقع إلى الغرب من المدينة والذي كان يقام كل يوم أربعاء ففي رواية لابن مريم عن ابن محمد الشريف المليتي أنه سرق⁽⁵⁾ لضيف أيه لجام حصان فوجده يباع في سوق سيدي بوجمعة

(1) عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 137.

(2) وصف افريقيا، ج2، ص 26، 27.

(3) مختار حساني، المرجع السابق، ص 46.

(4) عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 135.

(5) يبدو أن السرقة كانت منتشرة في أسواق تلمسان والمغرب الأوسط ومن ذلك سرقة لجام ضيف الشريف المليتي، وسرقة ثياب ابنته، وسرقة تلاليس خيل ضيوفه كما أورده ابن مريم في ترجمة للشيخ، وكذلك ما أورده الوزان عن عنان فرسه الذي سرق منه بسوق معسكر، واعتراف نائب الملك - ولعله يقصد نائب خليفة الملك - بانتشار السرقة في المنطقة. وما أورده ابن الزيات التادلي أنه كان لأسواق تلمسان حراس يجرسون الدكاكين والسلع. لبستان، ص 280؛ وصف افريقيا، ج2، ص 27؛ ابن الزيات أبو يعقوب يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، المملكة المغربية، 1984، ص 370.

يوم الأربعاء⁽¹⁾. ومن خلال هذه الرواية نستنتج أن أهم ما كان يباع في هذا السوق، المواشي والبهائم، وما تعلق بها من لوازم كالسروج، واللحام، والحبال والعلف وغيرها⁽²⁾. ولعل من جملة ما كان يباع فيها حمير وجدة التي ذكر الوزان أنها كانت تسوق لتلمسان⁽³⁾. والمنتجات التي كان يجلبها سكان جبال بني ورنيد من فحم وحطب وعسل وحليب، والتي كانوا يزودون بها سكان المدينة⁽⁴⁾.

وكانت الأسواق تجسد علاقة الريف بالمدينة، حيث كان سكان البوادي والمناطق الجبلية يزودون سكان المدن بما يحتاجونه من منتجات المنطقة كالألبان والأصواف والعسل وغيرها. ويتزودون من المدينة بما يحتاجونه من ألبسة ونعال وأواني وقناديل، وغيرها من بضائع⁽⁵⁾. أما الطريقة الثالثة فتمثلت في الباعة المتجولين في البوادي والذي كان يمارسه صغار التجار، ومنهم بني عامر، وقبائل البدو الرحل الذين كانوا يتزودون بالسلع التي يبيعونها عن طريق المقايضة⁽⁶⁾.

3- التجارة الخارجية.

جعل موقع المغرب الأوسط أسواق الدولة الزيانية همزة وصل بين أسواق المغرب والمشرق الاسلاميين، وبين أسواق أوربا وإفريقيا السوداء⁽⁷⁾. وتنوعت جنسيات التجار في دولة بني عبد الواد الزيانية فكان منهم من الرعية مسلمين وذمييين يهود، أو من رعايا الدول الأوربية من المسيحيين واليهود الذين كانوا أنشط التجار، وقد تزايد عددهم منذ سنة 1391م

(1) البستان، ص 280.

(2) عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 135؛ مختار حساني، المرجع السابق، ص 49.

(3) وصف اقرقيا، ج 2، ص 13.

(4) ابن مرزوق الخطيب، المجموع، ورقة 2؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 44.

(5) عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 136.

(6) مختار حساني، المرجع السابق، ص 41؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 216، 217.

(7) مبخوت بودواية، العلاقات، ص 272؛ محمد مكوي، المرجع السابق، ص 26.

(794/793هـ) بعدما اضطهدهم النصارى بالأندلس.⁽¹⁾ وكان التجار ينتقلون مع القوافل التجارية بين مختلف المدن المشهورة بأسواقها، سواء بالمغرب الأوسط، أو أوروبا، كما كانوا يقومون بدور الوسيط بين التجار المسلمين والتجار الأوربيين.⁽²⁾

أما فيما يخص السلع فنجد السوق الزيانية تزود افريقيا السوداء بالأسلحة، ووالمصنوعات الزجاجية، وبعض المنتجات الزراعية، وهذه السلع إما محلية، أو أوربية يعيد تجار بني زيان بيعها. وتزود المدن الأوربية بالمنتجات الزراعية والعسل والزيت، وكذلك الصوف والجلود، إضافة إلى السلع الواردة من افريقيا السوداء. بالمقابل كانت السلع الواردة الى المغرب الأوسط من أوروبا تنحصر في المنسوجات والأسلحة من رماح وسيوف وخناجر، وكان العبيد والذهب أهم السلع الواردة من افريقيا السوداء.⁽³⁾

وأما المسالك والطرق التجارية فيمكن أن نميز منها :

أ - **الطرق البرية** : وأشهرها الطريق الذي سلكه ابن بطوطة والعبدي، والذي ينطلق من تازة إلى بجاية مرورا بندرومة، تلمسان، مستغانم، مازونة، تنس، مليانة، والجزائر.⁽⁴⁾ والطريق الذي ينطلق من منسا عبر ميمما، وتمبوكتو، وكوكو، و تكدا، والحقار، إلى توات فسجلماسة، ومنها إلى تلمسان.⁽⁵⁾

ج - **الطريق البحري** :

⁽¹⁾ فوزي سعد الله، يهود الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة، الجزائر 1996، ص 40.

⁽²⁾ نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة (د. ت)، ص 308؛ Dhina (A) , op cit , p 357.

⁽³⁾ مبخوت بودواية، العلاقات، ص 272، 273؛ محمد مكوي، المرجع السابق، ص 26.

⁽⁴⁾ ينظر: الرحلة العبديية، تحقيق بن حدو، مطبعة البعث، قسنطينة 1964، ص 22؛ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني، ط 1، ج 2، مؤسسة الرسالة، بيروت 1975، ص 755 - 757.

⁽⁵⁾ للمزيد عن هذه المسالك، و معرفة الأسماء الحالية لهذه المدن ينظر: مبخوت بودواية، العلاقات، ص 295-301؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 216، 217.

كانت المبادلات التجارية مع أوروبا تتم عبر البحر الأبيض المتوسط انطلاقاً من موانئ هنين، وهران، أرزيو، تنس، برشك، شرشال، والجزائر.⁽¹⁾

لقد تمكن سلاطين بني عبد الواد بفضل تشجيعهم على التجارة، ورعايتهم لها من تحقيق التكامل الاقتصادي بين مختلف مدن مملكتهم، وبين المدن البوادي وذلك عن طريق إقامة الأسواق اليومية والأسبوعية، وحتى الموسمية، كما ضمنوا للصناع والمزارعين تصريف منتجاتهم الأمر الذي شجعهم على زيادة الانتاج. كما كان لموقع الدولة وسطاً بين دول المغرب الاسلامي والسودان الغربي وأوروبا الفضل الكبير في ازدهار التجارة الخارجية، وضمن تمويل الدولة بما تحتاج من سلع ومواد أولية، وتصدير الفائض من الانتاج المحلي، خاصة وأنه كان يتميز بالجودة والإتقان. فانعكس ذلك على الدولة التي ضمنت مصادر تمويل جديدة تمثلت في مختلف الضرائب المفروضة على النشاط التجاري. وانعكس على الرعية الذين تحسنت أحوالهم الاجتماعية بفضل تحسن مداخيلهم.

لقد وفر المغرب الأوسط للدول المتعاقبة على حكمه ومن بينها دولة بني عبد الواد الزيرية الامكانيات اللازمة لبناء اقتصادها. من مواد أولية زراعية وصناعية، وذلك بفضل موقعه الهام، وتعدد المناخ، وتنوع التضاريس والتربة، ووفرة المياه من وديان وعيون.

كما كان لموقعه وسطاً بين دول المغرب الاسلامي، وقربه من أوروبا شمالاً والسودان الغربي جنوباً الدور الكبير في تنشيط التجارة الخارجية، وانتعاش خزينة دولة بني عبد الواد الزيرية بفضل المكوس وضريبة الجمارك المفروضة عليها، وهذا ما سيكون له الأثر الايجابي على الموارد المالية للدولة التي استغلها سلاطينها للبناء والتشييد، وبناء قوتهم العسكرية، والحفاظ على دولتهم، واستئلاف الرعية والقبائل العربية والبربرية وإخضاعها، ومن ثم استعمالها في الحروب الخارجية، وردع التمردات الداخلية.

(1) بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 217. وقد خصصنا الفصل الثالث من الباب الثاني من هذه الدراسة لموضوع العلاقات التجارية الخارجية لدولة بني عبد الواد الزيرية، عوامل ازدهارها، طرقها، وأهم أطرافها في دراسة مفصلة.

الفصل الثاني: حكامه يغمراسن بن زيان وأبي حمو
موسى الثاني في التسيير المالي.
المبحث الأول: جهود كل من يغمراسن وأبي حمو موسى
الثاني للنهوض باقتصاد دولتيهما.
المبحث الثاني: إرادات الدولة الزيانية على عمدي
يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني.
المبحث الثالث: حكامه يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى
الثاني في ترشيد النفقات.

ينعكس الوضع الاقتصادي على الدولة من خلال المداخيل التي تحصلها منه. فإن كان اقتصاد الدولة مزدهرا زادت مداخيلها ونمت، وإن كانت الأوضاع الاقتصادية متردية قلت مداخيلها وانكمشت. لأجل هذا يسعى الحكام إلى النهوض باقتصاد دولهم والحرص على ازدهاره، لأنه المحرك الوحيد للتسيير الحسن، وضمن الاستقرار.⁽¹⁾

لذلك سعى كل من السلطان يغمراسن بن زيان، والسلطان أبي حمو موسى الثاني إلى العناية بالنشاط الاقتصادي لدولتهما. فكلاهما يشتركان في هدف واحد وهو ضمان بقاء الدولة واستمرارها رغم الاختلاف في ظروف تول الحكم بينهما. فالأول كان في مرحلة تأسيس ملك لم يألفه قبيله من قبل في ظل ظروف سياسية صعبة، فمن جهة الدولة الموحدية التي منحت بني عبد الواد زعامة المغرب الأوسط كانت لا تزال قائمة وتفرض سلطانها على المنطقة وإن رمزيا، ومن جهة أخرى كان كل من الحفصيين والمرينيين يسعون جاهدين إلى ضم المغرب الأوسط على اعتبار أن كل واحدة منهما كانت ترى أنها الأحق في خلافة الموحيدين.⁽²⁾ والثاني كان في مرحلة استرجاع ملك لأسلافه تشتت قوامه المتمثل في عصبية قبيل بني عبد الواد، وكادت تمحى رسومه، وكان لابد له تثبيته والحفاظ عليه لتجنب ما حدث له من قبل.⁽³⁾

(1) قال أبو حمو موسى الثاني: "اعلم يا بني أن المال به تدفع العدى، وحصن يتقى به من الردى. به تدفع آلام الأعراض، ويتوصل إلى المقاصد والأغراض، وبه تستفتح الصياصي - أي الحصون المنيعة -، وتستملك النواصي، ويقاد العاصي، ويستدنى القاصي، وبالمال تستعبد الرجال، وتبلغ الآمال، تدل به الرقاب، وتستفتح به الأبواب، وتسهل الأمور الصعاب، وتنال به الرغائب، وينجى به من المصائب." واسطة السلوط، طبعة تونس، ص 28.

(2) عن هذا الموضوع ينظر: عطاء الله دهينة، الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 359، 360؛ هوارية بكاي، العلاقات الزيرية المرينية، ص 29-30؛ محمد مكيوي، دور يغمراسن بن زيان، ص 207.

(3) بعد هزيمة بني عبد الواد في معركة أنجاد أمام المرينيين تفرق من لم يقع في أسرهم إلى مختلف النواحي، فممنهم من هاجر إلى الأندلس، ومنهم لجأ إلى الصحراء أو افريقية. ينظر: زهر البستان، ج 2، ص 13 عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 75.

ولما كان المال عاملا أساسيا في مثل هذه الظروف لأنه يضمن اعداد الجيوش واستتلاف الرعية ،وضمن ولاء القبائل المجاورة. كان لزاما على كل منهما البحث عن موارد تحصيله ،وحسن استعماله.

فإلى أي مدى كان كل من السلطانيين يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية ،وأبي حمو موسى الثاني محيي أبقاها حكيمين في جانب التسيير المالي؟ وما هي أهم الموارد المالية التي اعتمدا كل منهما؟ وما هي أهم مجالات انفاقهما؟

لما كان النشاط الاقتصادي أهم مصادر الموارد المالية للدولة ارتأينا أن نتطرق إلى حكمة كل من السلطان يغمراسن بن زيان والسلطان أبي حمو موسى الثاني في النهوض باقتصاد دولتيهما ،وماهي أهم الاجراءات التي اتخذها كل منهما لتحقيق ذلك.

المبحث الأول: جهود كل من يغمراسن وأبي حمو موسى الثاني للنهوض باقتصاد دولتيهما.

1- يغمراسن بن زيان.

تولى يغمراسن بن زيان زعامة قبيل بني عبد الواد ،وأعلن قيام دولته وهو يعلم أنه لا بد له من موارد مالية تعينه على ما أقدم عليه ،خاصة وأنه في بداية أمره اعتمد على قبيله في تنظيم دولته ،وتجهيز جيوشه ماديا وبشريا.⁽¹⁾ لذلك لم يقطع علاقته بالموحدين وظل يدعو لهم على منابرهم ،وضرب العملة بأسماء خلفائهم ،وأخذ التقليد والعهد من الخليفة الموحد.⁽²⁾ فضمن بتصرفه هذا الدعم المادي من قبلهم ،وهذا ما تجسد من خلال الهدايا التي أرسلها له الخليفة الموحد عبد الواحد الرشيد بن المأمون.⁽³⁾ والتودد إليه بالعطايا والهدايا ،والجرايات.⁽⁴⁾

(1) يذكر بوزياني الدراحي أن بني عبد الواد قبل قيام دولتهم كانوا يملكون موارد مالية كبيرة جراء امتهاهم الرعي والزراعة الموسمية ،مكنتهم في بداية الأمر من الهيمنة على قبائل المغرب الأوسط ،والاستئثار به دون الموحدين لاحقا ،ويبدو أن يغمراسن بن زيان اعتمد على هذه الثروة في تجهيز جيوشه وتنظيم دولته من اتخاذ للوزراء والكتاب والحجاب وغيرها من مظاهر الملك والسلطنة. ينظر: النظم ،ص 31 ؛خالد بلعري تلمسان من الفتح الاسلامي ،ص 236.

(2) عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،مج 4 ،ص 2759.

(3) يحيى بن خلدون ،بغية الرواد ،ج 1 ،ص 112.

(4) يحيى بن خلدون ،المصدر السابق ،ج 1 ،ص 205 ؛التنسي ،المصدر السابق ،ص 116.

ولضمان موارد مالية دائمة لدولته شجع على التجارة الخارجية خاصة بين الدولة النصرانية الأوربية وبلاد السودان ،مستغلا في ذلك موقع مدينة تلمسان وسطا بين المنطقتين⁽¹⁾ والتي كانت من أكبر أسواق المغرب الاسلامي بفضل ما يرد إليها من أسلحة أوروبا والتي تستبدل بواردات بلاد السودان الغربي من عاج وريش النعام وتوابل.⁽²⁾ كما شارك هو وبعض أهل بيته في التجارة.⁽³⁾

بعد أن نظم يغمراسن بن زيان دولته وجهاز جيشه ،وأمن جانب الموحدین شرع في توسعة مملكته بأن قام بإخضاع الخارجين عن طوعه من القبائل البربرية من توجين وبني مطهر وغيرها.⁽⁴⁾ هذه وإن كان يطغى عليها الجانب السياسي وبسط النفوذ ،والانتقام لمقتل أخيه.⁽⁵⁾ فإنها بلا شك لها أبعاد اقتصادية ،فهذه القبائل كانت تسيطر على أجود أنواع الأراضي من حيث الخصوبة والمناخ ،والتي تمد على حوض شلف ،والمناطق المجاورة له ومنها البطحاء التي كانت تنتج الكثير من الملح.⁽⁶⁾ وكان يغمراسن بن زيان مصرا على بقاء هذه المناطق تحت

(1) يذكر جورج مارسى أن موقع مدينة تلمسان بالنسبة للمبادلات التجارية العالمية آنذاك هو الأفضل في بلاد المغرب الإسلامي ،فهى همزة وصل بين الشرق والغرب ،وبين الشمال والجنوب. ينظر: تلمسان ،ترجمة سعيد دحماني ،نشر دار التل ،الجزائر ،2004 ،ص 97 ،98 ؛مباركي عبد المجيد ،جورج مارسى تلمسان -المدينة التجارية والحرفية- ،مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية ،العدد التجريبي ،ديسمبر ،2008 ،ص 175-180.

(2) ساهم اقبال التجار الأوربيين على المنتوجات المحلوبة من السودان الغربي ،واستيراد الأسلحة من أوروبا وتصديرها إلى بلاد السودان الغربي في انتعاش خزينة دولة بني عبد الواد بفضل الضرائب المفروضة على هذه التجارة. ينظر: مبخوت بودواية ،المرجع السابق ،ص 275 ؛محمد مكوي ،يغمراسن بن زيان ،ص 207 ؛بوزيانى الدراجي ،المرجع السابق ،ص 219 ،220.

(3) محمد مكوي ،يغمراسن بن زيان ،ص 207.

(4) عن هذا الموضوع ينظر الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الدراسة.

(5) قتل أبو العزة زيدان بن زيان سنة 633 في معركة خارج تلمسان درات بين بني عبد الواد وبني عمومتهم بني مطهر بن بمل المدعومين من قبل بني راشد ،وهم من بني عمومة بني عبد الواد كذلك. ينظر: هوارية بكاي ،العلاقات الزيباني المرينية ،ص 27 ،28.

(6) تتميز هذه المنطقة بالسهول الخصبة ومنها سهل شلف ،وسهل البطحاء ،وتزخر بموارد مائية هامة يوفرها وادي شلف ووادي مينا ،كما تشهد انتظاما في التساقط. وقد تطرقنا إلى ذلك في الفصل الأول من الباب الثاني من هذه الدراسة.

سيطرة دولة بني عبد الواد ،ومن ذلك أنه قام بمهاجمتها حتى بعد أن أصبحت تحت حماية الحفصيين بعد أن ساندتم تلك القبائل على غزو تلمسان كما أسلفنا.⁽¹⁾

كما كان في اقطاعه لبعض القبائل العربية الأراضى المجاورة لتلمسان ومنها قبيلة بني عامر التي أقطعها سهول شرق تلمسان - ما بين سيدي بلعباس ووهران - والتي تضم سهل تسالة الذي كان وحده يكفي لتموين تلمسان بما تحتاج من حبوب. إلى جانب العناية بالمجال الزراعي ،وتربية المواشي ،فهؤلاء القوم أهل بادية اشتهروا بالرعي واستقرارهم بهذه السهول يجعلهم يمارسون النشاط الفلاحي وخاصة زراعة الحبوب التي توفر لهم حاجتهم الغذائية ولمواشيهم العلف والكأ.⁽²⁾

ومن العوامل التي ساهمت في النهوض بالاقتصاد في دولة بني عبد الواد على عهد يغمراسن بن زيان عنايته بالأندلسيين لعلمه بمهاراتهم في هذا الجانب⁽³⁾، وخاصة وأنهم كانوا قد استقروا بمدن المغرب الأوسط ومنها وهران وتنس وتلمسان ،وساهموا بشكل كبير في تطوير الصناعة والزراعة بها. ومن ذلك أنه اصدر ظهير ملكيا يسمح لهم بالاستيطان بمملكته وهذا ما يمكن أن نستشفه من هذا الظهير الذي جاء فيه: " ... وأشاد بما له فيهم (أي أهل الأندلس) من المقاصد الكرام ،وأضفى عليهم من جنن حمايته ما يدفع عنهم طوارق الاضطهاد والاهتضام ،حين اختبر خدمتهم فشكروا ما تولوا فيها من الجهد والاجتهاد. واطلع على أغراضهم السديدة في اختيارهم حضرته السعيدة للسكنى على سائر البلاد ،فلحظ لهم هذه النية واعتبرها ،وأظهر عليهم مزايا ما لهم من هذه المناحي الحميدة وآثارها. "⁽⁴⁾

⁽¹⁾ ينظر الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الدراسة.

⁽²⁾ وبممارستهم للزراعة وتربية المواشي يضمنون بعض المواد الأولية للنشاط الصناعي ومنها الصوف والجلود والألبان.

⁽³⁾ أحمد عزراوي ،المغرب والأندلس ،ص 17.

⁽⁴⁾ ابن خطاب ،المصدر السابق ،ص 34.

تمكن يغمراسن بن زيان بجهوده هذه من النهوض باقتصاد دولته وتوفير الموارد المالية والبشرية اللازمة لتغطية مصاريفها ، وتحسين الأوضاع الاجتماعية لرعية مملكته ، ومواجهة الأخطار الخارجية الرامية لضم المغرب الأوسط ومحو رسومها خاصة من قبل بني مرين . فجهز الجيوش وواجهها بجزم وبسالة واستماتة.⁽¹⁾ ورغم أنه انهزم في جميع حروبه أو جملها⁽²⁾ إلا أنه تمكن من تأسيس دولة ظلت صامدة أمام صروف الدهر والأعادي أزيد من ثلاثة قرون.

فكان ما قام به هذا السلطان تمهيدا لمن بعده من ملوك بني عبد الواد ، والأساس الذي انطلقوا منه للتشييد والبناء . ومن ذلك اعتماد السلطان أبي حمو موسى الأول على الأندلسيين في توسعة قصر المشور سنة 717هـ/1317م ، وبناء مسجد ومدرسة ابني الامام.⁽³⁾ واعتماد

(1) شكل يغمراسن بن زيان جيشا من فييل بني عبد الواد ، ودعمه بعناصر من الغز والروم من الذين يجيدون استعمال الرمح والنشاب قال في ذلك عبد الرحمن بن خلدون: " ... ورتب الجند والمسالخ ، واستلحق العساكر من الروم والغز راحمة وناشبة... ". العبر ، مج4 ، ص 2752.

(2) انهزم يغمراسن بن زيان في حروبه مع بني مرين ومنها هزيمة سنة 655هـ/1257م ، وهزيمة سنة 665هـ/1267م ، وهزيمة سنة 666هـ/1268م ، وهزيمة 678هـ/1280م . عن معارك يغمراسن بن زيان ينظر: لبن أبي الزرع ، المصدر السابق ، ص 197 وما بعدها ؛ الذخيرة السنية ، ص 83 وما بعدها ؛ هوارية بكاي ، العلاقات الزيانية المرينية ، ص ص 223-231 . كما انهزم يغمراسن بن زيان أمام الحفصيين بمساعدة بني توجين ومغراوة سنة 640هـ/1242م . ينظر: الزركشي ، المصدر السابق ، ص 29 ؛ يحيى بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 113 ؛ التنسي - والذي ذكر أن هذه الهزيمة كانت سنة 645هـ - ، المصدر السابق ، ص 117 ؛ محمد العروسي المطوي ، المرجع السابق ، ص 142 ؛ محمد بن عمرو الظمار ، المرجع السابق ، ص 80 ؛ هوارية بكاي ، المرجع السابق ، ص ص 31-34 . وكان الانتصار الوحيد ليغمراسن بن زيان هو ذلك الذي حققه على الموحدون سنة 646هـ/1248م . ينظر: الذخيرة السنية ، ص 78 ؛ ابن أبي الزرع ، المصدر السابق ، ص 102 ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 387 ، 388 ؛ التنسي ، المصدر السابق ، ص 123 ، 124 ؛ هوارية بكاي ، المرجع السابق ، ص 35 .

(3) أضاف أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م) إلى قصر المشور قصر داخليا ومسجدا خاصا بالأمرء ورجال الدولة وأعيان المدينة ، ومباني أخرى بنيت بأسلوب معماري بديع وزخارف رقيقة ، وفي سنة 710هـ شيد مسجد ابني قرب المدرسة القديمة التي تحمل اسميهما أيضا . وتدل الزخارف والنمط المعماري الذي اعتمده أبو حمو موسى الأول على استعانهه بالعناصر الأندلسية . حول اسهامات هذا السلطان العمرانية والاقتصادية ينظر: يحيى بن خلدون

السلطان أبي تاشفين الأول عليهم في نهضته العمرانية ومنها قصر أبي فهر والمدرسة التاشفينية.⁽¹⁾

كما كان قد ضمن لخلفائه مصادر دخل قار للدولة بإخضاعه لقبائل توجين ومغراوة وقبائل المنطقة الشرقية من مملكته من خلال جباية أراضيها ،فمثلا منطقة البطحاء كانت تدر على خزينة الدولة أكثر من عشرين ألف مثقال.⁽²⁾

2- أبو حمو موسى الثاني.

إذا كان يغمراسن بن زيان قد اعتمد على أموال قبيل بني عبد الواد للإعلان عن قيام دولة بني عبد الواد واستقلاله بالمغرب الأوسط دون الموحدية ،وأسس لمجدها وأورث بنيه ما يضمن بقاءها واستمرارها ،فإن أبي حمو موسى الثاني اعتمد قوة القبائل العربية من الدواودة ثم بني عامر لاسترجاع عرش أسلافه.

ويبدو أن الحفصيين قد جهزوا أبا حمو موسى الثاني بما يحتاج من أموال وسلاح لاسترجاع عرش بني عبد الواد ،وثني المرينيين عن توسعاتهم على حساب الأراضي الحفصية.⁽³⁾

=المصدر السابق ،ج1 ،ص 130 ؛التنسي ،المصدر السابق ،ص 139 ؛عبد العزيز فيلاي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 115 ،ص 142 ،ص 147 ؛ Barges ,op.cit ,p 186 .

(1) كان السلطان أبا تاشفين الأول بن أبي حمو موسى الأول (718-737هـ/1318-1337م) مهتما بالعمران ،ومهندسا مولعا بتحبير الدور وتشبيد القصور على حد تعبير صاحب نظم الدر ابتنى المدرسة التاشفينية التي تعد من أروع المدراس في عصرها مشرقا ومغربا ،كما أسس قصر أبي فهر الذي ضاهى به قصر أبي فهر المستنصر الحفصي ،كما ابتنى الصهريج الكبير . ينظر: ابن مرزوق ،الجموع ،ورقة 5 ؛يحيى بن خلدون ،بغية الرواد ،ج1 ،ص 216 ؛التنسي ،تاريخ بني زيان ،ص 140 ؛ابن الخطيب ،اللمحة البدرية ،ص 216 ؛عطاء الله دهينة ،الجزائر في التاريخ ،ج3 ،ص 465 ؛عبد العزيز فيلاي ،المرجع السابق ،ص 117 ،ص 125 ؛هوارية بكاي ،العلاقات الزيانية المرينية ،ص 65 ،66 ،ص 68 ،69.

(2) الحسن الوزان ،وصف إفريقيا ،ج2 ،ص 27 ،28.

(3) بعد أن سيطر السلطان أبي عنان فارس المريني على المغرب الأوسط وجه أنظاره صوب أراضي الدولة الحفصية فاحتل منها الأراضي الغربية من الشمال إلى الجنوب ومنها بجاية وبلاد الزاب ،ثم بايعه أهل بونة والجريد وطرابلس لعداوة بينهم وبين الوزير ابن تافركين الذي كان قد استبد بالسلطين الحفصيين ،بل إن بني مرين تمكنوا من اخراج السلطان أبي اسحاق بن أبي يحيى الحفصي (751-770هـ/1350-1368م) ووزيره ابن تافراكين من تونس سنة

وهذا ما نستنتجه من قول عبد الرحمن بن خلدون عن طلب الدواودة من الوزير ابن تافراكين بتجهيز أبي حمو لاسترجاع تلمسان حاضرة ملك أسلافه ، حيث يقول: " ... ولما كانت سنة تسع وخمسين قبل مهلكه - يقصد السلطان أبي عنان المريني - اجتمع أمراء الدواودة من رياح إلى الحاجب أبي محمد بن تافراكين ، ورغبوه في لحاق أبي حمو موسى بن يوسف بالمغرب من غربته ، وأنهم ركابه لذلك ليحلب على نواحي تلمسان ويحصل للسلطان أبي عنان شغلا عنهم . وسألوه أن يجهز عليه ببعض آلة السلطان . ووافق ذلك رغبة صغير بن عامر أمير زغبة في هذا الشأن ، وكان يومئذ في أحياء يعقوب بن علي وجواره ، فأصلح الموحدون - يقصد الحفصيين - شأنه بما قدروا عليه ودفعوه إلى مصاحبة صغير وقومه من بني عامر ."⁽¹⁾

وفي طريقه إلى تلمسان تدعمت مداخيل أبي حمو الثاني بما غنم من سويد الذين أغار عليهم بمنطقة وادي ملال.⁽²⁾ ولما دخل تلمسان غنم ما كان تحت بني مرين من أموال وحبوب

=758/1357م إلى الجدريد. كما حاصر أبي حاصرت قوات أبي عنان قسنطينة ، ولقي المرينيون الدعم من قبل العرب ومنهم الدواودة قبل أن ينقلبوا عليها بعدما أن حرمهم ابي عنان من الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها ، ومنها المغارم التي كانوا يفرضونها على القوافل والسكان. ينظر: ابن الحاج النميري ، فيض العباب وإجابة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى افريقية وبلاد الزاب ، اعداد ودراسة محمد بن شقرون ، الرباط ، (د ت) ، ص ص 2- 5 ، و ص ص 160- 181 ، و ص 192 ، و ص 208 ؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، تونس ، 1966 ، ص 96 ، 97 ؛ أحمد عزاوي ، الغرب الإسلامي ، ج 3 ، ص ص 34-41 ؛ عبد العزيز فيلاي ، الترحج السابق ، ج 2 ، ص 53 .

(1) العبر ، مج 4 ، ص 2788 .

(2) يقول يحيى بن خلدون: " ... صبّح حي القوم - يقصد سويد - بوادي ملال وقد عميت عليهم الأنباء ، فاستبيح المال وقتل عثمان بن ونزمار بن عريف في مشاهير كثيرين من قومه... ". بغية الرواد ، ج 2 ، ص 64 ، 65 . ويقول صاحب زهر البستان: " ... فبينما هو بهذا الموضع الذي رجا أن يبلغ منه الآمال ، إذ أتاه الخير أن أولاد عريف - سوسد - بملال ، وأنهم رابعون بالأهل والمال . فأخذ في شأن الإحلاب عليهم . فجهز سرية من حينه إليهم . وقصد حيث هم مستقرون ، وصبحهم صباحا وهم لا يشعرون ، فاستولى عليهم ، وأذلهم ، وسبى نساءهم واستاق ابلهم... ". ج 2 ، ص 37 .

وخبول وسروج ومتاع كان السلطان المريني أبا عنان قد أعدها لإرسالها هدية إلى الملك القطلاني.⁽¹⁾

أدرك أبو حمو موسى الثاني أن قوة الدولة من قوة جيشها، وأن الجيش لا يكون إلا بالمال. خاصة وأنه كان شاهدا على انقلاب عرب الدواودة على السلطان المريني أبي عنان فارس لما منعهم الامتيازات التي كانوا يحظون بها والمتمثلة في المغارم التي كانوا يفرضونها على القوافل والسكان. لذلك قرر اخضاع مدن المغرب الأوسط التي كانت تحت سيطرة المرينيين⁽²⁾ لما توفره من أموال الجباية لدولته، خاصة بعدما بايعته تلك القرية من تلمسان كندرومة، وهنين، ووجدة، ومزگران، ومستغانم.⁽³⁾

(1) يقول صاحب البغية: "... وأحصى -يقصد أبو حمو موسى الثاني- ما غادرته الدولة الذهبية (أي بني مرين) من متاع وزرع وسلع بحرية، وما حوته هدية الملك المتوفى -يقصد أبا عنان- إلى ملك قطلان من: خيل عتيقة، وسروج مفرغة ركبها من ذوب اللجين، ولحم موشية، وأسباب مختارة. وفتح بين يديه الكرمتين -أعلى الله مقامه- صندوق الأوقاف المتنوعة، مفعما ذهباً وفضة." يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 96. ويضيف صاحب زهر البستان على هذا: "... والذخائر والأعلاق، والسروج من الفضة صرفاً، والمستحسنتات من الذخائر، والسيوف، وكلما يباهي به الإسلام على الشرك، ويبين قيمة الملك، فلا قدرة على احصائه ولا نهاية إلى استقصائه." لكنه يذكر أن الهدية كانت للملك النصرى. ج 2، ص 78. بينما يذكر عبد الرحمن بن خلدون أن الهدية كانت مرسله إلى برشلونة بطرة بن القنط، ومن بنها فرس أدهم من مقرباته بمركب ولجام ذهبيين ثقيلين. فاتخذ أبو حمو موسى الثاني ذلك الفرس لكوبه، وصرف الهدية في مصارفه ووجوه مذاهبه. العبر، مج 4، ص 2937، 2938.

(2) كانت أهم مدن المغرب الأوسط تحت حكم المرينيين وخاصة مدن وهران، مليانة، المدية، والجزائر. إضافة إلى قبائل توجين الزناتية وسويد العربية التي كانت تسيطر على مناطق الونشريس، وشلف والتيطري وغيرها. وكلها مدن يمكن أن تدر جبايتها على مملكة تلمسان أموالاً كثيرة. أحمد عزراوي، المغرب الإسلامي، ج 4، ص 43؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 91.

(3) بعد استقرار الأمر لأبي حمو موسى الثاني جاءته قبائل هذه المدن مبايعة. ويبدو أنها حملت معها خراجها حيث ذكر صاحب زهر البستان: "... ومن العجايب أيضاً، أن خراج عامين عند الولاية، ووجه عوناً على المعضلات، لا يخرج قائد إلا ووجه بخراجه معه، ولا يعطي وال صققة يده، حتى يعطي ما جمعه، فأتسعت يده في الأموال...". ج 2، ص 78.

وكان حريصا على استرجاع مدينة وهران التي تمكن منها بعد حصارها مرتين فشل في أولها، لما لها من أهمية تجارية مع الدول الأوروبية.⁽¹⁾ رغم أنه أقطع القبائل العربية وخاصة بني عامر الأراضي الخصبة حول تلمسان منذ أول يوم اعتلى فيه عرش بني عبد الواد مكافأة لهم على ما قدموه له من مساندة ودعم لأجل استرجاعه.⁽²⁾

بعد أن أتم تنظيم دولته وعين وزراءه وحجابه، ورتب جيشه، وعين على المدن والأقاليم ولاته وأعوانه التفت أبو حمو موسى الثاني إلى الجانب الاقتصادي، فشجع على الانتاج الزراعي بأن عين على الأقاليم المشهورة به عمالا رفقاء بالرعية لا يأخذون منهم إلا ما وجب للدولة، ووفر لهم الأمن والاستقرار.⁽³⁾

كما شجع على ممارسة النشاط الصناعي لما له من أهمية في توفير ما تحتاجه الدولة والرعية من لوازم، وخاصة ما يحتاجه الجيش من سلاح ومستلزمات مثل الرماح والسروج والأجمة. ودليل عنايته بالنشاط الصناعي أنه اثم دار الصناعة، وأقام بها كل الصناعات، وجلب إليها أمهر الصناع من مختلف الجنسيات والديانات، وشجعهم على التنافس في اتقان الصناعة

(1) يقول جورج مارسى عن ميناء وهران: " ويربط تلمسان ببلدان ما وراء البحر ميناءان، فوهران كان وسيبقى حتما نقطة ارساء السفن الآتية من فرنسا وإيطاليا أو المشرق...". جورج مارسى، تلمسان، ص 98؛ عبد المجيد أمباركي، المرجع السابق، ص 177. وعن ضم وهران للدولة الزيانية ينظر: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 91، و ص 103.

(2) عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 55. رغم علمه أن بني عامر لا يؤدون خراج الأراضي التي أقطعت لهم إلا أنه ضمن تمويلهم للدولة ورعاياها بما يحتاجونه من حبوب، وألبان وأصواف وجلود ولحوم. كما كان يستعملهم في جباية الخراج.

(3) يفر الناس في العادة من خدمة الأرض إذا أثقل الحكام كاهلهم بالضرائب، وفرض الاتاوات، ووكلوا لذلك عمالا قساة، وانعدم الأمن والاستقرار. وقد أدرك أبو حمو موسى ذلك فنجدد ينصح ابنه وولي عهده أبي تاشفين بتجنبه قائلا: " يا بني، استعن بثقات عمالك، على جمع مالك، فول الرفيق في الرعية، الحجاري على السبيل السوية، تتل بذلك في الدارين الدرجة العلية. ولا يملك حب المال على المسامحة في جور العمال. فإنه إذا هلكت الرعايا، عدمت الجبايا، وإذا عوملت الرعية بالرفق، كثر فيها النماء والرزق. ". واسطة السلوك، ص 28، 29.

وصناعة الأفضل ،وجعل الصناع في مرتبة رفيعة بعد مرتبة الأشراف والفقهاء⁽¹⁾ ، وكان يستقبلهم في قصره بأن خصص يوم الجمعة لاستقبال ممثلين عنهم رفقة القائمين على دار الصناعة⁽²⁾ التي وصفها يحيى بن خلدون بقوله: " ... سوى أن دار الصنعة السعيدة توج بالفعلة ،على اختلاف أصنافهم ،وتباين لغاتهم وأديانهم ،فمن: دراق ،ورماح ودراع ،ولجام ،ووشاء ،وسراج ،وخباء ،ونجار ،وحداد ،وصائغ ،ودباج ،وغير ذلك ،فتستك لأصواتهم وآلاتهم الأسماع ،وتحار في إحكام صنائعهم الأذهان ،وتقف دون بحرهم الهائل الأبصار ،ثم تعرض - قومتهم أصيلا كل يوم - مصنوعاتهم فيه بين يدي الخليفة أيده الله ،ويخزن كل بحجار صنعه المعد له ،وينصف العاملون من أرزاقهم عدلا ،هكذا أبدا. "⁽³⁾

(1) هذا في الوقت الذي كانت بعض المجتمعات تحتقرهم تضعهم في مرتبة وضيفة ،وتقلل من شأنهم وتنظر إليهم نظرة الازدراء ،فجد الغساني صاحب رحلة الوزير يصف ممتنيتها بالسقططة والرعاع وأراذل القوم. بينما يصفهم الحريري بقوله: "... وأما حرف أولى الصناعات فغير فاضل عن الأقوات ولا نافعة في كل الأوقات. ". ينظر: محمد بن عبد الوهاب الغساني ،رحلة الوزير في افتكاك الأسير ،تحقيق الفريد البستان ،مؤسسة الجنرال فرانكو ،طنجة ،المملكة المغربية ،1940 ،ص 45 ؛محمد الحريري البصري ،المقامات الأدبية ،مصر ،1950 ،ص 419 ؛عبد العزيز فيلاي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 223.

(2) يقول في ذلك أبو حمو موسى الثاني ناصحا لولي عهده: " يا بني ،وينبغي أن تتخذ في أيام الجمعة يوما تتخلى فيه عن الناس ولا تمضي فيه حكما (لأن أبا حمو الثاني كان قد خصص يوم الجمعة من كل أسبوع للرعية لينظر في في مختلف شؤونها من حاجات وشكايات وغيرها) تنفرد فيه بالنظر في مجايك وأمورك ،وتفقد أحوالك. وتعرف مالك في ديار الصناعات ،من الأشغال والحاجات ،مثل النظر في العدد الحربية ،التي تظهر فيها القوة بالكلية ،وفيما يخصك في نفسك ومالك وأهلك ،وما تحتاج إليه في كترك وقلك. " واسطة السلوك ،ص 108 ،109.

(3) بغية الرواد ،ج2 ،ص 323 ،324. ويبدو من خلال قول يحيى بن خلدون هذا ،وقول أبي حمو موسى في التهميش السابق أن أبا حمو قد أقام دار الصناعة خصيصا من أجل الصناعات الحربية ،وزيادة مداخيل الدولة. كما يبدو أن أبا حمو قد أقام ببعض أقاليم الدولة ديار أخرى للصنعة مشاهمة لتلك التي بتلمسان عاصمة الدولة ،وهذا من خلال قوله: " وتعرف مالك في ديار الصناعات. " ومن خلال تخصيص أحد أيام الجمعة لهذا الغرض. ويبدو أن الاجتماع لا يتم أسبوعيا لتعذر قدوم الجباة من تلك المدن ،وانشغالهم بأعمالهم التي كلفوا بها.

لقد كان أبو حمو موسى حريصا على تفقد دار الصناعة - والتي هي بمثابة المنطقة الصناعية في وقتنا الحالي - مرتين في اليوم ،ومراقبة جودة المصنوعات ،كما كان يشتري الجيد منها لتخزينه في مخازن خصصت لها ،ويوفي كلا حقه. (1)

ويبدو أن حرص أبي حمو موسى الثاني على تفقد دار الصناعة أنه أقام بها مصنعا للعدة الحربية من تمويل الدولة ،ولم تكن تابعة لأحد من الرعية ،حيث قال في ذلك وهو يتحدث عن تقصي أخبار دار الصناعة: "... وتعرف مالك في ديار الصناعات ،من الأشغال والحاجات ،مثل النظر في العدد الحربية ،التي تظهر فيها القوة بالكلية ...". (2)

كما استمر أبو حمو موسى الثاني على سياسة سلاطين بني عبد الواد في الاعتماد على العناصر الأجنبية من الأندلسيين والمسيحيين ،واليهود كل حسب تخصصه مهاراته (3) ،فقد تنوعت الصناعات من معدنية ونسيجية وغذائية ،وكان الغرض منها تلبية حاجيات الرعية ،ورجال الدولة مثل اللباس الرسمي للموظفين والحرس وأفراد الجيش (4) ،وادخار الفائض منها لوقت الحاجة إليه. (5) ومن ذلك أن أبا العباس المريني (772-782هـ/1374-1384م) لما احتل تلمسان وجد تجارا ميورقيين ،نصارى ويهود قد جاؤوا بأقمشة لأبي حمو موسى الثاني ،فأخذها منهم ودفع ثمنها عينا من البضائع التي وجدها في مخازن الموجودة بقصر المشور. ولما

(1) يحيى بن خلدون ،بغية الرواد ،ج2 ،ص 323 ،324.

(2) واسطة السلوك ،ص 109.

(3) يحيى بن خلدون ،المصدر السابق ،ص 323.

(4) أشار أبو حمو موسى الثاني إلى لباس الجيش في قوله: "... فأما الميمنة ،يا بني ،فلتتخير من ذوي الشدة والكفاية ،والنحدة والحماية ،وتقدم عليهم من خاصتك الأجواد ،فاندا من القواد ،رابط الجأش ،صادق البأس ،وأن يكون نزولهم في محلتك عن يمينك في المتزلة متزينين أحسن زي وأجمله ... القسم الرابع من اقسام الجيش: ممالك الملك وهم على أربعة أقسام: العلاج ،والنصارى ،والأغزاز ،والوصفان ... وليكن هؤلاء المذكورون أهل شدة وكفاية ،ونجدة في غاية ،وزينة وعدة ...". واسطة السلوك ،ص 103 ،104.

(5) يحيى بن خلدون ،المصدر السابق ،ص 324 ؛عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 221 ،222.

استرجع أبو حمو موسى الثاني عرشه بعد وقت قصير طالب أولئك التجار بتسديد ثمن ما أخذوا من بضائع.⁽¹⁾

(1) عطاء الله دهينة، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 480. وقد أطلق على تلك المخازن المغارات الملكية التابعة لأسرة بني زيان.

المبحث الثاني: إيرادات الدولة الزيانية على عهدي يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني.

لم تختلف الموارد المالية لدولة بني عبد الواد الزيانية عن تلك التي كانت سائدة في الدول الإسلامية مشرقا ومغربا، وعبر مختلف العصور، فهي تتمثل في الضرائب بمختلف أنواعها من زكاة وعشور، وحزبية، وجمارك ومكوس. إضافة إلى الغنائم والمغارم.⁽¹⁾

وقد استمرت هذه الموارد مصادر تمويل لخزينة الدولة طويلة مدة بقائها، تزيد وتنقص حسب ضعف الدولة وقوتها. ولم تكن للدولة مصادر خارج أراضيها إلا على عهد السلطان يغمراسن بن زيان، والسلطان أبي حمو موسى الثاني. فالأول استفاد من أموال قبيله بني عبد الواد في تنظيم دولته لما استقل بالمغرب الأوسط عن الموحدين، كما استفاد من جباية أرض اقتطعها له السلطان الحفصي بعدما أعلن تبعيته له اثر غزو هذا الأخير لتلمسان سنة 640هـ/1242م، ولم يجد من يوليه عليها فاضطر إلى مفاوضة السلطان يغمراسن بن زيان. وخلصت المفاوضات بين أبي زكريا الحفصي ووالدة يغمراسن بن زيان إلى عقد الصلح بين الطرفين وعودة يغمراسن إلى عرشه، وجلاء أبي زكريا عن تلمسان مقابل ولاء الأول للثاني، وأن يكون له عوننا على الموحدين. وأن يقطع أبا زكريا ليغمراسن أرضا بافريقية جبايتها مائة ألف دينار اعانة له.⁽²⁾

وبعد إعلان يغمراسن بن زيان الولاء للحفصيين نهض إليه الخليفة الموحد أبي الحسن السعيد -الذي أوجس خيفة من تحالف بني عبد الواد مع الحفصيين-⁽³⁾ قاصدا تلمسان

⁽¹⁾ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 219، 220.

⁽²⁾ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 205؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 118. ويبدو أن سلاطين بني عبد الواد من بعد يغمراسن بن زيان قد استفادوا من جباية هذه الأرض أو على الأقل خليفته الأول ابنه عثمان الذي استمر على نهج والده في الولاء للمرينيين. ينظر: ابو بكر بن خطاب، المصدر السابق، ص ص 12-17، و ص 45، 46؛ أحمد عزراوي، المرجع السابق، ج2، ص 53.

⁽³⁾ السلاوي، المرجع السابق، ص 29.

لتجمعه مع السلطان العبد الوادي معركة دارت رحاها بالقرب من قلعة تامزدكت⁽¹⁾ سنة 646هـ/1248م كان الانتصار فيها ليغمراسن الذي نصب كميناً لأبي الحسن قُتل فيه على يد يوسف بن عبد المؤمن الشيطان⁽²⁾، وانهزم جيش الموحدون فغنم بنو عبد الواد ذخائره ومن جملة هذه الذخائر المصحف العثماني والعقد اليتيم المعروف بالثعبان⁽³⁾.

كما تمكن يغمراسن بن زيان من السيطرة على سجلماسة مدة تقارب احدى عشر سنة (662هـ/673هـ). بمساعدة ذوي منصور⁽⁴⁾ ودون شك قد استفادت دولة بني عبد الواد طيلة هذه المدة من جبايتها والضرائب المفروضة على تجارتها على اعتبار أنها كانت ملتقى هاماً للقوافل التجارية من وإلى السودان الغربي⁽⁵⁾.

أما السلطان أبو حمو موسى الثاني فقد استفاد من تجهيز الحفصيين له لاسترجاع عرش أسلافه، وإلهاء المرينيين عن أراضيهم كما ذكرنا سابقاً، كما استفاد من الأموال التي فر بها إليه عبد الله بن مسلم الزردالي، والتي تمثل جباية إقليم درعة الذي كان والياً عليه من قبل المرينيين، وأواخر سنة 760هـ.⁽⁶⁾ إضافة إلى أموال المرينيين التي غنمها بعد دخول تلمسان، والتي ساعدته على تنظيم دولته ومكافأة بني عامر على مساندتهم له.⁽⁷⁾

(1) هي قلعة حصينة تقع جنوب وجدة، قرب جبل العصفور في الحدود الجزائرية المغربية، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 168-169.

(2) مؤلف مجهول، الذخيرة السنوية، ص 78؛ ابن عذارى المصدر السابق، ص 387-388؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 58، وج7، ص 82؛ ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 102.

(3) التنسي، المصدر السابق، ص 123-124.

(4) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2757.

(5) سجلماسة مدينة بنيت سنة 140هـ/757م مدينة سهلية، حولها أرياض كثيرة، لها سور كبير له اثنا عشر باباً، لها نهر وهي أول الصحراء ومنها يدخل إلى بلاد السودان إلى غانة. كانت عاصمة لدولة بني مدرار. (140-237هـ/757-909م). البكري، المصدر السابق، ص 148، 149؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957، ص 277، 278.

(6) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2790؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص 143، 144.

(7) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 96؛ مجهول، زهر البستان، ج2، ص 78؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2937، 2938.

أما الموارد الثابتة في دولة بني عبد الواد الزيرية فيمكن حصرها في ما يلي:

1- الضرائب: وتتمثل في الخراج المفروض على الأراضي، الجزية، والضريبة الجمركية

، والمكوس، والزكاة.

1.1- الخراج:

يتمثل في جباية الأرض، ويقدر بالعشر من مخروج الأرض، ويبدو أنها كانت قليلة على عهد يغمراسن بن زيان مقارنة بخلفائه من السلاطين، لأن دولته كانت في مرحلة التأسيس، وكان لابد له كسب ود الرعية واستعطافهم، وذلك لا يتم له إلا إذا كان رقيقاً بهم، وخاصة في مجال فرض الضرائب والإتاوات. يذكر عبد الرحمن بن خلدون في هذا الصدد: " وإن كانت -يقصد الدولة- على سنن التغلب والعصية فلا بد من البداوة في أولها كما تقدم، والبداوة تقتضي المسامحة والمكارمة وخفض الجناح والتجافي عن أموال الناس، والغفلة عن تحصيل ذلك إلا في النادر، فيقل لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التي تجتمع الأموال من مجموعها. وإذا قلت الوظائف والوظائف على الرعايا نشطوا للعمل ورجبوا فيه، فيكثر الاعتماد ويتزايد محصول الاغتباط بقلة المغرم." (1)

أما أبو حمو موسى الثاني فقد استفاد من التطور الذي عرفته الدولة العبد الوادية. بعدما أصبح الفلاحون يؤدون الخراج للسلطان دون تدمير وهذا ما يؤكد صاحبه زهر البستان الذي أخبرنا عن كثرة الجبايات التي جاء بها شيوخ ندرومة ووجدة، وهنين، ومزگران، ومستغانم إلى هذا السلطان حين قدموا عليه معلنين البيعة والولاء، حيث قال: " ومن العجايب أيضاً، أن خراج عامين عند الولاية، ووجده عوناً على العضلات، لا يخرج قائد إلا وجده بخراجه معه، ولا يعطي وال صقفة يده، حتى يعطي ما جمعه، فأتسعت يده في الأموال... " (2)

(1) المقدمة، ص 392.

(2) زهر البستان، ص 78.

كما أن السلطان أبي حمو موسى الثاني عامل الناس باللين، والعدل وولى عليهم ولاية وعمالا رفقاء بهم، فاجتهدوا في أعمالهم، وودفعا ما عليهم للدولة الزيانية عن رضى.⁽¹⁾ وهذا من حكمته، فقد أدرك أن الرعية إذا عوملت بالرفق كثرت أرزاقها وبالتالي تكثر جبايتها وعن طيب نفس. أما إن عوملت بالظلم والجور فإنها تقل أرزاقها لامتناعها عن خدمة الأرض⁽²⁾ التي تعود فائدتها حينها على السلطان أكثر مما تعود عليها، وبالتالي تقل جبايتها.⁽³⁾ وكانت جباية الأرض أو الخراج تدر أموالا طائلة على خزينة الدولة فيكفي أن أراضي البطحاء وحدها كانت تدفع لها حوالي عشرين ألف مثقالا.⁽⁴⁾

2- المكوس.

هي الضريبة على النشاط الصناعي أو التجاري داخل الدولة، وهي تتمثل في فرض مقدار معلوم من المال على مبيعات التجار والصناع، ويبدو أن قيمتها كانت في حدود العشر من ثمن البضاعة أو السلعة لأنها لم تكن الأصل في الضريبة، وإنما أضيفت لها لحاجة الدولة للأموال حسب رأي عبد الرحمن بن خلدون الذي قال عنها: "... فتقل الجباية وتكثر العوائد، ويكثر بكثرتها أرزاق الجند وعطاؤهم. فيستحدث صاحب الدولة أنواعا من الجباية يضربها على البياعات، ويفرض لها قدرا معلوما على الأثمان في الأسواق، وعلى أعيان السلع في أموال

⁽¹⁾ ومن ذلك أنه ولى على مدينة الجزائر والده أبا يعقوب يوسف فسأسهم بالعدل، وكان كريما معهم حتى أحبوه، وخضعوا لرأيه وأمره. حتى أنه حين اشتد به المرض وطلبه أبو حمو إلى تلمسان خرج معه إلى ظاهر المدينة فقهاؤها وجهائرها وكبرائها وأمنائها باكين لفراقه. ينظر: زهر البستان، ج2، ص 333-335. فولي مثل هذا ساس الرعية بالعدل، وحسن المعاملة، والكرم حتى بكى الناس لفراقه كيف لا يدفع له الناس خراج أراضيهم وهم راضون، وطيبة بما أنفسهم. خاصة وأن أراضي متيجة من أجود وأخصب أراضي المغرب الأوسط.

⁽²⁾ يقول عبد الرحمن بن خلدون: " ثم تزيد عن حد الاعتدال - يقصد الجبايات - فتذهب غبطة الرعايا في الاعتمار لذهاب الأمل من نفوسهم بقلّة النفع، إذا قابل بين نفعه ومغارمه وبين ثمرته وفائدته، فتقبض كثير من الأيادي عن الاعتمار جملة، فتقبض جملة الجباية حينئذ بنقصان تلك الوزاعة منها...". المقدمة، ص 292.

⁽³⁾ وهذا ما يتضح من وصيته لابنه: " ولا يحملك حب المال على المسامحة في جور العمال. فإنه إذا هلكت الرعايا، عدمت الجبايا، وإذا عوملت الرعية بالرفق، كثر فيها النماء والرزق...". واسطة السلوك، ص 28، 29.

⁽⁴⁾ الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 28.

المدينة. وهو مع هذا مضطر لذلك بما دعاه إليه ترف الناس من كثرة العطاء مع زيادة الجيوش والحامية. " (1)

ويبدو من خلال قول عبد الرحمن بن خلدون أن هذا النوع من الضريبة لم يكن مفروضا على عهد السلطان يغمراسن بن زيان للأسباب التي ذكرناها سابقا. وإنما طبقت على عهد خلفائه ومن بينهم أبو حمو موسى الثاني الذي عرفت الصناعة على عهده تطورا كبيرا، وهذا ما يمكن أن نستنتجه من قوله لابنه ناصحا له: " يا بني، وينبغي أن تتخذ في أيام الجمعة يوما تتخلى فيه عن الناس ولا تمضي فيه حكما تنفرد فيه بالنظر في مجايك وأموالك، وتفقد أحوالك. وتعرف مالك في ديار الصناعات، من الأشغال والحاجات. " (2)

3- الضريبة الجمركية.

وتسمى ضريبة العشور، تفرض على السلع القادمة من خارج البلاد أي المستوردة، ووجوده في دولة بني عبد الواد الزيانية استمرار لما كان قائما في الدول الإسلامية منذ عهد عمر بن الخطاب الذي فرض عشر البضائع القادمة من خارج بلاد المسلمين على التجار غير المسلمين غير المقيمين بالبلاد الإسلامية، أما المقيمين في الأراضي الإسلامية من أهل الذمة ففرض عليهم نصف العشر، وفرض على المسلمين الذين يفدون بالبضاعة الأجنبية على البلاد الإسلامية ربع العشر إذا فاق رأسمالها مائتي درهم. (3)

(1) المقدمة، ص 293. وقد يكون لهذه المكوس أو الضريبة على التجارة والصناعة انعكاس كبير على الأثمان بالسلب أو الإيجاب، فإذا قرر أرباب التجارة والصناعة الزيادة في أثمانها لتحصيل ما دفعوه للدولة من الرعية فسينعكس ذلك سلبا على المستوى المعيشي لها، وإذا كان العكس أي خفض الأسعار ليقبل مقدار المال الذي يدفعونه للدولة فينعكس إيجابا على المستوى المعيشي للرعية. لكن في كلتا الحالتين سيدفع التجار والصناع المكوس قلت أسعارهم أم ارتفعت بالمقدار الذي حددته الدولة لذلك نرى أن هؤلاء سيلتزمون بالأسعار التي تحددها الدولة، هذا من جهة ومن جهة أخرى حتى لا يعرضون أنفسهم لمساءلات المحتسب وأعرانه.

(2) واسطة السلوك، ص 108، 109.

(3) فرض الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه العشور (الضريبة الجمركية) على البضاعة الأجنبية الواردة على الدولة الإسلامية كنوع من المعاملة بالمثل على مواطني الدول غير المسلمة لأنهم كانوا يجيرون المسلمين على دفعها في بلادهم.

ويبدو أن هذه الضريبة عرفت منذ بداية الدولة العبد الوادية⁽¹⁾ لأن المغرب الأوسط عرف ازدها كبيرا للنشاط التجاري على عهدهما ومثل همزة وصل بين التجارة الأوربية وتجارة بلاد السودان الغربي ، كما أن سلاطين الدولة تشددوا في تحصيلها خاصة عند مداخل مدينة تلمسان ، ومن ذلك ما ذكره ابن مرزوق من قيام موظفي الدولة بالتفتيش الدقيق لكل داخل إلى المدينة ، حتى النساء منهم كن يفتشن من قبل نسوة يهوديات ، وهذا كان معمول به في باقي اعمال الدولة.⁽²⁾

وكانت تفرض نصف العشر على الذهب والفضة⁽³⁾ كما كانت هناك ضرائب جمركية تفرض على السلع الصادرة من الدولة الزيانية تقدر بنصف العشر (5%) كذلك ، وأخرى على الخدمات مثل الترجمة قدرت بـ 0.5%.⁽⁴⁾ هذا إضافة إلى الضريبة على رسو السفن بموائ

=لذلك أمر أبو موسى الأشعري بأخذ العشر من تجار تلك البلاد ، وزاد على ذلك أن فرض على أهل الذمة دفع نصف العشر وعلى المسلمي ندع ربه متى فاق ثمن سلعهم المائتي درهم. ابراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، ص 239.

(1) وهذا ما يتضح لنا من خلال التزام عثمان بن يغمراسن بن زيان بالتنازل عن نصف العشر لفائدة ملك أراغونة من أجل تنشيط التجارة بين الطرفين ، فهذا دليل على أن يغمراسن بن زيان كان يفرض العشر على التجارة الأجنبية ، وتنازل خليفته عن النصف منها. بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ، ص 222 ؛ أحمد عزاوي ، الغرب الاسلامي ، ج 2 ، ص 58 ؛ *CH) Dufourcq ,l'Espagne Catalane et le Maghreb au 13^{ème} et 13^{ème} siècles ,Paris ,1966 ,p p 321-324.*

(2) قال في ذلك: " ... ما كانت تعم به البلوى من المطالبات في الأبواب من التفتيش الذي لا يحترم فيه من الناس أحد ، فيتولى المسلم نصراني ويهودي وخارجي ويحيطون به ويفتشونه من رأسه إلى قدمه ظاهرا وباطنا لما عسى أن يدخل به من السلع التي يوظف عليها المغرم ، وحتى النساء يوكل بهن يهوديات يفتشنه ويدخلن يدهن إلى الحومهن ... وكان هذا العمل في تلمسان وأعمالها. المسند ، ص 285 .

(3) *Dhina ,op.cit ,p 381,382* ؛ مبخوت بودواية ، العلاقات ، ص 276. ويبدو أن الذهب والفضة كانت تفرض عليه المكوس أي الضريبة المفروضة على التجارة والصناعة الداخلية لأنه كانت تتم عملية تحويلهما. وإلا فإنه تم خفض الضريبة عليها لأنها كانت موجهة لمعامل ضرب السكة ، أو كانت تفرض عليها الضريبة التي كانت تفرض على السلع المصدرة والمقدرة بخمسة في المائة (5%) لأن الذهب كان في غالبيته يستقدم من السودان الغربي ، ويصدر إلى أوروبا ، وبالتالي هذه الضريبة كانت مفروضة على باقي السلع القادمة من السودان الغربي من أجل بيعها لأوروبا مثل العاج وريش النعام.

(4) مبخوت بودواية ، المرجع السابق ، ص 276.

الدولة وخاصة منها ميناءي هنين ووهران الذين كان بكل منهما إدارة للجمارك تابعة للإدارة المركزية بتلمسان.⁽¹⁾ وكانت موانئ الدولة الزيانية تدر هي الأخرى أموالا كبيرة على خزينة الدولة ،فميناء هنين مثلا على عهد الحسن الوزان كانت مدا خيله تقدر بخمسة عشر ألف مثقال ذهبي مسكوك ،هذا في الوقت الذي قل فيه نشاط الميناء ،وهجر المدينة أهلها.⁽²⁾

4- الزكاة.

وهي الصدقات الشرعية التي فرضها الله سبحانه وتعالى على المسلمين متى توفرت شروطها وهي النصاب ودوران الحول⁽³⁾ ، كما تفرض الزكاة على المحاصيل الزراعية والماشية.⁽⁴⁾ والتي حرص سلاطين دولة بني عبد الواد الزيانية على جمعها وتوزيعها على مستحقيها ،ويبدو أن يغمراسن بن زيان قد استعان بها في بداية أمر دولته ،ويكون قد جمعها من بني عبد الواد وحلفائهم على اعتبار أن نشاطهم الرئيس كان الزراعة وتربية الماشية في الضروب التي أقطعهم إياها الموحدون.

كما كان أبو حمو موسى الثاني حريص على جمع الزكاة ،وكان يرسل عماله لتحصيلها ،وإذا اقتضت الحاجة فإنه يخرج بنفسه أو يرسل ولي عهده أو وزيره لتحصيلها عنوة ،كما فعل

(1) بوزياني الدراجي ،المرجع السابق ،ص 221.

(2) قال الحسن الوزان: " ولما مررت من هناك -يقصد هنين- تأملت للحالة البائسة التي صارت عليها المدينة. كنت مع أحد كتاب ملك تلمسان جاء لاستلام ضرائب من سفينة جنوية حملت من البضائع ما يمون تلمسان لمدة خمس سنوات. وبلغت قيمة الرسوم التي قبضها الملك خمسة عشر ألف مثقالا ذهبيا مسكوكا أرانيها الكاتب." وصف افريقيا ،ج2 ،ص 16.

(3) قال تعالى: " وأقيموا الصلاة آتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين" الآية 43 من سورة البقرة. وقال سبحانه: " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها" الآية 103 من سورة التوبة. والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام ،عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " بني الاسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ،واقام الصلاة ،وإيتاء الزكاة ،وصوم رمضان ،وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا " راه البخاري ومسلم .

(4) عبد الرحمن بن خلدون ،المقدمة ،ص 293.

مع جماعة من بني عامر رفضت دفعها فأرسل إليها ولي عهده ابنه أبا تاشفين لتحصيلها. وكانت الزكاة تجمع وتوضع في بيت المال لتوزع على مستحقيها.⁽¹⁾

5- الجزية.

الجزية لغة من مادة ج ز ي بمعنى جزاه بما صنع، والجزية مشتقة من المجازاة وهي على وزن فعلة أي أنهم أعطوها جزاء ما منحوا من الأمن.⁽²⁾ وتعني الجزية اصطلاحاً ضريبة يدفعها غير المسلمين المقيمين في البلاد الإسلامية بصفة دائمة مقابل أن يدافع عنهم المسلمون. وهي تأخذ من الرجال البالغين القادرين الأحرار، أي أنما غير واجبة على النساء والأطفال، والمرضى، والفقراء والعبيد، والرهبان، والمجانين.⁽³⁾

وفي دولة بني عبد الواد الزيانية كان أهل الذمة من اليهود فقط، وقد فرض سلاطينها عليهم الجزية مقابل حمايتهم، وهي تقدر ما بين دينارين وثلاثة دنانير ذهبية سنوياً⁽⁴⁾، وكانت تفرض عليهم وفق الشريعة الإسلامية أي يدفعها فقط من وجبت عليه شرعاً⁽⁵⁾ كما ذكرنا سابقاً. وكان اليهود يمثلون جالية كبيرة بتلمسان تقدر بحوالي خمسمائة دار، وكانوا أغنياء في مجملهم.⁽⁶⁾

⁽¹⁾ بين الله سبحانه وتعالى الأوجه التي تصرف فيها الزكاة في الآية 60 من سورة التوبة، وهي ثمانية أصناف قال سبحانه وتعالى: " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله ابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ".

⁽²⁾ ابن منظور، لسان العرب، مج 14، ص 145. والجزية قديمة عرفت قبل الإسلام، فرضها اليونانيون على سكان آسيا الصغرى منذ القرن الخامس قبل الميلاد مقابل حمايتهم من هجمات الفينقيين، كما فرض الرومان الجزية على الشعوب التي احتلوها، كما فرضها الفرس على رعاياهم. ينظر: جورج زيدان، المرجع السابق، مج 1، ص 219؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، هامش 1، ص 221.

⁽³⁾ حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص 230؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 221؛ مبخوت بودواية، العلاقات، ص 276.

⁽⁴⁾ (A) Dhina ,op.cit ,p 261؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 221؛ مبخوت بودواية، العلاقات، ص 276.

⁽⁵⁾ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 221.

⁽⁶⁾ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 20.

6- الغنائم.

شكلت الغنائم بابا من أبواب الموارد المالية في دولة بني عبد الواد الزيرية، فيغمراسن بن زيان غنم من الموحدين أمولا كثيرة بعد انتصاره عليهم في معركة تامزدكت سنة 646هـ/ 1248م من بينها المصحف العثماني والعقد اليتيم المعروف بالثعبان⁽¹⁾ كما يبدو أنه كان يحصل على أموال القبائل الخارجة عليه حين يغزوها ليردها إلى طاعته، ومنها مغراوة وتوجين، والتي كان يفرض عليه الاتاوات.⁽²⁾

وكان أبو حمو موسى الثاني قد غنم أموال سويد بوادي ملال⁽³⁾، وأموال بني مرين بعد استرجاعه لتلمسان⁽⁴⁾، كما غنم من القبائل التي ردها إلى طاعته الكثير من الأموال ومنها ما غنمه منهم في معركة البطحاء، وكانت غنائم عريضة على حد قول صاحب البغية.⁽⁵⁾ ومن ذلك ما غنمه من الثعالب بمتيجة وإرغامهم على دفع ضريبة السنين السابقة. يقول يحيى بن خلدون: " وفي يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الثاني (من سنة 771هـ) ،هض -نصره الله- يجد السير ويطوي المراحل ،إلى أن باغت الثعالب بمتيجة ضحى فانتهب الأموال ،واستباح الأنفس ،وأخذ بمخنق الجزائر ،ليلة أو اثنتين ثم قفل ،وقبيل الثعالب يذادون بالمال والأنفس ذود الأنعام بين يديه الكريمتين ... وأمر قائده فيهم بإرغامهم كل ما غابوا عليه من مخازن السنين السالفة."⁽⁶⁾

(1) التنسي، المصدر السابق، ص 123-124.

(2) وقد استمرت هذه الاتاوات مفروضة على هذه القبائل حتى بعد وفاة يغمراسن بن زيان حيث أرسل خليفته عثمان بن يغمراسن محمد بن سلامة شيخ بني توجين مكلفا لجمع الاتاوات من قومه وموطنه لفائدة الدولة العبد الوادية. ينظر: مختار حساني، المرجع السابق، ص 101.

(3) يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص 64، 65؛ زهر البستان، ج2، ص 37.

(4) يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص 96؛ زهر البستان، ج2، ص 78؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2937، 2938.

(5) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 382.

(6) نفس المصدر، ص 440، 441.

المبحث الثالث: حكمة يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني في ترشيد النفقات.

يعد ترشيد النفقات من أهم مظاهر حكمة التسيير في الدولة مهما كان طابعها الاقتصادي، فالإنفاق يجب أن يكون على قدر المداخيل بلا تبذير ولا تقتير. وبعد أن تطرقنا إلى مصادر التمويل في دولة بني عبد الواد الزيرية ومواردها. فما هي نفقاتها؟ وما مدى حكمة كل من السلطان يغمراسن بن زيان والسلطان أبي حمو موسى الثاني في ترشيد هذه النفقات؟

تمثلت نفقات سلاطين دولة بني عبد الواد الزيرية ومصاريفها على العموم في رواتب موظفي الدولة والجند، التشييد والبناء، الهدايا والأعطيات، والإعانات والصدقات. فالسلطان يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة اتخذ الوزراء والحجاب والكتاب، ونظم الجيش، اهتم بالعمران. وكل هاته الوظائف تحتاج إلى أموال، وموظفيها يحتاجون إلى جريات شهرية، وهي ضرورية لقيام الدولة وتنظيمها واستمرارها.⁽¹⁾

وأبو حمو موسى الثاني ابتداء حكمه بعدما نظم أمور دولته⁽²⁾، بالإحسان إلى أنصاره، وركابه إلى عرش أسلافه من عرب بني عامر والمقل الذين ناهز عددهم الثمانية آلاف. فأغدق

(1) اتخذ السلطان يغمراسن بن زيان مظاهر الملك والسلطان فعين الوزراء ومن بينهم يحيى بن مكن وأخاه عمروش، وابنه عمر، وعبدون بن محمد الحباك. والكتاب ومنهم الفقيه أبو محمد بن غالب وأبو عبد الله محمد بن جدار، وأبو بكر بن خطاب المرسي. والقضاة ومنهم الفقيه أبو الحسن علي بن اللجام، والفقيه أبو عبد الله محمد الدكالي والفقيه أبو عبد الله بن مروان. وغيرهم. كما اتخذ جيشا من زناته، وأضاف إليه فرقا من الغز والروم. وفرض العطاء. ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 111، 112؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2752؛ عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزيري، ج1، ص 21.

(2) يقول يحيى بن خلدون في هذا الصدد: " ثم صرف -خلد الله ملكه- وجه العناية لإحياء رسوم الخلافة، وتوطيد قواعد الملك، وتشيد مصانع الدولة، مضطعا بتفصيل أحكام ذلك وإحكام تفاصيله، عارفا بتحديد رسومه ورسم حدوده. فاستوزر الحاج ابا عمران موسى بن علي بن برغوث، وولى الفقيه أبا زيد عبد الرحمن بن مخلوف الشامي الشغال والعلامة، والفقيه أبا عبد الله محمد بن علي العصامي ديوان الانشاء والتوقيع، والفقيه أبا العباس أحمد بن الحسن المديوني القضاء...". بغية الرواد، ص 96، 97.

عليهم مما غنم من حامية بني مريـن بتلمسان.⁽¹⁾ ويمكن احصاء أوجه النفقات على عهد هذين السلطانين كما يلي:

1- مصاريف موظفي الدولة والجند.

تأخذ مصاريف الموظفين في الدولة القسم الأكبر من مداخيل الدولة فالحجاب والوزراء والكتاب بنيت لهم دور بقلعة المشور، وهم يحتاجون إلى الحشم والخدم، ويحتاجون إلى التأنق في اللباس والمركب. وأما الجيوش فلا بد لها من سلاح، ولباس موحد، ومراكب، ورواتب. خاصة وأنها كانت كثيرة العدد، فقد ذكر يحيى بن خلدون أن عدد المجندين من النصارى في جيش يغمراسن بن زيان تجاوز الألفين⁽²⁾، ولا بد أن عدد الغز يقاربهم، وكذا الجيش من القبيل.

وأما أبو حمو موسى الثاني فكان حريصا على أن يكون موظفو دولته على أحسان حال في اللباس والزينة وحسن المظهر، لأنه كان يراهم صورة الملك والمملكة.⁽³⁾ وأما جيشه فاهتم به منذ بداية عهده حين التفت إلى قبيله فجهز منهم ألف فارس بخيلهم وسلاحهم، وما يحتاجون من حبوب، ومنح كل واحد منهم ثلاث دراهم ذهبية.⁽⁴⁾ وقد تجاوز عددهم في السنوات اللاحقة اثني عشر ألفا كل بكستوهم، وجرانيتهم.⁽⁵⁾ كما اعتنى بيتامى أفراد جيشه وأراملهم، بأن جعل لهم رواتب من بيت المال حيث جاء في واسطة السلوك: " وينبغي -أي الملك- أن

(1) فكساهم كلهم، ومنح مشايخهم الخيول بسروجها وألحمتها، ومنح كل منهم مبلغا من المال. ينظر: يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 99.

(2) من الذين عملوا في جيش الموحدين. نفس المصدر، ج1، ص 114.

(3) واسطة السلوك، ص 60-140.

(4) قال يحيى بن خلدون: " والتفت -أعلاه الله- إلى قبيله الأعز فأخذ بضبعهم (أي شد عضدهم وأعانهم وقواهم) وراش مهيض جناحهم (أي جبر كسر جناحهم) فاستركب منهم -في يوم واحد- ألف فارس، يكسي الرجل مهم بقدره، ويدفع إليه فرس مسرج ملحم، ومهماز وسيف ورمح، وثلاث من الذهب، وبرشالة (12 رطلا ونصف) من القمح وثلاثون من الشعير. على هذا مضت سنته فيهم، إلى أن ركبوا من عند آخرهم. " بغية الرواد، ج2، ص 99، 100.

(5) وصفهم صاحب البغية بقوله: " ... وسط كل كتبية فينيق جلد الوشي وخلخل اللحين يخطه بسلسلة من الفضة ... قد برزت منه قنية يسي جمالها وصال نلبسها الناظرين ... فكانت فذلكة حساب الجميع اثنا عشر ألف فارس مرتزقة. " نفس المصدر، ج2، ص 357، 358.

يتعاهد أبناء جنده وأعوانه الذين ماتوا في خدمته وطاعته ،ويرضخ لهم من بيت ماله رزقا يقوم بكفائتهم فإنهم أرجى للملك عند بلوغهم وأشد نصحا في خدمته من غيرهم كما يتعاهد صاحب البستان خوالف شجره الهالكة بالسقي والتربية لما يرجوه من خيرها واستطابة ثمرها.⁽¹⁾

كما يدخل ضمن موظفي الدولة العلماء من خطباء ومدرسين ومهندسين وأطباء والذين كانت مرتباتهم على عاتق الدولة ،وذلك تشجيعا منها على طلب العلم. ومن ذلك استقدام يغمراسن بن زيان للفقهاء العالم أبو إسحاق إبراهيم التنسي .وانتداب أبا عبد الله الشريف للتدريس بالمدرسة اليعقوبية التي ابتناها أبو حمو موسى الثاني.⁽²⁾

2- التشييد والبناء.

يعد البناء والتشييد من مظاهر تطور الدول ،وتحضرها وازدهارها ،ويشمل هذا العنصر بناء القصور والمساجد⁽³⁾ والمدارس والمصانع ،والحصون ،والأسوار ،وجلب الماء⁽⁴⁾ وغيرها مما يعرف في وقتنا الحاضر بالبنى التحتية.

(1) أبو حمو موسى ،المصدر السابق ،ص 134 ، 135.

(2) تميزت الدراسة على عهد دولة بني عبد الواد الزيرية بحرية اختيار الطالب للمواد التي يرغب في دراستها دون قيد أو وصاية ،حيث يقوم المتعلم باختيار المواد التي يميل إلى دراستها حسب طاقاته وامكانياته الفكرية ،ويمكنه أن يختار المدرس الذي يثق فيه وفي كفاءاته ،كما أن المدرسين أنفسهم كانوا يحترمون اختيارات طلابهم و ميولاتهم حيث نجد في هذا الصدد العالم أبا عبد الله الشريف التلمساني يمنح الحرية لطلابه في اختيار العلوم التي يرغبون في دراستها قائلا لهم: " من رزق في باب فليلازمه ". غير أن الفقهاء والعلماء وجهوا اهتمامهم إلى العلوم الدينية ،مثل التفسير والحديث والفقهاء ،فكثر المشتغلون بها ،لاسيما وأنها كانت تمكن الطلبة من الحصول على وظائف هامة في القضاء والدواوين الإدارية وغيرها من المناصب ،بالإضافة إلى أنها من العلوم المحمودة التي يقبل عليها الناس ،حتى تصح عبادتهم وتستقيم معاملاتهم. التنسي ،تاريخ بني زيان ،ص 126 ؛أحمد بابا التنبكي ،نيل الابتهاج ،ج1 ،ص 258 ؛أبو حامد الغزالي ،المصدر ،ج1 ،دار الثقافة ،الجزائر ،1991 ،ص 26- 27

(3) أبو حمو موسى ،المصدر السابق ،ص 134 ، 135.

(4) اهتم سلاطين بني عبد الواد ببناء المساجد في المدن والقرى ،وكانوا يحرصون على العناية بها ،ببنائها أو تجديد ما اندثر منها ،أو إقامة الأحباس عليها. ينظر: الونشريسي ،المعيار ،ج7 ،ص 237 ؛مفدي زكرياء ،النشاط العقلي ،مجلة الأصاله ،العدد 26 ،الجزائر ،1975 ،ص 165. وللإطلاع على الجانب المعماري لمساجد المغرب الأوسط ،والمساجد

وكان يغمراسن بن زيان مهتما بهذا الجانب ومن جملة إنجازاته بنائه لقصر المشور، وباب كشوط، وبنائه لصومعتي مسجدي أجادير وهي تلمسان القديمة وتاجرارت وهي تلمسان الحديثة (الجامع الكبير).⁽¹⁾ كما يبدو أنه شجع الرعية على بناء الدور، والاهتمام بالعمران لأن تلمسان عرفت على عهده توسعا كبيرا في العمران.⁽²⁾

كما اهتم يغمراسن بن زيان ببناء الأسوار والأبراج وتحصين مدينة تلمسان، ومن ذلك بناؤه لستة أسوار بالجهة الجنوبية الغربية قرب باب كشوط، وهي أسوار عالية عليها أبراج مدعمة بحصون.⁽³⁾

ولم يجد أبو حمو موسى الثاني عن عادة أسلافه -أبو السعيد عثمان وأبو حمو موسى الأول وأبو تاشفين الأول- في البناء والتشييد.⁽⁴⁾ فقد أبدى اهتماما بالغا بذلك. ومن مآثره المدرسة

=الجزائرية الأخرى، ينظر: رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة شيوخ ابراهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

(1) يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 115، 116؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 125. وقد قام يغمراسن بن زيان بإعادة ترميم جامع أجادير، كما أضاف إلى الجامع الكبير بتاجرارت الجزء الشمالي من بيت الصلاة، والقبعة والصحن والمئذنة، وكان ذلك على النمط المعماري الأندلسي، إذ أن تيجان السواري تشبه نظيرتها بمسجد قرطبة. ينظر: عطاء الله دهينة، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 362، رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 172؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 146؛ p 34، Marçais, Tlemcen ville.

(2) عطاء الله دهينة، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 362.

(3) عن أسوار تلمسان وتحصيناتها ينظر: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص 299؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 111، 112؛ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 184-198؛ Marçais ; Bouali, op.cit, p p 40-43 ; Tlemcen ville, p 54. ويصف العبدري أسوار مدينة تلمسان بالحصينة في قوله: " وأسوارها أوثق الأسوار و اصحها". رحلة العبدري، ص 11.

(4) من مآثر أبي السعيد عثمان مسجد أبي الحسن التنسي، ومن مآثر أبي حمو موسى الأول مسجد ومدرسة أولاد الامام، ومن مآثر ابي تاشفين الأول المدرسة التاشفينية. عن هذه المنشآت ينظر: أبو عباس أحمد المقرئ، رحلة المقرئ إلى المغرب و المشرق، تحقيق محمد بن عمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004، ص 140؛ محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ/ 15م، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 81؛ رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 496؛ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 213؛ هوارية

اليعقوبية التي أسسها سنة 765هـ ، تخليدا لوالده أبي يعقوب يوسف المتوفي سنة 763هـ / 1362م الذي كان حاكما لمدينة الجزائر. ومسجد إبراهيم المصمودي المتوفى سنة 804هـ/1400م⁽¹⁾ ، الذي شيده بجانب القبة والزاوية و المدرسة.⁽²⁾ وكذلك بناؤه لدار الصنعة التي جمع فيها مختلف الصناعات ، وأمهر الصناعات من مختلف الجنسيات والديانات والتي أقام بها مصانع لصناعة الأسلحة ، والألبسة العسكرية ، والتي دون شك تحتاج إلى أموال كثيرة من أجل توفير ما يحتاج إليه الجيش الزياني من سلاح ولباس.⁽³⁾

= بكاي ، العلاقات السياسية والروابط الثقافية ، ص ص 141-154 ؛ عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 147 ؛ أم الخير مطروح ، تطور الحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الاسلامي ، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية ، معهد الآثار ، دائرة الآثار الاسلامية ، جامعة الجزائر ، 1994 ، ص 100 ؛ Marçais(G), l'architecture musulmane, op.cit, p272 ; Bourouiba(R), Les inscriptions, op.cit, p127 ; Dhina(A), Le royaume abdelouadide à l'époque 16 d'abou hamou moussa1^{er} et d'abou tachfin1^{er}, O.P.U, O.N.A.L, Alger, p34 ; Marçais(G), Note sur l'építaphe d'un savant tlemcenien (Abou hammou moussa fils de l'Imam), revue africaine, Alger, 1818, p115.

(¹) هو ابراهيم بن موسى المصمودي، أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة، أخذ العلم عن الأبلي وغيره، ثم نزل على تلمسان و لازم أبا عبد الله الشريف بالمدرسة اليعقوبية، و بعد وفاته أخذ عن سعيد العقباي بالمدرسة التاشفينية، ثم انقطع للعبادة و التدريس، و دفن بعد وفاته بضريح الأمراء الزيانيين بجانب المدرسة اليعقوبية. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 64-66 ؛ عبد الحميد حاجيات ، الجزائر في التاريخ ، ج 3 ، ص 449 ؛ عبد الرحمن بالأعرج ، المرجع السابق ، ص 32.

(²) وهي المباني التي بناها تكريما لوالده أبي يعقوب، لذلك كانت تحمل اسم المدرسة اليعقوبية، غير أن هذه الأخيرة اندثرت مع الزاوية، و لم يبق سوى المسجد والقبة وكان أبو حمو قد أمر بدفن أبيه برياض باب إيلان، ثم نقل إلى حواره رفاة عميه، أبي سعيد و أبي ثابت من مدفئهما بالعباد، ثم شرع في بناء مدرسته إلى جانب أضرحتهم. ينظر: يحيى بن خلدون، المصدر السابق ، ج 2، ص 136 ؛ عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى ص 181 ، 182 ؛ هوارية بكاي ، العلاقات الزيانية المرينية ، ص 45 ؛ رشيد بورويبة ، جولة عبر مساجد تلمسان ، ص 176 ؛ لخضر عبدلي ، الحياة الثقافية ، ص 83.

(³) يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج 2 ، ص 323 ، 324 ؛ أبو حمو موسى الثاني ، واسطة السلوك ، ص 108 ، 109.

3- الهدايا والأعطيات.

الهدايا تكون من السلطان لمن هو في مرتبته من حكام الدول الأخرى لكسب مودتهم ودعمهم ،وقد تكون لمساندتهم على حرب أعدائهم. أما الأعطيات فتكون لمن هم أقل من السلطان مرتبة كالمكافآت ،أو الإقطاعات لاستمالتهم في تطويع الخارجين عليه من رعيته.⁽¹⁾ ومن ذلك الهدية التي قدمها السلطان يغمراسن بن زيان إلى الأمير ابن الأحمر والتي شملت ثلاثين من عتاق الخيل وثياب صوفية.⁽²⁾ وهدية أبو حمو موسى الثاني إلى سلطان غرناطة أبي عبد الله محمد بن نصر والتي تمثلت في امدادات من الذهب والفضة والخيل والحبوب يدعمه ويسانده بها على محاربة النصارى.⁽³⁾

ويمكن أن ندرج ضمن هذا الإقطاعات التي منحها سلاطين دولة بني عبد الواد الزيانية ،وخاصة يغمراسن بن زيان ،وأبي حمو موسى الثاني للقبائل البربرية والعربية ،وخاصة بني عامر من أجل كسب دعمهم ومساندتهم في حالة الحروب.⁽⁴⁾ فقد ذكر يحيى بن خلدون على -سبيل المثال- أن أبا حمو موسى الثاني أرسل المال إلى عرب بني عامر لاستلافهم بعدما خرج عليه خالد بن عامر وساند الأمير أبي زيان بن أبي السعيد.⁽⁵⁾ وكذلك ما منحه من اقطاعات كبيرة

(1) بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 225.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2854. ويبدو أن تبادل الهدايا كانت عادة بين يغمراسن بن زيان وابن الأحمر وألفونسو العاشر ملك قشتالة. وذلك ما يتضح لنا من خلال قول صاحب العبر: " وأسنوا فيما بينهم الاتخاف والمهادات." ينظر أيضا: ابن الخطيب، الاعلام، ج2، ص 332، 333؛ ابن خطاب، فصل الخطاب، ص 52، 53؛ أحمد عزاوي، الغرب الاسلامي، ج2، ص 57.

(3) ذكر يحيى بن خلدون أن الهدية كانت كبيرة من الحمال العديدة، ومنها المراكب المشحونة زرعا، بغية الرواد، ج2، ص 348. ينظر الرسائل المتبادلة حول هذه الهدية في نفس المصدر ص ص 335-356؛ ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص 1344، 1345؛ أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج4، ص 50، 51.

(4) عن نظام الاقطاع في هذه الدولة ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، 2752؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص ص 109-211؛ مختار حساني، المرجع السابق، ص ص 17-21.

(5) جاء في بغية الرواد: "... وأرسل مولانا أمير المسلمين -أيده الله- الشيخين: عثمان بن موسى من بني طاع الله، ووادفل بن عبو بن حماد، وصاحب أشغاله أبا زيد عبد الرحمن بن مخلوف الشامي، بالمال العديد إلى العرب العامرية، فاستألفوا جميعا، دون خالد المذكور." ج2، ص 244. ينظر أيضا: ص 378، 379.

للغرب الوافدين عليه من المغرب الأقصى فارين من اضطهاد السلطان أبي فارس المريني من أولاد حصين والعمارة والمنبات.⁽¹⁾

4- الإعانات والصدقات.

دأب سلاطين دولة بني عبد الواد الزيانية على تقديم الإعانات والصدقات للرعية استلطافا لهم وجبرا لخواطهم، وخاصة حين تتعرض البلاد للكوارث الطبيعية.⁽²⁾ ولذلك كانوا حريصين على جمع الزكاة ومنحها لمستحقيها على الأوجه المفروضة كما ذكرنا آنفا. وإذا كان لا يوجد بين أيدينا ما يشفي الغليل عن أعمال البر هاته للسلطان يغمراسن بن زيان فإنه يمكن أن نستنتج من أوصافه كريمة وخصاله الطيبة. فهذا التنسي يصفه بالمتدين الفاضل المحب في الخير وأهله.⁽³⁾ ووصفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله: " كان مرموقا بعين التجارة مؤملا للأمر عند المشيخة. وتعظمة من أمره عند الخاصة، ويفزع إليه في نوائبه العامة... واستمال عشيره وقبيله وأحلافهم من زغبة بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجوار."⁽⁴⁾ ووصفه يحيى بن خلدون بقوله: "... وكان كريما شجاعا فاضلا حليما متواضعا ذا سداد وعفاف ومجد وعلاء."⁽⁵⁾

أما أبو حمو موسى الثاني فقد ورد عن كرمه الكثير، ومنه ما ذكره يحيى بن خلدون عن عطفه على الرعية، وتصدقه عليها خلال المجاعة التي أصابت مملكته سنة ست وسبعين وسبعمائة هجرية حيث تصدق عليها -أي على الرعية- بنصف خزينة الدولة، ثم أقام ضعافها بمارستانات يأتهم فيها رزقهم طيلة فصلي الشتاء والربيع.⁽⁶⁾

(1) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 420، 421.

(2) بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 225.

(3) تاريخ بني زيان، ص 125.

(4) العبر، مج4، ص 2752.

(5) بغية الرواد، ج1، ص 110.

(6) يقول في ذلك صاحب البغية: " واشتملت هذه السنة (776هـ) -أجمل الله ختمها- على مجاعة شديدة، أكل فيها بعض الناس بعضا، لريح ذات اعصار، أهلكت زرع صائفها وحيوانها ((والله يحكم لا معقب لأمره)) فافتقر الناس إلى ما

وكذلك ما ذكره هو نفسه في واسطة السلوك عن الجود والكرم، فبعد أن وصف لابنه ناصحا أقسام الكرم وهي أربعة، أفضلها أن يكون الملك متوسطا في كرمه، لا مقترا ولا مفرطا فيه⁽¹⁾، نبهه إلى إثارة أهل الحاجة عن النفس والأهل والخاصة حيث يقول في ذلك: " القسم الثاني أن يكون الملك كريما على رعيته، دون نفسه وخاصته وأهل بيته. فهذا كرم غير محمود، ولا هو من الجود. لأنه يقتتر على نفسه وأهله، ويرى أنه من جميل فعله. اللهم إلا أن يكون ذلك إثارة على أهل الحاجة. فاقصره على نفسه ليس بسماحة. فهذه صفة أهل الجود، الذين مثلهم قليل في الوجود. قال الله تعالى: " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة "⁽²⁾ أي جوع. فهذا يا بني إذا كان بهذه المثابة، ففيه أعظم أجر وإصابة."⁽³⁾

ويندرج ضمن الإعانات والصدقات افتداء الأسرى، ومن ذلك ما أقدم عليه هذا السلطان -أي أبو حمو موسى الثاني- من افتدائه للأسرى المركب الذي أخذه النصارى وهو في طريقه إلى مرسى هنين في 08 ربيع الثاني من سنة 768هـ بمال كثير نقدا.⁽⁴⁾

=عند الخليفة -أعلى الله مقامه- فتصدق نصره الله بنصف جباية حضرته كل يوم على ضعافها، تجمع آفاه العديدة لآخر سبع ثم يحشرون بمشوار أيمى أن الجهي وغيره من الرحاب الفسيحة الجنبات، فيقسم ذلك حفظه الله عدلا بينهم ... ثم اقتضى نظره الكريم، أن ضمهم أجمعين بمارستانات يأتهم فيها رزقهم بكرة وعشيا، شتاء السنة وربيعها، إلى أن دعاهم حسب البادية ودرور ضرور ماشيتها إلى الاصحار إليها." ج 2، ص 575، 576.

⁽¹⁾ يقول في ذلك: " اعلم يا بني أنه ينبغي للملك أن يكون كرمه متوسطا، لا مقترا ولا مفرطا. يا بني ليكن كرمك على نفسك ورعيته من غير تبذير، ولا اسراف بالتقدير. فان ذلك هو الكرم المحمود، الذي يستعمله أهل الديانة والفضل والجود." أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص 161.

⁽²⁾ الآية 9 من سورة الحشر.

⁽³⁾ أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص 162.

⁽⁴⁾ كان هذا المركب قادمًا من الأندلس إلى ميناء هنين بمهدية من ملك بني نصر إلى السلطان أبي حمو موسى الثاني، وعلى ظهره محمد بن قضيف الرصاص صاحب أشغال أبي حمو الثاني، فاعترضه النصارى في عرض البحر وطلبوا فدية لإطلاق سراح من كانوا على ظهره، فافتداهم السلطان الزياتي. ينظر: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 376.

ويمكن أن نضع ضمن مصاريف دولة بني عبد الواد الزيانية الخسائر التي كانت تتكبدها خلال حروبها الداخلية والخارجية، والتي كانت تكلف خزينة الدولة أموالا كبيرة فضلا عن الخسائر البشرية.⁽¹⁾

ومن ذلك ما تكبده يغمراسن بن زيان في حروبه مع بني مرين والتي انهزم فيها كلها. ومنها تركه محلته بما فيها نهبها وسلبها لبني مرين بعد هزيمته في معركة وادي اسلي في ذي الحجة 647هـ/مارس 1250م.⁽²⁾ وهزيمته في معركة تلاغ في جمادى الثانية 666هـ/فبراير 1258م.⁽³⁾ وهزيمته في معركة اسلي قرب وجدة في رجب 670هـ/فبراير 1272م والتي اضطر فيها يغمراسن بن زيان إلى اضرام النار في محلته حتى لا يغنمها بني مرين الذين لاحقوا فلوله إلى تلمسان وأطلقوا أيديهم فيها سلبا ونهباً. وعادوا إلى فاس محملين بالغنائم والأسلاب. بعدما خربوا البلاد، وقطعوا القمار وافسدوا الزروع وأحرقوا القرى.⁽⁴⁾ وكانت الهزيمة الرابعة والأخيرة بالقرب من وادي تافنة سنة 678هـ/1280م، والتي اضطر على إثرها يغمراسن بن زيان إلى الإصحار جنوباً تاركاً محلته نهباً مستباحاً لبني مرين.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ فقد يغمراسن بن زيان خلال هذه المعارك أبا حفص عمر كبير أبنائه ووجهاء دولته من أمثال ابن عبد الملك بن حنيفة، ابن يحيى بن مكن، وعمر بن ابراهيم بن هشام. ينظر: هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، ص 227.

⁽²⁾ عن هذه المعركة ينظر: ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 305؛ هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، ص 224.

⁽³⁾ هي معركة من أعنف المعارك التي جمعت بين بني عبد الواد والمرينيين لدرجة أن النساء برزن سافرات في القباب للتحريض على الثبات والقتال. عن هذه المعركة ينظر: ابن أبي الزرع الفاسي، المصدر السابق، ص 305؛ الذخيرة السنوية، ص 116؛ السلاوي، الاتقضا، ج 3، ص 25، 26؛ هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، ص 226، 227.

⁽⁴⁾ حسين مؤنس، تاريخ المغرب الاسلامي وحضارته، مج 2، ط 1، دار العصر الحديث، بيروت، 1992، ص 129؛ محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 86، 87؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 3، ص 422؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 228، 229.

⁽⁵⁾ وقد انضم إلى بني مرين خلال هذه المعركة بنو توجين أبناء عمومة بني عبد الواد، وعلى رأسهم يومئذ كبيرهم أبو زيان محمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية. ينظر: ابن أبي الزرع الفاسي، المصدر السابق، ص 335؛ محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 89؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 231.

لذلك نرى أن يغمراسن بن زيان لم يوصي ابنه وولي عهده أبي السعيد عثمان بتجنب ملاقاتة المرينيين لأنه لا طاقة له بجرهم فحسب، وإنما ليجنبه الخسائر المادية والبشرية الكثيرة التي قد يتكبدها إن هو أقدم على ذلك، وذلك من خلال تجربته معهم.⁽¹⁾

إذا كان يغمراسن بن زيان قد استمر في حروبه مع المرينيين رغم علمه أنه لا قبل له بهم، وكان ذلك خشية المعرفة من خوفه منهم وتقاعسه عن مجاہدتهم وخاصة وأن القبيلين بني عبد الواد وبني مرين من زناتة، وأن تلك الحروب كانت من أجل الحفاظ على بقاء دولته واستمرارها وعدم ذوبانها في دولة بني مرين الطامحة إلى زعامة زناتة ورئاستها بما فيها بني عبد الواد، فإن أبا حمو موسى الثاني تعامل معهم بحكمة بالغة حيث تجنب اللقاء المباشر معهم، وكان كلما غزوا حاضرة دولته خرج منها بماله وجيشه منها، ليلتف عليهم من خلفهم في بلادهم فيضطرون إلى الخروج من عاصمته ليعود إليها.⁽²⁾ لذلك لم يغنم بنو مرين الكثير، وإنما أغلب خسائره في كانت في المعارك التي خاضها ضد المتمردين عليه ومنهم على الخصوص الأميرين أبي زيان القبي حفيد السلطان أبي تاشفين الأول وأبي زيان ابن السلطان أبي السعيد.

فيما يخص أبو زيان القبي فإنه كاد يقضي على أبي حمو موسى الثاني في موقعة البطحاء 25 ذي الحجة 765هـ خاصة بعد وفاة وزيره ابن مسلم الزردالي في نفس السنة، لولا ما منحه من أعطيات وإقطاعات للقبائل العربية، ومنها قبيلة زغبة.⁽³⁾

(1) للإطلاع على وصية يغمراسن بن زيان لابنه عثمان بعدم ملاقاتة بني مرين وتوسيع مملكته شرقا على حساب الحفصيين ينظر: السلاوي، المرجع السابق، ج3، ص16.

(2) عن حروب السلطان أبي حمو موسى الثاني مع بني مرين، وعن خططه القاضية بإخلاء عاصمته والخروج بماله وجيشه منها حفاظا عليه وعلى أمواله ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص125 وما بعدها؛ روضة النسرين، ص56؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص55، 56.

(3) انفرد أبو حمو موسى الثاني في معركة البطحاء أمام قوات أبي زيان القبي المدعوم من قبل عرب أولاد حسين وسويد، وبني عامر هزيمة نكراء، ووصلوا إلى ذراع الصايون من ظاهر تلمسان مع حلول سنة 766هـ. ولم يخلص أبي حمو من القبي غلا بعد أن أطلق سراح كبير بني عامر خالد بن عامر المعتقل لديه بشرط صرف قومه عن القبي، فوفى بوعده، وكان لذلك أثر كبير على القبائل العربية الأخرى التي انفضت من حول القبي، والتحق من معه من وجهاء بني عبد الواد بأبي حمو

أما أبو زيان بن أبي السعيد فإنه غنم من أبي حمو موسى الثاني الكثير. ومن ذلك أنه في أول مواجهة بينهما سنة 767هـ حين كان أبو زيان بن أبي السعيد مساندا للقوات الحفصية فقد أمامه السلطان أبو حمو الثاني الكثير من المال والجند، وكان من بين ما فقد إحدى أحب زوجاته إليه ابنة يحيى بن أبي بكر الزابي. وفي سنة 668هـ غنم أبو زيان بن أبي السعيد أخبية وذخائر الجيش الزياني الذي كان تحت قيادة الوزيرين عمران بن موسى وابن برغوث، واضطرار الأول إلى التحصن بالمدينة والثاني بمليانة.⁽¹⁾ وكاد أبو زيان أن يقضي على السلطان أبي حمو لولا استعمال هذا الأخير للأموال والاقطاعات لتفريق العرب الداعمة لغريمه، أو لكسبها إلى صفه.⁽²⁾

5- العملة.

تعد العملة مظهرا من مظاهر سيادة الدولة وسلطة الخليفة أو السلطان⁽³⁾، وتعتبر عن القوة المالية للدولة فإذا كانت ذات قيمة وجودة فالوضعية المالية للدولة جيدة، وإذا كان العكس فالدولة تعيش مرحلة الضعف والانحلال، وهذا ما نستنتجه من وصف الحسن الوزان لعملة

=الثاني الذي عفا عنهم. عن هذه الأحداث ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص 293-307؛ عبد الحميد حاجيات، أبي حمو موسى، ص 108-113.

⁽¹⁾ عن معارك أبي حمو مع أبي زيان بن أبي السعيد ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص 358 وما بعدها؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 115-126.

⁽²⁾ من القبائل العربية التي كانت تدعم أبي زيان بن أبي السعيد حصين وزغبة والتعالبة وبنو عامر والعطاف وغيرها. وكلها قبائل كانت تميل لمن يدفع لها أكثر، فأدرك السلطان أبي حمو موسى الثاني هذا الأمر فأغدق عليها الاقطاعات والأموال ليصدها عن دعم ومساندة الثائر عليه أبي زيان. ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ص 358 وما بعدها؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج4، ص 2794-2796؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 117-126.

⁽³⁾ مبحوث بوداوية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 277.

الدولة الزيانية خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري ،السادس عشر ميلادي بالرديفة.⁽¹⁾ وهذه الفترة هي فترة ضعف وتلاشي الدولة الزيانية.⁽²⁾

لذلك نجد حكام المغرب الاسلامي بما فيهم حكام الدولة الزيانية اعتمدوا العملة الموحدة لقيمتها ،و حين ضربوا عملتهم الخاصة قلدوا فيها هذه الدولة. وكانت عملتهم من دراهم ودنانير في غاية الجودة.⁽³⁾

كما تعتبر العملة من أهم المصادر التاريخية على اعتبار أنها وثيقة رسمية يصعب الطعن فيها ،فهي تعطينا اسم الخليفة أو السلطان الذي ضربت باسمه ،والفترة الزمنية التي حكم خلالها ،وطبيعة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لدولته.⁽⁴⁾

لقد تمكن كل من يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني من استغلال الموارد الطبيعية -الزراعية ،والحيوانية ،والمعدنية- والبشرية من أجل النهوض باقتصاد دولة بني عبد الواد الزيانية ،والحفاظ على بقائها. كما تمكنا بفضل حكمتها وحنكتهما من استغلال الموارد الاقتصادية الصناعية والفلاحية من أجل تنشيط التجارة على المستويين الداخلي والخارجي ،وكذا توفير

(1) يقول في ذلك: " ويسك الملك نقودا من الذهب الرديء كالدنانير التي تسمى في ايطاليا بسلاتشي أي الخفيفة ،غير أن القطعة الواحدة منها تساوي دينارا وربعا إيطاليا لكونها كبيرة جدا. ويسك أيضا نقودا فضية غير خالصة ،وأخرى نحاسية متفاوتة القيمة والنوع." وصف افريقيا ،ج2 ،ص 23.

(2) تبدأ مرحلة ضعف الدولة الزيانية بمقتل السلطان أبي حمو موسى الثاني وتولي ابنه أبي تاشفين سنة 791هـ/1388م وقد خضعت لسلطة المرينيين ثم الحفصيين ،وبعدها إلى الغزو الصليبي اللاسباني قبل دخول العثمانيين الأتراك والقضاء عليها نهائيا سنة 962هـ/1554م. عن هذه المرحلة ينظر: عبد العزيز فيلاي ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 66-80 ؛هوارية بكاي ،العلاقات السياسية والروابط الثقافية ،ص 28-50.

(3) كانت النقود المتعامل بها في دولة بني عبد الواد الزيانية هي الدينار الذهبي والدرهم الفضي ،وأجزاء الدينار وهي نصف الدينار ،وربعه وثلثه. ينظر: (A) Dhina ,op.cit ,p p 204-232 ؛بوزياني الدراجي ،المرجع السابق ،ص 227.

(4) صالح بن قربة ،المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1986 ،ص 13 ؛مبخوت بودواية ،العلاقات الثقافية والتجارية ،ص 277. عن عملة دولة بني عبد الواد الزيانية شكلها وما كتب عليها ينظر: (A) Dhina ,op.cit ,p p 222-224 ؛بوزياني الدراجي ،المرجع السابق ،ص 228-236.

الموارد المالية اللازمة لتسيير الدولة وتنظيمها، وتلبية مختلف متطلباتها ومتطلبات الرعية، فكانت هذه الموارد نعم السند لهم في التشييد والبناء، وتقوية الجيوش، ومواجهة النوائب والشدائد التي عرفها المغرب الأوسط، والنهوض بمختلف مناحي الحياة ومنها الحياة العلمية والثقافية، فتقربوا من العلماء وقربوهم منهم، وأغدقوا عليهم الأموال والاقطاعات. كما كان لهذه الموارد المالية الدور الكبير في ضمان ولاء الرعية، ومختلف القبائل العربية والبربرية، ودحر الغزوات الخارجية، وإخماد الثورات الداخلية، وبالتالي ضمنا استمرار دولة بني عبد الزيرية.

الفصل الثالث: حكمة التسيير في مجال التجارة الخارجية.

المبحث الأول: عوامل ازدهار التجارة الخارجية لدولة بنى عبد الواد الزيرية.

المبحث الثاني: حكمة يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني في مجال التجارة الخارجية.

المبحث الثالث: المبادلات التجارية لدولة بنى عبد الواد الزيرية.

تعتبر التجارة الخارجية من أهم الأنشطة الاقتصادية للأشخاص والدول منذ العصور القديمة، حيث اعتمدوا عليها في توفير ما يحتاجونه من حاجيات لا يتم إنتاجها في بلادهم، وتصريف ما زاد عن حاجتهم مما تنتجه بلادهم.

كما مثلت التجارة الخارجية مصدر ثراء للأشخاص، وموردا ماليا هاما للدول تستعين به على تطوير نظمها وتوسيع عمراتها، وتقوية جيوشها، وتلبية متطلبات رعيها، ومن بين هذه الدول دولة بني عبد الواد الزيانية التي سعى سلاطينها إلى العناية بالتجارة الخارجية، وربط علاقات متينة في هذا المجال مع جميع الدول والمناطق المحيطة بها، ومن بينهم السلطان يغمراسن بن زيان والسلطان أبي حمو موسى الثاني.

فما هي العوامل التي ساعدت دولة بني عبد الواد الزيانية على ممارسة التجارة الخارجية؟ وما هي المناطق والدول التي ارتبطت بها هذه الدولة تجاريا؟ وما هي أهم السلع التي كانت هذه المبادلات تتم بها؟ وما هي أهم المسالك التي كانت تسلكها هذه التجارة؟ وما مدى حكمة كل من السلطان يغمراسن بن زيان والسلطان أبي حمو موسى الثاني في هذا المجال؟

المبحث الأول: عوامل ازدهار التجارة الخارجية لدولة بني عبد الواد الزيانية.

اجتمعت عدة عوامل طبيعية، وبشرية واقتصادية ساهمت في تطور وازدهار التجارة الخارجية لدولة بني عبد الواد الزيانية، منها الموقع وسطا بين أوروبا وإفريقيا جنوب الصحراء، وبين غرب العالم الاسلامي وشرقه. والعوامل البشرية ومن بينها تشجيع سلاطين الدولة على ممارسة التجارة الخارجية، ووجود عناصر اشتهرت بممارسة هذا النشاط من رعية الدولة من مسلمين وذميين يهود، إضافة إلى عناصر أجنبية من الدول الأوروبية النصرانية لعبت دور الوسيط

في هذا النشاط.⁽¹⁾ ومن بين العوامل التي ساعدت على ممارسة هذا النشاط كذلك تنوع السلع والمنتوجات بين المغرب الأوسط العبد الوادي الزياني ومختلف الأقطار التي كانت تتم معهم المبادلات التجارية.

1- الموقع الهام.

يتوسط المغرب الأوسط دول المغرب الإسلامي، ويمتد من البحر الرومي - البحر الأبيض المتوسط - شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، وهو موقع جعل منه هذه البلاد همزة وصل بين دول المشرق الإسلامي وغربه، وبين أوربا شمال البحر الرومي وإفريقيا جنوب الصحراء أو ما يعرف بالسودان الغربي.⁽²⁾

وقد مكنها هذا الموقع من شريط ساحلي محصن طبيعيا تنكسر عليه الأمواج مما يوفر حماية للسفن الراسية عليه لأنها سواحل مسننة منكسرة نحو الداخل مشكلة مجموعة من الخلجان.⁽³⁾ هذه المناطق التي تأسست عليها العديد من الموانئ التي كان لها الدور الرئيس في ربط المغرب الأوسط بأوربا تجاريا خاصة وأنه كانت في الضفة المقابلة موانئ تقابلها في مختلف المدن الساحلية الإسبانية، والفرنسية والإيطالية، كألميرية ومالقة بالأندلس⁽⁴⁾، ومن أهم هذه الموانئ أو

⁽¹⁾ اشتهر العديد من رعايا دولة بني عبد الواد الزيانية بممارسة التجارة الخارجية ومنهم آل المقرري وآل مرزوق، وآل العقباني. كما كان للذميين من اليهود دور كبير في هذا النشاط كذلك تمويلًا ومشاركة، أما نشاط الأجانب وخاصة منهم رعايا الدول الأوروبية النصرانية فاقصر على دور الوسيط بين أسواق المغرب الأوسط وأوربا. ينظر: مبخوت بودواية، العلاقات التجارية والثقافية، ص 322-324؛ فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 206-229؛ عبد العرير فيلاي، المرجع السابق، ج 2، ص 136-139.

⁽²⁾ جورج مارسي، المرجع السابق، ص 97؛ عبد الحميد مباركي، المرجع السابق، ص 177.

⁽³⁾ ادريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط، ص 70.

⁽⁴⁾ عطاء الله دهينة، الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 478.

المراسي ميناء هنين⁽¹⁾، مينائي وهران⁽²⁾، ميناء تنس⁽³⁾، وميناء الجزائر، وأرشقول، وأرزيبو، ومرسى الحجاج، وبرشك، وشرشال وغيرها⁽⁴⁾

كما مكنها امتدادها نحو الجنوب من السيطرة على مدن ظلت مراكز لقوافل التجارة الصحراوية ومنها مدن اقليم توات، فيجيج وعين صالح، والتي كانت تمر بها القوافل القادمة من موانئ الشمال عبر تلمسان، أو تلك القادمة من الشرق عبر طرابلس الغرب وتونس، أو حتى

⁽¹⁾ ميناء روماني قديم كان يعرف جيساريا برتوس (Gypsaria portus) شكل رفقة ميناء وهران نقطة هامة في المبادلات التجارية بين مملكة بني عبد الواد الزيانية والدول الأوربية. كان له دور كبير عبر المختلف المراحل التي عرفها المغرب الأوسط سياسيا وعسكريا كذلك. عنه ينظر: الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج2، ص 15؛ مازمول كرنجال، افريقيا، ج2، ص 77؛ Mac Carthy, Algeria Romana, recherche sur l'occupation et colonisation de l'Algérie par les Romains, Revue Africaine, Alger, 1865, p 169; Djilali Sari, la renaissance d'un ancien débouche de l'or transsaharien – Honaine- ,O.P.U, Alger, (S.D), p 30. العلاقات بين المغرب الأوسط، ص 71.

⁽²⁾ وهما ميناء المرسي الكبير يبعد بنحو ميلين عن مدينة وهران، وهو ميناء محصن طبيعيا ضد الرياح لرسو السفن التي كانت ترسو به في حالة الاضطرابات الجوية وخاصة منها سفن البندقية التي كانت تتجه مباشرة إلى ميناء وهران في حالة كان الجو مناسباً للإبحار، وكان يتميز بسعة استيعابه للسفن، إذ يمكن أن ترسو فيه مئات المراكب. وميناء وهران الذي كان أصغر من سابقه، وكان يمثل بوابة الأراغونيين إلى تلمسان. ونستشف من وصف سقوط المينائين في يد فرديناند الكاثوليكي ملك اسبانيا - سنة 911هـ/1505م بالنسبة للأول و915هـ/1509م بالنسبة للثاني- بالخسارة العظمى من قبل الحسن الوزان أنه كانت لهما أهمية كبيرة لدى دولة بني عبد الواد الزيانية. عن المينائين ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 77؛ وصف افريقيا، ج2، ص 30، 31؛ مازمول كرنجال، افريقيا، ج2، ص 325؛ جورج مارسي، تلمسان، ص 97؛ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، 1492-1792، الجزائر، (د.ت)، ص ص 96-110؛ (D) Sari, op.cit, p 31؛ بن مصطفى ادريس، المرجع السابق، ص 71، 72.

⁽³⁾ أنشأه الأندلسيون، كانت السفن تنطلق منه محملة بحبوب المنطقة إلى مختلف الدول، وهو ميناء مشهور معروف لديهم. عنه ينظر: الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 104؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 154؛ مازمول كرنجال، المصدر السابق، ج2، ص 354.

⁽⁴⁾ عن هذه الموانئ ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 77، 78؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 129، 130؛ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 217؛ ادريس بن مصطفى، علاقات المغرب الأوسط، ص 72، 73.

تلك القادمة من الغرب عبر سجلماسة.⁽¹⁾ ومن أشهرها الطريق الذي سلكه ابن بطوطة أثناء عودته من بلاد السودان الغربي إلى سجلماسة، والذي يمر بمدن منسا، ميمة، تمبوكتو، كوكو، تكدا، الهقار، وتوات. أيضا الطريق الذي يربط وهران بتمبوكتو والذي يمر بالخيثر، مشرية، عين الصفراء، فيجيج، توات، أكايلي، بئر تيد يشومين، والن، عين رنان، ومبروك.⁽²⁾ أما الطرق التي تربط مدن المغرب الإسلامي عبر المغرب الأوسط فأشهرها الطريق الذي يربط طنجة بتونس عبر تلمسان، ومنها إلى مليانة، ثم الجزائر، فبجاية، ومنها إلى قسنطينة، فبونة، ومنها إلى تونس.⁽³⁾ وذكر العبدري هذا الطريق فذكر مدنا أخرى مر بها ميلية بين بجاية وفسنطينة، وباجة بين بونة وتونس، والطريق الذي يربط تنس بفاس، والذي يمر عبر مازونة، مستغانم، تلمسان، ندرومة، تازة، ومنها إلى فاس.⁽⁴⁾ إضافة إلى الطريق الساحلي الذي يربط مختلف المدن الساحلية لبلاد المغرب الإسلامي كتونس وبونة وبجاية، والجزائر، وتنس، ومستغانم، ووهران، وهنين، وسيتة، وطنجة.

2- العوامل البشرية.

تندرج ضمن هذه العوامل تشجيع سلاطين دولة بني عبد الزيرية على ممارسة نشاط التجارة الخارجية والذي نتج عنه مشاركة موظفين سامين في الدولة لهذا النشاط ومن بينهم أسرة آل الملاح الأندلسية التي كان أفرادها رجال مال⁽⁵⁾، وتولوا أعلى المناصب في دولة أبي حمو

⁽¹⁾ عن هذه المسالك ينظر: مبخوت بودواية، العلاقات التجارية والثقافية، ص ص 310-314؛ محمد أعيف، المسالك الصحراوية، توات حلقة اتصال بين المغرب وإفريقيا الغربية، منشورات عكاظ، الرباط، المملكة المغربية، (د.ت)، ص ص 54-58؛ لطيفة بن عميرة، الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك السودان الغربي، حولية المؤرخ، العدد الخامس، جوان 2005، ص 84.

⁽²⁾ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 217.

⁽³⁾ عن هذا الطريق ينظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات الأكاديمية المغربية، 1997، مج 1، ص 162.

⁽⁴⁾ كان العبدري قد وصل إلى تنس عبر البحر. ينظر: رحلة العبدري، ص 22.

⁽⁵⁾ هم موالى من أصل مسيحي وفدوا إلى تلمسان من قرطبة بالأندلس، كانوا يعملون في ضرب السكة أيضا كما كانت لهم يد في الفلاحة، عرفوا بالأمانة والإخلاص. حسين تواتي، المرجع السابق، ص 75؛ جورج مارسلي، بلاد المغرب

الأول الذي استوزر منهم أربعة أفراد.⁽¹⁾ وبرز من الموظفين السامين الذين مارسوا التجارة الخارجية بشكل كبير هلال الكطلاني على عهد أبي تاشفين الأول الذي ساعده -هلال الكطلاني- على الوصول إلى الحكم.⁽²⁾ فاشتهر بممارسة التجارة الخارجية، ومن ذلك ما ذكره صاحب العبر أنه كان يملك سفنا اشتهراها بماله جهزها بالسلع والمؤونة والمقاتلين، خرج بها من هنين قاصدا الحج، كما جمعته بسultan مالي منسى موسى علاقات طيبة ساهمت في رواج تجارته مع السودان الغربي على ما يبدو.⁽³⁾

كما ساعد تشجيع سلاطين بني عبد الواد للتجارة الخارجية على تأسيس الشركات التجارية التي كانت تتولى عمليات الاستيراد والتصدير من أوروبا إلى تلمسان، ومنها إلى السودان الغربي عبر المغرب الأدنى أو عبر الواحات الجنوبية.⁽⁴⁾ ومن أشهر الشركات شركة آل المقرري⁽⁵⁾ التي سيطرت على تجارة السودان الغربي، وكان لها الفضل الكبير في تمتين العلاقات

=وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكال، مطبعة الانتصار، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، 1991، ص 338.

(1) وهم محمد بن ميمون بن الملاح الذي تولى الحجابة والوزارة معا، ثم ابنه محمد الأشقر تولى هو الآخر الوزارة والحجابة، ثم ابنه ابراهيم، ثم عمه علي. ينظر: بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 125.

(2) جورج مارسي، بلاد المغرب، ص 358.

(3) أصله من سبي النصرى أهداه السلطان ابن الأحمر إلى السلطان عثمان بن يغمراسن بن زيان، ثم صار إلى السلطان إبي حمو موسى الأول الذي أعطاه لابنه أبي تاشفين الثاني في حملة ما منحة من العلوج، فنشأ معه وكان هو الذي وسوس له بقتل أبيه لتولي العرش مكانه. عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 4، ص 2781.

(4) عن الشركات التجارية ونشاطها ينظر: والونشريسبي، المصدر السابق، ص 5، ص 210 و ص 236، ص 8، ص 189، ص 196، ص 10، ص 232، 233.

(5) استقر آل المقرري بتلمسان مع نهاية القرن 6هـ/12م، وبداية القرن 7هـ/13م، وهي الفترة التي كانت تشهد خلالها هذه المدينة تنظيما تجاريا محكما، ونشاطا تجاريا مكثفا، وأسسوا شركة بين خمسة أخوة هم: عبد الرحمن، أبو بكر، محمد، عبد الواحد، وعلي، وهم من ذرية يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرري. ولقب بالمقرري نسبة لبلدة مقرة وهي قرية من قرى "الزاب" التي نزل بها هو وسلفه قادمين إليها من شبه الجزيرة العربية، وحسب تحديد الرحالة للمدينة فإنها تقع اليوم جنوب سطيف باتجاه بركة بنحو 77 كلم، وإلى الشرق من المسيلة بنحو 55 كلم، وغرب بركة بنحو 39 كلم. عنها ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 51؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تقديم

التجارية بين تلك المنطقة والمغرب الأوسط، فهي من تكفل بتأمين الطريق الواصل بين المنطقتين ضد قطاع الطرق من جهة، وضد الهلاك عطشا بحفر الآبار من جهة أخرى⁽¹⁾، كما كان للعلاقات التي ربطها أصحابها مع ملوك السودان الغربي الدور الكبير في رواج تجارة المغرب الأوسط في المنطقة.⁽²⁾

وكانت هذه الشركة تعمل بنظام تجاري محكم حيث تقاسم أفرادها العمل في دراسة السوق ومتطلباته، وتقلبات الأسعار سواء في تلمسان أو أوربا أو السودان الغربي فكان اثنان منهم يقيمان في تلمسان وغلبا ما يستقران بمرسى هنين لاستقبال السلع المحلوبة من الأندلس وأوربا، وذلك حسب ما يُرسم لهما من السلع غير المنتجة بتلمسان.⁽³⁾ وكان آخران يقيمان بإولاتن من السودان الغربي، وكان الخامس يقيم بسجلماسة لدراسة الأسعار وتقدير الأرباح. يقول في ذلك صاحب نفح الطيب: "... ثم اشتهرت ذريتهم (يقصد آل المقرري) على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة، فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار، واتخذوا طبلا للرحل وراية تقدم عند المسير، وكان ولد يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم و الاعتدال، فكان أبو بكر ومحمد - وهما أرومتا نسبي من جميع جهات أمي و أبي - بتلمسان، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر

=وتعليق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 164؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980، ص 556؛ نفح الطيب، ج 5، ص 205، 206.
(1) وهذا ما نستشفه من خلال قول صاحب النفح: "... فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طبل الرحيل، وراية تقدم عند المسير...". ولاشك أن اتخاذهم للراية و الطبل دليل على أنه كان لهم جيشا يسير مع القافلة ليحميها.

(2) يقول صاحب نفح الطيب في ذلك: "... ثم اتصل بملكهم فأكرم مثواه، ومكنه من التجارة بجميع بلاده، وخطابه بالصديق الأحب ... ثم صار يكاتب من بتلمسان ليستقضي منهم مآربه، فيخطب بمثل تلك المخاطبة، وعندني من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبئ عن ذلك ... فلما استوثقوا من الملوك تذلت لهم الأرض للسلوك، فخرجت أموالهم عن الحد وكادت تفوت الحصر والعد". ينظر: نفح الطيب، ج 5، ص 206؛ الاحاطة، ج 2، ص 193؛ بن داود نصر الدين، المرجع السابق، ص 272.

(3) بن داود نصر الدين، المرجع السابق، ص 273.

بسجلماسة ،وعبد الواحد وعلي شقيقاهم الصغيران بإولاتن ،فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار ،وتزوجوا النساء واستولدوا الاماء ،وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ،ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج ،والجوزة والتبر ،والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسارة والرجحان ،ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان ،حتى اتسعت اموالهم وارتفعت في الضخامة أحوالهم⁽¹⁾.

يضاف إلى هذا ما اشتهر به تجار تلمسان من الصدق ،والأمانة ،والإخلاص . والحرص على التبضع من أجود البضائع والسلع كما وصفهم الحسن الوزان الذي قال فيهم: " فالتجار أناس منصفون ،مخلصون جدا وأمناء في تجارتهم ،يحرصون على أن تكون مدينتهم كزودون بلمون على أحسن وجه . أهم أسفارهم التجارية هو الذي يقومون به إلى السودان ،وهم وافروا الغنى أملاكا ونقودا..."⁽²⁾.

ويندرج ضمن هذا العامل أيضا دور اليهود⁽³⁾ في تنشيط التجارة الخارجية بين المغرب الأوسط الزياني ومختلف الأقطار المجاورة له خاصة الدول الأوربية والسودان الغربي . سواء

(1) المقري ،المصدر السابق ،ج5 ،ص 205 ،206.

(2) وصف افريقيا ،ج2 ،ص 21.

(3) يعود استقرار اليهود ببلاد المغرب الاسلامي إلى العصور القديمة ،حيث وفدوا إلى المنطقة مع ظهور الفينيقيين بها ،وتزايد عددهم بعد اضطهادهم من قبل الرومان . وقد أثر اليهود في سكان المنطقة الذين اعتنق بعضهم الديانة اليهودية ،منهم قبائل حراوة ،ومديونة ،ونفوسة ،وعياثة ،ويرجح أن استقرارهم بتلمسان كان قبل الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ،لكن الأكيد أن عددهم تزايد بعد اضطهادهم من قبل النصارى في شبه الجزيرة الابيرية . ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،مج4 ،ص 2402 ؛المالكي ،رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم ،تحقيق بشير البكوشي ومحمد العروسي المطوي ،ج1 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1994 ،ص 54 ؛عبد العزيز فيلاي ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 193-195 ؛فاطمة بوعمامة ،المرجع السابق ،ص 13-39.

كوسطاء انطلاقا من تلمسان أو كمشاركين في نقل السلع والبضائع أو كعمولين للقوافل التجارية.⁽¹⁾

ففيما يخص المبادلات التجارية بين دولة بني عبد الواد الزيانية والدول الأوربية نجد اليهود يلعبون دورا هاما في عقد صفقات تزويد الدول الأوربية بمختلف منتوجات المغرب الأوسط والتي ما كانت لتتم لولا التجار اليهود.⁽²⁾ ونجد الملك الأراغوني يوحنا الأول (1213-1276م) قد أصدر أمرا إلى عماله في جانفي 1274م بعدم التعرض لليهود القادمين من مملكة تلمسان إلى بلاده للتجارة أو الإقامة.⁽³⁾ كما أصدر الملك بيير الرابع حاكم كطالونيا سنة 1343م قرارا يسمح من خلاله لليهود المغرب الاسلامي بحرية التجارة على أراضيه، وفي سنة 1359م دعمه بقرار آخر يمنح امتيازات من بينها تحديد الرسوم الجمركية بـ 20% من قيمة السلع المصدرة أو المستوردة.⁽⁴⁾

أما فيما يخص التجارة مع بلاد السودان الغربي فدورهم فيها بدأ منذ القرن الثاني الهجري⁽⁵⁾، وذلك أن جماعات من اليهود استقرت في المناطق التي تربط المغرب الإسلامي بالسودان الغربي، ومنها سجلماسة وتوات.⁽⁶⁾ فلعبت دورا كبيرا في تنشيط تجارة الذهب بين المنطقتين وأوربا قبل أن يتراجع هذا النشاط على عهد المرابطين والموحدين. ليعود أكثر حيوية

(1) كان اليهود من أنشط العناصر في مجال التجارة الخارجية على مستوى دول المغرب الإسلامي وأوربا من حيث تبادل السلع بين تلك الأقطار، وتمويل المتعاملين معهم، ومدابنتهم لآجال متفق عليها. بو زيان الدراجي، المرجع السابق، ص 214؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 193.

(2) فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 211.

(3) Mas Latrie, relations et commerce du Maghreb avec les nations chrétiennes au moyens âges, Paris, 1886, p 188.

(4) فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 212.

(5) عن المراحل والأدوار التي عرفتها مشاركة اليهود في تجارة الصحراء، وأماكن تركز اليهود ينظر: فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 219-231.

(6) عبد الكريم بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 هـ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 19؛ فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 221.

ونشاطا على عهد العهد الواديين والمرينيين خاصة ، وذلك نظرا لحاجة هاتين الدولتين لذهب السودان الغربي ، وللرأسمال اليهودي.⁽¹⁾

3- تنوع المنتوجات.

يعد تنوع المنتوجات من محاصيل زراعية ، ومواد أولية ، ومصنوعات أساس التبادل التجاري بين الشعوب والدول. لذلك نجد أن هذا العامل قد ساهم كثيرا في ازدهار التجارة الخارجية لدولة بني عبد الواد الزانية وازدهارها.

وتنوع المنتوجات يكون بحسب تنوع المناخ ، وطبيعة التربة ، والتطور الصناعي ، وهذا ما توفر بين مختلف مناطق المبادلات التي ارتبط بها المغرب الأوسط الذي يمتد من العروض المعتدلة شمالا إلى العروض الحارة جنوبا والذي جعله متنوع المحاصيل الزراعية ، والمواد المعدنية. ومنها الحبوب ، والفواكه ، والقطن ، والتمور ، والعسل ، والشمع ، والملح ، والحديد. إضافة إلى الثروة الحيوانية وما يرتبط بها من أصواف وألبان ، وجلود ، والتي وفرت مواد مصنعة متنوعة الألبسة ، والأسلحة ، السروج والحبال وغيرها. كما ذكرنا آنفا.⁽²⁾

أما الدول الأوربية التي تمتد من العروض المعتدلة جنوبا إلى العروض الباردة شمالا ، وتتميز بكثرة أنهارها الكبيرة ، وترتبتها خصبة.⁽³⁾ فإنها اشتهرت بالمحاصيل الزراعية المتنوعة ومنها

(1) كان ذهب السودان الغربي ينقل إلى أراضي هاتين الدولتين ومنها إلى الدول الأوربية التي أولى أمراؤها وتجارها أهمية كبيرة للتجارة مع المغرب الاسلامي خلال هذه الفترة. أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 307. وذكر الحسن الوزان أن كان يوجد قرابة الثلاثمائة تاجر وحرفي بأحد الأحياء قرب تغاست بالسودان الغربي. وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 161.

(2) وهو نفس ما يميز بلاد المغرب الاسلامي ، وأجزاء كبيرة من المشرق الاسلامي.

(3) عن مناخ هذه المنطقة وتضاريسها ينظر: المقرئ ، نفع الطيب ، ج 1 ، ص 132 وما بعدها ؛ الادريسي ، المصدر السابق ، ص 572 ، 573 ؛ الحميري عبد المنعم السبتي ، صفة جزيرة الأندلس ، نشر ليفي برفنصال ، ط 2 ، دار الجليل ، بيروت ، 1988 ، ص 13 وما بعدها ؛ هنري بيري ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ترجمة عطية الغوطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1996. ادريس بن مصطفى ، العلاقات المغرب الاسلامي ، ص 115 - 153.

الكروم ،والزعفران ،والفواكه المختلفة ،كما اشتهرت المنطقة بإنتاج الخشب .وكان باطن أرضها يزخر بأنواع عديدة من المعادن ومنها الحديد ،والشيب ،والقصدير ،والزئبق .والذي ساهم في انتعاش الصناعة وتنوعها . ومنها الأسلحة ،وأدوات الزراعة من محارث ،وفؤوس ومناجل ،إضافة الزجاج ،والسفن ،والأرحية.⁽¹⁾

وأما بلاد السودان الغربي التي تنحصر بين الصحراء الكبرى شمالا وخط 10° شكل خد الاستواء جنوبا ،وبين بحر الظلمات -المحيط الأطلسي- غربا وبحيرة تشاد شرقا⁽²⁾ ،فإنها تقع في المنطقة الحارة ،ويسودها المناخ الصحراوي والمناخ المداري⁽³⁾ ،ويتخللها نهرا النيجر والسنغال⁽⁴⁾ ،وتغطي الصحراء التوسع منها . وهي قليلة الماء ،شديدة الحرارة .⁽⁵⁾ أما الجزء الكبير منها فيقع في منطقة السافانا الغني بتربته الخصبة التي تتركز على ضفاف نهري النيجر والسنغال⁽⁶⁾ ،والمعادن الثمينة ومنها الذهب ،وتنوع محاصيله وحيواناته.⁽⁷⁾ ومن أهم المحاصيل الزراعية في المنطقة الذرة ،والقمح ،والشعير ،والأرز ،والقرع.⁽⁸⁾ ويعد النحاس أهم المعادن بها

(1) عن المحاصيل الزراعية ،والمترجات الصناعية لدول أوروبا ينظر: ادريس بن مصطفى ،العلاقات المغرب الاسلامي ،ص 115- 153.

(2) الهادي المبروك الدالي ،التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر ،ط2 ،الدار اللبنانية المصرية ،القاهرة ،1999 ،ص 19 ؛مبخوت بوداوية ،العلاقات التجارية والثقافية ،ص 5.

(3) حيث أننا كلما ابتعنا عن الصحراء من هذا الجزء كلما زاد المطر ،وزادت خصوبة التربة . الهادي المبروك الدالي ،المرجع السابق ،ص 20.

(4) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل ،دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر ،مكتبة الاسكندرية ،القاهرة ،1998 ،ص 5 ؛عبد الرحمن زكي ،المرجع السابق ،ص 7 ؛الهادي المبروك الدالي ،ص 20 ؛

(5) عبد الرحمن زكي ،تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ،المؤسسة العربية الحديثة ،القاهرة ،1960 ،ص 9.

(6) مارمول كرنجال ،المصدر السابق ،ج3 ،ص 180.

(7) الهادي المبروك الدالي ،المرجع السابق ،ص 267.

(8) تطور الانتاج الزراعي ببلاد السودان الغربي بفضل الاصلاحات التي أدخلها الأسيقي محمد الكبير على هذا النشاط بعدما استفاد من تجربة بلاد المغرب ،والذي جمعته بحكامه علاقات حسنة وصلات وثيقة خاصة ما تعلق منها باستصلاح

إلى جانب الذهب. كما اهتم أهل المنطقة بتربية الحيوانات وأهمها الابل والبقر، كما توجد بها العديد من الحيوانات البرية ومنها الفيلة التي ضمنت لهم العاج الذي كان يصدر إلى بلاد المغرب وأوروبا.⁽¹⁾

إذا كانت هذه العوامل ساعدت ازدهار التجارة الخارجية لدولة بني عبد الواد الزيانية، ونشاط حركيتها، فإن ثمة عوامل أخرى أثرت سلبا عليها، منها انعدام الأمن سواء عبر الطريق البري نظرا لانتشار قطاع الطرق عبر مختلف المسالك، والتي دفعت بالقائمين على هذه التجارة على بذل الكثير من العطايا للقبائل المقيمة عبرها، أو استئجار الكثير من الحرس لحماية القوافل.⁽²⁾ ويضاف إلى ذلك ندرة الماء خاصة وأن المنطقة في بلاد قفر.⁽³⁾ أما الطريق البحري فانتشرت فيه ظاهرة القرصنة كثيرا خاصة من جانب النصارى الذين كانوا يملكون أكبر عدد من السفن، ومن ذلك تعرض المركب التي كانت تقل مبعوث السلطان أبي حمو موسى الثاني محمد بن قضيب الرصاص صاحب أشغاله والذي كان قادما من الأندلس إلى ميناء هنين بهدية من ملك بني نصر إليه، والذي اضطر إلى افتداء أسراها بدفع أموال كبيرة.⁽⁴⁾

Zakari Draman Issifou ,Afrique noire dans les =الأراضي وتحسين نوعية الحبوب. ينظر: relation internationales au VI^e siècles ,édition Karthala ,Paris ,1982 ,154.

⁽¹⁾ عن المحاصيل الزراعية للسودان الغربي، وثروته الحيوانية والمعدنية، ومنتجاته الصناعية ينظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 679-696؛ الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 159-179؛ محمد عبد الغني سعودي، الاقتصاد الافريقي والتجارة الدولية، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ص 19، 20؛ الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 267-294؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 285-295.

⁽²⁾ عن انعدام الأمن عبر مسالك تجارة المغرب الأوسط الخارجية ينظر: مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 316.

⁽³⁾ وهذا ما دفع بآل المقرري الذين نشطوا في تجارة السودان الغربي إلى تمهيد طريق الصحراء بجزر الآبار وتأمين التجار. المقرري، المصدر السابق، ج 5، ص 205.

⁽⁴⁾ يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 376.

المبحث الثاني: حكمة يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني في مجال التجارة الخارجية.

تفرض أهمية التجارة الخارجية على أي حاكم إقامة علاقات مع الدول والمناطق المجاورة لدولته لما لها من فوائد مالية تعينه على النهوض بها وتطويرها في مختلف المجالات، الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، والعسكرية، وغيرها. فإلى أي مدى كان كل من السلطان يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة العبد الوادية، والسلطان أبو حمو موسى الثاني حكيمن في مجال التجارة الخارجية؟ وما هي مظاهر حكاهما في هذا المجال؟

كان لموقع المغرب الأوسط كما ذكرنا سابقا أهمية حيوية أو استراتيجية بمفهومنا الحالي لتوسطه طرق التجارة الدولية ومسالكها بين المشرق والمغرب، وبين الشمال والجنوب. وقد أدرك السلطان يغمراسن بن زيان والسلطان أبي حمو موسى الثاني هذه الحقيقة فسعى إلى استغلال هذا العامل الطبيعي في تطوير التجارة الخارجية لدولتهما.⁽¹⁾

ومن بين أهم مظاهر اهتمامهما بالتجارة الخارجية والتي تعد كذلك من مظاهر حكاهما في هذا المجال:

1- السماح بحرية النقل والتجارة الخارجية.

يبدو من خلال المصادر والمراجع التي بين أيدينا أن كل من السلطان يغمراسن بن زيان والسلطان أبي حمو موسى الثاني قد سمحا لرعيتهما بممارسة التجارة الخارجية بكل حرية مع مختلف الأقطار، وذلك شريطة دفع للدولة ما لها من حقوق جمركية مستحقة على هذا النشاط

(1) من ذلك ما أورده صاحب نصح الطيب عن الأهمية التي أولاها السلطان أبي حمو الثاني للتجارة مع السودان الغربي والتي تتجلى في قوله: " لولا الشناعة لم أنزل بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالثبر (أي الذهب) الذي كان أمر الدنيا له تبع، ومن سواهم يحمل منها الذهب ويأتي إلينا بما يضمحل عن قريب ويذهب منه ما يغير من الفوائد، ويجر السفهاء إلى المفاسد. " المقري، المصدر السابق، ج5، ص 206، بعتاء الله دهبنة، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 486.

، والتي قدرتها سلطة بني عبد الواد الزيانية بعشرة في المائة (10٪) من ثمن البضائع الصادرة أو الواردة.⁽¹⁾

وتعد شركة آل المقرري التي تأسست منتصف القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي (7هـ/13م) من الدلائل على حرية ممارسة التجارة الخارجية، والتي كان لها دور كبير توطيد العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، وذلك عن طريق تأمين الطريق بينهما وشق الآبار على طولها، واحتكار تجارة السودان الغربي بفضل العلائة الطيبة التي جمعتهم بملوك المنطقة. يقول صاحب نفح الطيب في ذلك: "... ثم اشتهرت ذريتهم (يقصد آل المقرري) على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة، فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار... ثم اتصل بملكهم فأكرم مثواه، ومكنه من التجارة بجميع بلاده، وخاطبه بالصديق الأحب... ثم صار يكتاب من بتلمسان ليستقضي منهم مآربه، فيخاطب بمثل تلك المخاطبة، وعندني من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبئ عن ذلك... فلما استوثقوا من الملوك تذلت لهم الأرض للسلوك، فخرجت أموالهم عن الحد وكادت تفوت الحصر و العد." ⁽²⁾

كما سمحا هذان السلطانان بحرية تنقل التجار والبضائع من مختلف الجنسيات والديانات عبر مختلف مناطق مملكتهما. حيث كان التجار ينتقلون عبرها من المغرب الإسلامي نحو مشرقه، وينقلون بضائعهم من الجنوب ليصدرونها نحو أوروبا عن طريق تجار تلك البلاد.⁽³⁾

⁽¹⁾ بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 221، 222.

⁽²⁾ المقرري، المصدر السابق، ج 5، ص 205، 206؛ لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، ج 2، ص 193.

⁽³⁾ لقد شكل المغرب الأوسط همزة وصل بين دول المغرب الإسلامي، وبينهم وبين المشرق، ومن ذلك المسلك الذي سلكه ابن بطوطة من المغرب الأقصى خلال رحلته إلى الحج والذي يمر عبر تلمسان ومنها إلى مليانة التي التقى بها بتجار تونس، ومنها إلى الجزائر، ومنها إلى بجاية ومنها إلى تونس، والتي ذكرها دون أن يذكر تعرض أحد لهم، كما ذكر أنه مكث يتلمسان لقضاء حوائجه، ولا شك أنه تبضع منها لأنه أشترى إلى ترك أحماله ليخفف حمله بعد الحمى التي أصابته. رحلة ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 162. كما كانت تلمسان تعج بالتجار النصارى من مختلف الجنسيات لنقل السلع الصحراوية سواء منها القادمة من جنوب مملكة بين عبد الواد الزيانية كالتنمر، أو تلك القادمة من السودان الغربي كالذهب إلى دولهم. ينظر: عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 190، 191.

2- الاهتمام بالتجار الأوربيين.

شكل التجار الأوربيين همزة وصل بين تجارة المغرب الأوسط وأوربا لذلك نجد سلاطين دولة بني عبد الواد الزيانية قد أولوهم العناية اللازمة ، ووفروا لهم الحماية والأمن أثناء اقامتهم بمدن الدولة وموانئها أو أثناء رحلاتهم البحرية نحو هذه المناطق.⁽¹⁾ كما سمحوا لهم بالإقامة على أراضي دولتهم وخاصة العاصمة تلمسان ،فأنشأ هؤلاء السلاطين الفنادق⁽²⁾ التي كانت تعد مقرا لإقامتهم ولنشاطهم التجاري ، كما اعتبرت مقر إقامة ممثل الدولة المسمى القنصل ، وكذا ممثلي الشركات الأجنبية.⁽³⁾

ومن مظاهر العناية بالتجار الأوربيين أن الدولة كانت تتكفل بإصلاح وتوسيع الفنادق التي كانت تقام بجانبها ما يحتاجه المسيحيون من كنائس ، وحمامات ، وأفران ، وحانات

(1) عطاء الله دهينة ، الجزائر في التاريخ ، ج 3 ، ص 484.

(2) الفنادق عبارة عن مؤسسة خاصة بالتجار المسيحيين ، كانت تشيد بالحياء التجارية أو بالقرب منها ، وأحيانا كانت تقام خارج الأحياء السكنية بالقرب من الأسوار ، ومن أشهر الفنادق فندق الشماعين ، وفندق المحاري بتلمسان ، وفندق الجنويين بوهران التي كانت بما هي الأخرى عدة فنادق. الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 30 ؛ عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 136 ، 137 ؛ عطاء الله دهينة ، المرجع السابق ، ص 484.

(3) كانت الشركات الأجنبية تسهر على عمليات المبادلات التجارية بين دولة بني عبد الواد الزيانية والدول الأوربية وتنظيمها تحت اشراف قناصل تلك الدول الذين كانوا يتمتعون بالحماية من قبل الدولة ، ولهم الحق في مقابلة السلطان أو ولي العهد ، أو مقابلة والي المدينة التي يقيمون بها. فالفنادق أشبه في وقتنا الحالي بالسفارات والممثلات الدبلوماسية. عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 136-138.

،والمخازن ،والإسطبلات.⁽¹⁾ وكان الفندق محاط بسور وله باب يغلق ليلا ، وكان له حراس يعينون من قبل شرطة المدينة لمراقبته وحفظ الأمن به.⁽²⁾

وأما عن دور السلطان يغمراسن بن زيان في الاهتمام بالتجار الأجانب ،ففي عهده برزت أسرة التاجر الفرنسي ماندال التي احتكرت المبادلات التجارية بين دولة بني عبد الواد وفرنسا عبر ميناء مرسيليا.⁽³⁾ وما كانت هذه الأسرة لتمنح هذا الامتياز لولا عناية السلطان العبد الوادي بها ،خاصة في ظل وجود منافسة كبيرة حول السيطرة على التجارة مع الدولة الزيانية.⁽⁴⁾

أما على عهد أبو حمو موسى الثاني فقد وجد التجار الأوربيون عناية فائقة بهم إلى درجة أنهم استقروا بعاصمة الزيانيين للممارسة النشاط الصناعي ،وكانوا يتاجرون في أسواق المغرب الأوسط بكل حرية ،بل أصبحوا بعضهم يخرج إلى الأرياف لبيع سلعه وإصلاح بعض حاجيات سكانها كالمغازل ،والغرابل وغيرها.⁽⁵⁾

(1) كانت هذه الفنادق تتألف من طابقين أو ثلاثة ،خصص القسم الأرضي منها للمخازن والدكاكين ،والحمامات والأفران ،وقاعة المداولات ،والاستبلات ،بينما خصصت الطابق العلوية لإقامة التجار وراحتهم . نجة باشا ،التجارة في المغرب الاسلامي خلال القرن 8هـ/14م ،منشورات الجامعة التونسية ،تونس ،1979 ،ص 105 ؛عبد العزيز فيلاي ،المرجع السابق ،ج 1 ،ص 137 ؛ Mas Latrie ,op.cit ,p169 ;Pernod (R) ,histoire de commerce de Marseille de moyen âge jusqu'à 1921 ,t1 ,librairie plan ,Paris ,(s.d) p 48.

(2) عبد العزيز فيلاي ،المرجع السابق ،ج 1 ،ص 137 ؛نجة باشا ،المرجع السابق ،ص 105 ،106 ؛ Mas Latrie op.cit ,p 171 .

(3) مختار حساني ،المرجع السابق ،ص 138 .

(4) كانت تلمسان بالنسبة للأوربيين مركزا هاما لتصريف منتوجاتهم ،والتبضع بمنتوجات تلمسان ،ومنتوجات السودان الغربي خاصة منها الذهب والعاج وريش النعام لذلّم اشتد التنافس بين هذه الدول حول السيطرة على أسواق المغرب الأوسط . ويجب الإشارة إلى أن الدولة العبد الوادية لم تكن تسمح لأي دولة أوربية بممارسة الاحتكار التجاري . عطاء الله دهينة ،الجزائر في التاريخ ،ج 3 ،ص 484 .

(5) مختار حساني ،المرجع السابق ،ص 136 .

ومن ذلك ما جاء في الرسالة التي رد بها السلطان أبي حمو الثاني على ملك كطالونيا بيدرو الرابع عن طريق رسوله فرانسيس كوسطة والمؤرخة في 23 صفر 764هـ/11 ديسمبر 1362م والتي جاء فيها: "... وأما قضية النصارى الذين كانوا أخذوا في الأجناف وخرجوا بمرسانا هنين المحروسة حين وقع بهم الغلب، ولجوا إلينا بذلك السبب وهرب منهم من هرب، وتكرر منكم في شأنهم الكتب ولحتم في الطلب. فحين جاءنا رسولكم الأول طالبا لهم خيلنا سبيلهم وسرحنا جميعهم، على أن يتوجه رسولكم معهم. فلما سرحناهم ورأوا أننا صرفناهم وأخذنا لهم الخيل التي كنا أعطيناهم. امتنع عن الجواز أكثرهم واختاروا الإقامة، وطلبوا منا الخدمة المستدامة. فإنهم كانوا تحت رعي وكرامة برضى منهم وطيب نفس واختيار من غير ضرر يلحقهم في ذلك ولا أضرار. فرددنا عليهم خيلهم وأرجعناهم إلى خدمتهم وأجرينا عليهم مرتباتهم وزدناهم على عادتهم..."⁽¹⁾

3- إبرام المعاهدات التجارية.

تعد المعاهدات والاتفاقيات التجارية من أهم عوامل نشاط التجارة الخارجية لأنها تضمن الحقوق المالية للدول وسلامة التجار عن طريق تأمين الطرق والمسالك التجارية بين تلك الدول، لذلك نجد سلاطين دولة بني عبد الواد الزيانية ارتبطوا بمعاهدات تجارية مع الدول الأوروبية بصفة خاصة⁽²⁾، لأن العلاقات التجارية مع الدول الإسلامية كانت تتم على

(1) عمر سعيدان، علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر م دراسة وثائق (رسائل ومعاهدات) وتعليق وتحليل، منشورات سعيدان، سوسة، تونس، 2002، ص 138، 139.

(2) من جملة المعاهدات التي أبرمها سلاطين الدولة العبد الوادية مع الأوروبيين معاهدة السلطان عثمان بن يغمراسن مع الأراغونيين سنة 685هـ/1286م والتي تقضي بدفع حكومة تلمسان أقساطا من مداخيل الضريبة المفروضة على التجار الأراغونيين، والمعاهدات التي جاءت في مراسلات السلطان أبي تاشفين الأول والأراغونيين كذلك. عن معاهدة السلطان عثمان بن يغمراسن ينظر: أحمد عزاوي، الغرب لإسلامي، ج2، ص 58، والتي ذكر بوزياني الدراجي أنها نصت على تخفيض الضريبة الجمركية على التجار الأراغونيين إلى نصف العشر اللهم إلا إذا اتفقا الطرفان على أن يأخذ ملك أراغونة نصف العشر المتنازل عنه. ينظر: نظم الحكم، ص 222. وعن رسائل السلطان أبو تاشفين الأول ينظر: عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 64-120.

أساس حرية التجارة في اطار الروابط الدينية التي تضبطها الشريعة الاسلامية⁽¹⁾.

فمثلا كانت العلاقات التجارية بين دولة بني عبد الواد الزيرية والسودان الغربي قائمة على حسن الجوار⁽²⁾، والعلاقة الطيبة التي جمعت بين تجار المغرب الأوسط وحكام ممالك السودان الغربي، ومنها العلاقة الجيدة التي جمعت بين آل المقرري وملوك السودان الغربي مكنتهم من احتكار تجارة المنطقة، وأصبحوا هم المتحكمين فيها⁽³⁾.

أما في ما تعلق بموضوع الدراسة فقد عقد السلطان يغمراسن بن زيان اتفاقيات مع القشتاليين والأراغونيين، وذلك ما نستشفه من رسالة ابن خطاب إلى بعض أصحابه بمرسية والتي تحدث من خلالها عن ظروف مغادرته لموطنه مع مبعوث السلطان يغمراسن بن زيان إلى ملك أراغونة حيث يقول: "... وكان هناك رسول صاحب تلمسان -يقصد يغمراسن بن زيان- ورد على الطاغية في شغل قضاه، وحن انفصاله على الوجه الذي ارتضاه، فأردنا

(1) تقوم التجارة في الدولة الاسلامية على ضوابط شرعية يجب على كل تاجر مسلم الالتزام بها ومنها عدم التعامل بالربا، وعدم الغش والتدليس، وعدم التطفيف في الكيل، وحسن المعاملة، ودفع الحقوق لأصحابها، وغيرها مما يحفظ العلاقة الحسنة والطيبة بين الباعة والمبتاعين. ويبدو هذا هو السبب في عدم وجود معاهدات خاصة بين دولة بني عبد الواد الزيرية والدول الاسلامية مشرقا ومغربا، وإن وجدت فلم تتمكن من الحصول عليها، ولم نجد في المصادر التي بين أيدينا اشارات إليها.

(2) ارتبط سلاطين دولة بني عبد الواد الزيرية بعلاقات جيدة مع سلاطين ممالك السودان الغربي مثل كاتم، وبرنو، وسنغاي، مالي، وتبادلوا معهم الهدايا والمراسلات. مبخوت بودواية، العلاقات التجارية والثقافية، ص 321.

وتعدت العلاقات بين الطرفين السلاطين إلى موظفي الدولة، فقد ارتبط هلال الكطلاني حاجب السلطان أبي تاشفين الأول بعلاقة صداقة مع سلطان مالي منسا موسى والذي التقى به خلال موسم الحج كما ذكرنا سابقا.

(3) نفع الطيب، ج5، ص 206؛ الاحاطة، ج2، ص 193؛ بن داود نصر الدين، المرجع السابق، ص 272. كما جمعت العديد من تجار تلمسان علاقات طيبة مع حكام السودان الغربي ومنهم آل العقباني وآل مرزوق ومحمد ابن الفقيه الجزولي، وشمس الدين بن الفقوش، والشيخ اللبان التلمساني الذي جمعته علاقات طيبة مع الملك منسى سليمان (1341-1360م) وكان من مقربيه. ينظر: ابن بطوطة، الرحلة، طبعة الجزائر، 1989، ص 681؛ مبخوت بودواية، العلاقات التجارية والثقافية، ص 323.

صحبته غنيمة، ووجدنا عشرته حسنة كريمة، فركبنا معه البحر إلى تلمسان، ووصلنا ليلة عيد الفطر -676هـ- بعدما أقمنا في هنين أياما...⁽¹⁾ ومن بين ما تم الاتفاق عليه من خلال هذه المعاهدة تنظيم التجارة بين الطرفين والتي يبدو أن السلطان يغمراسن بن زيان قد حدد من خلالها الضريبة على البضائع الأراغونية بالعشر الأمر الذي لم يتقبله الملك الأراغوني حاكمه الغازي الذي أمر بممارسة القرصنة ضد تجار دولة بني عبد الواد ورعاياه⁽²⁾، والتي لم تتوقف إلا بعد أن تم الاتفاق مع خليفة يغمراسن بن زيان ابنه السلطان أبي السعيد عثمان سنة 685هـ/1286م والذي خفض الضريبة إلى النصف كما ذكرنا سابقا.

كما ارتبط يغمراسن بن زيان باتفاقيات مع مملكة قشتالة جمعت بينه وبين ملكها ألونسو العاشر (الطاغية) العديد من المراسلات أشار إليها عبد الرحمن بن خلدون بقوله: "... فبادر يغمراسن بن زيان بإجابتهم -يقصد ابن الأحمر والطاغية ملك قشتالة- وترددت الرسل منه إلى الطاغية، ومن الطاغية إليه...".⁽³⁾

كما ارتبط السلطان أبو حمو موسى هو الآخر بمعاهدات مع الدول الأوربية، ويبدو أنه ظل وفيما لما اتفق عليه معهم، وذلك ما نستنتجه من قوله -كما ذكرناه سابقا-: " لولا الشناعة لم أنزل بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر... "، فهو

(1) فصل الخطاب، ص ص 74-78. ينظر الرسالة كاملة أيضا: أحمد عزراوي، الغرب الإسلامي، ج2، ص ص 104-109.

(2) أحمد عزراوي، الغرب الإسلامي، ج2، ص 58؛ عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 38؛ Belkacem Daouadi, op.ct ;p p 128-132.

(3) العبر، مج4، ص 2761. وإن كانت العلاقة التي جمعت بين ابن الأحمر والطاغية ويغمراسن بن زيان تتمحور حول التصدي للمرينيين ولسلطاهم أبي يوسف يعقوب، فإن ذلك لا يمنع من وجود اتفاقيات اقتصادية بين الطرفين تتعلق بالعلاقات التجارية بينهما، ولعل ذلك ما يفسر اصرار يغمراسن بن زيان على الأراغونيين بدفع العشر من ثمن بضاعتهم الواردة إلى تلمسان أو الصادرة منها.

يقصد بالشناعة في قوله هذا -دون شك- الاخلال بوعوده وبما اتفق عليه مع الأوربيين فيما يخص العلاقات التجارية، وإنه لفعل شنيع أن يتراجع المسلم عن وعده ويخون العهود.⁽¹⁾

أما أهم المعاهدات التي تمت بين السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني والأوربيين هي تلك التي عقدها مع أراغونة سنة 764هـ وهي عبارة عن معاهدة سلام وتجارة، تضمنت عقد صلح بين الطرفين لمدة خمس سنوات، مع تحديد الضريبة المعتادة على التجار الكطالانيين، وتأمين تجار الطرفين برا وبحرا.⁽²⁾

وكان هذا الصلح مطلب الملك الأراغوني بيدرو الرابع من خلال مبعوثه فرانسيس قوسطة إلى السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني، وهذا ما يتبين من خلال الرسالة المؤرخة في 29 صفر 764هـ، والتي رد بها الأخير على هذا المطلب، والتي جاء فيها بعد مقدمة طويلة: "... عقدا للسلم والمصالحة مع الملك ... دون بيدرو ... حين وصله أعزه الله -يا المقصود أبو حمو موسى الثاني- كتاب السلطان دون بيدرو المعلوم، ورسم الصلح المختوم، الذي عليه صورة شكله التعااهدة والمتعارفة في مثله، الصادرة عنه المتكررة فيه، على يد رسوله الفارس الزعيم فرانسيس قوسطة على أن تكون السلم بينه وبينه لخمس أعوام متوالية..."⁽³⁾

(1) ولعل السلطان أبو حمو موسى الثاني وهو الحكيم الفطن لم يتخلى عن التعامل مع الأوربيين في المجال التجاري لإدراكه بأهمية تلك المبادلات بالنسبة لدولته، خاصة وأن المغرب الأوسط في فترة حكمه شهد بداية انخراط تجارة السودان الغربي أو تجارة الذهب نحو الشرق أي نحو مصر التي تمكنت من الاتصال المباشر مع مراكز هذه التجارة بداية من النصف الأول من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، خاصة بعد الرحلة الشهيرة لسلطان مالي منسا موسى لأداء فريضة الحج، وتمكن المصريين من القضاء على مملكة النوبة المسيحية التي كانت تعرقل توجههم نحو السودان الغربي. ينظر: ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية، ص ص 45-49.

(2) أحمد عزاوي، الغرب الاسلامي، ج 4، ص 53.

(3) ينظر نص الرسالة كاملة: أحمد عزاوي، الغرب الاسلامي، ج 4، ص ص 244-247؛ عمر سعيدان، المرجع السابق، ص ص 151-160. والملحق، رقم (7). وكانت هذه الرسالة مسبقة برسالة بعث بها السلطان أبو حمو موسى الثاني إلى الملك بيدرو الرابع بتاريخ 23 صفر 11/764 ديسمبر 1362م ردا على شروط سلم أراد الملك الأراغوني أن يفرضها على السلطان الزياني، مع طلب اعانة مالية من الأول. وقد أبدى السلطان أبو حمو موسى الثاني امتعاضه من خطاب الملك بيدرو الرابع، وذلك من خلال قوله: "... واستقرينا من لفظه ومعانيه ما لا يليق بذئ الملك الرفيع الخطر

أما عن الاتفاقيات الموقعة مع الدول الأوربية الأخرى فلم نجد بين المصادر والمراجع التي بين أيدينا ما يرشدنا إليها، لكن نكاد نجزم أنه كانت قمة معاهدات تجارية للدولة الزيانية على عهد أبو حمو موسى الثاني وتلك الدول خاصة منها الجمهوريات الإيطالية، وذلك من خلال توافد تجار هذه الجمهوريات على موانئ المغرب الأوسط ومنها ميناء مستغانم الذي وفدت إليه سفن جنوية سنة 762هـ/1360م لتاجر من بيزا يدعى قولادو رينوشي وشريكه لوريتزو بينداشي محملة بالعديد من البضائع وخاصة الحرير.⁽¹⁾ ويذكر دي ماس لاتري أن هذين الشريكين أسسا شركة أصبحت تمثل قوة سياسية بجمهورية بيزا، وتمكنت من عقد معاهدات سلام وتجارة مع الدولة الزيانية.⁽²⁾

3- تأمين المسالك التجارية.

يعد الأمن من أهم عوامل ازدهار حركية النشاط التجاري، واستقراره. خاصة وأن التجار كانوا يقطعون مسافات طويلة في القفار، وعبر البحار. لذلك نجد حكام دولة بني عبد الواد الزيانية قد سعوا جادين لتأمين طرق ومسالك التجارة الخارجية برا وبحرا. ومن مساعي السلطان يغمراسن بن زيان في هذا المجال والتي نراها مظهرا من مظاهر حكامته في مجال التجارة الخارجية أن سعى إلى السيطرة على سجلماسة وبسط نفوذ دولته

=المعلوم المقدر أن يخاطب به الملوك الذين لهم المكانة المكيئة والمرتبة العلية القوية المتينة. وترى رسولكم بين لكم ما في ذلكم إن شاء الله.

وأما ما ذكرتموه عن قضية سلف المال منا إليكم لقضاء مآربكم ومطالبكم فمقامنا هذا والحمد لله كفيل ببلوغ آمالكم وصلاح أحوالكم (وفي هذا حسب رأينا دليل على القوة المالية للدولة الزيانية خلال ه الفترة) والذي عندنا أيضا في ذلكم يليق به إليكم رسولكم... " ينظر نص الرسالة كاملا: عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 133-143. ويبدو من خلال معاودة اتصال الملك بيدرو الرابع بأبي حمو موسى الثاني أن هذا الأخير قد قبل إقراض الأول ما طلبه من المال مقابل شروط وضعها للصلح وقبل بها الملك الأراغوني، قد توجت بمعاهدة السلم والتجارة بين الطرفين لمدة خمس سنوات كما ذكرنا.

(1) Belkacem Daouadi ,op.ct ;p p 123.

(2) De Mas Latrrie ,op.cit ,p ,t1 , 255.

عليها ،فكان ذلك سنة 662هـ ،واستمرت تحت نفوذه حتى سنة 773هـ ،وقد كان واليا عليها ولده يحيى.⁽¹⁾

كما يمكن اعتبار ما أقطعه للقبائل العربية ومنها عرب المعقل ،وعرب بني عامر ،وتحالفه مع ذوي منصور⁽²⁾ الواقعة إلى الجنوب من مملكته يدخل ضمن سياسته الرامية إلى تأمين مسالك التجارة مع السودان الغربي. ولعل من دوافع غزوه للقبائل العربية بالصحراء والتي ذكر صاحب العبر أنها بلغت اثنان وسبعين مرة ،وتمكنه من اخضاعهم لنفوذه وتغريمهم⁽³⁾،إنما كان لثنيهم عن ممارسة السلب والنهب ،والاعتداء على القوافل التجارية. بل كانت نتيجة عمله هذا أن أصبحت القبائل العربية من بني عامر والمعقل مشاركين في النشاط التجاري لدولة بني عبد الواد ،وخاصة منهم ذوي عبيد الذين كانت لهم رحلة إلى السودان الغربي شتاء كل سنة.⁽⁴⁾

أما فيما يخص المسالك البحرية فيبدو أن السلطان يغمراسن بن زيان قد أبرم معاهدات سلم وتجارة مع ملوك وسلاطين الدول الأوربية لتأمين هذه المسالك ،وخاصة مع أراغونة وقشتالة ،وهذا ما يمكن استنتاجه من إقدام ملك أراغونة جاكمة الغازي على اصدار أمر بمهاجمة سفن تجار دولة بني عبد الواد ورعاياها ،وذلك لما أصر السلطان العبد الوادي يغمراسن بن زيان على أن يدفع التجار ضريبة العشر من ثمن كل بضاعة تورد إلى مملكته أو تصدر منها.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،مج4 ،ص 2757. وتعد سجلماسة طريقا هاما لتجارة السودان الغربي ،وقد تنافس حكام المغرب الإسلامي من المرينيين والزيانيين والحفصيين من أجل السيطرة عليها للتحكم في المسالك التجارية مع المنطقة وجلب التجار الأوربيين إلى بلادهم ،وذلك ليضمنوا مداخيل مالية هامة لخزائنتهم. عمر سعيدان ،المرجع السابق ،ص 10.

⁽²⁾ كان المنبات من ذوي منصور يقيمون بناحية سجلماسة ،وكانوا يرتحلون إليها دوما ،وهم من ساعد يغمراسن بن زيان على السيطرة عليها بعدما تغلبوا على عاملها علي بن عمر وقتلوه سنة 662هـ. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،مج4 ،ص 2757.

⁽³⁾ يحيى بن خلدون ،المصدر السابق ،ج1 ،ص 115 ،116.

⁽⁴⁾ مبخوت بودواية ،العلاقات الثقافية والتجارية ،ص 323.

⁽⁵⁾ أحمد عزاري ،الغرب الاسلامي ،ج2 ،ص 58 ؛عمر سعيدان ،المرجع السابق ،ص 38 ؛Belkacem ;Daouadi ,op.ct ;p p 128-132.

أما السلطان أبي حمو موسى الثاني فكانت علاقته جيدة مع قبائل المناطق الجنوبية، وقد جعل من تلك المناطق قاعدة خلفية يحتمي بها كلما داهمه الخطر، فقد كان - كما أوردنا في الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الدراسة - يصحر جنوبا كلما تعرض للغزو المريني أو كما حدث معه أثناء فشله في اقتحام مدينة بجاية، وتفرق أنصاره عنه وظل شريد في الصحراء مدة تفوق الستة أشهر، أين وجد العون والنصرة من أهل تلك المناطق.

وفيما يخص تأمين الطرق التجارية البحرية فقد ارتبط هو الآخر بمعاهدات سلام وتجارة، ومنها اتفاق السلام لمدة خمس سنوات مع الكطلابيين سنة 764هـ الذي ذكرناه. (1) وكان قبلها قد تعرض المرسى الكبير بوهران لقرصنة الكطلابيين الذين استولوا على بضائع لتجار أندلسيين كانوا قد عزموا على الجواز بها إلى بلادهم، فراسل السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة 761هـ الملك الكطلابي بيدرو يشكوا عمل رجاله إليه، ويعرض عليه إبرام صلح لتأمين السفن التجارية في البحر الأبيض المتوسط حتى لا تتكرر مثل هاته العمليات. (2)

وقد اضطر أبو حمو موسى الثاني إلى المعاملة بالمثل من أجل ضمان الأمن لتجارة مملكته، فأسر مجموعة من الكطلابيين تتكون من نحو ثلاثين رجلا، ورفض تسريحهم إلا بعد تسريح أسراه لدى سلطانهم، ومن ذلك ما ورد في رسالته إلى بيدرو والتي جاء فيها بهذا الخصوص: "...وأما الذين أرادوا الجواز منهم إلى بلادهم (لن هناك فئة من الكطلابيين آثروا الاستقرار بتلمسان) فهم نحو الثلاثين أو ما يقارب من عددهم، فلما جاؤوا على الانفصال، وأخذوا في

(1) أحمد عزوي، الغرب الاسلامي، ج2، ص 58؛ عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 38؛ Belkacem Daouadi, op.ct ;p p 128-132.

(2) مما جاء في هذه الرسالة بعد كلمات التمجيد والتبجيل: "... ومع هذا فقد عمدت طائفة من الفطلابيين في أحضان معدين إلى مرسانا الشهير مرسى وهران - المحروسة - الكبير، وحملوا منه على العمد والعدوان، والجرأة والإقدام، وهتكوا حرمة السلطنة وحق الاسلام، جفنا موسوقا بالزرع وغيره لتجار الأندلس كانوا أرادوا التوجه به إلى بلاد المسلمين، واستولوا على الجفن بما فيه، وذُكر لنا أنهم كلهم الذين حملوا الزرع في القرقورة المعروفة بألج القطلابي بعدما وصل إلى بلادكم توجه تلقاء ما ذكرناه لكم...". ينظر نص الرسالة كاملا: أحمد عزوي، الغرب الاسلامي، ج4، ص 150-152.

الرحال، إلا وبلغنا أن المسلمين من خدامنا وبلادنا أخذوا من مراسينا هنين ووهران ومستغانم على وجه التعدي والقهر والغلب، والمجاهرة بالفتنة والحرب، بعدما كنتم أنتم كتبتهم رسم الصلح الذي به إلينا وجهتم، أمسكنا نحن عند ذلك هؤلاء الذين أرادوا الجواز إلى هناك، حتى تسرحوا أنتم أولئك المأخوذين، وتضربوا على أيدي المعتدين والمفسدين، وتعاقبوا الظالمين، فإذا سرحتم أولئك نسرحوا نحن هؤلاء لكم عملاً بمقتضى رسم الصلح الذي أشهدتم على أنفسكم به والتزمتهم العمل بحسبه، ووجهتم رسولكم فرنصيص بسببه...⁽¹⁾

هكذا وبفضل حكمة السلطان يغمراسن بن زيان أصبح المغرب الأوسط محور التبادل التجاري بين الجنوب حيث ممالك السودان الغربي وبين الشمال حيث الممالك النصرانية الأوربية، الأمر الذي جعل تلمسان والمدن التابعة لها والموانئ مراكز تجارية هامة ساهمت في بشكل كبير في مداخل الدولة والتي أفادت كثيرا السلاطين الذين خلفوه من النهوض بالدولة العبد الوادية.

وتمكن السلطان أبو حمو موسى الثاني بفضل حكمته وحنكته وصرامته من إعادة النشاط والحركة للتجارة الخارجية للدولة الزيانية التي زادت مداخلها المالية، وأصبحت تستعملها - فضلا عن النهوض بمختلف جوانب الحياة بها- في الحفاظ على مصالحها الخارجية بفضل القروض التي كانت تقدمها لملوك مختلف الدول، وتمكن أبو حمو موسى الثاني في دعم أهل الأندلس بالمال والمؤونة، وبالتالي القيام بدوره الجهادي في الدفاع عن بلاد المسلمين بالمال، وذلك أفضل جهاد.

(1) الرسالة مؤرخة في 23 صفر 11/764 ديسمبر 1362م، وكانت هذه الصرامة من السلطان أبي حمو موسى الثاني سببا في قبول الملك بيدرو الرابع معاهدة السلم والتجارة لمدة خمس سنوات كما أسلفنا بعد ستة أيام فقط.

المبحث الثالث: المبادلات التجارية لدولة بني عبد الواد الزيانية.

ارتبط المغرب الأوسط تجاريا على عهد دولة بني عبد الواد الزيانية بجميع الدول المحيطة به ، والدول التي ارتبط بها عقائديا ، فكانت منتجاته تصدر إليها جميعا ، وتورد إليه منتوجات تلك البلدان جميعا .

وكانت المبادلات التجارية للمغرب الأوسط تتم عبر المسالك البرية ، وعبر الطرق البحرية حتى مع الدول التي كان بالإمكان الوصول إليها برا . ومنها البلاد الحفصية ، والبلاد المشرقية كمصر والحجاز .

أما اهم المبادلات التجارية لدولة بني عبد الواد الزيانية فكانت على النحو التالي:

1- مع المرينيين والحفصيين .

يبدو أن التشابه في أغلب المتوجات بين دولة بني عبد الواد الزيانية ودولتي المرينيين والحفصيين نظرا لتشابه المناخ ونوعية التربة والتضاريس قد تحكم في طبيعة المبادلات التجارية بين هذه الدول.⁽¹⁾ فكانت مجمل السلع التي يتم تبادلها في المنطقة إما أن تكون ذات جودة أو انتاجها قليل في إحدى الدول .

فمع المغرب الأقصى كانت أهم المتوجات الموردة إليه البرنوس التلمساني المشهور بجودته وخفته ومئاته والذي كان مطلوبا من قبل الحفصيين كذلك.⁽²⁾ كما كانت بلاد المغرب

(1) عن دور العوامل الطبيعية وتأثيرها على الاقتصاد بدول المغرب الاسلامي ينظر: ادريس بن مصطفى ،علاقات المغرب الاسلامي ،ص ص 60-113 .

(2) يحيى بن خلدون ،بغية الرواد ،ج 1 ،ص 22 ؛القلقشندي ،صبح الأعشى ،ج 2 ،ص 142 ؛عبد الرحمن الجليلي ،المرجع السابق ،ج 2 ،ص 245 ، 246 ؛مبخوت بودواية ،العلاقات التجارية والثقافية ،ص ؛ (G) Marçais , p 93. Tlemcen . وقد ذكر الحسن الوزان أن لباس تجار تلمسان من الحضر أحسن من لباس أهل فاس . وصف افريقيا ،ج 2 ،ص 21 .

الأوسط تورد الأغنام إلى بلاد المغرب الأقصى لرخصها وطيب لحومها.⁽¹⁾ والحبوب لوجود فائض منها ورخص أسعارها⁽²⁾، وكانت تستورد منها السكر والنحاس.⁽³⁾

أما افريقية التي كانت المبادلات التجارية معها أكثر نشاطا من تلك التي كانت مع المغرب الأقصى، وهذا ما نستشفه من الغرامة التي فُرضت على الفقيه أبو العباس أحمد البجائي⁽⁴⁾ وصحبه حين وفدوا بتجارقتهم على تلمسان، والمقدرة بمائتي دينار ذهبي، والتي رفعها عنهم السلطان أبو تاشفين الأول بعدما عرفه به الشيخ أبي زيد ابن الامام.⁽⁵⁾ فكانت أهم واردات المغرب الأوسط إليهم السفرجل والتين والعسل والسمن، والحبوب من القمح والشعير⁽⁶⁾، والمنتجات النسيجية وخاصة منها الحايك المصنوع بمازونة، والحريز⁽⁷⁾، والكتان.⁽⁸⁾ وأما

⁽¹⁾ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 176.

⁽²⁾ ادريس بن مصطفى، علاقات المغرب الاوسط، ص 51.

⁽³⁾ يعرف سكر المغرب الأقصى بالطبرزد، وكان ينتج ببلاد السوس إلى الجنوب من البلاد، وكان يصدر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس. ينظر: الاستبصار، ص 212. أما معدن النحاس الذي كان يستخرج من منطقة درن فكان ذا جودة عالية لذلك اقبل عليه تجار تلمسان. ينظر: الادريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 241، ادريس بن مصطفى، علاقات المغرب الأوسط، ص 51.

⁽⁴⁾ هو الامام العلامة المحقق أبو العباس أحمد بن عمران البجائي عاش خلال القرن الثامن الهجري، وذكر صاحب العبر بأنه البانوي اخذ عن ناصر الدين المشدالي، وشرح ابن حاجب في ثلاثة أسفار. عنه ينظر: يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 75؛ أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص 47.

⁽⁵⁾ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 142.

⁽⁶⁾ عن دور العوامل الطبيعية وتأثيرها على الاقتصاد بدول المغرب الاسلامي ينظر: ادريس بن مصطفى، علاقات المغرب الاسلامي، ص 60-113.

⁽⁷⁾ مختار حساني، المرجع السابق، ص 146.

⁽⁸⁾ ذكر الحسن الوزان أن الكثير من أهل برشك ينقلون التين والكتان إلى بجاية وتونس ويجنون من ذلك أرباحا طائلة. وصف افريقيا، ج 2، ص 33.

وارداتها فالشمع والمرجان والملح والصابون والحديد، إضافة إلى بعض الكماليات كالعطور والفسق والأحجار الكريمة.⁽¹⁾

أما أهم الطرق التجارية التي كانت تتم عبرها المبادلات التجارية بين المغرب الأوسط على عهد دولة بني عبد الواد الزيانية والمغربين الأقصى المريني، والأدنى الحفصي فهي:

*- الطريق الذي يمتد من طنجة إلى تونس عبر تلمسان مروراً بمليانة، وجزائر بني مزغنة، وبجاية، وقسنطينة، وبونة.⁽²⁾ وأضاف العبدري إلى هذا الطريق مدناً أخرى مرَّ بها هي ميلية بين بجاية وقسنطينة، وباجة بين بونة وتونس، كما ذكر - العبدري - الطريق الذي يربط تنس بفاس، عبر مازونة، مستغانم، تلمسان، ندرومة، وتازة.⁽³⁾ وطريق الهضاب الذي ينطلق من فاس إلى تلمسان، ومنها إلى تلمسان لينتهي إلى القيروان عبر تيهرت، مسيلة، مقرة، طبنة، وتبسة.⁽⁴⁾ إضافة إلى الطريق الساحلي الذي يربط مختلف المدن الساحلية لبلاد المغرب الإسلامي كتونس وبونة وبجاية، والجزائر، وتنس، ومستغانم، ووهران، وهنين، وسيتة، وطنجة. والذي كان للسفن الجنوبية دور كبير فيه حيث استأثرت بنقل تجار بلاد المغرب الإسلامي بين أقطاره ذهاباً وإياباً أقناء رحلاتها إلى بلاد المشرق الإسلامي عبر السواحل المغربية.⁽⁵⁾

2- مع المشرق الإسلامي.

ارتبط المغرب الأوسط خصوصاً، والمغرب الإسلامي عموماً بالمشرق الإسلامي بفريضة الحج وهي الركن الخامس من أركان الإسلام. وقد كان ركب الحج مناسبة لممارسة النشاط التجاري خاصة وأنه يمر بطرابلس الغرب، وبرقة، ومصر، والحجاز، ومنها إلى بلاد الشام لزيارة

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار احياء التراث الإسلامي، بيروت، لبنان، 1979، ص 385؛ ادريس بن مصطفى، علاقات المغرب الأوسط، ص 50.

(2) عن هذا الطريق ينظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، طبعة 1997، مج 1، ص 162.

(3) كان العبدري قد وصل إلى تنس عبر البحر. ينظر: رحلة العبدري، ص 22.

(4) مختار حساني، المرجع السابق، ص 144.

(5) نفس المرجع، ص 145.

بيت المقدس⁽¹⁾، وبالتالي هي فرصة للتجار لبيع سلع والتبضع بأخرى من تلك الأقطار لبيعها ببلاد المغرب الأوسط وتحقيق أرباح تعوضهم عناء السفر.⁽²⁾

وكانت أغلب السلع الواردة من المشرق الإسلامي العتيق، واللك⁽³⁾، والفلفل، والعود والمسك، والصمغ، وماء الورد، والطيب والكافور، والكركم، والسيوف، وغيرها من كمود الزينة والتزيين.⁽⁴⁾ ويبدو أن واردات المغرب الأوسط كانت تتمثل على الخصوص في الذهب المحلوب من السودان الغربي، والتتوجات النسيجية أو الجلدية أو السلع التي خف وزنها وغلا ثنها لأن الرحلة شاقة ومدتها الزمنية طويلة وبالتالي لا تتحمل أثقالا زائدة فوق أثقابهم.⁽⁵⁾ أما المبادلات التجارية التي كانت قائمة مع مصر دون موسم الحج فتتمثل في الجياد والبلسان كمود موردة من المغرب الأوسط. والعقاقير، وجوز الطيب، والقرنفل، والزنجبيل، والقرفة. كمود موردة من مصر.⁽⁶⁾

(1) كان حجاج بلاد المغرب الإسلامي يتوجهون بعد اداء مناسك الحج إلى زيارة بيت المقدس، وكان سلاطين هذه البلاد يرسلون أعباسا لمكة والمدنية، والمسجد الأقصى ومنها المصاحف. ينظر: ابن مرزوق، المسند، ص ص 476-478؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 271؛ نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 277، 278.

(2) كان أغلب الحجاج يمارسون النشاط التجاري لأن التجارة في موسم الحج كانت تحقق لأصحابه أرباحا هامة. عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 273.

(3) وردت عند ابن مرزوق في المجموع ورقة 32 العلك، وقد أوردها عبد العزيز فيلاي في تلمسان في العهد الزياني الجزء الأول صفحة 273 باللك، ويبدو أن هذا هو الأصح، لأن اللك نبات يصنع به دهان للخشب، كما يمكن أن يستخرج منه هذا الدهان. ينظر الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 857.

(4) ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 254؛ المجموع، ورقة 32؛ عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص ص 232-234؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 279؛ نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 279، ادريس بن مصطفى، علاقات المغرب الأوسط، ص 52.

(5) خاصة وأن القاصدين البقاع المقدسة كانوا يحملون معهم أمتعتهم، وخيامهم، وحرهم، وطعامهم وهي أمتعة ثقيلة تدفع صاحبها إلى تجنب أثقال فوق أثقاله، وهم معرضين فوق ذلك لأخطار الطريق المختلفة. عن الأمتعة التي كان يحملها المركب المتوجه إلى الحج، والأخطار التي قد تواجهها ينظر: ابن مرزوق، المجموع، ورقة 16 وورقة 17؛ المناقب، ص 198؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج 1، ص 272، 273؛ نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 278.

(6) مختار حساني، المرجع السابق، ص 148.

وكانت المبادلات التجارية بين المغرب الأوسط ومصر تتم عبر الطرق البرية المعتادة التي تنطلق من المغرب الأوسط عبر تونس، وطرابلس، وبرقة إلى مصر، أو عبر الجريد وبرقة.⁽¹⁾ أما الطريق البحري فكان ينطلق من الاسكندرية مروراً بشواطئ المغرب الأدنى إلى مراسي المغرب الأوسط.⁽²⁾ وكانت سفن الجمهوريات الإيطالية خاصة الجنويين والبنادقة هي تحتكر الطريق البحري.⁽³⁾

3- مع السودان الغربي.

شكلت التجارة مع السودان الغربي أهمية كبيرة لدولة بني عبد الواد الزيانية⁽⁴⁾ منذ تأسيس هذه الأخيرة⁽⁵⁾، وقد استمرت هذه الأهمية حتى القرن العاشر الهجري، الخامس عشر ميلادي، وقد وقف الحسن الوزان على هذا أثناء زيارته لتلمسان خلال هذه الفترة حين ذكر أن أغلب تجارة تلمسان مع السودان الغربي.⁽⁶⁾ وكانت أهم واردات المغرب الأوسط إلى السودان الغربي المنتوجات الزراعية والحيوانية، والصناعات النسيجية، والأسلحة، والملح.⁽⁷⁾

(1) ابن مرزوق، المجموع، ورقة 93، المناقب، ص 254، مختار حساني، المرجع السابق، ص 148، 149، نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 277، 278.

(2) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 130؛ مختار حساني، المرجع السابق، ص 148.

(3) مختار حساني، المرجع السابق، ص 148. ويبدو أنه كانت للجنويين والبنادقة مساهمة في تجارة المغرب الإسلامي مع المشرق الإسلامي من خلال تردها الكثير بين سواحل المنطقتين.

(4) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 130؛ مختار حساني، المرجع السابق، ص 148.

(5) من مظاهر أهمية تجارة السودان الغربي لسلطين دولة بني عبد الزيانية استيلاء يغمراسن بن زيان على سلجماسة مركز تجارة المنطقة وبوابتها، وكذلك تفضيل السلطان أبو حمو موسى الثاني للتجارة مع هذه المنطقة دون سائر المناطق، ولولا التزاماته مع الدول الأخرى لما سمح لغير تجارة السودان الغربي أن تدخل مملكته.

(6) شكلت تجارة السودان الغربي بالنسبة لدولة بني عبد الواد الزيانية ما يعرف اليوم بالعمق الاستراتيجي لتجارة هذه الدولة.

(7) مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 324-333.

3.1- المنتجات الزراعية.

تأتي في مقدمتها الحبوب وذلك نظرا لكثرة محاصيلها في المغرب الأوسط، وندرتهما في السودان الغربي. وكان هذا المحصول ذا قيمة في تلك البلاد حيث اقتصر استهلاكه على السلاطين والطبقة الغنية نظرا لغلاء ثمنه، فقد بيع ستة أمداد منه بمئقال من الذهب.⁽¹⁾ كما كان اقبال أهل السودان الغربي كبيرا على الفاكهة المجففة، ومنها التين والزبيب، إضافة إلى التمر.⁽²⁾

3.2- المنتجات النسيجية.

عرفت المنتجات النسيجية الموردة من المغرب الأوسط رواجاً كبيراً في بلاد السودان الغربي، سواء المحلية الصنع منها كالبرانس والزراي والأقمشة التلمسانية⁽³⁾، أو المستوردة من أوروبا والمشرق الإسلامي عن طريق تجار تلمسان كالأقمشة الإيطالية، والفارسية.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 696؛ عبد القادر زبادية، سنغاي في عهد الأسفيين 1493-1591، الشركة الوطنية للكتاب، (د.ت)، ص 204؛ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 324؛ بن عميرة لطيفة، المرجع السابق، ص 89.

⁽²⁾ عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 204؛ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 325.

⁽³⁾ شهدت المنتجات القطنية التلمسانية اقبالا كبيرا عليها من قبل أهالي السودان الغربي حتى أصبح كعظم لباسهم منها، كما اشتهر لباس تلمساني في أوساطهم مصنوع من الحرير ومبطن بالقطن. عبد اقاد زبادية، المرجع السابق، ص 204؛ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 325؛ Bares ,Mémoires sur les relations commerciales de Tlemcen avec le Soudan sous le règne des Benizeyan ,extrait de la revue d'orient de l'Algérie et des colonies ,Paris ,Juin 1853 ,p 4.

⁽⁴⁾ لعب تجار المغرب الأوسط على عهد دولة بني عبد الواد الزياني دور الوسيط بين أوروبا والمشرق، والسودان الغربي، حيث كانوا يستوردون من تلك المناطق ما تحتاجه السوق السودانية ولا يتوفر بالمغرب الأوسط. ينظر: المقرري، نفح الطيب، ج 5، ص 205، 206؛ الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 166؛ جورج مارسلي، المرجع السابق، ص 100؛ نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 273؛ لطيفة بن عميرة، المرجع السابق، ص 91.

3.3- الأسلحة.

تمثلت الأسلحة في السيوف، الرماح، والدروع، والسهام، والأقواس، والخناجر، والحدود، والسروج والألجمة، وغيرها مما تتسلح بها الجيوش، والرعية. وكانت تنقل من تلمسان أو عن طريقها من أوربا. وكانت الأسلحة تباع بأثمان مرتفعة، وتحقق لتجار تلمسان أرباحا كبيرة، حيث كانوا يبيعونها بأكثر من عشرة أضعاف ثمنها.⁽¹⁾

3.4- الملح.

كان الملح أغلى السلع الموردة إلى السودان الغربي حيث كانت تتم مقايضته بالذهب، بل كان يستعمل كالعملة يتبايعون به⁽²⁾، لذلك شكل المادة الأساسية الثانية بعد الذهب في المبادلات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي.⁽³⁾

يضاف إلى هذه السلع مواد الزينة كالعطر والكحل، والأواني مثل السكاكين، والقدور، والإبر، وأدوات التزين المعدنية والجلدية، وغيرها.⁽⁴⁾ أما أهم السلع الواردة إلى المغرب الأوسط من السودان الغربي فالذهب والعاج⁽⁵⁾، والجوزة والجلود. قال صاحب النسخ عن واردات شركة آل المقرري من السودان الغربي إلى

(1) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 209؛ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 326؛ ادريس بن مصطفى، علاقات المغرب الأوسط، ص 49.

(2) قال بن بطوطة حول القيمة النقدية للملح: "... وبالملاح يُتصارف في السودان كما يُتصارف بالذهب والفضة، يقطعونه قطعا ويتبايعون به." ينظر: الرحلة، ص 674. وذكر الحسن الوزان أن الملح يباع في بلاد السودان بثمانين مثقالا ذهبيا. وصف افريقيا، ج 2، ص 166.

(3) مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 329.

(4) المقرري، المصدر السابق، ج 5، ص 205، 206.

(5) كان العاج يجلب من الغابات الاستوائية الإفريقية حيث تعيش الفيلة حيوان وحيد القرن، وكان يستعمل في الترسيع وصناعة الأثاث الفخم. مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 332، 333؛ لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 284.

تلمسان: "...ويبعث إليه الصحراوي -عبد الواحد وعلي المقيمان بأولاتن- بالجلد والعاج، والجوزة والتبر...".⁽¹⁾ إضافة إلى العبيد⁽²⁾، وريش النعام وبيضه.⁽³⁾

أما المسالك التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي على عهد دولة بني عبد الواد الزيانية فكانت عديدة، منها من يتجه من تلمسان غربا نحو فاس، ومنها يتجه جنوبا نحو سجلماسة. ومنها من يتجه نحو الجنوب الشرقي من تلمسان نحو مصاب، ومنها إلى توات فالسودان الغربي، ومنها من يتجه إلى عين صالح ليصل إلى ممالك الشرقية من السودان الغربي ككانو وكوكا. ومنها من يتجه جنوبا مباشرة إلى توات ومنها إلى السودان الغربي، ومنها الطريق الذي يربط وهران بالسودان الغربي عبر فيجيج وتافيلالت.⁽⁴⁾ وهناك طريق آخر يتجه نحو الهقار ومنها إلى السودان الغربي. ويبدو أن هذا التعدد في المسالك التجارية كان يهدف التجار من ورائه إلى إيجاد أقصر الطرق إلى السودان الغربي وأمنها، أو محاولة منهم تجنب قطاع الطرق الذين كانوا يترصدون القوافل في المسالك المألوفة، ولعل ما يؤكد هذا الطرح هو عدم تغيير قوافل شركة آل المقرري لمسلكها الذي يمر بسجلماسة التي كان الابن الأكبر

⁽¹⁾ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 326؛ ادريس بن مصطفى، علاقات المغرب الأوسط، ص 49.

⁽²⁾ كان العبيد يستعملون في عدة مجالات كالزراعة والصناعة، والعمل في القصور والمنازل، وحراسة القوافل وغيرها، وقد راجت تجارتها للحاجة الماسة لليد العاملة، ورخص أثمانهم. ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، ص 196؛ مختار حساني، المرجع السابق، ص 157.

⁽³⁾ كان ريش النعام يستخدم لصناعة المراوح، وتماثل به الأرائك والوسادات. بينما كان بيضها يستعمل في صناعة الأدوية، وكان ثمنه مرتفع جدا. ينظر: عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 220؛ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 332.

⁽⁴⁾ عن أهم المسالك التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 159 وما بعدها؛ محمد أعيف، المرجع السابق، ص 54-58؛ مختار حساني، المرجع السابق، ص 152-157؛ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 311-316؛ لطيفة بن عميرة، المرجع السابق، ص 84.

عبد الرحمن مقيما بما لمعرفة أحوال السوق ،ومتطلباته ،وذلك لأنها كانت قد اتخذت أفراد مسلحين لحماية لتجارها ،وهيأت الطريق المؤدي للسودان الغربي بحفر الآبار.⁽¹⁾

4- مع الدول الأوروبية.

تكتسي المبادلات التجارية مع الدول الأوروبية أهمية بالغة بالنسبة لمملكة بني عبد الواد الزبانية إذ أنها كانت تزود تجار تلمسان بما يحتاجونه من البضائع المطلوبة في أسواق السودان الغربي ،كما شكلت سوقا كبيرا لتصريف البضائع المستوردة من هذه الأخيرة.⁽²⁾ أما أهم السلع الواردة من أوروبا إلى المغرب الأوسط فمنها المصنوعات النسيجية من الحرير والكتان المجلوب من ألميرية والمدن الإيطالية ،ومن فرنسا وهولندا.⁽³⁾ والذي كان تجار المغرب الأوسط يوجهونه للبيع في السودان الغربي. والجوخ الايطالي الذي كان موجه لصناعة لباس الجند.⁽⁴⁾ كما اعتبرت الدول الأوروبية مصدر السلاح الموجه نحو أسواق السودان الغربي⁽⁵⁾ ،لأنه على ما يبدو أن السلاح المصنوع في تلمسان كان كله موجه لتغطية حاجيات الدولة أو يتم

(1) جاء في فصح الطيب: "... ثم اشتهرت ذريتهم على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة ،فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار ... فكان أبو بكر ومحمد -وهما أرومتا نسي من جميع جهات أمي و أبي- بتلمسان ،وعبد الرحمن وهر شقيقهما الأكبر بسجلماسة ،وعبد الواحد وعلي شقيقاهم الصغيران بإولانت...". ج5 ،ص 205 ،206

(2) عن المبادلات التجارية بين المغرب الأوسط وأوروبا على عهد دولة بني عبد الواد الزبانية ينظر: Belkacem .Daouadi ,op.cit ,p p 117-148.

(3) كانت أهم المنتوجات النسيجية من الحرير أو الكتان تصنع في فرنسا أو هولندا ،وكنت الجمهوريات الايطالية والاسبانية تحتكر تجارته. ينظر: الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 166 ؛جورج مارسلي ،المرجع السابق ،ص 99 ؛ادريس بن مصطفى ،علاقات المغرب الأوسط ،ص 93.

(4) الحسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 21.

(5) شكل السلاح مصدر دخل هام لتجار المغرب الأوسط لأنه كان يباع بأثمان باهضة في السودان الغربي ،وقد حرس الأوروبيون على توريده لتلمسان لأنه كان يمثل لهم أيضا مصدر دخل هام نظرا لكثرة الطلب عليه ،وذلك رغم معارضة الكنيسة لبيعه للمسلمين إلى جانب الحبال والحبوب وغيرها من المنتوجات التي من شأنها أن تدعمهم لشن الحرب على النصارى ،ونفس الرأي كان موجودا عند فقهاء تلمسان والمغرب الإسلامي الذين حرموا بيع كل ما من شأنه تقوية النصارى على المسلمين. ينظر: عطاء الله دهينة ،الجزائر في التاريخ ،ج3 ،ص 482.

تخزينه لحالة الحروب حين يتم تجهيز القبائل المتحالفة مع الدولة. يضاف إلى هذه السلع المنتوجات الفلاحية كالحبوب في حالة نقص المنتج المحلي بفعل الجفاف وغيره من الكوارث الطبيعية أو الحروب⁽¹⁾، والزيت الذي كان يجلب على الخصوص من إشبيلية لجودته⁽²⁾، والزعفران.⁽³⁾

أما واردات الدول الأوروبية من المغرب الأوسط عهد دولة بني عبد الواد الزيانية فتمثل على الخصوص في الحبوب⁽⁴⁾، والتمور⁽⁵⁾، الجلود⁽⁶⁾ التي كانت تصدر إلى شبه الجزيرة الإيبيرية التي كانت تعد ملتقى التجارة الأوروبية.⁽⁷⁾ إضافة إلى بضائع السودان الغربي وخاصة منها الذهب⁽⁸⁾

(1) ادريس بن مصطفى، علاقات المغرب الأوسط، ص 92. كثيرا ما كانت بلاد المغرب الأوسط تتعرض للكوارث الطبيعية كالجفاف أو الرياح العاصفة، أو تتعرض لنسف الزروع وإتلاف المحاصيل بفعل الحروب والصراعات الداخلية، الأمر الذي يؤثر على مردود الحبوب خاصة فيضطر بني عبد الواد إلى استيرادها من أوروبا.

(2) ذكر الادريسي أن زيت اشبيلية الذي كان يتم عصره بمدينة وادي الحجاره هو من أجود أنواع الزيوت، ومنها كان يباع في جميع الجهات، وكان الطلب عليه كبيرا. ينظر نزهة المشتاق، ص 264.

(3) نفس المصدر، ص 276.

(4) تميزت حبوب المغرب الأوسط وخاصة منها القمح بأنها تعطي كميات كبيرة من السميد، لذلك شهد إقبالا كبيرا من قبل الأوروبيين وخاصة من الجنويين. وكانت الحبوب تصدر إلى أوروبا على الخصوص من مينائي وهران وتنس. محمد عمرو الطمار، أروابط التقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 248؛ عطاء الله دهينة، الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 482، 483؛ ادريس بن مصطفى، علاقات المغرب الأوسط، ص 91.

(5) شهدت التمور إقبال كبيرا من قبل الطبقة الغنية لجودتها، وعدم إنتاج الأراضي الأوربية لها، وقد ذكر عطاء الله دهينة أنها كانت من الفواكه المفضلة لملك أرغونة. الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 483.

(6) شكلت المنتوجات الحيوانية وخاصة منها الجلود والأصواف إقبالا كبيرا من قبل الأوروبيين لحاجتهم إليها في العديد من الصناعات. عطاء الله دهينة، الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 483؛ (D) Sari, op.cit, p 33؛ ادريس بن مصطفى، علاقات المغرب الأوسط، ص 91.

(7) عطاء الله دهينة، الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 483؛ ادريس بن مصطفى، علاقات المغرب الأوسط، ص 91.

(8) جذبت تجارة الذهب اهتمام التجار الأوروبيين لما يدره عليهم من أرباح، ولم يكن لهم من سبيل للوصول إليه خلال هذه الفترة إلا عن طريق تجار مملكة بني عبد الواد الزيانية، فكانوا يرسلون سفنهم إلى موانئ المغرب الأوسط كوهان

والعبيد⁽¹⁾، والعاج، وريش النعام⁽²⁾، حيث كان لتجار المغرب الأوسط الفضل الكبير في وصول بضائع السودان الغربي إلى أوروبا، كما كان لهم نفس الدور في ربط السوق الأوروبية بالسوق السودانية، وقد استأثروا بهذه التجارة واحتكروها لأنفسهم كما ذكرنا سابقا.

لقد أدرك كل من السلطان يغمراسن بن زيان والسلطان أبو حمو موسى الثاني أن المال عصب الدولة، وأنه لن يتأتى لهما إلا ببناء اقتصاد قوي يقوم على امكانيات البلاد المادية والبشرية. لذلك سعى كل منهما إلى استثمار تلك الموارد على الوجه الصحيح، فشجع على النهوض بالنشاط الزراعي والصناعي والتجاري، مستغلين في ذلك كل العناصر البشرية التي من شأنها تحقيق هذا الهدف، ومنها العنصر الأندلسي، واليهود، وحتى النصارى، والذين كان لهم دور بارز في تطور اقتصاد المغرب الأوسط على عهد دولة بني عبد الواد الزيانية.

كما شجع هذان الحاكمان على التجارة الخارجية خاصة مع السودان الغربي التي اعتبرت مصدر الذهب الذي جلب الكثير من الأموال لخزينة الدولة. وهي الأموال التي ساهمت بشكل كبير في تطور القطاعات الأخرى للدولة ومنها الحركة الثقافية، والبناء والتشييد. وكل ذلك بفضل السياسة الرشيدة في التسيير التي انتهجها هذان السلطانان من حيث زيادة الموارد، وترشيد النفقات. فاستطاع الأول أن يؤسس دولة ورثها أبنائه سائر الأيام، واستطاع الثاني

=وهنين للحصول على حاجتهم من هذا المعدن النفيس. للمزيد عن هذه التجارة ينظر: عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 10، 27، 28؛ مختار حساني، المرجع السابق، ص 156؛ Heers (J), Gênes au xv^e siècle, Paris, 1961, p p 476-481.

⁽¹⁾، كان الأوروبيون ينقلون العبيد إلى بلادهم لاستعمالهم في مختلف الأعمال كالزراعة والصناعة وغيرها، وقد شهدت هذه التجارة اقبالا كبيرا من طرفهم نظرا لحاجتهم إلى اليد العاملة. مختار حساني، المرجع السابق، ص 156، 157، عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 31، 32.

⁽²⁾ أشار المقري إلى أن شركة المقري كانت تستورد من بلاد السودان العاج وريش النعام لنقله عبر موانئ تلمسان إلى أوروبا كما أسلفنا، وكانت تستعملان للزينة، وكان أكثر اقبال الأوروبيين على العاج لأنهم كانوا يستعملونه في صناعة التماثيل وتحف المعابد، والعصي. مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية، ص 333.

اعادة إحياء دولة كادت تمحى رسومها ،وقادها إلى التطور والرقي حتى أصبحت من مصاف الدول الكبرى آنذاك.

الخلاصة

استطاعت دولة بني عبد الواد الزيانية أن تُحَكِّمَ سيطرتها على المغرب الأوسط أزيد من ثلاثة قرون من الزمن (633-962 هـ/1236-1554 م) رغم أنها كانت وسطا بين أطماع المرينيين غربا والحفصيين شرقا، والذين ما فتئا يبرزان أطماعهما في ضم المغرب الأوسط إلى أراضيها على اعتبار أحقية كل منهما في وراثته الموحدية، وأن هذه المملكة أي دولة بني عبد الواد تقف حجر عثرة في وجه الدولتين للسيطرة على كامل المغرب الإسلامي.

وما كان لدولة بني عبد الواد الزيانية أن تستمر لهذه المدة من الزمن في وجه تلك التحديات لولا قوة وحنكة وحكامة سلاطينها وخاصة منهم يغمراسن بن زيان الذي شيد مملكته على أسس متينة أتاحت لخلفائه استكمال بنائها على أتم وجه.

وأبو حمو موسى الثاني الذي تمكن من انقراض دولة أسلافه من الزوال، وأعاد بعثها في شكل جديد من الأبهة ونظام الحكم، وأتاح لها الاستمرار لحوالي قرنين من الزمن بعد وفاته، وهي فترة أطول زمنيا من الفترة التي سبقته بحوالي الضعف رغم ما عرفته هذه الفترة من مراحل الضعف.

وخلاصة هذه الدراسة أن يغمراسن بن زيان كان حكيما في التمكين لدولته منذ أعلن استقلاله بالمغرب الأوسط دون الموحدية، حين استغل ضعفهم، وانشغالهم بمشاكلهم الداخلية معتمدا على قبيل بني عبد الواد، ودعم القبائل العربية. وحين ساس الرعية بحكمة منتهجا سياسة رشيدة بالإحسان إليها، وكسب ودها بالتقرب من العلماء، والعناية بالمؤسسات الدينية مثل بناء صومعتي أغادير والجامع الكبير، ونقل مقر إقامته إلى المشور لعدم احراج القائمين على الجامع الكبير، كما كان حكيما حين قام لتأديب قبائل المغرب الأوسط الخارجة عن دولته ومنها مغراوة وتوجين والتي كان بإمكانها تقويض كل ما بناه إن هي تمكنت من زعامة زناتة في المنطقة، وكسب دعمها.

وفيما يخص علاقاته الخارجية فقد عالج أمورها بسياسة هادئة وحكمة بالغة، وذلك أنه هادن الموحدية وتحالف معهم ضد بني مرين، وذلك لكسب الشرعية اللازمة لحكم المغرب الأوسط، وقطع الطريق على القبائل الطامحة في الحكم خاصة منها مغراوة وتوجين. ولما وجد

نفسه وجها لوجه في مواجهة بني مرين نتيجة تحالفه مع الموحدين تحالف مع بني حفص، وأعلن تبعيته لهم ليؤمن الجهة الشرقية من مملكته خاصة وأنه قرر عدم الكف عن حرب بني مرين الذين كان يرى فيهم خطرا على دولته الناشئة نظرا لتنامي قوتهم في المنطقة، ومزاحمته على رئاسة زناتة، وهذا ما يتضح جليا في وصيته لولي عهده عثمان بأن يتجنب ملاقاته بني مرين لأنهم أقوى منه عدة وعددا، وإنما هو قتالهم خشية معرفة النكوص، والنكوص في اللغة العربية هي تراجع الشخص عن أمر شرع فيه، أي أنه خشى أن يعيره قبيله بني عبد الواد بالجن ويتخلون عنه لتراجعهم عن محاربة بني مرين خاصة وأنهم من قبيلة زناتة، والعصبية القبلية في مثل هذه الظروف لا تأخذ بالأعذار. أي أن يغمراسن بن زيان كان عارفا بطريقة تفكير بني قومه وطبيعتهم، ولا يتأتى ذلك إلا للحكيم .

أما تبعيته للحفصيين فكانت للحفاظ على مملكته خاصة وأنه كان يعلم مدى قوتهم العسكرية، والروحية على اعتبار أنهم أحد فروع الموحدين الصنهاجيين، وكان رده واضحا في هذا الخصوص حين رد عن سؤال حول ذلك أي حول تبعيته للحفصيين، ولماذا يدعو لهم على منابر دولته، حيث قال : "تلك أعواد يقولون عليها ما شاءوا."

وعن تحالفه مع بني الأحمر فلأنهم دولة مسلمة، وهي بعيدة عن أي تهديد لدولته، وقد تكون سببا في شغل بني مرين عن أراضيهم، وكذلك الأمر بالنسبة للقشتاليين، والذين فوق هذا قد يكونون خطرا يهدد سواحل دولته في حالة وجدوا فرصة لذلك.

أما عن علاقته بباقي الممالك الأوربية خاصة منها الجمهوريات الإيطالية فقد حرص على أن تكون طيبة لدواع اقتصادية، فقد كانت تربطهم بدولته علاقات تجارية هامة، والتجارة كانت تمثل أحد أهم الموارد المالية للدولة.

إذن لقد كان يغمراسن بن زيان قائدا بارعا وسياسيا محنكا وحاكما حكيما، إذ استطاع في ظروف أقل ما يقال عنها أنها صعبة أن يؤسس دولة، ويحافظ على بقائها في ظل صراع محموم من أجل السيطرة على أراضيها من قبل بني حفص وبني مرين الذين كانوا يرون في الدولة العبد

الوادية والمغرب الأوسط حاجزا أمام بسط نفوذهم على بلاد المغرب الإسلامي. بذلك كان سلما لملك أورثه بنيه سائر الأيام على حد قول صاحب العبر.

أما أبو حمو موسى الثاني فكان حكيما داهية في استرجاع عرش أسلافه، وفي التمكين لدولته، ونلمس ذلك من خلال تهيئته لقبيل بني عبد الواد نفسيا من أجل القبول به زعيما عليهم، والسلطان المقبل لدولتهم، وذلك من خلال قصته مع افتداء عمه أبا ثابت بنفسه خلال خروجهما من المغرب الأوسط نحو تونس، وقصة الحدثنان والجفريين الذين تنبؤوا باسترجاعه ملك بني عبد الواد، وبابنه الذي سيملك المغرب، بخروجه من أرض الزاب.

وكان حكيما حين تقرب من قبيلة الدواودة العربية التي خرج معها لمهاجمة قوات أبي عنان فارس المريني بقسنطينة، وذلك لأنه وجد فيها النصير الذي يغنيه عن القلة الباقية معه من فلول بني عبد الواد، ثم أوحى لهم بأن يطلبوا من الوزير ابن تافراكين بأن يسرحه معهم لاسترجاع ملك تلمسان.

كما أثبت حكمته وحنكته ودهاءه لما استغل حقد قبيلة بني عامر العربية وأحلافها من المعقل ورياح على بني مرين الذين أبعدهم عن مراعيهم من المغرب الأوسط للنهوض بهم من أجل استرجاع ما ضاع منهم وإعانتته على استرجاع ملك أسلافه.

كما أثبت أبو حمو موسى الثاني حكمته بعد استرجاعه ملك بني عبد الواد حين أعلن الثورة على الأسس التي قامت عليها، حيث أعلن نفسه خليفة وادعى النسب النبوي الشريف صراحة - وهذا ما لم يسبقه إليه أحد من سلاطين بني عبد الواد - وبالغ في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وجعل شروطا لتولي المناصب في دولته.

وتجلت حكمة أبي حمو موسى البالغة في قيادته للجيش والحفاظ عليها، حيث تجنب الملاقاة المباشرة لأعدائه وخاصة منهم بني مرين، وكان يخرج بقواته من تلمسان ليلتف عليهم من خلفهم فيضطرهم للخروج عنها ليخلفهم إليها. وفي سعيه الحثيث إلى النهوض بدولته في جميع الميادين فاهتم بالعمران، وتقرب إلى العلماء وقربهم منه، واختار أفضلهم لتولي الوظائف في

دولته. وفي سعيه إلى كسب ود وولاء الرعية عن طريق حكمهم بالعدل والنظر في قضاياهم ومظالمهم، وقضاء حوائجهم.

أما في الجانب الاقتصادي فنجد أن سلاطين دولة بني عبد الواد عموما والسلطانين يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني خصوصا قد تمكنوا بفضل تشجيعهم على التجارة، ورعايتهم لها من تحقيق التكامل الاقتصادي بين مختلف مدن مملكتهم، وبين المدن البوادي وذلك عن طريق إقامة الأسواق اليومية والأسبوعية، وحتى الموسمية، كما ضمنوا للصناع والمزارعين تصريف منتجاتهم الأمر الذي شجعهم على زيادة الانتاج.

كما كان لموقع الدولة وسطا بين دول المغرب الاسلامي والسودان الغربي وأوربا الفضل الكبير في ازدهار التجارة الخارجية، وضمن تمويل الدولة بما تحتاج من سلع ومواد أولية، وتصدير الفائض من الانتاج المحلي، خاصة وأنه كان يتميز بالجودة والإتقان. فانعكس ذلك على الدولة التي ضمنت مصادر تمويل جديدة تمثلت في مختلف الضرائب المفروضة على النشاط التجاري. وانعكس على الرعية الذين تحسنت أحوالهم الاجتماعية بفضل تحسن مداخيلهم.

كما أن المغرب الأوسط قد وفر بفضل موقعه وموارده الطبيعية للدول المتعاقبة على حكمه ومن بينها دولة بني عبد الواد الزيانية الامكانيات اللازمة لبناء اقتصادها. من مواد أولية زراعية وصناعية، وذلك بفضل موقعه الهام، وتعدد المناخ، وتنوع التضاريس والتربة، ووفرة المياه من وديان وعيون.

كما كان لموقعه وسطا بين دول المغرب الاسلامي، وقربه من أوربا شمالا والسودان الغربي جنوبا الدور الكبير في تنشيط التجارة الخارجية، وانتعاش خزينة دولة بني عبد الواد الزيانية بفضل المكوس وضريبة الجمارك المفروضة عليها، وهذا ما سيكون له الأثر الايجابي على الموارد المالية للدولة التي استغلها سلاطينها في البناء والتشييد، وبناء قوتهم العسكرية، والحفاظ على دولتهم، واستئلاف الرعية والقبائل العربية والبربرية وإخضاعها، ومن ثم استعمالها في الحروب الخارجية، وردع التمردات الداخلية.

فقد تمكن كل من يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني من استغلال الموارد الطبيعية -الزراعية، والحيوانية، والمعدنية- والبشرية من أجل النهوض باقتصاد دولة بني عبد الواد الزيرية، والحفاظ على بقائها.

كما تمكنا بفضل حكمتها وحنكتها من استغلال الموارد الاقتصادية الصناعية والفلاحية من أجل تنشيط التجارة على المستويين الداخلي والخارجي، وكذا توفير الموارد المالية اللازمة لتسيير الدولة وتنظيمها، وتلبية مختلف متطلباتها ومتطلبات الرعية، فكانت -هذه الموارد نعم السند لهم في التشييد والبناء، وتقوية الجيوش، ومواجهة النوائب والشدائد التي عرفها المغرب الأوسط، والنهوض بمختلف مناحي الحياة ومنها الحياة العلمية والثقافية، فتقربوا من العلماء وقربوهم منهم، وأغدقوا عليهم الأموال والإقطاعات. كما كان لهذه الموارد المالية الدور الكبير في ضمان ولاء الرعية، ومختلف القبائل العربية والبربرية، ودحر الغزوات الخارجية، وإخماد الثورات الداخلية، وبالتالي ضمنا استمرار دولة بني عبد الواد الزيرية.

كما أدرك كل من السلطان يغمراسن بن زيان والسلطان أبو حمو موسى الثاني أن المال عصب الدولة، وأنه لن يتأتى لهما إلا ببناء اقتصاد قوي يقوم على امكانيات البلاد المادية والبشرية. لذلك سعى كل منهما إلى استثمار تلك الموارد على الوجه الصحيح، فشجع على النهوض بالنشاط الزراعي والصناعي والتجاري، مستغلين في ذلك كل العناصر البشرية التي من شأنها تحقيق هذا الهدف، ومنها العنصر الأندلسي، واليهود، وحتى النصارى، والذين كان لهم دور بارز في تطور اقتصاد المغرب الأوسط على عهد دولة بني عبد الواد الزيرية.

كما شجع هذان الحاكمان على التجارة الخارجية خاصة مع السودان الغربي التي اعتبرت مصدر الذهب الذي جلب الكثير من الأموال لخزينة الدولة. وهي الأموال التي ساهمت بشكل كبير في تطور القطاعات الأخرى للدولة. وكل ذلك بفضل السياسة الرشيدة في التسيير التي انتهجها هذان السلطانان من حيث زيادة الموارد، وترشيد النفقات. فاستطاع الأول أن يؤسس دولة ورثها أبناءه سائر الأيام، واستطاع الثاني إعادة إحياء دولة كادت تمحى رسومها، وقادها إلى التطور والرقي حتى أصبحت من مصاف الدول الكبرى آنذاك، والتي استمرت بعده زهاء

القرنين من الزمن (760-962 هـ / 1359-1554 م) أي ضعف عمر الدولة العبد الوادية قبله (633-753 هـ / 1236-1352 م).

و بذلك يمكننا القول أن يغمراسن بن زيان وضع أسس الدولة الزيانية، وأتم خلفاؤه أبي السعيد عثمان، أبي زيان محمد، وأبي حمو موسى الأول، وأبي تاشفين الأول، و ابنه أبي السعيد عثمان الثاني وضع اللبنة، و أكمل السلطان أبو حمو موسى الثاني البناء و أتمه في أجمي صورته بأن و ضع السقف، و ذلك من خلال التنظيمات التي استحدثتها، والتي مكنت الدولة الزيانية من بلوغ أوج عظمتها، وقوتها وازدهارها.

والله الموفق المستعان.

المستلحق

الملحق رقم: 01

سلاطين دولة بني عبد الواد الزيانية (633 - 962هـ / 1235 - 1554م)

- 1- أبو يحيى يغمراسن بن زيان: 633 - 681هـ / 1235 - 1282م
- 2- أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن: 681 - 703هـ / 1282 - 1303م
- 3- أبو زيان محمد بن عثمان الأول: 703 - 707هـ / 1303 - 1307م
- 4- أبو حمو موسى بن عثمان الأول: 707 - 718هـ / 1307 - 1318م
- 5- أبو تاشفين الأول عبد الرحمن بن أبي حمو الأول: 718 - 737هـ / 1318 - 1337م

- 6- أبو سعيد عثمان الثاني: 749 - 753هـ / 1348 - 1352م
- 7- أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف: 760 - 791هـ / 1359 - 1389م
- 8- أبو تاشفين الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني: 791 - 795هـ / 1389 - 1392م
- 9- أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني: 795 - 796هـ / 1392 - 1393م
- 10- أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو الثاني: 796 - 797هـ / 1393 - 1394م
- 11- أبو زيان الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني: 797 - 801هـ / 1394 - 1399م
- 12- أبو محمد عبد الله الأول بني أبي حمو الثاني: 801 - 804هـ / 1399 - 1402م
- 13- أبو عبد الله محمد الأول المعروف بابن خولة: 804 - 813هـ / 1402 - 1412م
- 14- عبد الرحمن الثالث: 813 - 814هـ / 1411 - 1411م
- 15- السعيد بن أبي حمو الثاني: 814 - 814هـ / 1412 - 1412م
- 16- أبو عبد الله محمد الثاني المعروف بابن الحمراء (المرّة الأولى): 827 - 831هـ / 1424 - 1428م

- 17- أبو مالك عبد الواحد (المرّة الثانية): 831 - 833هـ / 1428 - 1430م
- 18- أبو عبد الله محمد الثاني (المرّة الثانية) 833 - 834هـ / 1430 - 1431م
- 19- أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمو الثاني: 834 - 866هـ / 1431 - 1462م

- 20- أبو عبد الله محمد الثالث المتوكل على الله: 866 - 873 هـ / 1462 - 1468 م
- 21- أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي: 873 - 910 هـ / 1468 - 1505 م
- 22- أبو عبد الله محمد الخامس بن محمد الثابتي: 910 - 922 هـ / 1505 - 1516 م
- 23- أبو حمو الثالث بن محمد الثابتي (المرة الأولى): 922 - 923 هـ / 1516 - 1517 م
- 24- أبو زيان أحمد الثالث: 923 - 924 هـ / 1520 - 1521 م
- 25- أبو حمو الثالث محمد الثابتي (المرة الثانية): 924 - 934 هـ / 1521 - 1528 م
- 26- عبد الله بن أبي حمو الثالث بن محمد الثابتي: 934 - 947 هـ / 1528 - 1540 م
- 27- أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني: 947 - 949 هـ / 1540 - 1542 م
- 28- أبو عبد الله محمد بن أبي حمو: 949 - 949 هـ / 1542 - 1542 م
- 29- أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني (المرة الثانية): 949 - 957 هـ / 1542 - 1550 م
- 30- الحسن بن عبد الله الثاني الزياني: 957 - 962 هـ / 1550 - 1554 م

عن: حسين تواتي، المرجع السابق، ص 130، 131.

الملحق رقم: 02

مقتطف من رسالة بيعة يغمراسن بن زيان للسلطان الحفصي الواصل بالله أبي زكرياء.

الحمد لله الذي تغمدنا بإنعامه المتتابع، وهدانا إلى الصراط المستقيم بما نصب لنا من الشرائع، ونظم شمل العالم على مقتضى حكمته وتدبيره نظاما تكفل لهم باستيفاء المرافق والمنافع، وأطلع شمس الامامة بعد ما توارت بالحجاب في أسعد البروج وأنور المطالع، وعصم البلاد والعباد بالخلافة التي ثمر بها حظ العافية المستفاد وامتدت إلى عصرها الميمون وسرها المكنون خطى الآمال وأعناق المطامع، واختار لها من قام بحجتها وكسا الدنيا بعدلها المبسوط بهجة روائها ورواء بحجتها فتجلت في حسنها البارع وزيها المونق الرائع، وابقى بها دعوة التوحيد الراقعة للخرق الصاعدة بالحق في ظهور المنابر وصدور الجوامع، سبحانه من حكيم أبداع في تدبيره، وأظهر في الموجودات أثر قدرته فاستدلنا عليه بتأثيره، وتوصلنا بواسطة الصنعة إلى معرفة الصانع، انفرد بالملك وتتره كما يقوله الملحدون من سفاهة ﴿وما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾، وأنا يثبت ما اوجبت العقول استحالتة وانتفاءه بدليل التمانع المانع، وبغيره من الحجج القواطع، نحمده جل جلاله على مواهبه التي لا تحصى، ونشكره شكرا يضاعف قسم آلائه كما وعد وثابر على أدائه كما أمر ووصى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رهينة لنا بالخلاص مرهنة من اليقين والإخلاص إلى الأمد الأقصى، ونوالي من صلواته أعطرها نفحة وأنورها صفحة على سيدنا محمد رسوله الذي قربه واجتباؤه وحباه من الأثر حين كرمه بالاصطفاء واصطفاه للكرامة بما حباه، وأومض به بارق السعادة فصعد البراق به حتى رأى من آيات ربه ما أراه، وبعثه بالحنفية البيضاء، وأحظى بسعادة اتباعه من قضى له بالاحظاء، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين وأصحابه المنتخبين ما در في الأفق شهاب ودر بالودق رباب، ورضي الله عن الامام المهدي الذي جمع من أمر الدين مرفضا، وأعاد وجه السنة كما كان مبيضا، وعن خلفائه الراشدين الذين قوموا الناد، وآثروا الغزو في سبيل الله والجهاد، وساسوا الأمة بالعدل، وداسوا العداة في الوعر والسهل، وقادوا الناس إلى الطاعة بزمامين من البأس والبدل.

أما بعد ، فإن الله تعالى لسابق حكمته وسابغ نعمته خلق عباده لهذه الدار اختبارا واعتبارا ، ومهد لهم الأرض قرارا وجعلهم فيها عمارا ، وبعث فيهم الرسل إلى معرفته هادين ، عبادته منادين ، ليرشدوهم إلى ما يحفظ نظامهم في هذه العمارة ، ويصلح معادهم بعد فناء حياتهم المعارة ، وخصنا منهم بمن تأخر بالزمان ، وتقدم إليه بشرف الحظوة والمكان ، سيدنا محمدا رسوله الذي أيده بملائكته ، وارتضاه لتبليغ مالكه ، وانتقاه لتدليل طرق الرشاد ومسالكه ، أرسله والشرك قد ظهر فريقه ، واستطار في الأقطار حريقه ، واستطال في الأرض فلا أحد يطيقه ، والدماء مطلولة وسيوف البغي مسلولة ، وليل الظلام ممدود الرواق ، مسدول على الآفاق ، فأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجاء بالذكر الحكيم جلاء للعمى وشفاء لما في الصدور ، وأطلع شهب هديه المنيرة ، وأخذ نار الشرك المستطيرة ، ورقأت الدماء ، وبرأت الدواء ، واتسق نظم الدين خير اتساقه ، واستقر الترتيب محوطا بأمره ونهيه من اضطرابه وافتراقه ، حتى كمل الدين كماله ، ومد الاسلام على البسيطة ظلاله ، وأخبر عليه السلام أن الأرض زويت له ، وأن مُلك أمته سيبلغ ما زوي منها له .

إلى أن يقول - بعد ذكر الخلفاء الراشدين وحال الدولة الاسلامية بعد نهاية عهدهم ، وظهور المهدي المهدي بن تومرت ، وتولي بني حفص ملك افريقية ، وبعد الثناء على الواثق بالله أبي زكرياء الحفصي ، وبيعة أهل تونس له .

ولما ورد على يغمراسن بن زيان بتلمسان حرسها الله خبر هذه البيعة الذي صار يوم وصوله للأيام سيّدا ، ورددته الألسنة لهجا به فطاب وخفّ على الأسماع معادا ومردّدا ، وتأرّجت الأرجاء بذكره ، ولم ينصدع ليل الحبر اسعد غرة من بشره ، لبي مناديا حين قالك "يا" ، وبادر إلى الدخول فيها بدار من يعتقد الدخول فيها للخيرات منميا ، وفي الدنيا والآخرة منجيا ودعا غليها من قبله من الأبناء والقراة وبني عبد الواد والوزراء والأعيان والفقهاء ، والصدور والصلحاء ، فأجابوا إلى ذلك وأصفقوا عليه فيمن أصفق ، ورأوه أوفق لهم في معاشهم ومعادهم وأرفق ، فبايعوه جميعا - فسح الله مدى سعده ، وأمده في اسعاده في حله وعقده - ، على ما بويع عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخلفاؤه المتقون ، والإمام المهدي المعلوم

وخلفائه الراشدون، وعلى السمع والطاعة في اليسر والعسر، والمنشط والمكره والحلو والمر، بيعة صحيحة قرت بها نواظرهم، وأشربت صدق الصفاء في عقدها وقصد الوفاء بعهدتها بواطنهم وظواهرهم، أعطوا بها صفقة أيماهم أسًا بينون عليه صالح أعمال أديانهم، وتقلدوا من طاعته طوق الحماية، معتقدين أن سلامة الأمة واستدامة الأمة إنما هو بإتباع هذه الامامة، وزادوا عقدها شدا وتأكيدا حيث أشهدوا الله به على أنفسهم ﴿وكفى بالله شهيدا﴾، وهم في اجتلاب مرضاة الخلافة المباركة ساعون، وفي أعقاب صلواتهم وأوقات خلواتهم لها داعون: اللهم كما أسعدتنا بخلافة واليك الميمونة، واخترتة لإقامة شرائعك دينك المفروضة والمسنونة، وجعلت طاعته بين أيدينا وبأيماننا نورا، وشرحت لفهم آيات فضله منا صدورا، فانصره - اللهم - نصرنا مؤزرا، واجعل نصيبه من عنايتك الكريمة مثمرا موقرا، وعرفه في كل مرام يرومه فتحا مبينا وظفرا ميسرا، اللهم واصنع له خير ما صنعت، واجمع على طاعته ومحبه القلوب كما جمعت، وارفع ذكره في الأذكار ودرجته في أئمة العدل الأبرار فوق ما رفعت، اللهم إنك قلت -وقولك الحق- ﴿هل جزاء الاحسان إلا الاحسان﴾ فجازه عنا بإحسانه وأحرس أمره العلي بملائكتك المقربين بأكرم حفظته وأعز أعوانه، وصير صور مُحاده ومُشاقه ظرفا لعامل خطيه، وغربا لشارق نجم سنانه إنك على ما تشاء قدير.

وكتبوا على جميع ما سطر فوق هذا خطوطهم في السابع لحرم سنة سبع وسبعين وستمائة.

عن: ابن خطاب المرسي، فصل الخطاب، ص ص 5-9؛ أحمد عزايوي، المغرب والأندلس، ص ص 130-135.

الملحق رقم: 03.

رسالة ولاء من عثمان بن يغمراسن بن زيان إلى الأمير أبي اسحاق الحفصي.

الحضرة الكريمة الآثار، المعصودة بالأقدار، حضرة مولانا أبي إسحاق أدام الله ملكه لسعد يستقبله جديد، ونصر يطرق العدى بما يرضي الهدى من تمزيق لشملمهم وتبديد، عبدها الناشئ في إحسانها، المتقلب في عوارف امتناها، المقبل يمينها سحاب جود تبادت في همتانها، أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان، سلام.

وبعد حمد الله على عظيم فضله وجزيله، والصلاة على سيدنا محمد رسوله الذي أيده بمعجزة تزييله، وعلى آله وصحبه الماضين على سويّ منهجه وقويم سبيله، والرضى على الإمام المهدي المعلوم المتلافي دين التوحيد بالقاطعين من حسامه ودليله، والدعاء للحضرة العلية بنصر يبلغ الايمان من الكفر أقصى تأميله.

فكتبته كتب الله لكم من السعود أو سمها غررا، وأكرمها أثرا، من تلمسان حرسها الله، وبركات الحضرة العلية أيدها الله تنثال أكرم انثيال، وتوسع عبيدها ما يشاءون من جاه ومال، والحمد لله كثيرا، والعبد يجتهد في خدمته اجتهاد من يرى أنها سعادته، ويتوسل بها إلى مراده، فتتيسر إرادته، شاكرا لإنعامكم الذي لم تغب إفادته ولا انخرمت عاداته، الله يعينه على ذلك وينفعه.

وإلى هذا - وصل الله تأييدكم - فإن العبد وجه مخاطبته هذه إلى الباب الكريم - أيده الله - لرسم خدمته مقيما، وبشعار العبودية معلما، وكفى به وسما وسيما، وما أولى العبد أن يقيم خدمة غدي بها وليدا، ومهدت له كنف الرعاية تمهيدا، ودرّجته إلى الارتقاء والصعود، وجرى حبها في قلبه جري الماء في العود، فخدمة بابكم للعبد طبع خامس، ونعمتكم لا يزال لها أبدا من شكره حافظ حارس، لا يشغله عن ذلكم شاغل، ولا ينقله عما يتولاه ناقل، استبصارا عض عليه بنواجذه، وهداه الله بفضله ورحمته إلى مأخذه، وهو تعالى يعينه عليه، ويقوي سببه

الذي علق به يديه، ويقيى حضرة المولى والسعود لها خادمة، ووفود البشائر عليها قادمة، وأنوف حسادها وأضدادها راغمة، بمنه وكرمه، والسلام الكريم يخص بساطها الأشرف ورحمة الله تعالى وبركاته.

الرسالة مؤرخة بسنة 681 هـ.

عن: ابن خطاب المرسي، المصدر السابق، ص 41، 42؛ أحمد عزاري، المغرب والأندلس، ص 141، 142.

قصيدة جرت أدمعي لأبي حمو موسى الثاني

التي يروي من خلالها رحلته لاسترجاع عرش أسلافه.

جرت أدمعي بين الرسوم الطواسم *** لما شحطتها من هبوب الرواكم
وقفت بها مستفهما لخطابها *** وأي خطاب للصلاد الصلادم
وسرت على جون أقب مضمرة *** كلمعة برق أو كلمحة صارم
وجلت بطرف الطرف في غرصاتها *** كجولة واه أو كوقفه هائم
وصفقت ما بين الطلول خوامسي *** وسالت سواقي الدمع مثل الأرقام
وقلت لصحي لا تملوا من السرى *** ولا يزدريكم في السرى لوم لائم
سلوا جمالات الحي أين تحملوا *** فقد عيّل صبري بين تلك المعالم
ديار عهدنا هابها الشمل جامعا *** مع الغابجات الأنسات النواعم
وكم ليلة بات السرور مساعدي *** بسعدى وسلمى والمنى أم سالم
فعدت رسوم الدار بعد أنيسها *** هشما ولا تخفى بقايا المراسم
وكم نسجتها من جنوب وشمال *** وكم سجعتها من لغات الحمائم
كأنى بهم والله يوم تحملوا *** وحادي النوى يحدو هواذي المراسم
قطعت الفيافي بالقلاص وإنما *** تجاب الفلا بالخف أو بالمناسم
وقد خلقتها بين الرياح زوابعها *** تسابق في البيدا ظليم النهائم
مكحلة الأحداق فيها هشاشة *** مهملجة الأطراف سود المجاسم
معها أسود الحرب تطوي بها *** الفلا يرون المنايا بعض تلك المغانم
خضت الفيافي فدفا بعد فدفا *** لئيل العلا والصبر إذاك لازمي
وكم ليلة بتنا على الجذب والطوى نراقب نجم الصبح في ليل عاتم
على متن سهال أغر محجل *** مديد الخطى لم يخشى صعب الصلادم
تسربلت كردوسين من آل عامر ومن آل ادريس الشريف ابن قاسم

رجال إذا جاش الوطيس *** تراهم اسود الوغى من كل ليث ضارم
وجبت الفيافي بلدة بعد بلدة *** و طوعت فيها كل باغ و باغم
وجئت أرض الزاب تذرّف *** أدمعي لتذكار أطلال الرسوم الطواسم
وشبكت عشري فوق رأسي فلم *** أجد بها مخبرا غير الربى والمعالم
وجاوزتها ما بين هوج هائج *** رفاق الهوادي عاليات القوائم
وجزت بأرض الربع راغت *** بأهلها ببلقعة قفرا قفتها عزائمي
سألت ربوع الدار فيها فلم أجد *** بها معلما يأتي إلي بعالم
شدت عرى للنجع من كل جانب و صيرتها مثل الرياح الرواكم
تخيلتها مثل القطا في مسيرها *** و فوق ذراها كل شهيم وحازم
وحفت بنا البطال من كل جانب *** تذكرها عهد الهوى بالصمامم
وجئت لورقلا وجزت مصابها *** و لا مخبرا غير الصلاد الأعاجم
وما زلت أطوي سهلها بأكمها *** وأخطبها بين الربى و الهضائم
قطعت الحمادى والسراب غدورها على هيكال الذراعين هاضم
مكر بيوم الحرب لا يشتكي *** الونى مفر إذا طالت عظام الهزائم
إلى أن بدا لي وادي زرقون أزرقا *** وبانت عليه شاحبات الغياهم
طرقت برأسي واستفزيت بالكرى و كم من لياليتها غير نائم
وجدت في قصد السرايا مسربلا *** بسير حثيث أو سرى مداوم
وكم من فياف قد قطعت أكامها *** وكم نسمة جادت علي نسائمي
وبين ضلوعي زفرة مستكنة *** يصعدها فيض الدموع السواجم
وبتنا نسوق النجع في غيهب الدجى و خـرـصاننا فيها كـشـهـب عواتم
إلى ملل ملنا وملت السرى *** سرايا ركاب كالتسي السواهم
ولما بدا لي غيهب القوم ظاهرا *** وحيهم بين الطلال الغياهم
جبدنا مجايد و جدت جياننا و جالت كما العقبان بين السغاهم

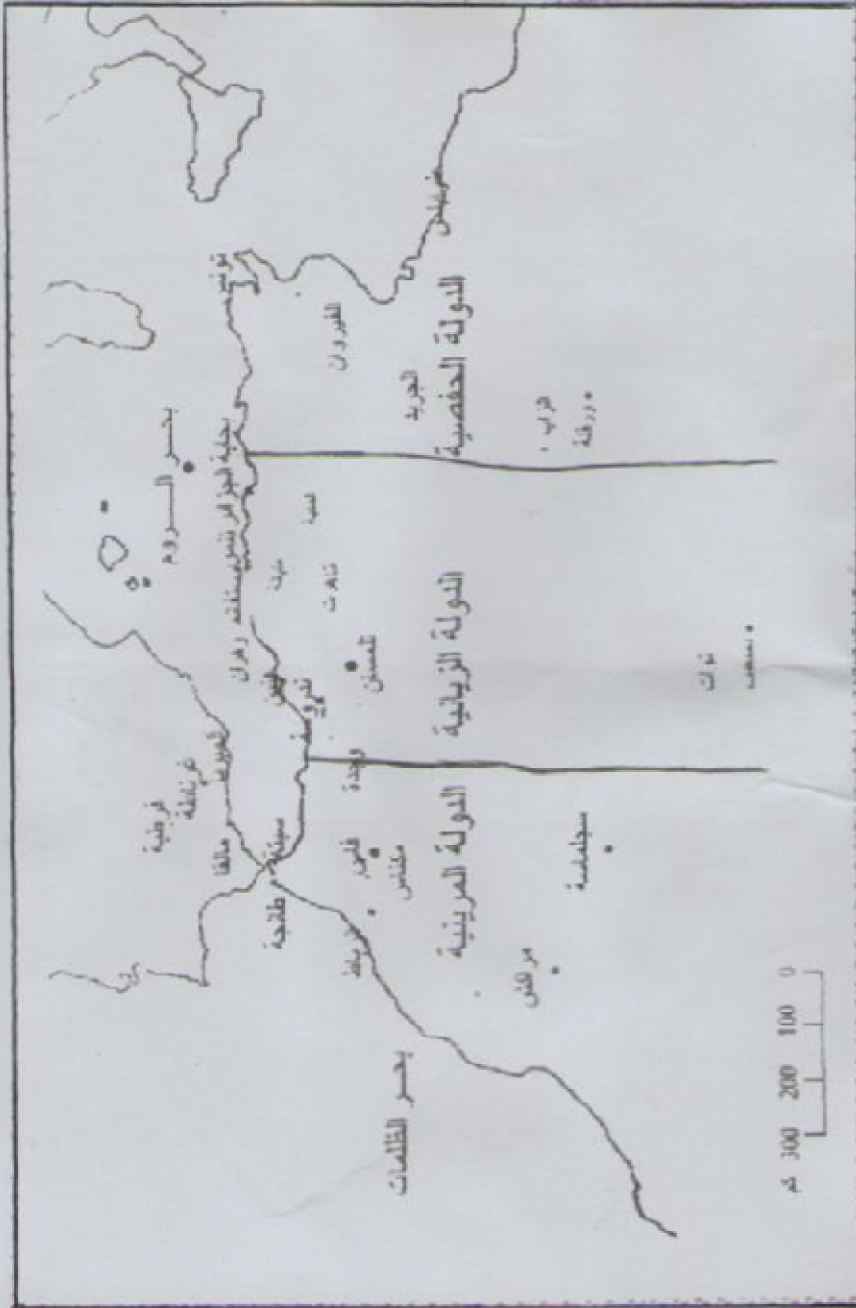
وضمر عناجيج على صهوتها*** كرام سماح بالنفوس الكرائم
 نطارذ فيها الخيل بالخيل مثلها*** فكان على الأعداء كرهائم
 حملنا عليهم حملة مضرية*** فولو شـرادا مثل جفل النعائم
 فولت سويد ثم حلت مجيرها*** وشيخ حماها في لجوج المصادم
 وكم خلفوا ما بين بكر و بكرة*** وكم غادة ملتفة في الهدائم
 وكم قبة طاحت و طاح أميرها على الأرض ما بين الصفا والرتائم
 وجازت خيول للحجاز كأنها*** عقاب تـطى بين فرق الحمائم
 فحاز الثنا فيها سفير ابن عامر*** كما حاز من قبل ذياب بن غانم
 وطاحت على وادي ملال هشائم*** من القوم صرعى للنسور القشاغم
 فكانوا إلى الطير العشيم فرائسا*** وكانت على الأعداء شؤم الذمائم
 وهبت رياح النصر من كل جانب*** وجاءت إلينا مبهجات الغنائم
 ولما قضيت الأمر في الحرب منهم*** رحلنا بعون الله نحو المعالم
 وخضرا كبود قد تبدت هضابها*** وهي رياح عاطرات النواسم
 درجنا إلى درج ولاحت بشائر*** بهلك الأعادي الناعسين الأشائم
 ألا أيها الناعي البشير الذي نعى*** أمير مرين حزت أسنى المقاسم
 لقد قرب الله البعيد بملكه*** فبشراك بالخيرت يا خير قادم
 ولاحت لنا فرتون فافترت المنى*** إلينا ابتساما بالثغور البواسم
 وصارت أسد الغابة تأتي مطبعة*** وعادت لنا الأيام مثل المولسم
 قطعنا الثنايا و الخميس مسربل*** صلاصله مثل الرياح القواسم
 وعجنا وعرجنا على وادي يسر*** وجزنا المخاضي كالليوث الضراغم
 وفي يسر آمالنا يسرت لنا*** وجردت للأوطان فيها عزائم
 وبتنا وبات النوم غير مساعدى*** وإني على جد السرى جد عازم
 وسرنا ضحى والنصر يهفو*** أمامنا برايات سعد فرقنا كالغمائم

قدمنا وكان الفتح يزجو قدومنا وكان على الأعداء شر المقادم
 وصفوا صفوفهم و صفت صفوفنا وسالت دموع القوم مثل العنادم
 وجالت ليوث الحرب بين *** صفوفها وخط بها الخطى بين الحلاقم
 ولاح شعاع الهند بين *** خميسها كبرق تبدى بين درج الأرقام
 سمونا إلى اصطفتيف واشتد *** بيننا حروب تشيب الرأس قبل الفطائم
 كررنا عليهم كرة بعد كرة *** وقد سعت للحرب نيران جاحم
 بضرب يزيل الهام عن *** مستقره وطعن مضى بين الكلا والخيازم
 فهذا أسير صفدته يد الوغى *** وهذا قتيل في عجاج المصادم
 فطوبى لعبد الواد عند ازدحامهم لقد جدلوا في الحرب كل مزاحم
 وجالت خيول العامرية فوقها *** أسود الشرى في موجهها المتلاطم
 وعاد شعاع الشمس في الجو *** أصفرا وجال ذباب السيف بين الغلاصم
 جعلنا كراديسنا على كل *** ربوة وطالت رقاب الأسد تحت العمائم
 شددنا عليهم شدة بعد *** شدة فولوا فرارا والتجوا للمعاصم
 وداروا بأسوار المدينة كلها *** كدور سوار فوق أهبى المعاصم
 وقد بدت من حدودها كل *** غادة درجن على الأسطاح درج الحمائم
 وقد عاد ذاك الجمع منها *** منكسرا يجمع لنا بين الكتائب سالم
 فرامت مرين الصلح بعد *** فرارها وقد ظلموا عمدا ولست بظالم
 فلا صلح حتى تضرم الحرب نارها وتساقط الأبدان تحت الجماجم
 وتخلي من الأعداء دار *** عهدتها مع الآنسات الناعمات الكرائم
 دخلت تلمسان التي كنت *** أرتجي كما ذكرت في الجفر أهل الملاحم
 وخلصت من غصابها دار *** ملكنا وطهرتها من باغ وجارم
 لقد أسلموها عنوة دون *** عدة وقد طلقوها بالقنا والصوارم
 ولم يغنم ما شيدوا من *** معاقل لم يجدهم ما حصنوا من معاصم

ولا كثرة الجيش اللهم *** مدرعا ولا ما أعدوا من قسي سواهم
 إذا لم يكن للمرء سعد *** مساعد فما يغني اعداد الجيوش الخضارم
 نظمنا شتيت الملك بعد *** افتراقه وكم بات نهبا شماه غير ناظم
 وشددنا له ازرا وشدنا *** بناءه بأوثق أركان وأقوى دعائم
 فصارت ملوك الأرض تأتي مطيعة إلى بابنا تبغي التماس المكارم
 وجاءت لنا من كل أوب *** ووجهة تبايعنا طوعا وفود العمائم
 إنني الملك الزابي و لست *** بزابي و لكنني مفني الطغاة الأعاظم
 فقمنا بأمر الله في نصر *** دينه و في كف ما قد أحدثوا من مظالم
 فله الحمد والشكر منا دائما وصلّى على المختار من آل هاشم

عن: أبي حمو موسى الثاني، واسطة السلوك، طبعة تونس، ص ص 35-42.

المغرب الاسلامي ما بين القرن 7 هـ / 13 م والقرن 13 هـ / 16 م.



عن: حسين تواتي، المرجع السابق، ص 132.

عقد سلم بين أبي حمو موسى الثاني وبيدرو الرابع ملك أراغونة

بسم الله الرحمن الرحيم ،وسلام على عباده الذين اصطفى ،وحسبنا الله ونعم الوكيل ،عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

هذا كتاب صلح أسست قواعده ،وحدت مصادره وموارده ،وحلي بالنجح والإسعاد والنظر الصالح للعباد والبلاد مُنشئه وعاقده ،عقده -بعد استخارة الله سبحانه واسترشاده ،واستعانته واستنجاهه- مولانا السلطان الجليل ،الملك الأصيل ،الشهير ،الخطير الكبير ،الرفيع المثيل ،الماجد الأثيل ،الأسنى الهمام ،الأوحد الأطول ،الأصعد الأحفل ،الأسعد الأسمى ،المثيل الأرضى ،الخليفة العادل ،الظاهر الكامل ،المنصور الجيوش والقبائل ،الفد الحلال ،المنصور الجيوش والقبائل ،المؤيد الأمضى ،المظفر المعان ،العظيم السلطان ،الكبير الجود والإحسان ،الأروع الأعلى ،أمير المسلمين ،المتوكل على رب العالمين ،أبو حمو موسى ،ابن الأمير الجليل ،الأوحد الرفيع ،الماجد الأعلى ،الأصعد الهمام ،الحافل المثيل ،الأرضى ،البطل الأمضى ،الأسعد الأسمى ،الباسل ،الكريم الشمائل ،العذب الفضائل ،الظاهر الظاهر ،الكبير الحظي ،المثيل الأصيل ،المعظم الموقر ،المبرور المقدس ،أبي يعقوب ،ابن الأمير الجليل الأعز الأرفع الأمنع ،الأرقى الهمام ،الباسل الأمضى ،الأوحد الأسعد ،الأصعد الأرقى ،الأكبر الأشهر ،الأظهر الأظهر ،الأسمى المعظم ،الموقر المبجل ،الأحفل الأفضل ،الأكمل المقدس ،السعيد ،المرحوم أبي زيد ،ابن الأمير الجليل الرفيع الماجد ،الكبير الأرضى ،الأمضى الأوحد ،الخطير الهمام ،البطل الباسل ،الأرقى الشهير ،المعظم الطاهر ،الموقر العظيم المآثر ،الكريم المفاخر ،المقدس المرحوم أبي زكرياء ،ابن السلطان الأعلى ،الأوحد المثيل الأسمى ،العامل الفاضل الأرضى ،الهمام الأروع الأمضى ،الملك الطاهر الكامل ،العظيم الشمائل ،البازل الباسل ،المآثور الفضائل ،المؤيد المنصور الظاهر ،مخلد المآثر والمفاخر ،المعظم الموقر ،المقدس أبي يحيى يعمراسن بن زيان -أبقاهم الله وعزهم سامي المراتب ،وملكهم عظيم المفاخر والمناقب ،ومجدهم الشامخ الذوائب ،سائر ذكره في المشارق والمغارب ،ولا زال مقامهم الأعلى مخصوصا من العناية الربانية بأرفع المناصب- عقدا للسلم

والمصالحة مع الملك الأحفل، الأسنى المبجل، المعظم الموقر، الكبير الشهير، سلطان أرغون وبلنسية وميورقة وسردانية وقورسقة وقمت برشلونة وقمت الرسلون وقمت سردانية دون بيدروا -أسعده الله برضاه، وأرشدته إلى سبيل هداة، وأكرمه بتقواه-، حين وصله -أعزه الله- كتاب السلطان دون بيدرو المعلوم، ورسم الصلح المختوم، الذي عليه صورة شكله المتعاهدة والمتعارفة في مثله، الصادرة عنه، المتكررة فيه، (على يد رسوله الفارس الزعيم فرانصيص قوسطة) على أن تكون السلم بينه وبينه لخمسة أعوام متوالية، أولها عام أربعة وستين وسبعمائة من شهر صفر من العام المذكور، المؤرخ به هذه السطور، الموافق من الشهور العجمية لشهر دجنبر -عرفنا الله فيه الخير والبركة-، على جميع ما لإيالته عليّة، وشملت دعوته السنية، من البلاد حاضرها وباديها، وثغورها ومواسطها وأطرافها، -حرس الله جميعها- وعلى جميع ما للسلطان دون بيدرو المذكور أيضا حاضرها وسواحلها، كثرها وقلها، لا يتعدى أحد منهما على أحد، ولا أهل بلد على بلد، في حالي الصدر والورد، سلما محافظا عليها من الجهتين، محفوظا عند الملتين، ومن كلا الجانبين، لا يلحق إحدى الناحيتين من الأخرى مضرة في أمر ولا تعد في سر أو جهر، البر والبحر في ذلك سيات، والمساترة فيهما بالأذى والمجاهرة ممنوعان، لا غدر فيها، ولا إخلال بمعنى من معانيها، ولا تشن في مدة المصالحة المذكورة غارة، ولا تذعر سيارة، فإن كان من جهة النصرارى فعلى السلطان المذكور تسريح السرى ورد ما يأخذونه للمسلمين على جهة النهب والسلب، والإنصاف من القيمة إن عدت العين واعوزت عند الطلب، وكذلك ما يؤخذ على جهة الاختلاس من أدمي وغيره،، وعلى مولانا السلطان -أعزه الله- مثل ذلك سواء، وأن يقابل بالوفاء الوفاء، هذا بعد أن يشيع الأمر، ويعلم من أين كان الضرر، ومن هو المتسبب بالغدر أو الشر، وكل ما يرجع إلى هذه الدعوة العلية ويدخل في طاعة هذه الإيالة السنية -بعد هذا العقد المحكم- فداخل تحت هذه المصالحة والسلم وهذا الحكم.

وعلى أن التجار الواصلين من إحدى الجهتين إلى الأخرى بمتاجرهم، أن لا يؤخذ منهم إلا العشر والمخزن المعلوم في سلعهم، لا زائد في ذلك عليهم، ويحملون في إقامتهم إذا حضروا، وفي طريقهم برا وبحرا مهما وردوا أو صدروا، على الحفظ التام، والرعي الشامل العام. وعلى أنه إذا انكسر جفن لمن يأتي من التجار قاصدا من هذه الجهة أو من جهته لمرسى من مراسي مولانا - أعزه الله - أو مراسيه فيرد على أربابه جميع ما كان فيه، ولا سبيل لأحد عليهم، ولا اعتراض بوجه من الوجوه لجفنه ولا إليهم، بل يخلى سبيلهم إلى أمتعتهم وأموالهم، وجفنه وسائر سلعهم في جميع أحوالهم إن شاء الله تعالى.

وقد التزم مولانا السلطان أبو حمو - أعزه الله - هذه الشروط، وأحكم فيها العقود الربوط، لينتقد عليها الصلح الذي تقدمت المفاوضة فيه التزاما على الواجب بمقتضى كل معنى من معانيه.

شهد على مولانا أبي حمو - أعلى الله مقامه، وأعلى أعلامه - بما فيه عنه من أشهد به على نفسه الكريمة، والكمال شامل ذاته، والسعد المسعد مصاحب قصده وأدواته، وهو على أكمل حالات الاشهاد، وذلك في تاسع وعشرين صفر من علم أربعة وستين بموافقة ثامن عشر دجنبر.

(فيه بين بعض أسطر "على يد رسوله فرنصيص قوسطة، صح منه.)

وفي الاشهاد المذكور على أنه مهما أتى جفن من أجفان إحدى الجهتين إلى الأخرى، قاصدا إلى مرساها ملجئا إليها عدو يطلبه في البحر لقصده الإذابة له والضرر، فعلى أهل ذلك المرسى الذي يلجأ إليها إعانته ورفع الضرر عنه، وكف الأيدي العادية عليه وحمائته بكل ما يمكنهم جهد استطاعتهم إن شاء الله، وبتاريخه، فشهد بجميعة:

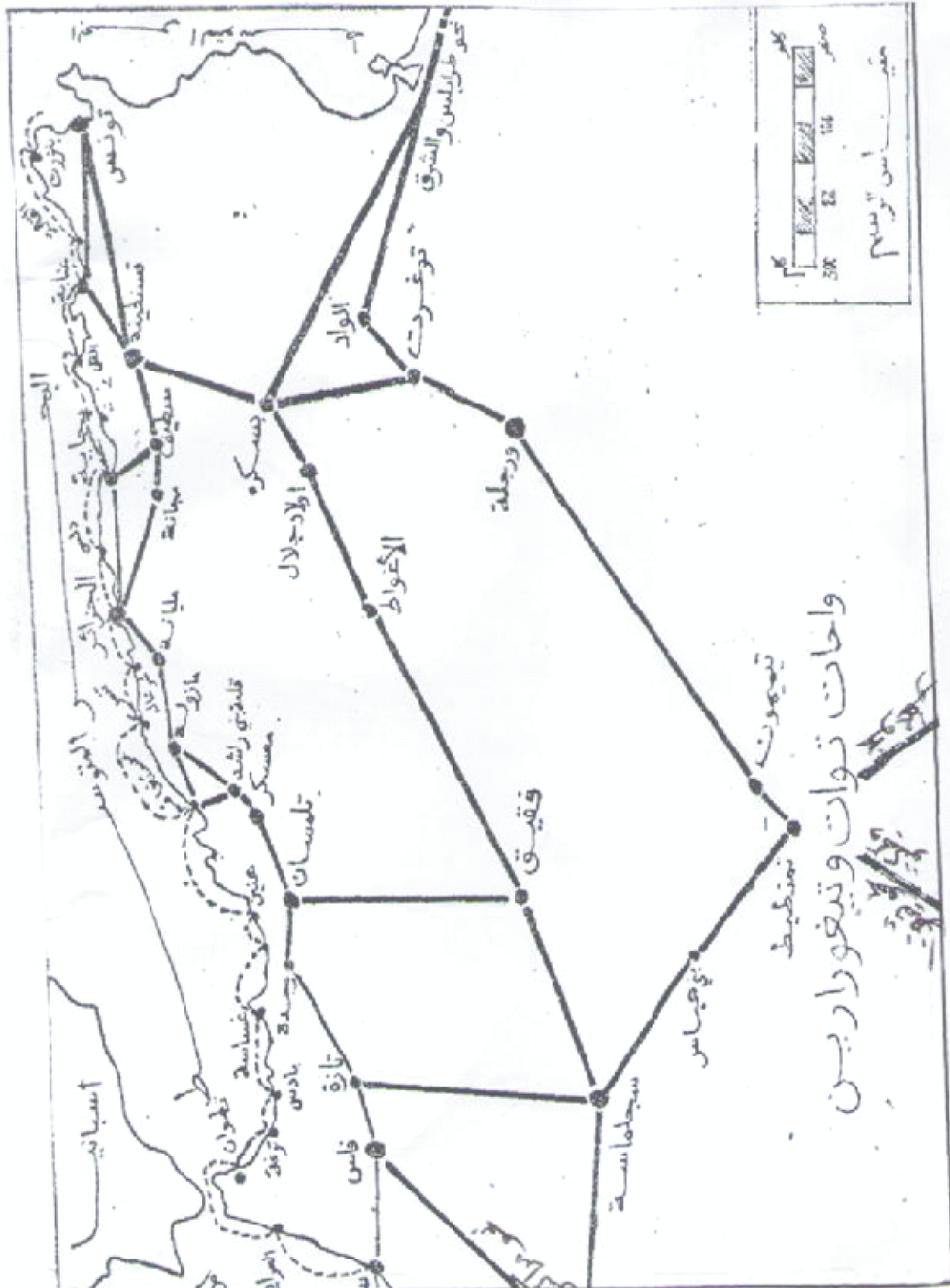
شهد. محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن علي لطف الله به بمنه.

شهد. ومحمد بن يوسف بن محمد القيسي.

شهد. ومحمد بن علي بن أحمد القطبي. أعلم باستقلاله محمد بن الحاج الحسن بن سعيد.

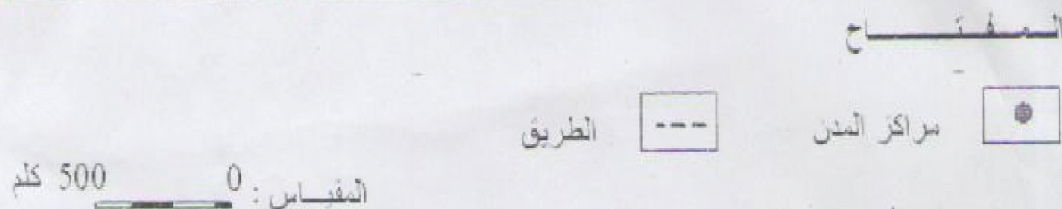
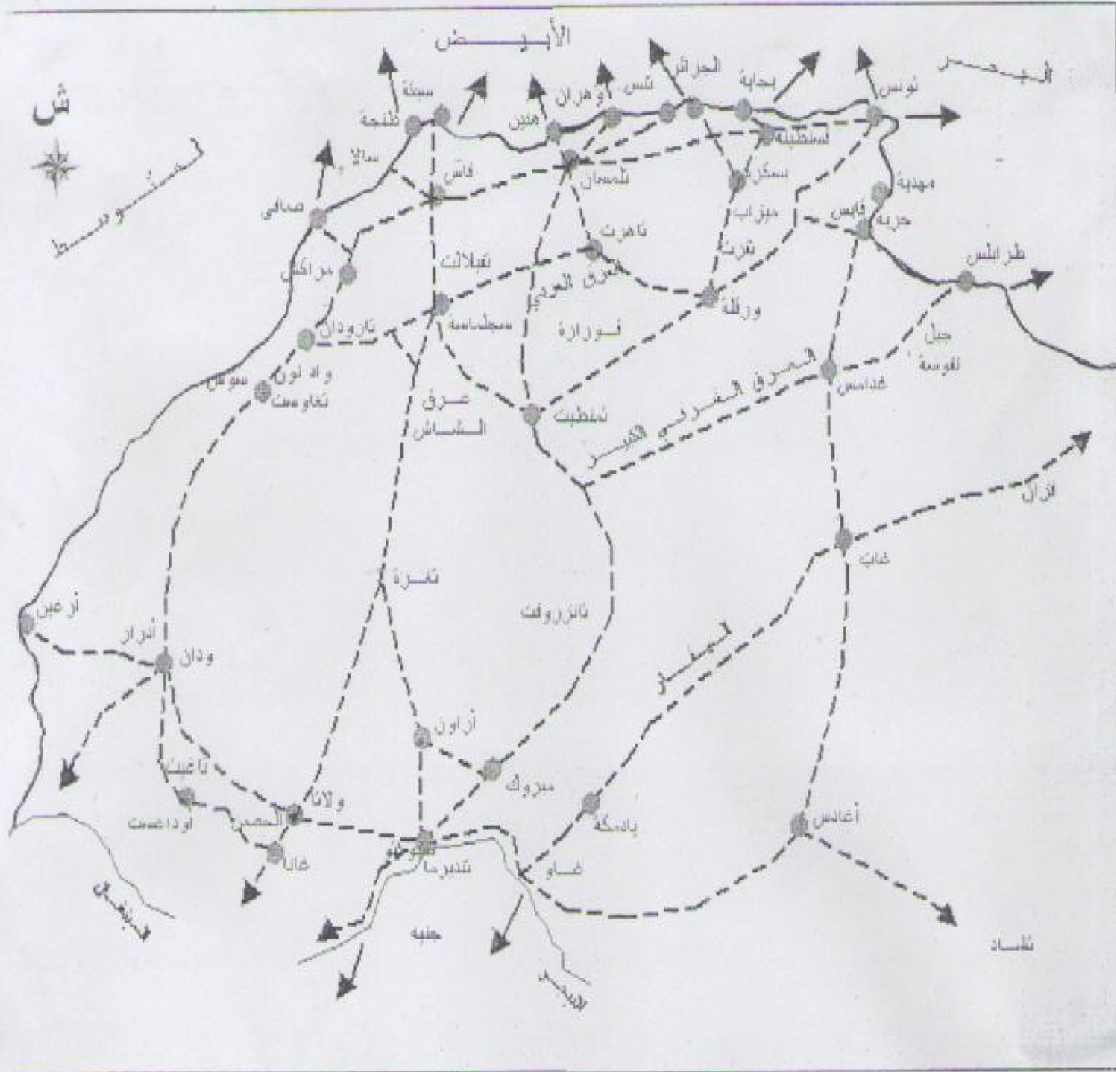
عن أحمد عزاوي، الغرب الاسلامي، ج4، ص ص 244-247.

الطرق البرية والبحرية الداخلية بالمغرب الإسلامي.



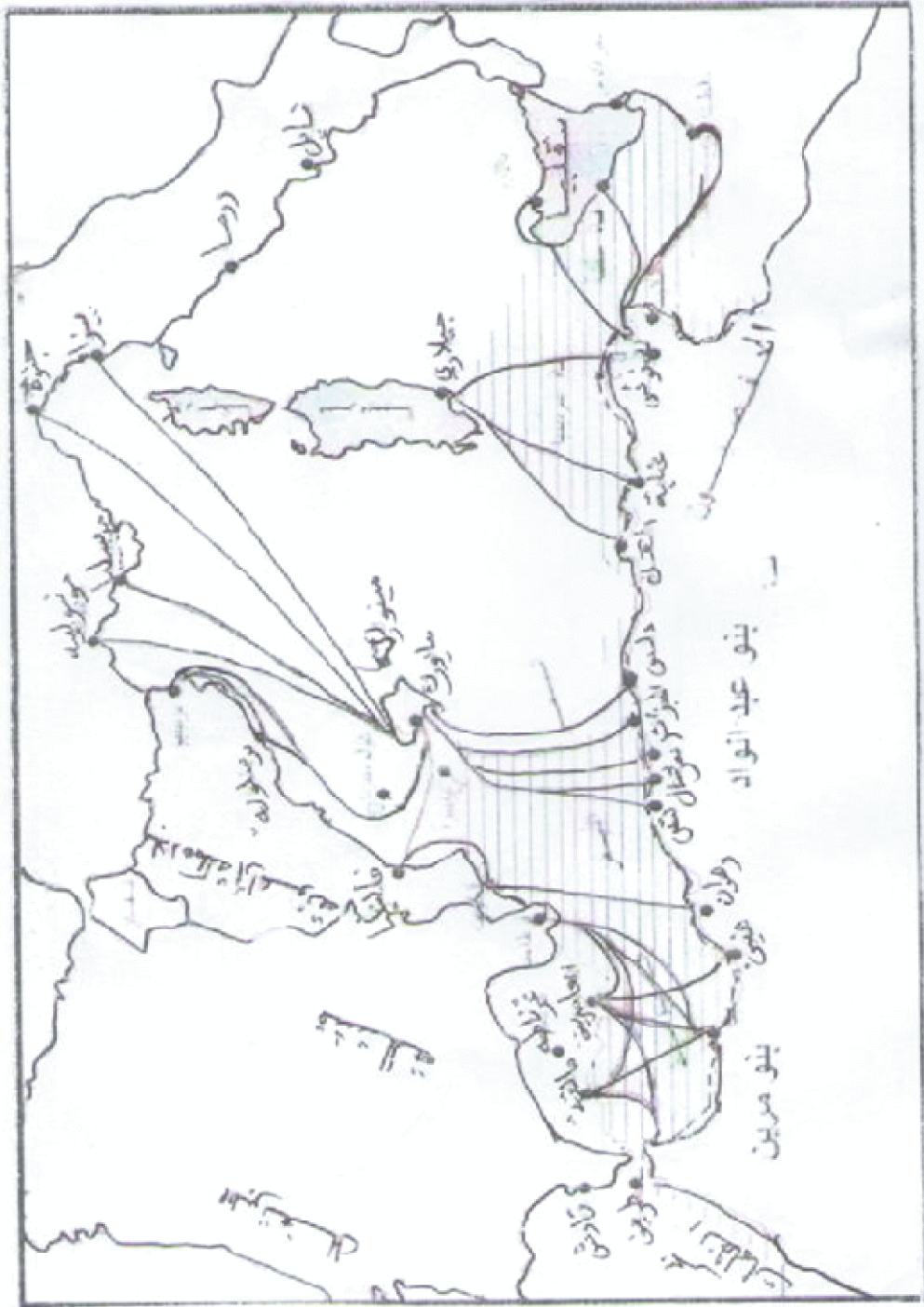
عن: عمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب 923 - 1069 هـ / 1517-1659م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، 1983، ص 311.

الطرق التجارية الصحراوية ما بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي على عهد دولة بني عبد الواد الزيرية



عن: فطيمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 228.

طرق التجارة البحرية بين المغرب الأوسط
والدول الأوربية على عهد دولة بني عبد الواد الزيانية.



عن: فطيمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 216.

قائمة الميبلينو خرافيا

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق.

الحديث النبوي الشريف.

أولاً: المصادر بالعربية .

أ - المخطوطات .

- ابن ادريس محمد رضا ،المقالة المرومة في الرحلة إلى تلمسان و ندرومة ،(مكرو فيلم) ،الخزانة العامة الرباط.

- ابن الأعرج (محمد الحسيني السليماني) ،زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ ،مخطوط بالخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم 170.

- ابن الخطيب لسان الدين ،ريحانة الكتاب ونجعة المتاب ،مخطوط بالخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم 11738.

- ابن القاسم ،المقصد الحمود في تلخيص العقود ،مخطوط ،بمعهد كجيل أسين ،مدريد ،تحت رقم 5.

- ابن خطاب (أبو بكر محمد بن عبد الله بن داوود المرسي الغافقي ت 686 هـ / 1285 م)
،فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب ،مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ،تحت رقم د/3787 .

- ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد الخطيب ت 781 هـ / 1379 م)،المجموع ،مخطوط (ميكرو فيلم) ،تحت رقم 20 ،،الخزانة العامة بالرباط.

- أبو راس (محمد بن أحمد بن ناصر الراشدي العسكري) ،عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ،مخطوط بدار الكتب التونسية ،تونس ،تحت رقم 262.

- المقدسي (مرعي بن يوسف الحنبلي) ،بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات ،مخطوط بالمكتب الوطنية ،الجزائر ،تحت رقم 1901.

ب- المصادر المطبوعة.

- ابن البناء (العددي المراكشي ت 721 هـ / 1321 م) ،الروض المريع في صناعة البديع ،تحقيق رضوان بن شقرون ،دار النشر المغربية ،الدار البيضاء ،1985.

- ابن الحاج النميري (ابراهيم بن عبد الله بن محمد)،فيض العباب وافاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ،دراسة و اعداد محمد بن شقرون ،الرباط ،(د.ت) .

- ابن الحاج النميري ،فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ،دراسة وتحقيق محمد شقرون ،ط1 ،الرباط ،1990.

- ابن الحمان الكيآسي ، نظم القطان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق محمود علي مكّي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987.

- ابن السماك العاملي (أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد المالقي الغرناطي ق 8 هـ / 14م) ،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية ، ط 1 ،دار الكتب

العلمية ،بيروت 2010 .

- ابن السماك العاملي (أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد المالقي الغرناطي ق 8 هـ / 14 م)
، رونق التحبير في حكم السياسة و التدبير ، تحقيق سليمان القرشي ، ط1 ، دار الكتب العلمية
، بيروت ، 2004 .
- ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتاب المصري ، و
دار الكتاب اللبناني ، 1989 .
- أبو حمو موسى (العبد الوادي ت 791 هـ / 1389 م) ، واسطة السلوك في سياسة الملوك
، تقديم عبد الرحمن عون و محمد الزاهي ، دار بوسلامة للطباعة والنشر و التوزيع ، تونس ، 1982 .
- التيجاني (أبو محمد عبد الله ت 717 هـ / 1317 م) ، رحلة التيجاني ، تقديم حسن حسني
عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1981 .
- أبو حمو موسى الثاني الزياني ، واسطة السلوك في سياسة الملوك ، تحقيق ، محمود بوترة ، دار
الشيما للنشر و توزيع ، باتنة ، و دار النعمان للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2012 .
- المراكشي (محي الدين عبد الواحد ت ق 7 هـ / 13 م) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب
، نشر محمد سعيد عريان و محمد العلمي ، دار الاستقامة ، القاهرة ، 1963 .
- المشرفي (عبد القادر بن عبد الله بن محمد ت 1192 هـ / 1778 م) ، بهجة الناظرين في
أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من أعراب بني عامر ، تقديم و تحقيق محمد بن عبد
الكريم ، دار مكتبة الحياة ، بيروت (د.ت) .

- المقرئ (أحمد بن محمد التلمساني ت 1041 هـ / 1631 م) ،نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ،تحقيق احسان عباس ،ج6 ،دار صادر ،بيروت ،1963 .
- المقرئزي (أبو العباس تقي الدين ت 845 هـ / 1441 م) ،كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ،الجزء الرابع ،تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ،لجنة التأليف و الترجمة و النشر ،القاهرة ،1972 .
- ابن أبي الزرع (علي بن عبد الله الفاسي ت 726 هـ / 1325 م) ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ،دار المنصور للطباعة ،الرباط ،1972 .
- ابن أبي الزرع ،الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ،دار المنصور للطباعة ،الرباط ،1972 .
- ابن أبي الزرع الفاسي ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ،ط2 ،المطبعة الملكية ،الرباط ،1999
- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت 658 هـ / 1260 م) ،أعتاب الكتاب ،تحقيق صالح الأشر ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق ،1961.
- ابن الأثير (علي بن محمد بن عبد الكريم ت 630 هـ / 1232 م) ،الكامل في التاريخ ،دار صادر بيروت ،1967.
- ابن الأحمر (أبو الوليد اسماعيل ت 810 هـ / 1408 م) ،روضة النسرین في دولة بني مرين ،تحقيق عبد الوهاب بن منصور ،المطبعة الملكية ،الرباط ،1962 .

- ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية ، تحقيق هاني سلامة ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2001.

- ابن الأحمر اسماعيل ، روضة النسرین في تاريخ بني مرین ، تح عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1991 .

- ابن الأزرق (أبو عبد الله محمد) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، (د.ت) .

- ابن الأزرق (أبو عبد الله محمد) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النجار ، بغداد ، 1977 .

- ابن الخطيب (لسان الدين ت 776 هـ / 1374 م) ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، منشورات دار الأفق الجديدة ، بيروت ، 1978 .

- ابن الخطيب (لسان الدين ت 776 هـ / 1374 م) ، أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام وما يجر ذلك من شجون الكلام ، تحقيق أحمد مختار العبادي و ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، 1964 .

- ابن الخطيب (لسان الدين ت 776 هـ / 1374 م) ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، دار المعارف ، مصر ، (د.ت) .

- ابن الخطيب (لسان الدين ت 776 هـ / 1374 م) ، ریحانة الكتاب و نجعة المنتاب ، الجزء الثاني ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1981 .

- ابن الخطيب (لسان الدين ت 776 هـ / 1374 م) ، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، (د.ت) .
- ابن الخطيب لسان الدين ، رقم الحلل في نظم الدول ، تحقيق عدنان درويش ، منشورات دار الثقافة ، دمشق ، سوريا ، 1990
- ابن الزيات أبو يعقوب يوسف التادلي ، التشوف إلى رجال التصوف ، وأخبار أبي العباس السبتي ، تحقيق أحمد التوفيق ، منشورات كلية الآداب ، الرباط ، المملكة المغربية ، 1984
- ابن الشهيد الأندلسي ، رسالة التوابع و الزوابع ، تحقيق بطر البستاني ، دار صادر ، بيروت ، 1967،
- ابن النديم (محمد بن إسحاق) ، الفهرست = ، تحقيق مصطفى الشويحي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1985 .
- ابن بسام الشنتريبي ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000.
- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن أحمد) ، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، 1966 .
- ابن بطوطة ، الرحلة ، طبعة الجزائر ، 1989.
- ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، تحقيق عبد الهادي التازي ، مطبوعات الأكاديمية المغربية ، 1997،

- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني، ط1
،مؤسسة الرسالة، بيروت 1975
- ابن تغري (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بردي الأتابكي)، المنهل الصافي والمستوفي بعد
الوافي، الجزء السابع، ط2، تحقيق محمد أمين و نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة
،1990 .
- ابن تومرت محمد، أعز ما يطلب، تحقيق عمار طالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
،1985.
- ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني ت 852 هـ / 1448 م)، رفع الإصر عن قضاة مصر
،الجزء الأول، تحقيق حامد عبد المجيد و آخرون، دون مكان و لا تاريخ طبع .
- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد
السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1962 .
- ابن حوقل (محمد أبو القاسم)، صورة الأرض، ط2، ليدن، 1983.
- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.
- ابن خطاب (ابو بكر الأندلسي ت 686 هـ / 1287 م)، فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر
بن خطاب، دراسة و تحقيق أحمد عزاوي، ط1، ربا نيت، الرباط، 2008 .
- ابن خلدون (أبو زكريا يحيى بن محمد ت 780 هـ / 1378 م)، بغية الرواد في ذكر
الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980 .

- ابن خلدون (أبو زكريا يحيى بن محمد ت 780 هـ / 1378 م) ، بغية الرواد ، ج2 ، نشر ، ألفرد بل ، مطبعة بيبير فونطانا الشرقية ، الجزائر ، 1903 .

- ابن خلدون يحيى ، بغية الرواد ، ج2 ، تحقيق بوزياني الدراجي ، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 .

- ابن خلدون يحيى ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، مج1 ، مطبعة بيبير فونطانا الشرقية ، الجزائر ، 1903 .

- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808 هـ / 1405 م) ، المقدمة ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، 2004 .

- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808 هـ / 1405 م) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1969 .

- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808 هـ / 1405 م) ، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا و غربا ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1951 .

- ابن خلدون عبد الرحمن ، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ط1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، 2011 .

- ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد ت 681 هـ / 1283 م) ،وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ،تحقيق إحسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت ،(د.ت) .
- ابن شهيد الأندلسي ،رسالة التوابع والزوابع ،تحقيق بطر البستاني ،دار صادر ،بيروت ،1967.
- ابن عذارى (أبو العباس أحمد المراكشي) ،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ج3 ،نشر ليفي بروفنسال وكولان ،دار الثقافة ،بيروت ،1967.
- ابن عذارى المراكشي ،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ج4 ،تح محمد ابراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت الطنجي ومحمد زنير وعبد القادر زمامة ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1985.
- ابن عسكر ،دوحة الناشر محاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ،طبعة حجرية ،فاس ،1309 هـ.
- ابن عماد (الحنبلي ت 1085 هـ / 1674 م) ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،دار الآفاق الجديدة ،بيروت (د.ت) .
- ابن فرحون المالكي ،الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1996.
- ابن فرضي عبد الله محمد الأزدي ،تاريخ علماء الأندلس ،تحقيق إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1984 .
- ابن قتيبة (أبو عبد الله الدينوري) ،أدب الكتاب ،دار صادر ،بيروت ،2004 .

- ابن قتيبة (أبو عبد الله الدينوري) ، كتاب عيون الأخبار ، ج 1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1965.

- ابن قنفذ (أبو العباس أحمد القسنطيني ت 810 هـ / 1407 م) ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق محمد الشادلي النيفر وعبد المجيد التركي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968.

- ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد الخطيب ت 781 هـ / 1379 م) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981.

- ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد الخطيب ت 781 هـ / 1379 م) ، المناقب المرزوقية ، دراسة و تحقيق سلوى الزاهري ، ط 1 ، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2008.

- ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، نشر محمد بن أبي شنب ، تقديم عبد الرحمن طالب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986.

- ابن منظور (محمد بن مكرم الأنصاري ت 711 هـ / 1311 م) ، لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، القاهرة ، (د.ت) .

- ابن منظور ، لسان العرب ، تقديم الشيخ العلايلي ، طبعة دراسات العرب ، بيروت ، (د.ت) .

- ابن منظور ، لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، (د.ت)

- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تح محمد أبو الأجنان، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، والمكتبة العتيقة، تونس، 1982.

- أبو المكارم (عبد الحميد الأندلسي)، الكتابة و الكتاب، طبعة حجرية، فاس، 1924 .

- أبو بكر بن علي الصنهاجي (البيدق) ، أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974

- أبو عبد الله الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تحقيق محمد علي فركوس، ط1، المكتبة المكية، السعودية ومؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، 1998.

- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، 1971.

- الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، تقديم وتعليق اسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983.

- الأزدي (عبد الله محمد ابن فرضي) ، تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1984 .

- الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم ت 339 هـ / 950 م) ، المسالك و الممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، وزارة الثقافة و الارشاد القومي المصرية ، القاهرة ، 1961.

- الأنصاري أبو عبد الله محمد ، فهرست الرصاع ، تحقيق محمد العنابي ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1967،

- البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت 487 هـ / 1094 م) ،المغرب في ذكر بلاد افريقية
والمغرب مقتطف من كتاب المسالك و الممالك ،تحقيق البارون دي سلان ،مكتبة أمريكا والشرق
،باريس ،1965.
- البكري أبو عبد الله ،المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب ،مقتطف من كتاب المسالك و الممالك
،تحقيق البارون دي أسلان ،مكتبة أمريكا والشرق ،باريس 1969
- البكري أبو عبيد ،المسالك و الممالك ،تحقيق وتقديم ،أدريان فان ليوفن وأندري فيري ،ج2
،الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ،بيروت ،1992
- التمبكتي (أحمد بابا ت 1032 هـ / 1624 م) : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدياج
،تحقيق علي عمر ،ج2 ،ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،2004 .
- التمبكتي (أحمد بابا ت 1032 هـ / 1624 م) ،نيل الابتهاج بتطريز الدياج ،ط1 ،كلية
الدعوة الاسلامية ،طرابلس ،ليبيا ،1989 .
- التنسي (الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل ت 899 هـ / 1493 م) ،تاريخ دولة
الأدارة مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ،تحقيق عبد الحميد حاجيات
،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984 .
- التنسي ،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان
،تحقيق محمود بوعياذ ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1985.

- التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياذ آغا، موفم للنشر، الجزائر، 2011 .
- التوحيدى أبو حيان علي بن محمد، رسالة في علم الكتابة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001 .
- التيجاني أبو محمد عبد الله، رحلة التيجاني، تقدم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981
- الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس)، الوزراء و الكتاب، تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري، و عبد الحفيظ شلي، ط2، القاهرة، 1980 .
- الحريري محمد الحريري، المقامات الأدبية، مصر، 1950
- الحموي (شهاب الدين ياقوت البغدادي)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1984 .
- الحموي ياقوت، معجم البلدان، دار احياء التراث الإسلامى، بيروت، لبنان، 1979
- الحموي ياقوت، معجم البلدان، مج1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957.
- الحميري (محمد عبد المنعم السبتي ت ق 9 هـ / 15 م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980 .
- الحميري عبد المنعم السبتي، صفة جزيرة الأندلس، نشر ليفي برفنصال، ط2، دار الجيل، بيروت.

- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة

لبنان، 1975

- الراشدي أحمد ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي بو عبدلي

، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973

- الزركشي محمد بن ابراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح محمد ماضور، المكتبة العتيقة

، تونس، 1966.

- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت 902 هـ / 1497م)، الضوء اللامع لأهل

القرن التاسع، الجزء الرابع، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

- السيوطي (جلال الدين)، تاريخ الخلفاء، دار المعرفة، بيروت، 1996 .

- الشنتريني (ابن بسام)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، القسم الأول

، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الجزء الأول

، مطبعة السعادة، القاهرة، 1929.

- الصولي (أبو بكر بن محمد)، أدب الكتاب، شرح و تعليق أحمد حسن، دار الكتب العلمية

، بيروت، 1994 .

- الضبي أحمد بن يحيى بن عميرة، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد

الرحمن السويقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت 310 هـ / 923 م) ، تاريخ الرسل و الملوك ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) .
- العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد ت ق 7 هـ / 13 م) ، رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية ، تحقيق أحمد جدو ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، (د.ت) .
- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله) ، كتاب الصناعتين ، الكتابة و الشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، 1971 .
- العمري (شهاب الدين ابن فضل الله ت 749 هـ / 1348 م) ، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني ، مقتبس من " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " ، ضمن كتاب ورقات عن حضارة المرينيين لمحمد المنوني ، ط3 ، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية ، الرباط ، 2000 .
- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بيجاية ، تحقيق رابح بونار ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 .
- الغزالي أبو حامد ، المصدر ، ج1 ، دار الثقافة ، الجزائر ، 1991 .
- الغساني محمد بن عبد الوهاب ، رحلة الوزير في افتكاك الأسير ، تحقيق الفريد البستان ، مؤسسة الجنرال فرانكو ، طنجة ، المملكة المغربية ، 1940 .
- الفيروز آبادي و محمد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، ج4 ، ط2 ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، 1952 .

- القاضي عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح أحمد بكير محمود، مج 2، مكتبة الحياة، بيروت، 1967.

- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ت 671 هـ / 1273 م)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القاهرة، 1949.

- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ت 821 هـ / 1418 م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

- القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القاهرة، 1959.

- القلقشندي أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922.

- المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وزهادهم ونسآكهم وسير من أخبارهم، تحقيق بشير البكوشي ومحمد العروسي المطوي، ج 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994.

- المراكشي (محي الدين عبد الواحد ت ق 7 هـ / 13 م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.

- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق خليل عمران، المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشر محمد سعيد عريان و محمد العلمي، دار الاستقامة، القاهرة، 1963.

- المقرئ ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شليبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1939
- المقرئ ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق يوسف الشيخ و محمد البقاعي ، بيروت 1998 .
- المقرئ أبو عباس أحمد ، رحلة المقرئ إلى المغرب و المشرق ، تحقيق محمد بن عمر ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2004
- المقرئ أحمد بن محمد ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1963
- المقرئ (أبو العباس تقي الدين ت 845 هـ / 1441 م) ، اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفاء ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1967 .
- المقرئ ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج4 ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1972.
- النباهي (أبو الحسن علي بن محمد المالقي) ، قضاة الأندلس ، المعروف باسم كتاب المرتبة العليا في من يستحق القضاء و الفتيا ، نشر ليفي بروفنسال ، بيروت ، 1983.
- النجفي (محمد علي الدين الحسيني) ، كتاب بحر الأنساب المسمى المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف ، مصر ، (د. ت) .

- النويري (أحمد عبد الوهاب ت 732 هـ / 1332 م) ،نهاية الأرب في فنون الأدب ،تحقيق
و تعليق مصطفى أبو ضيف ،دار النشر المغربية ،الدار البيضاء،1984.

- النويري (أحمد عبد الوهاب ت 732 هـ / 1332 م) ،نهاية الأرب في فنون الأدب ،طبعة
القاهرة ،(د.ت) .

- الوزان (الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الافريقي (ت 957 هـ / 1552 م)
،وصف افريقيا ،ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ،ج 2 ،منشورات الجمعية المغربية للتأليف و
الترجمة و النشر ،الرباط ،1980 .

- الوزان الحسن ،وصف إفريقيا ،تر محمد حجي و محمد الأخضر ،ج 1 ،ط 2 ،دار الغرب
الإسلامي ،بيروت ،1983

- الونشريسي أبو العباس أحمد ،المعيار المعرب ،نشر وزارة الأوقاف المغربية ،المملكة المغربية
1981،

- اليعقوبي ،البلدان ،وضع حواشيه محمد أمين ضناوي ،ط 1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت 2002
- كرنخال مارمول ،افريقيا ،ترجمة محمد حجي و آخرون ،ج 1 ،مكتبة المعارف ،المغرب
1984،

- كرنخال مارمول ،إفريقيا ،ج 2 ،ترجمة محمد حجي وآخرون ،دار المعرفة للنشر والتوزيع ،الرباط
1989،

- مؤلف مجهول ،الاستبصار في عجائب الأمصار ،نشر و تعليق عبد الحميد سعد زغلول ،دار
النشر المغربية ،الدار البيضاء ،المملكة المغربية ،1985 .

- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1958.

- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1979.

- مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تحب بوزياني الدراجي، ج2، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

- مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، نشر نور الدين عبد القادر، الجزائر 1934

- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الرباط، 2005

- مؤلف مجهول، منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، تحقيق داود علي فاضل، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.

- مؤلف مجهول، منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، تحقيق داود علي فاضل، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.

- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1958.

ج- المراجع.

- ابراهيم عبد الله عبد الرزاق وشوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الاسكندرية، القاهرة، 1998.

- أبو الضيف عمر مصطفى، القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- أبو المكارم عبد الحميد الأندلسي، الكتابة و الكتاب، طبعة حجرية، فاس، 1924.
- أبو مصطفى كمال، جوانب من حضارة المغرب الاسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1998.
- أحمد موسى عز الدين عمر، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983.
- أعيف محمد، المسالك الصحراوية، توات حلقة اتصال بين المغرب وإفريقيا الغربية، منشورات عكاظ، الرباط، المملكة المغربية، (د.ت).
- أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ط2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1972-1973.
- الجزائري محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، ط2، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964.
- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.
- الحضري محمد، محاضرات في تاريخ الأمة الإسلامية، بيروت، 2001.
- الدالي الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ط2، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، 1999.

- الدراجي بوزياني ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر
1993،

- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الكبير ، ج2 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981

- الطمار محمد بن عمرو ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر
1973،

- الطمار محمد عمرو ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1973
- الطمار محمد عمرو ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
الجزائر ، 1983،

- الطمار محمد عمرو ، تلمسان عبر العصور ، دورها في سياسة وحضارة الجزائر ، المؤسسة الوطنية
للكتاب ، الجزائر ، 1984 ،

- العبادي أحمد مختار ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، 1968.

- العبادي أحمد مختار ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981.

- العبادي أحمد مختار والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، دار
النهضة العربية ، بيروت ، 1981

- العربي اسماعيل ، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس ، الجزائر 1983

- القريشي أحمد عبد القادر ، الحياة الأدبية في تلمسان في القرن الثامن الهجري (14 م) ، كلية
الآداب ، جامعة الأردن ، عمان ، 1988،

- المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ، ط3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

- المدني أحمد توفيق ، كتاب الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984

- المطوي محمد العروسي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الاسلامي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1986 .

- المنوي محمد ، ورقات عن حضارة المرينيين ، ط3 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2000 .

- المليي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، تقديم وتصحيح محمد المليي ، م . و . ك ، الجزائر ، 1986 .

- الناصري السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج2 ، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1997 ،

- باشا نجة ، التجارة في المغرب الاسلامي خلال القرن 8هـ / 14م ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، 1979

- بروفنسال ليفي ، حاضرة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت ،

- برونشفيك روبير ، تاريخ افريقيا في العهد الحفصي ، تعريب حمادي الساحلي ، ج1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1988

- بكاي هوارية ،العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا ،النشر الجديد الجامعي ،تلمسان ،2017.
- بكري عبد الكريم ،النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 هـ ،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر ،2005.
- بل ألفريد ،الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم ،ترجمة عبد الرحمن بدوي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1987.
- بلعربي خالد ،الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان ،دراسة تاريخية وحضارية ،ط1 ،الألمعية للنشر والتوزيع ،قسنطينة ،الجزائر ،2011.
- بلعربي خالد ،الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان ،ط1 ،مطبعة تلمسان ،2005.
- بلعربي خالد ،تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية ،(55-633هـ/675-1235م) ،ط1 ،الألمعية للنشر والتوزيع ،قسنطينة ،الجزائر ،2011.
- بن العربي الصديق ،كتاب المغرب ،الرباط ،1956.
- بن خروف عمار ،العلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين الجزائر والمغرب في القرن 10 هـ/16 م ،دار الأمل للنشر والطباعة والتوزيع ،الجزائر ،2008.
- بن عميرة محمد ،دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984.

- بن قربة صالح، المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- بن محمد علي، النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري مضامينه و أشكاله، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- بن منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968.
- بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
- بورويبة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة شيوخ ابراهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- بوعزيز يحيى، ماضي تلمسان وأمجادها الحضارية ضمن كتاب مآثر تلمسان ماضيا وحاضرا، نخبة من الأساتذة والباحثين، جمع وتعليق محمد بوزواوي، القافلة للنشر والتوزيع، 2011.
- بوعمامة فطمة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ 14-15 ميلادي، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.
- بوعبياد محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ / 15م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- بوعبياد محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15 م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

- بيرين هنري ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ترجمة عطية الغوطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1996.
- توات محمد الطاهر ، ابن الخميس شعره و نثره ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991.
- توات محمد الطاهر ، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرن السابع و الثامن (الهجريين) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995.
- جبران محمد مسعود ، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب (المضامين والخصائص والأسلوب) ، ط1 ، دار المدار الاسلامي ، بنغازي ، ليبيا ، 2004.
- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط القرنين الثالث والرابع هجريين (9 - 10 م) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1992.
- جيدة عبد الحميد ، صناعة الكتابة عن العرب ، ط1 ، دار العلوم العربية ، بيروت ، 1998.
- حاجيات عبد الحميد ، أبو حمو موسى الثاني الزياني حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982.
- حاجيات عبد الحميد وآخرون ، الجزائر في التاريخ ، ج3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.
- حركات ابراهيم ، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين ، مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء ، (د.ت).

- حساني مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية ، ج2 ، الأحوال الاقتصادية والثقافية ، منشورات الحضارة ، الجزائر ، 2009.
- خطيف صابرة ، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية ، ط1 ، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011.
- دير نجر دافيد ، متحف الأبجديات ، ترجمة عبد المنعم الصاوي ، مجلة اليونسكو ، عدد 60 ، السنة 1962.
- زبادية عبد القادر ، سنغاي في عهد الأسيقيين 1493-1591 ، الشركة الوطنية للكتاب ، (د.ت).
- زكي عبد الرحمن ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، 1960.
- زيدان جورجى ، تاريخ التمدن الاسلامي ، مجلد 1 ، دار الحياة ، بيروت ، 1967.
- سعد الله فوزي ، يهود الجزائر ، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة ، الجزائر 1996.
- سعودي محمد عبد الغني ، الاقتصاد الافريقي والتجارة الدولية ، المكتبة الأنجلومصرية ، القاهرة ، (د.ت).
- سعيدان عمر ، علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي دراسة وثائق (رسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحليل ، منشورات سعيدان ، سوسة ، تونس ، 2002.

- سعيدون عباس نصر الدين، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- سلام محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي، الكتابة و الكتاب، منشأ المعارف، الاسكندرية، 1995.
- شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- شاوش محمد رمضان وبن دحمان الغوثي، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، ج1، دار بريكسي، تلمسان، 2001.
- شريفني محمد سعيد، خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- صعب الحسن، علم السياسة، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1976.
- عاشور سعيد عبد الله، أوروبا في العصور الوسطى التاريخ السياسي، ط8، المكتبة الأنجلومصرية
- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830 م)، دار هومة للنشر، الجزائر، 2005.
- عبد الواحد حسن، صناعة الكتابة عند ضياء الدين ابن الأثير، ط1، مكتبة القاهرة، 1999.
- عبدلي لخضر، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 2007.

- عزاوي أحمد، الغرب الاسلامي (خلال القرنين 7 و8هـ)، مطبعة الرباط نيت، المغرب، 2007.

- عنان محمد عبد الله، دولة الاسلام في الأندلس، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.

- عنان محمد عبد الله، عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس، عصر الوحدين و انهيار الأندلس الكبرى، القاهرة، 1960.

- غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979.

- فضل الله محمد رجب، عملية الكتابة الوظيفية و تطبيقها و تعليمها و تقويمها، ط1، مطبعة عالم الكتب، القاهرة، 2003.

- فهمي نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة (د. ت).

- فيلاي عبد العزيز، المظاهر الكبرى في عصر الولاية ببلاد المغرب و الأندلس، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1991.

- فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2002.

- قريان عبد الجليل، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

- كحالة عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة، بيروت 1968.

- لمبارد موريس، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق 1998.

- مؤنس حسين مؤنس ،تاريخ المغرب الاسلامي وحضارته ،ط1 ،دار العصر الحديث ،بيروت ،1992.
- مارسى جورج ،أشهر مدن الفن "تلمسان" ،مطبعة موقان ،البليدة ،الجزائر ،2004.
- مارسى جورج ،بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى ،ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ،مطبعة الانتصار ،الاسكندرية ،جمهورية مصر العربية ،1991.
- مارسى جورج ،تلمسان ،ترجمة سعيد دحماني ،نشر دار التل ،الجزائر ،2004.
- هلال هيثم جمعة ،الدولة الأموية ،ط1 ،دار العزة و الكرامة للكتاب ،وهران ،2011.
- وولف جون .ب. ،الجزائر وأوربا ،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ،النؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1986.

د- المجلات والدوريات.

- بكاي هوارية ،شركة آل المقرري التجارية ودورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط الزياني والسودان الغربي ،مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ،جامعة الوادي ،العدد 4 ،أفريل ،2016.

- بلفراد محمد ،تلمسان ،مجلة الأصالة ،العدد 26 (جويلية - أوت) ،السنة الرابعة ،1975.

- بن داود نصر الدين ،قراءة في الاشعاع العلمي لمدينة ندرومة (من ق 5 هـ/ 11 م إلى ق 9 هـ/ 15 م) ،مجلة القرطاس ،مخبر الدراسات الحضارية والفكرية ،جامعة تلمسان ،العدد 1 ،سبتمبر 2012

- بن عميرة لطيفة ،الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك السودان الغربي ،حولية المؤرخ ،العدد الخامس ،جوان 2005.

- بودواية مبخوت ،الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني ،مجلة القرطاس ،العدد التجريبي ،ديسمبر ،2008.

- بوروية رشيد ،جولة عبر مساجد تلمسان ،مجلة الأصالة ،العدد 26 ،جويلية/أوت ،السنة الرابعة 1975 م.

- دهبنة عطاء الله ،وصية يغمراسن ،مجلة التاريخ وحضارة المغرب العربي ،العدد 6 ،27 جويلية ،1969 .

- زكرياء مفدي ،النشاط العقلي ،مجلة الأصالة ،العدد 26 ،الجزائر ،1975

- عبد الحميد سعد زغلول، العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي و أبي يوسف يعقوب المنصور، مقال
بمجلة بكلية الآداب بالإسكندرية، عدد 16، 17، سنة 1953.

- قوراري عيسى، دور بنو عامر وحميان السياسي والعسكري في إحياء الدولة الزيانية (عهد أبي
حمو موسى الثاني) ما بين 760هـ-1359م/774هـ-1373م، مجلة قرطاس الدراسات
الحضارية والفكرية، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، تلمسان، العدد التجريبي، ديسمبر 2008
- لعرج عبد العزيز، المساجد الزيانية بتلمسان "عمارتهما وخصائصها"، حوليات جامعة الجزائر
، العدد 6، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992/1991.

- مبارك عبد الحميد، جورج مارسي تلمسان -المدينة التجارية والحرفية-، مجلة قرطاس
الدراسات الحضارية والفكرية، العدد التجريبي، ديسمبر، 2008.

- مكوي محمد، المؤسسات التعليمية في العهد الزياني (القرن 8 هـ/14 م) مجلة الفكر الجزائري
، العدد 4، ديسمبر 2009 .

- مكوي محمد، دور يغمراسن بن زيان في تأسيس الدولة الزيانية، دورية قرطاس الدراسات
الحضارية والفكرية، العدد التجريبي، ديسمبر 2008، كلية الآداب و العلوم الانسانية والاجتماعية
، جامعة تلمسان.

هـ- الدراسات الأكاديمية.

- الحاج المهدي بابا خويا، الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني وجهوده الأصولية والفقهية، رسالة ديبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس، المملكة المغربية، 1992/1993.

- بالأعرج عبد الرحمن، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007/2008.

- بكاي هوارية، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007/2008.

- بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2013/2014.

- بلحسن إبراهيم، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7 إلى القرن 9 هـ/13-15 م، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2004/2005.

- بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7 هـ / 13 م إلى القرن 10 هـ 16 م، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة تلمسان، 2009-2010.

- بن مصطفى إدريس، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الاسلامي مع دول جنوب أوروبا في الفترة (ق 7-10 هـ / 13-16م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2013/2014.

- بن مصطفى ادريس ،العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع ايطاليا وشبه الجزيرة الابيرية في عهد الدولة الزيانية ،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ ،جامعة تلمسان ،2007/2006.
- بن معمر محمد ،العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغريين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجريين ،أطروحة دكتوراه ،قسم التاريخ ،جامعة وهران ،2002/2001.
- بنطاهر زين العابدين ،الرحلة العبدرية إلى الوجه الحجازية (دراسة و تحقيق) ،رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية و آدابها ،كلية الآداب و العلوم الاجتماعية ،جامعة فاس ،المملكة المغربية ،1993-1992
- بوحسون عبد القادر ،العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني ،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ ،جامعة تلمسان ،2008/2007 .
- بودواية مبخوت ،العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان ،رسالة دكتوراه ،قسم التاريخ ،جامعة تلمسان ،2006/2005 .
- تواتي حسين ،الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية -الكتابة أنموذجا- ،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ وعلم الآثار ،جامعة تلمسان ،2014/2013.
- خوالد فرحات الشريف ،أبو عبد الله بن خميس التلمساني ،حياته و أدبه ،رسالة ماجستير ،الجامعة الأردنية ،عمان ،1993

- رزقي عبد الرحمن، النظم الاسلامية في الأندلس (316-422 هـ/929-1031م)-

الكتابة نموذجاً - ،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ و علم الآثار ،جامعة تلمسان ،2010-

.2011

- سكاكو مريم ،مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس ما بين القرنين

الثامن والتاسع الهجريين (14 - 15 م) ،مذكرة ماجستير ،شعبة التاريخ ،قسم التاريخ وعلم

الآثار ،جامعة تلمسان ،2012/2011 .

- عبدلي لخضر ،الحياة الثقافية للمغرب الأوسط ،في عهد بني زيان ،رسالة دكتوراه ،قسم التاريخ

،جامعة تلمسان ،2004-2005

- فافة بكوش ،أبو عبد الله محمد المقرئ (ت 759هـ) ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر

المغرب الإسلامي ،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ وعلم الآثار ،جامعة تلمسان

،2012/2011.

- مطروح أم الخير ، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الاسلامي ،رسالة

ماجستير في الآثار الاسلامية ،معهد الآثار ،دائرة الآثار الاسلامية ،جامعة الجزائر ،1994

- مكوي محمد ،الأوضاع السياسية و الثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي

تاشفين الأول ،رسالة ماجستير ،قسم الثقافة الشعبية ،جامعة تلمسان ،2000-2001.

- Arie Rachel ,L'Espagne Musulmane au temps de Nasrides (1232-1492) ,édition E.de Boccard ,Paris ,1973 .
- Barges (L.J.J.L) ,Tlemcen ancienne de royaume de ce nom ,sa topographie ,son histoire ,Paris 1859
- Barges (L.J.J.L) ,Tlemcen ancienne capitale de royaume de ce nom sa topographie son histoire ,Paris ,1859 ,p 34 .
- Barges ,Mémoires sur les relations commerciales de Tlemcen avec le Soudan sous le règne des Benizeyan ,extrait de la revue d'orient de l'Algérie et des colonies ,Paris ,Juin 1853.
- Barys (L) ,complément de l'histoire des beni zeyan ,Paris ,1887 .
- Belhamissi (M), histoire de Mazouna (des origines à nos jours) ,S.N.E.D ,Alger ,1981.
- Belkacem Daouadi ,les relations commerciales entre le royaume Abdelwadide de Tlemcen et les villes du sud de l'Europe occidentale à partir du milieu du 13^e siècle jusqu'au milieu du 16^e ,AAM n° 16 ,2009
- Bordas ,Encyclopédie histoire universelle ,le monde antique ,t4 ,édition G.L ,Paris ,1968
- Bouali (S.A) ,les deux grands sièges de tlemcen ,E.N.A.L ,Alger ,1984 ,p107.

- Burdeau (G) ,Méthode de la science politique ,Daloz ,Paris ,1959
- Contenan (G) ,la civilisation Phénicienne ,édition Payot ,Paris ,1949.
- De Grammont (H.D) ,quel est le lieu de la mort d'Aroudj Barbarousse ,R.A ,n° 22 ,1878
- De Mas Latr ,Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations avec les arabes de l'Afrique septentrionales au moyen âge ,Paris ,1866.
- Dhina (A) ,les états de l'occident musulman au 13, 14, et 15^{ème} siècles ,O.P.U .Alger ,1984.
- Dhina (A) ,Le Royaume Abdelouadid à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1^{er} ,O.P.U ,Alger ,(s.d).
- Djilali Sari ,la renaissance d'un ancien débouche de l'or transsaharien –Honaine- ,O.P.U ,Alger ,(S.D) .
- Dufourcq (CH) ,l'Espagne Catalane et le Maghreb au 13^{ème} et 13^{ème} siècles ,Paris ,1966
- Eli de la primodaie ,documents uni dites sur l'histoire de l'occupation Espagnol en Afrique de nord (1506-1774) ,Alger ,1875
- Glassner (J) ,comment est née l'écriture ,Sumer science et vie ,n° 219 ,juin 2002 ,Paris
- Graulle (A) ,la mort et le tombeau de Bab Aroudj ,Paris ,1913

- Haedo (F.D) ,histoire des rois d'Alger ,traduit et annotée par (H.D) De Grammont ,R.A ,n° 24 ,1880
- Heers (J) ,Gênes au xv^e siècle ,l'Afrique du nord et le monde Ibérique ,Paris ,1961.
- La voix ,catalogue des monnaies musulmanes Espagne et Afrique ;T3,(s.d)
- Loukil (Y) ,Monographi de Mazouna ,Alger ,1912
- Mac Carthy ,Algeria Romana ,recherche sur l'occupation et colonisation de l'Algérie par les Romains ,Revue Africaine ,Alger ,1865
- Marçais (G) ,Le Makzen des Benis Abd-El-Wad ,Rois de Tlemcen ,Bulletin trimestriel de la société de géographie et d'Archéologie d'Oran ,T61 (Mars – Juin 1940) ,63^{ème} Année
- Marçais (G) ,Tlemcen ville d'art et d'histoire ,2^{ème} congres de la fondation des société savantes de l'Afrique de nord ,Tlemcen ,publié par soin de la société historique Algérienne ,Alger ,1936 .
- Marçais (G) ,La berberie Musulmane et l'orient au moyen âge ,Paris ,1946
- Marçais (G) ,L'Architecture musulman d'occident (Tunisie ,Algérie ,Maroc) ,métier graphique ;Paris ,1954

- Marçais (G) ,remarques sur les medersas funéraires en bèrbérie ,imprimeries de l'institut Français d'archéologie ,1937 .
- Marçais (G) et (W) ,Les monuments arabes de Tlemcen ,vol 1 ,librairie thorin ,Paris ,1903.
- Marçais (G) ,Tlemcen et le commerce Euro-Africain au moyenne âge ,revue Euro-Afrique ,juillet ,1953
- Marçais(G), Note sur l'épitaphe d'un sauvant tlemcenien (Abou hammou moussa fils de l'Imam), revue africaine, Alger, 1818.
- Mas Latrie ,relations et commerce du Maghreb avec les nations chrétiennes au moyens âges ,Paris ,1886.
- Meziane (Abdel Salem), Ibn Khamis, Poète Tlemcenien du 2^{ème} congrès de la fédération des sociétés XIII^{ème} siècle , savantes de l'Afrique du nord, Tlemcen, T1, 1982
- Pernod (R) ,histoire de commerce de Marseille de moyen âge jusqu'à 1921 ,t1 ,librairie plan ,Paris ,(s.d).
- Zakari Draman Issifou ,Afrique noire dans les relation internationales au VI^e siècles ,édition Karthala ,Paris ,1982

فهرس الأماكن والقبائل

أبو سلىط 117

الأترك 35

أجادير 88 - 99 - 104 - 107 - 123 - 137 - 228.

أجر سىف 175

الأدارسة 54-18

أراغونة 68-111-122-161-162-185-257-259

أرزىو 183-192-202-241

أرشكول 100-175-241

الإسبان 91-172

إسبانىا 35-240

الإسكندرىة 266

إشبلىة 271

الأطلس التلى 168-176

الأطلس الصحراوي 168

إفريقيا 200- 201- 239- 240

إفريقية 113- 115- 134- 263

إقليم الزاب 20- 133- 135- 163

أكايلى 242

ألميريا 240- 270

الأمويون 58

أنجاد 33- 126- 175

الأندلس 16- 43- 45- 57- 70- 80- 81- 82- 83- 90- 92- 100- 108

- 110- 111- 119- 120- 121- 122- 126- 162- 174- 201- 207-

240- 244- 249- 261

الأوراس 20

أوربا 172- 188- 200- 201- 202- 206- 239- 240- 243- 244- 246-

249- 252- 267- 268- 272

إولاتن 244- 245- 268

إيطاليا 240

- ب -

باجة 242- 264

بجاية 27- 83- 129- 131- 145- 159- 201- 242- 264

البحر الأبيض المتوسط 15- 27- 90- 111- 123- 202- 240- 260

البرتغاليون 172

برشك 178- 179- 202- 241

برقة 15- 90- 264- 266

بريكة 134

بسكرة 83

البطحاء 23- 143- 144- 173- 176- 178- 183- 206- 209- 219- 234

البلاد الإسلامية 220- 223

بلاد الشام 264

249- 174-116- 101- 86- 47- 45- 21- 20 بلاد المغرب

العباسيون 49

بلدة العلويين 151

بلنسية 122

161- 160- 157- 124- 122- 121- 120- 111- 45- 15 بنو الأحمر

169-55- 20- 19- 17 بنو القاسم

168- 144- 123- 120- 115- 114- 109- 103- 96- 21- 17 بنو توجين

224- 209- 206- 180- 172- 170-

169- 19- 17 بنو تومرت

بنو حجي 19

بنو حسن 146

- 101-94- 90- 86- 83- 69- 58- 49- 45- 43- 34- 30- 15 بنو حفص

- 170- 167- 163- 158- 141- 124- 123- 115- 113- 111- 105

.262- 210- 209- 204- 172

بنو حميد 170

بنو دلول 19

بنو راشد 21- 26- 55- 90- 180- 181- 188

بنو رهطف 169

بنو زردال 19

بنو زيان 17- 19- 30- 38- 98- 157- 158- 159- 161- 169- 170- 201

بنو سعيد 135

بنو سليم 115

بنو شافع 170

بنو طاع الله 19

بنو عامر 97- 103- 109- 134- 135- 136- 138- 142- 148- 154- 155

- 155- 163- 170- 180- 207- 209- 212- 217- 223- 225- 230

258

بنو عبد الواد 16- 17- 18- 19- 20- 22- 23- 24- 26- 29- 32- 38- 39

40- 41- 42- 44- 45- 46- 47- 49- 50- 54- 55- 58- 59- 60- 61

64- 66- 74- 75- 76- 77- 78- 86- 87- 88- 89- 90- 94- 95- 96

118- 117- 116- 115- 114- 113- 111- 109- 105- 103-98- 97-
- 133- 132- 130- 129- 128- 126- 124- 123- 121- 120- 119-
- 160- 155- 146- 143- 142- 141- 140- 139- 138- 137- 134
186- 185- 184-183- 182- 177- 175- 173- 171- 169- 167- 163
- 206- 205- 204- 202- 200- 198- 197- 196- 195- 194- 188-
- 223- 222- 220- 218- 217- 216- 214- 212- 209- 208- 207
- 246- 243- 242- 237- 236- 234- 233- 231- 230- 225- 224
- 269- 266- 262- 259- 256- 255- 254- 253- 251- 249- 247
271- 270

بنو غانية 92

بنو مالك 98

- 89- 86- 83- 58- 57- 49- 45- 44- 43- 34- 28- 23- 16 بنو مرين
- 120- 119- 117- 116- 114- 113- 111- 101- 109- 94- 92- 90
- 146- 145- 143- 141- 138- 137- 135- 124- 123- 122- 121
- 204- 172- 171- 170- 167- 164- 163- 161- 158- 156- 155
262- 247- 234- 233- 226- 224- 210- 208

بنو مطهر 19- 26- 86- 90- 103- 169- 206

بنو معطي 19

بنو مندیل 114- 172

بنو نصر 249

بنو توجین 122

بنو واسین 21- 95

بنو وامانو 22- 23- 95

بنو ورسطف 17- 19

بنو ورنید 95- 106

بنو وعزان 19

بنو وللو 17- 1- 169-ç

بنو یاکتین 17- 19- 168- 169

بنو یزناسن 168- 175- 178

بنو یزید 97

بنو يعقوب 170

بنو يعلى 21

بنو يفرن 21- 96- 99

بنو يلومي 22- 23- 95

بني بوسعيد 189

بني راشد 199

بني سنوس 189

بوماريا 99

بونة 115- 242- 264

بيت المقدس 264

بئر تيد بيشومين 242

بيزا 258

- ت -

تاجموت 158

تاجرات 88- 99- 105- 228

تازا 27- 116- 118- 201- 242

تاسلة 99- 168- 178- 207

تاغزوت 146

تافياللت 269

تاقدامت 176

تامز دكت 94- 113- 217- 224

تاهرت 168- 176- 178- 181

تبحريت 190

تبسة 134

تدلس 145- 159

تشاد 248

تفسرة 192

تكدا 201- 242

69- 68- 61- 58- 57- 34- 33- 32- 28- 26- 25- 24- 21- 16 تلمسان
105- 103- 101-99- 99- 94- 89- 83- 82- 81- 80- 79- 78- 70-
- 127- 126- 123- 121- 119- 117- 116- 113- 110- 107- 106-
- 155- 154- 153- 151- 149- 146- 137- 136- 135- 132- 128
- 174- 172- 170- 168- 164- 163- 161- 160- 158- 157- 156
- 187- 186- 184- 182- 181- 180- 179- 178- 177- 176- 175
- 199- 198- 197- 195- 194- 193- 192- 191- 190- 189- 188
- 221- 217- 216- 214- 212- 211- 210- 207- 206- 201- 200
263- 261- 260- 256- 246- 245- 242- 241-233- 228- 226- 222
270- 269- 268- 267- 266- 264-

تمبكتو 201- 242

تمزگران 143

تمندفوست 176

188- 187- 182- 181- 179- 178- 178- 176- 174- 168- 107 تنس
264- 242- 241- 207- 202- 201- 198- 197- 195- 189-

توات 101- 157- 180- 201- 241- 242- 246- 269

تونس 15- 32- 79- 83- 109- 129- 131- 132- 153- 163- 241- 242

264- 266-

تبيحريت 189

تيكورارين 157- 174

- ث -

الثعالبة 224

- ج -

جبال الأطلس 175

جبال القصور 168

جبال الونشريس 176

جبال أولاد نايل 168

جبال بني ورنيد 191- 200

جبال عمور 168

جبل البغل 175

جبل بني بوسعيد 168-178

جبل بني يزناسن 179

جبل راشد 21

جبل مطغرة 168

الجريد 129 - 266

الجزائر 34- 52- 129- 144- 145- 157- 159- 168- 174- 179- 180-

181- 186- 187- 188- 195- 197- 198- 201- 202- 224- 229-

242- 264

الجمهورية الإيطالية 111- 123- 124- 162- 163- 258- 266

- ح -

الحجاز 262- 264

حصن العقاب 91- 92

حصين 86- 98- 170- 231

الحضنة 168

الحماديون 21

حميان 109

الحنايا 100

- خ -

الخيثر 242

- د -

دبدو 155

درج 136

درعة 117- 143- 149- 217

دلس 18- 188

الدواودة 134- 135- 163- 209- 210- 211

- ذ -

ذوي عبيد الله 86- 98- 259

ذوي منصور 98- 217- 259

- ر -

رياح 138- 163- 210

ريغ 135

- ز -

زرقون 135

زغبة 89- 103- 109- 210- 234

الزلاقة 22

زناتة 17- 23- 86- 89- 99- 104- 114- 115- 116- 124- 134- 137

234- 142- 138-

زواوة 146- 159

- س -

سبنة 81- 242- 264

سبخة كبود 136- 138

سبعة شيوخ 99

سجل ماسة 22- 52- 101- 117- 120- 190- 201- 217- 242- 244- 245

246- 258- 269

السرسو 168

السودان الغربي 27- 101- 172- 202- 206- 217- 221- 240- 242- 243

244- 245- 246- 247- 248- 251- 255- 259- 265- 266- 267-

268- 269- 270- 271- 272

سوق إبراهيم 197- 199

سوق الخميس 178

سوق حمزة 197

سوق ريعة 199

سوق سيدي بوجمعة 199

سويد 86- 98- 109- 135- 144- 173- 210- 224

سيدي بلعباس 207

- ش -

الشام 60

شبه الجزيرة الإيبيرية 160- 161- 271

شرشال 180- 184- 186- 190- 195- 202

شلف 89- 129- 144- 176- 187- 206

- ص -

الصحراء الكبرى 15- 90- 248

صفاقص 188

الصفصيف 137

صقلية 122

صنهاجة 21- 96- 124

- ط -

طرابلس الغرب 241- 264- 266

- ع -

العالم الإسلامي 47- 89- 91- 149- 154- 239

العباد 107- 150

العباسيون 45- 54- 58

العبيديون 49

العثمانيون 34- 35- 172- 173

عين الحجر 136

عين الدفلى 178

عين الصفراء 242

عين رنان 242

عين صالح 141- 269

- غ -

غرناطة 16- 78- 80- 126- 160- 230

- ف -

فلس 16- 18- 79- 81- 83- 116- 117- 118- 127- 128- 131- 152 -

153- 161- 242- 264- 269

الفاطميون 45- 45- 58

فحص حمزة 145

فرتون 136

فرنسا 240- 253- 270

فزاز 116

فيجيح 21- 101- 175- 180- 241- 242- 269

- ق -

قرطبة 194

قسنطينة 29- 83- 134- 159- 163- 242- 264

قشتالة 111- 122- 256- 259

القيروان 21

- ك -

كانو 269

كطلانيا 254

كوكا 269

كوكو 201- 242

كومية 95

- ل -

لالة مغنية 100

لمتونة 24

- م -

مازونة 242- 264

الماغول 91

مالي 243

مبوك 242

متبجة 168- 176- 178- 187- 224

المبب الأطلسي 15- 90- 111- 172

المببب 57- 131- 144

المربطون 22- 24- 45- 99- 159- 246

مراكش 26- 44- 79- 93- 94- 103- 109- 113- 114- 118- 158

مرسى البببب 241

المربب البببب 162- 172- 260

مربببب 109- 255

مربببببب 253

مزاب 135- 269

مزابان 176- 211- 218

- 242- 218- 211- 201- 187- 184- 181- 179- 176- 143 مستغانم

264- 261- 258

مسوفة 169

مشتكانة 101

المشرق الإسلامي 267- 265- 264- 240- 200

مشرية 242

مصر 266- 265- 264- 262- 111

مصوحة 19- 17

مطغرة 179- 178

مطماطة 107

معسكر 199- 168

المعقل 258- 225- 170- 163- 156- 155- 148- 109- 98

مغراوة 224- 208- 180- 172- 170- 159- 123- 115- 114- 96- 21

المغرب الأدنى 266-264- 243- 90- 15

المغرب الإسلامي 31- 38- 43- 45- 54- 58- 69- 90- 95- 97- 111- 124-

- 160- 171- 194- 200- 202- 206- 236- 240- 242- 246- 251-

264

المغرب الأقصى 16- 57- 79- 90- 94- 113- 150- 188- 231- 262- 263-

264-

المغرب الأوسط 16- 21- 23- 24- 25- 27- 28- 32- 35- 38- 86- 87-

- 89- 90- 95- 99- 103- 109- 110- 115- 123- 135- 139- 146-

154- 155- 162- 163- 167- 169- 171- 172- 173- 174- 175- 177-

- 178- 179- 180- 182- 184- 185- 186- 187- 188- 189- 190-

- 193- 194- 198- 199- 200- 201- 202- 207- 208- 209- 211-

- 216- 221- 237- 242- 244- 245- 246- 247- 250- 251- 252-

- 253- 255- 258- 261- 262- 263- 264- 264- 265- 266- 267-

268- 269- 270- 271- 272-

مغيلة 96

مكناس 188

ملقا 240

ملوية 21-27

مليانة 114-115-144-145-176-178-187-190-201-242-264

منسا 201-242

الموحدون 15-16-23-24-26-38-43-45-47-49-58-86-87-

90-93-94-103-105-108-109-111-112-113-114-115-

116-118-123-124-150-171-172-204-205-206-209-

210-216-217-222-224-236-246

موزاية 176

ميلة 134-242-264

ميما 201

- ن -

ندرومة 25-128-143-179-182-184-189-190-199-201-211

218-242-

نهر السينغال 248

- ه -

المقار 201- 242- 269

الهلاليون 21

هنين 100- 123- 143- 168- 172- 184- 187- 188- 193- 202- 211

218- 222- 231- 241- 243- 244- 249- 254- 256- 261- 264-

هواره 95- 173

هولندا 270

- و -

واد أرهيو 89- 115

وادي مينا 176

وادي السطفسيف 187

وادي الشفة 176

وادي الصفصيف 101

233- 119- 117- 116 وادي إيسلي

233- 175- 121 وادي تافنة

118 وادي تلاغ

175 وادي سطفسييف

178- 176- 115- 101- 187 وادي شلف

224 - 210- 136- 135 وادي ملال

187- 177- 175 وادي ملوية

177- 175 وادي يسر

242 والن

200- 197- 190- 181- 180- 168- 143- 126- 119- 118- 33 وجدة

233- 218- 211-

135 ورجلا

176- 101 الورييط

179 ولهاصة

الونشريس 144- 168- 183

وهران 52- 57- 83- 100- 123- 144- 145- 162- 172- 177- 180-

183- 187- 190- 198- 202- 207- 212- 222- 241- 242- 260-

261- 264- 269

- ي -

يسر 101- 136- 137

فهرس الأملام

- أ -

إبراهيم المصمودي 34- 150- 154- 229

إبراهيم بن إسماعيل بن علان 24- 25

إبراهيم بن علي الخياط 107

الآبلي 153- 154

ابن الأعرج 195

ابن الشهيد الأندلسي 74

ابن الغازي 157- 158

ابن الفحام 154

ابن النجار 152- 191

ابن برغوث 235

ابن بسام الشنتريبي 74

ابن بطوطة 201- 242

ابن تافراكين 129- 163- 210

ابن حوقل 181-190

ابن خطاب المرسي 78-108-109-255

ابن خميس التلمساني 79-80-82

ابن خولة بن أبي حمو 34

ابن رشد 153

ابن زكري 185

ابن سينا 153

ابن قتيبة الدينوري 73

ابن قنفذ القسنطيني 153

ابن مرزوق الخطيب 81-108-189-221

ابن مريم 185-199

ابن هدية القرشي 79-151

أبو إسحاق إبراهيم الحفصي 115

أبو اسحاق التنسي 107

أبو إسحاق الحفصي 83- 90- 134- 159

أبو إسحاق الشاطبي 153

أبو البقاء البلوي 82

أبو الحسن ابن كماشة 80

أبو الحسن البلوي 81

أبو الحسن السعيد 94- 113

أبو الحسن المريني 30- 32- 33- 126- 127

أبو السعيد بن عبد الرحمن 32- 33- 126- 128- 130- 133- 138- 150

أبو السعيد عثمان 24- 40- 44- 51- 54- 55- 62- 69- 77- 78- 79- 90 -

108- 115- 121- 124- 125- 228- 234- 256

أبو العباس أحمد البجائي 263

أبو العباس أحمد بن الحسن المديوني 149

أبو العباس أحمد بن مرزوق 189

أبو العباس الحفصي 83- 159

أبو العباس السفاح 54

أبو العباس العاقل 42

أبو العباس المريني 157- 158- 214

أبو العزة زيدان 26- 88

أبو القاسم بن رضوان 83

أبو المكارم منديل منديل بن محمد بن المعلم 61

أبو بكر السعيد المريني 155

أبو بكر الصديق (ض) 49- 66

أبو بكر المريني 116- 117- 121

أبو بكر محمد الزهري 78

أبو بكر محمد المغفري 78

أبو تاشفين الأول 29- 31- 39- 41- 45- 56- 61- 69- 81- 82- 126- 127

180- 185- 209- 228- 234- 242- 263

أبو تاشفين الثاني 34- 50- 51- 52- 56- 74- 83- 130- 139- 158- 171

أبو ثابت بن عبد الرحمن 32- 33- 128- 129- 131- 133- 150- 163- 180-

أبو حفص محمد بن يغمراسن 119

أبو حمو موسى الأول 30- 32- 39- 42- 51- 55- 77- 78- 126- 208- 228-

242-

أبو حمو موسى الثاني 19- 32- 33- 34- 39- 40- 41- 42- 43- 44- 46- 47-

50- 52- 55- 56- 57- 59- 63- 66- 68- 74- 75- 76- 78- 83- 84-

126- 127- 129- 130- 131- 132- 134- 136- 137- 138- 139-

140- 141- 143- 144- 145- 146- 148- 149- 154- 155- 156-

157- 158- 159- 160- 161- 162- 163- 164- 169- 171- 204-

205- 209- 210- 211- 212- 214- 215- 216- 217- 218- 219-

220- 222- 224- 225- 226- 227- 228- 230- 231- 232- 234-

235- 236- 239- 249- 250- 253- 254- 256- 257- 258- 260-

261- 272

أبو دبوس الموحدى 118

أبو زكرياء الحفصى 94- 105- 106- 113- 114- 115- 131- 172- 216-

أبو زكرياء بن يحيى القيسي 81

أبو زكرياء يحيى بن محمد بن عبد الحلين 63

أبو زكرياء يحيى بن يغمراسن 40- 51- 52- 126- 133

أبو زيان القبي 145- 159- 171- 234

أبو زيان محمد 39- 55- 126- 129- 130- 133- 138- 159- 171- 230-

234- 235

أبو زيان محمد بن عثمان 77

أبو زيد بن الإمام 263

أبو زيد عبد الرحمن الشامي 149

أبو سالم المريبي 156- 157

أبو سعيد بن عبد الرحمن 39

أبو سلمة الخلال 54

أبو عبد الله ابن الحمراء 35

أبو عبد الله الحفصي 69- 115- 159

أبو عبد الله الشريف 150 - 227

أبو عبد الله العصامي 149

أبو عبد الله بن الحكم 80 - 81

أبو عبد الله بن حمدون 81

أبو عبد الله بن عبد الرزاق الجزولي 81

أبو عبد الله بن عيسى 106

أبو عبد الله بن مرزوق 107 - 108

أبو عبد الله محمد 42

أبو عبد الله محمد الآبلي 62

أبو عبد الله محمد التلاسي 154

أبو عبد الله محمد الحضرمي 80

أبو عبد الله محمد الحفصي 83 - 130

أبو عبد الله محمد الرصاع 191

أبو عبد الله محمد العصامي 63 - 78

- أبو عبد الله محمد القيسي 154
- أبو عبد الله محمد المشاش 63
- أبو عبد الله محمد الهكسوري 77
- أبو عبد الله محمد الهواري 153
- أبو عبد الله محمد بن جرار 77
- أبو عبد الله محمد بن مدورة 77
- أبو عبد الله محمد بن مسعود 61
- أبو عبد الله محمد بن نصر 230
- أبو عثمان التيجيني 81
- أبو عثمان سعيد العقباني 154
- أبو علي الكياني 78
- أبو علي منصور الزواوي 154
- أبو عمران موسى بن برغوث 57

أبو عنان فارس المريني 33- 81- 83- 126- 129- 131- 133- 134- 136 -

155- 163- 210- 211

أبو عنان فارس بن يغمراسن 119

أبو فارس المريني 231

أبو فارس بن موسى الجنائي 152

أبو محمد المجاصي 152

أبو محمد بن الغالب 77

أبو محمد بن عبد الحق 23

أبو محمد عبد الله الشريف 154

أبو مطرف أحمد المخزومي 78

أبو منصور الزواوي 83

أبو موسى بن عمران بن فارس 57

أبو هريرة (ض) 60

أبو يعقوب يوسف 67 - 126- 128- 144- 145- 150- 154- 210- 229

أبو يوسف يعقوب المريني 122

أحمد الشائب 67

إدريس الأول 18- 19- 20- 140- 150- 151- 152- 153- 154

إدريس الثاني 54

أرسطو 153

أريفيو شوفالييه 193

إسماعيل بن الأحمر 104- 128- 230

ألفونسو العاشر (الطاغية) 122 - 256

- ب -

بارجيس 64

البكري 175- 176- 187- 190- 192

بو زياني الدراحي 74- 141

بيدرو الثالث 122

بيدرو الرابع 162- 260- 354- 257- 246

- ت -

تقي الدين بن دقيق العيد 80

التنسي 88 - 106 - 227 - 231

- ج -

جابر بن يوسف 24 - 25 - 26

الجاحظ عمرو بن بحر 74

جاكما الثاني 69 - 161

جاكما الغازي 256 - 259

جورج مارسي 193

- ح -

الحسن الوزان 174 - 178 - 179 - 182 - 190 - 191 - 194 - 199 - 200 - 222

235 - 245 - 266

الحسن بن حيون 24

الحسن بن عبد الله الثاني 34

الحسن بن علي (ض) 18- 19

الحسن بن عمر الفودودي 155- 156

- خ -

خالد بن الوليد (ض) 60

خالد بن عامر 230

- د -

داوود بن علي بن مكن 56

دي ماس لاتري 258

- ر -

الرشيد الموحدى 94 - 115 - 172 - 205

- س -

السطى 83

السعيد الموحدى 58 - 172 - 216

السعيد بن أبى حمو 34

السعيد بن أبى فارس 157

السعيد بن خرباش الجشمى 116

سغىر بن عامر 135

سلىمان بن داوود العسكرى 134

سلىمان بن عبد الله 18

سوط النساء 106 - 114

- ش -

الشرفى أبو البركات 80

شعيب بن ميمون 145

- ص -

الصيرفى 66

- ع -

عامر بن إبراهيم بن ماساي 144 - 156

العباس بن منديل المغراوي 115

عبد الحميد الكاتب 65 - 67 - 71

عبد الحميد جيدة 67

عبد الحميد حاجيات 134 - 148 - 150

عبد الرحمن الداخل 43

عبد الرحمن بن خلدون 19 - 20 - 43 - 44 - 53 - 57 - 59 - 60 - 62 - 65 - 66 -

83 - 88 - 103 - 106 - 108 - 121 - 138 - 149 - 153 - 180 - 196 - 210

218 - 219 - 220 - 231 - 256

عبد الرحمن بن محمد بن الملاح 61

عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن 126

عبد الرحمن بن يفلوسن 157 - 158

عبد القوي التوجيني 114 - 115

عبد الله بن العباس (ض) 140

عبد الله بن مسلم الزردالي 57 - 143 - 144 - 145 - 149 - 218 - 234

عبد المهيمن الحضرمي 83

عبد المؤمن بن علي 23

عبد الواحد بن أبي حمو 34

عبد الواحد بن محمد بن الزواق 77

عبد الوهاب بن منصور 80

العبدري 81 - 107 - 152 - 201 - 242 - 264

عبدون بن محمد بن الحباك 58

عثمان بن عريف بن ونزمار 135

عثمان بن مسلم الزردالي 52

عثمان بن يوسف 26

عطاء الله دهينة 64

عقبة بن نافع 20 - 81

علي بن أبي طالب (ض) 18- 19- 87- 140- 150

علي بن محمد 67

علي بن محمد بن سعود 77

علي بن محمد بن سعود 77- 78

علي بن منصور بن هدية القرشي 82

عمر بن الخطاب (ض) 220

عمر بن الخطاب (ض) 50- 60- 61- 66- 220

عمر بن موسى المطهري 145

عمران بن موسى 235

عمير بن مصعب الأزدي 54

- غ -

غانم بن محمد الرشيدى 55

الغني بأمر الله بن محمد 160- 161

- ف -

فاطمة الزهراء (ض) 18

فرانسيس كوسطة 261- 254- 257

- ق -

القلقشندي 66- 70- 71- 75

قولادو رينوتشي 258

- ل -

لسان الدين بن الخطيب 19 - 83 - 88 - 153

لوريترو بيدانسي 258

- م -

المأمون الموحدى 24- 25- 93

ماندال 253

محمد الشريف المليتي 199

محمد الطاهر توات 67

محمد الغالب بالله 160- 161

محمد الناصر الموحدى 92

محمد بن إبراهيم الآبلى 83

محمد بن إبراهيم البلفيقى 81

محمد بن أبى عنان المربنى 137

محمد بن زواق 77

محمد بن صالح الشقرون 78

محمد بن عبد المؤمن الحضرمى 81

محمد بن على الجذامى 81

محمد بن قضىب الرصاص 63 - 249

محمد بن هدىة القرشى 81- 82- 151

مرعى بن يوسف الحنبلى 68

المستنصر الموحدى 92

مسعود بن رحو بن ماساي 155- 156

معاوية بن أبي سفيان 46

المقري 82

منسى موسى 243

منصور المليكشي 115

المنصور بن سليمان المريبي 156

موسى بن أبي عنان المريبي 158 - 161

موسى بن علي بن برغوث 144

موسى بن عمران المشدالي 151

- ن -

النباهي 81

- ه -

هارون الرشيد 50

هلال القطلاني 56- 68- 242

هلال بن عطف بن رداد 170

- و -

وادفل ابن عبو 57

الونشريسي 188

- ي -

يحيى بن أبي بكر الزابي 235

يحيى بن خلدون 19- 23- 46- 47- 50- 52- 57- 63- 76- 82- 131 -

133- 140- 147- 149- 153- 154- 179- 180- 183- 213- 224 -

226- 230- 231

يحيى بن داوود بن مكن 130- 131

يحيى بن علي البطوي 145

يحيى بن موسى الجمي 55

يعيش بن أبي زيان المريني 156

- 51- 46- 45- 44- 40- 39- 38- 32- 30- 29- 26- 20
يغمراسن بن زيان 20- 26- 29- 30- 32- 38- 39- 40- 44- 45- 46- 51-
88- 87- 86- 82- 78- 77- 70- 69- 62- 61- 59- 58- 56- 55- 52
- 108- 107- 106- 105- 104- 103- 102- 96- 95- 94- 90- 89-
121- 120- 119- 118- 117- 115- 114- 113 112- 111- 110- 109
- 173- 172- 170- 155- 140- 139- 133- 126- 124- 123- 122-
- 218- 217- 216- 209- 208- 207- 206- 205- 204- 185- 184
- 234- 233- 231- 230- 228- 227- 226- 225- 224- 222- 220
272- 261- 259- 258- 255- 254- 253- 250- 239- 236

يوحنا الأول 246

يوسف الغفاري التلمساني 25

يوسف بن تاشفين 22

يوسف بن يزناسن 117

فهرس المحتويات

كلمة شكر.

إهداء.

مقدمة.....أ- م

مدخل: بنو عبد الواد من نظام القبيلة إلى الكيان السياسي.....14-35

1- نسب بني عبد الواد 16

2- مواطن بني عبد الواد 20

3- قيام دولة بني عبد الواد 24

4- مراحل تطور دولة بني عبد الواد الزيانية 27

أ- مرحلة النشأة وتوطيد الملك (633هـ/1236م-737هـ/1363م)..... 29

ب- مرحلة الانقطاع المؤقت (737هـ/1337م-760هـ/1358م)..... 32

ج- مرحلة الانبعاث والعظمة (760هـ/1358م-791هـ/1389م)..... 33

د- مرحلة الانحلال والانهيار (791هـ/1389م-962هـ/1554م)..... 34

الباب الأول: حكامه التسيير في المجال السياسي.

الفصل الأول: أجهزة الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية.....38-84

المبحث الأول: الحاكم 40

1- ألقاب حكام بني عبد الواد 41

2- شارات الملك والسلطان 44

المبحث الثاني: ولي العهد 50

المبحث الثالث: الوظائف السلطانية 53

- 1- الوزير 53
- 2- الحاجب 58
- 3- صاحب الأشغال 60
- 4- الكاتب 64
- الفصل الثاني : حكامه التسيير لدى السلطان يغمراسن بن زيان في المجال السياسي ... 86-164
- المبحث الأول: حكامه يغمراسن بن زيان في التمكين للدولة العبد الوادية 87
- المبحث الثاني: حكامه يغمراسن بن زيان في سياسة الرعية 103
- المبحث الثالث: حكامه يغمراسن بن زيان من خلال سياسته الخارجية 111
- 1- علاقة يغمراسن بن زيان بالموحدين 112
- 2- علاقة يغمراسن بن زيان بالحفصيين 113
- 3- علاقة يغمراسن بن زيان بالمرينيين 116
- 4- علاقة يغمراسن بن زيان ببني الأحمر والممالك النصرانية 121
- 5- علاقة يغمراسن بن زيان بالجمهوريات الإيطالية 123
- الفصل الثالث: حكامه التسيير لدى أبي حمو موسى الثاني في المجال السياسي 126-164
- المبحث الأول: جهود أبي حمو موسى الثاني في إحياء دولة أسلافه 126
- 1- التعريف بأبي حمو موسى الثاني 126
- 2- تهيئته لقبيل بني عبد الواد نفسيا لتولي الخلافة 130
- 3- رحلة أبي حمو لاسترجاع عرش أسلافه 133
- المبحث الثاني: حكامه أبي حمو موسى الثاني في التمكين لدولته 138
- 1- تثبيت الحكم 138
- 2- استرجاع مدن المغرب الأوسط 143
- 3- كسب ولاء الرعية 146

- 149..... 4- النهوض بدولته
- 155..... المبحث الثالث: حكامه أبي حمو موسى الثاني من خلال العلاقات الخارجية
- 155..... 1- علاقات أبي حمو موسى الثاني مع الدولة المرينية
- 158..... 2- علاقات أبي حمو موسى الثاني مع الدولة الحفصية
- 160..... 3- علاقات أبي حمو موسى الثاني مع شبه الجزيرة الإيبيرية
- 162..... 4- علاقات أبي حمو موسى الثاني مع الجمهوريات الإيطالية

الباب الثاني: حكامه التسيير في المجال الاقتصادي.

- 202-167..... الفصل الأول: مقومات الاقتصاد في دولة بني عبد الواد الزيانية
- 167..... • العوامل المؤثرة في الاقتصاد الزياني
- 167..... 1- الخصائص الطبيعية للمغرب الأوسط
- 169..... 2- القبائل
- 171..... 3- صراعات دولة بني عبد الواد الزيانية
- 173..... المبحث الأول: النشاط الزراعي
- 173..... 1- عوامل ازدهار النشاط الزراعي
- 177..... 2- الإنتاج الزراعي
- 183..... المبحث الثاني: النشاط الصناعي
- 183..... 1- عوامل ازدهار النشاط الصناعي
- 186..... 2- أهم الصناعات
- 196..... المبحث الثالث: التجارة
- 196..... 1- تشجيع سلاطين بني عبد الواد على التجارة
- 198..... 2- التجارة الداخلية

200.....	3- التجارة الخارجية
337-204...	الفصل الثاني: حكامه يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني في التسيير المالي ..
المبحث الأول: جهود كل من يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني للنهوض باقتصاد دولتيهما.....	205.....
205.....	1- يغمراسن بن زيان
209.....	2- أبو حمو موسى الثاني
216..	المبحث الثاني: إرادات الدولة الزيانية على عهد يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني ..
218.....	1- الضرائب
219.....	2- المكوس
220.....	3- الضريبة الجمركية
222.....	4- الزكاة
223.....	5- الجزية
224.....	6- الغنائم
225.....	المبحث الثالث: يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني في ترشيد النفقات
226.....	1- مصاريف موظفي الدولة والجيش
227.....	2- التشييد والبناء
230.....	3- الهدايا والأعطيات
231.....	4- الإعانات والصدقات
235.....	5- العملة
273-239.....	الفصل الثالث: حكامه التسيير في مجال التجارة الخارجية
239.....	المبحث الأول: عوامل ازدهار التجارة الخارجية لدولة بني عبد الواد الزيانية
240.....	1- الموقع الهام

242.....	2- العوامل البشرية
247.....	3- تنوع المنتجات
المبحث الثاني: حكامه يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني في مجال التجارة	
250.....	الخارجية
250.....	1- السماح بحرية التنقل والتجارة الخارجية
252.....	2- الاهتمام بالتجار الأوربيين
254.....	3- إبرام المعاهدات التجارية
258.....	4- تأمين المسالك التجارية
المبحث الثالث: المبادلات التجارية لدولة بني عبد الواد الزيرية	
262.....	1- مع المرينيين والحفصيين
264.....	2- مع المشرق الإسلامي
266.....	3- مع السودان الغربي
270.....	4- مع الدول الأوربية
275.....	الخاتمة
282.....	الملاحق
302.....	قائمة البيليوغرافيا
341.....	فهرس الأماكن والقبائل
363.....	فهرس الأعلام
381.....	فهرس المحتويات

الملخص:

نعالج من خلال هذه الرسالة بالبحث والدراسة حكمة كل من السلطان يغمراسن بن زيان (633 - 681هـ / 1235 - 1282م) والسلطان أبي حمو موسى الثاني (760 - 791هـ / 1359 - 1389م) في تسيير دولة بني عبد الزيانية في المجالين السياسي والاقتصادي. مبرزين دور ذلك في تطور الدولة واستمراريتها.

الكلمات المفتاحية:

دولة بني عبد الواد - الحكامة - المجال السياسي - المجال الاقتصادي - يغمراسن بن زيان - أبو حمو موسى الثاني - الدولة الزيانية.

Resume :

Notre recherche entend s'intéresser sur la base des écrits historiques aux mécanismes de gouvernances et leur influence dans la gestion de l'état Zianides appliqués par Yaghmerassene Ibn Ziane (633-681h/1235-1282j) et Abou hamou Moussa II (760-791h/1359-1389j) comme étant un outil performant de gestion sur le plant politique et notamment économique. Dans ce cadre nous avons démontré entre autre que le développement de l'état et aussi sa pérennité s'inscrivent stricto sensu dans une logique d'une bonne gouvernance.

Mots clés :

Beni Abdelouad – la gouvernance – cadre politique – cadre économique – Yaghmerassene Ibn Ziane – Abou hamou Moussa II – l'état Zianides.

Abstract :

The present work deals with the study of historical writings related to governance mechanisms and their influence in the management of the Zianide state applied by Yaghmerassene Ibn Ziane (633-681h/1235-1282j) and Abou hamou Moussa II (760-791h/1359-1389j) as a powerful management based on political means which is associated mainly with economic level. Moreover, in this contexte it has been demonstrated that the development of this state and also its sustainability is mostly part of logic of good governance.

Key words :

Beni Abdelouad – gouvernance – political framework – economic framework – Yaghmerassene Ibn Ziane – Abou hamou Moussa II – Zianide state.